Techniques in ... oom

ألفا

فنون في غرفة النوم

محمد السعيد

محمد حسان

محمد مختار

Techniques in Bedroom

فنون في غرفة النوم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الثالثة

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

رقم الإيداع القانونى
٢٠٠٣/١٣٩٠٥

الترقيم الدولى
I.S.B.N: 977 - 253 - 312 - X

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسى: ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الإسكندرية
تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ / ٠٣ ـ ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

١/٤١٠٢
ح م ف

فنون في غرفة النوم

تأليف

محمد حسان- محمد السعيد
محمد مختار

شركة ألفا للنشر والإنتاج الفني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم
مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

وأهل بيته، فهى مثالية الواقع أو واقعية المثال، فلا يحتج أحد بعدم القدرة أو بُعد المثال.

لقد شرّق الناس وغرّبوا، فشقوا أكثر مما سعدوا، فآن الأوان لكى يثوب التائهون ويتذكر الناسون، ويستيقظ الغافلون، مرددين: ﴿هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ فلا حل إلا فى الإسلام، ولا سعادة إلا فى الإيمان، ولا خير إلا فيما جاء به القرآن وسنة النبى العدنان ﷺ.

ونحن لا يسعنا إلا الصلاة على النبى، أشرف الخلق، أفضل صلاة وأتمها، وأن يبعثه الله مقامًا محمودًا الذى وعده. وأن يكافئ أخانا المؤلف، بتيسير أمره وإكرامه فى الدنيا والآخرة، وأن يوفق قراءنا الأعزاء إلى العمل من أجل دينه ونصرة المسلمين . . اللهم آمين.

الناشـــــر

للحب ألف معنى

وألف فن

وأسرار وتفاصيل

ولغرفة النوم غذاء وذكاء

وأخطاء

و150 طريقة...؟

وهل هو عجز أم ضعف؟

وما هي النشوة؟

وكيف تفرق بين النشوة والأوهام؟

كل هذا في

فن إدارة غرفة النوم

أ/ محمد حسان

أ/ محمد السعيد

شُرعت الخطبة لضمان المحبة

* روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال: خطبتُ امرأة، فقال لي رسول الله ﷺ: «هل نظرت إليها؟ قلت: لا، قال: فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» وروى أحمد وأبو داود عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال «كنت عند النبي ﷺ، فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: أنظرت إليها؟ قال: لا، قال: فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا».

نعم وصدق الصادق المصدوق ﷺ فإنه أحرى أن يؤدم بين الزوجين، أي أجدر أن يتم التواصل والمعاشرة الطيبة إذا نظر الخاطب ورأت المخطوبة فوقع في قلب كليهما التوافق والرغبة في التصاحب، فإن للرؤية ما ترتاح به النفس فجأة دون سبب واضح ومحدّد، بل أحيانا تتحير العقول في توافق روحين والتقاء زوجين، على غير قوانين الظواهر. وصدق المثل المصري العامي «كل فولة ولها كيّال» ولذلك لا نعجب أيضًا أن كل الناس يتزوجون رغم تباين أشكالهم وطباعهم، ولله في خلقه شئون.

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: «إن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي - فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعّد النظر إليها وصوّبه ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: أي رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: هل عندك من شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله. قال: اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن» ومعنى فصعّد النظر إليها وصوبه أي نظر أعلاها وأسفلها مرارًا، وطأطأ رأسه المراد صمت، ففي الحديث ما يدل على إباحة النظر وتكراره، وأن رسول الله ﷺ لم يكسر خاطر الصحابية ويرفضها واكتفى بالصمت المقيد للرفض، وكيف أُعجب الصحابي بالمرأة في نفس الوقت وتزوجها، كما أن المرأة لم تمنعها أنوثتها من طلب الزواج لأنها لم تقصد النبي ﷺ فقط ولكنها رضيت بالصحابي رغم فقره.

روى أبو داود في باب العتق من سننه، وروت كتب السيرة، عن عائشة رضى الله

مع احترامنا لكل مشاعر الخجل إلا أن الحديث في هذا الموضوع لا يخرج بنا عن نطاق الحياء.. المتعة الجنسية بين الزوجين.. لا يمكن أن تتحقق بدون الحب، بل إن المتعة دليل على صدق الحب وتحققه... هذه العلاقة الشديدة الخصوصية والحساسية بين كل زوجين... أحيانًا كثيرة يصيبها الملل بل من الممكن أن تتحول إلى لحظات عذاب للمرأة ولحظات واجب عزاء للزوج.. بل إن 70٪ من المشاكل الأسرية التي غالبًا ما تنتهي بالطلاق تكون غالبًا رد فعل طبيعي على الفشل في تحقيق كل طرف لذاته خلال هذه العلاقة الحميمة.. ورغم أننا نحب الحديث كثيرًا في هذه الموضوعات فإنه يمكن القول إن بداية الفشل حينما نبدأ الحديث.. وهناك أسباب كثيرة لا تقع على عاتق الرجل بمفرده... بل إن المرأة شريك فاعل وأساسي لإحياء العلاقة الجنسية إذا أصابها الملل وسيطرت على الطرفين الأوهام والأكاذيب..

والكتاب يتحدث في عشرة فصول عن أدق تفاصيل بين كل زوج وزوجة بعيدًا عن الإسفاف وبموضوعية نحاول إيجاد حلول عملية لمشكلة غاية في الحساسية.

أحكام وفقه الخطبة

* قال الإمام النووى فى الروضة: ويباح هذا النظر وإن خاف الفتنة لغرض التزوج، ووقت هذا النظر بعد العزم على نكاحها وقبل الخطبة، لئلا يتركها بعد الخطبة فيؤذيها. وإذا نظر فلم تعجبه فليسكت ولا يقل لا أريدها لأنه إيذاء لها - وقال أيضًا: إذا رغب فى نكاحها استحب أن ينظر إليها لئلاً يندم، ويجوز تكرير هذا النظر ليتبين هيئتها، وسواء النظر بإذنها وبغير إذنها فإن لم يتيسّر النظر بعث امرأة تتأملها وتصفها له، والمرأة أيضًا تنظر إلى الرجل إذا أرادت تزوجه، فإنه يعجبها منه ما يعجبه منها، ثم المنظور إليه الوجه والكفان ظهرًا وبطنًا، وقيل إنه ينظر إليها نظر الرجل إلى الرجل.

* يجوز الصدق فى ذكر مساوئ الخاطب ليحذر وليس هذا من الغيبة المحرمة. ولكنه لا يزيد على النصيحة ولا يقصد التشهير.

الخطبة مجرد وعد بالزواج ولا تحل حرامًا ولا تحرم حلالاً، فلا يجوز للخاطبين الخلوة أو المخالطة إلا فى حدود الحاجة، ومثل الخطيب والمخطوبة مثل غيرهما، فهما أجنبيان، وما تعارف عليه المجتمع حاليًا من التساهل والرضا وعدم إنكار بعض المصائب التى يفعلها الخاطبان مثل الخروج سويًا والمجالسة والمؤانسة داخل المنزل أو خارجه كما لو كانا عاقدين، فهذا كله منكر شرعًا وإن كان مقبولاً عرفًا، فإن كان لابد لطول مدة الخطبة فعليهما بالإسراع بإتمام العقد الشرعى لرفع هذا الحرج الشرعى.

* قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لا تنكحوا المرأة الرجل القبيح الدّميم، فإنهنّ يحبْبن لأنفسهن ما تحبون لأنفسكم. وروى ابن الجوزى عن الزبير بن العوام رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يعمد أحدكم إلى ابنته فيزوجها القبيح الدميم، إنهن يُردْن ما تريدون».

* وقال الحسن البصرى: زوّج ابنتك لمن يتقى الله، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها. وأقول: وإن طلقها لم ينْس الفضل بينهما.

****

الفصل الأول

ألف معنى للهوى والحب

الصبوة.. التباريح.. الجوى.. الوله.. الفتون.. الحنون.. هذه أسمى معاني الحب ذلك الكائن السحري الذي يقف حائلا أمام اليأس ويبدو ظلمة الليل ويبهج القلوب وترتعش معه الأيادي وتتلألأ معه العيون وبداية طريق الحب هو معرفة بعض من آلاف المعاني.

القلب وأغوار الحس: ﴿لتسكنوا إليها﴾ [الروم: ٢١] ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١].

وقال الطيبي: إنه لما كان القصد من خلق الأزواج والسكون إليها وإلقاء المحبة بين الزوجين ليس مجرد قضاء الشهوة التى يشترك فيها البهائم، بل تكثير النسل وبقاء نوع المتفكرين الذين يؤديهم الفكر إلى المعرفة والعبادة التى ما خلقت السماوات والأرض إلا لها، ناسب كون المتفكرين فاصلة للآية. أى قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم: ٢١].

****

خطورة على قلوبهم تعظيمًا له، أو اهتمامًا به، أو محبة له، فالأول كالأسد والسيف، والثاني كالداهية، والثالث كالخمر، وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحب فوضعوا له أسماء كثيرة وهي:

المحبة، العلاقة، هوى، صبوة، صبابة، الشغف، المقة، الوجد، الكلف، التتيم، العشق، الجوى، الدنف، الشجو، الشوق، الخلابة، البلابل، التباريح، السدم، الغمرات، الوهل، الشجن، اللاعج، الاكتئاب، الوصب، الحزن، الكمد، اللذع، الحرق، السهد، الأرق، اللهف، الحنين، الاستكانة، التبالة، اللوع، الفتون، الجنون، اللمم، الخبل، الرسيس، الداء المخامر، الود، الخلم، الغرام، الهيام، التدلية، الوله، تعبد، المحبة.

وقيل إن كلمة الحب أصلها الصفاء؛ لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان.. وقيل: هي مأخوذة من الحب جمع حبة وهو لباب الشيء وخالصه وأصله.. وقيل: بل مأخوذة من حبة القلب وهي سويداؤه ويقال ثمرته فسميت المحبة لذلك لوصولها إلى حبة القلب..

مضت كما يشير العقل والنظر فبعلم الله وقدرته، وإن لم تمض وتوقف الأمر لأى سبب فهذا فيه أيضًا الخير لأنه بعلم الله وقدرته.

* ترجم النسائي في سننه - صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها - وذكر حديث استخارة سيدتنا وأمّنا زينب بنت جحش رضى الله عنها عندما خطبها النبى ﷺ. وهل هناك أفضل خاطب من النبى ﷺ حتى تستخير فيه؟ ولكنها العبادة. فقد قال النبى ﷺ لزيد بن حارثة رضى الله عنه «ما أجد في نفسي أوثق منك فاخطب زينب عليّ. قال: فذهبت ووليتها ظهرى توقيراً للنبى ﷺ، وخطبتها ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوامر ربى، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، فتزوجها النبى ﷺ ودخل بها».

****

والحب هو العلاقة: وتسمى العلق بوزن الفلق فهي من أسمائها وقد علقها بالكسر وعلق حبها بقلبه أي هويها، علق بها علوقًا.

وهو الهوى فهو ميل النفس إلى الشيء، وفعله هوى يهوى هوى مثل عمى يعمى عمًى، وأما يهوى بالفتح فهو السقوط ومصدره الهوى.

وهو الصبوة والصبا الشوق، ويقال: تصابى وصبا يصبو أي مال إلى الجهل، وأصبته الجارية وصبى صباه مثل سمع سماعًا أي لعب مع الصبيان وسميت الصبوة بذلك لميل صاحبها إلى المرأة الصبية والجمع صبايا مثل مطية ومطايا، والتصابي هو تعاطي الصبوة والفرق بين الصبا والصبوة والتصابي هو تعاطي الصبا، وأن تفعل فعل ذي الصبوة، وأما الصبا فهو نفس الميل، وأما الصبوة فالمرة من ذلك مثل الغشوة والكبوة.

وهو الصبابة وهي رقة الشوق وحرارته، يقال: رجل صب: عاشق مشتاق، وقد صبيت يا رجل، والصبابة المضاعفة من صب يصب والصبا والصبوة من المعتل، قال الشاعر:

ترك الناس التكلف المرهق بينهم فى المعاملات وسبل الحياة، وقامت فى المجتمع المسلم أسس وقيم للحياة كلها الصدق واليسر والبساطة، وقامت العلاقات بينهم على قواعد من نَبذ التكلف والتنافس المقيت على الاقتناء للعرض الزائل لتكميل ومحاولة تجميل النفوس من خارج بمظاهر مادية بعد أن تفقد الجمال والكمال الروحى الداخلى، فلا يمكن ستر عَوار النفوس بستر وطلاء البيوت وزخرفتها، ولا يمكن تعويض فقد صفات النفس وكمالها بملء البيوت بالأثاث والتحف وبريق المظهر.

* وهكذا ذاق مجتمع الإسلام الأول طعم السعادة والمحبة والمودّة، فبهذا الأمر اليسير السهل عاش أسعد قلبين: قلب رسول الله ﷺ وقلب أحب الخلق إليه عائشة رضى الله عنها. وهكذا كان الرضا والغنى والعفاف وهناء العيش ويسره، وهكذا كانت تنطلق الحياة الاجتماعية بهذا الجمع الصادق فى كل أمر، رجال ونساء فى بيت أبى بكر الصديق رضى الله عنه يحضرون حفل بناء الرسول ﷺ على أهله فى حجرة متواضعة دون عناء التكلف بالأحفال المادية، تفيض بينهم العواطف والمحبة وتدخل أمّ العروس ابنتها بعد قليل إصلاح لمظهرها على أفضل الخلق وهى تقول: أهلك يا رسول الله، وتدعو بصدق بالبركة، ويستحى الجمع ويثب خارج البيت بوقار وبساطة وسهولة، وتمضى الحياة الطيبة.

* لم يكن هذا النموذج يخصّ حضرة النبى ﷺ، ولكنه ﷺ القدوة التى يبدأ منها بيان أسس الحياة الطيبّة والممكنة لكل الناس، وإلا ما استطاع محب أن يلحق بالركب.

* عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: قد خُطبت فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوّجك؟ فقلت: وعندى شىء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوّجك. قال على: فوالله مازالت ترجّينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ فلما أن قعدت بين يديه أُفحمتُ فو الله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة، فقال رسول الله ﷺ: ما جاء بك ألك حاجة؟ فسكت، فقال: لعلّك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم. فقال: وهل عندك من شىء تستحلها به؟ فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: ما فعلت درْع سلّحتكها؟ فوالذى نفس علىّ بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعة دراهم. فقلت: عندى فقال: قد زوّجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها. رواه البيهقى فى كتابه دلائل النبوة. ثم روى البيهقى عن على رضى الله عنه قال

وأصل اللفظة من الكلفة والمشقة، والكلف أيضًا لـون بـين السواد والحمرة، وهي حمرة كدرة تعلو الوجه.

ويطلق عليه العشق فهو أمر هذه الأسماء وأخبثها، وقل مـا ولعت به العرب، وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه هذه الأسمـاء فلم يكادوا يفصحوا عنه:

ولا نعم صدق الواشون أنت حبيبة

إليّ وإن لم تصف منك الخلائق

ورجل عشيق مثل فسيق أي كثير العشـق والتعشـق تكلـف العشق، وقيل العشق عجـب الحـب بـالمحبوب يكـون في عفـاف الحب، وقيل العشق الاسم العشق المصدر، وقيـل العشـق نبـت لزج، وسمي العشق الذي يكون من الإنسـان للصـوقه بالقلـب تكاد تجده في شعرهم القديم، وإنما أولع به المتأخرون:

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا

سوى أن يقولوا إنني لك عاشق

والحب هو الجوى والجوى الحرقة وشدة الوجد مـن عشـق أو حزن، تقول منه: جوى الرجل فهو جـو مثـل دو ومنـه قيـل

وغيرهم فتبعهم غيرهم على أسس الفطرة. عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» رواه البخارى ومسلم. وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضى الله عنهما، قالت: «قلت له: مالك لا تطلب ما يطلب فلان وفلان؟ قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن وراءكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون، فأنا أحب أن أتخفف لتلك العقبة» رواه الطبرانى بإسناد صحيح والكئود الصعبة. وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت أنى دخلت الجنة فإذا أعالى أهل الجنة فقراء المهاجرين وذرارى المؤمنين، وإذا ليس فيها أحد أقل من الأغنياء والنساء، فقيل لى: أما الأغنياء فإنهم على الباب يحاسبون ويمحصون، وأما النساء فألهاهن الأحمران: الذهب والحرير». رواه أبو الشيخ ابن حبان والمنذرى.

****

سمع هذا الاسم في السنة، لما علم الله شوق المحبين إلى لقائه ضرب لهم موعدًا للقاء تسكن به قلوبهم، ويعد فهذه اللفظة من أسماء الحب، الشوق والاشتياق: نزاع النفس إلى الشيء، يقال: شاقني الشيء يشوقني فهو شائق وأنا مشوق وشوقني فتشوقت: إذا هيج شوقك.

وهو الخلابة والحب والخادع الخلابة هي الحب الخادع، وهو الحب الذي وصل إلى الخلب وهو الحجاب الذي بين القلب وسود البطن، وسمي الحب خلابة؛ لأنه يخدع ألباب أربابه، والخلابة: الخديعة باللسان، يقال: خلبه يخلبه واختلبه وفي المثل: «إذا لم تغلب فأخلب»، أي فاخدع.

وهو البلابل والبلابل جمع بلبلة، يقال: بلابل الحب وبلابل الشوق، وهي وساوسه ووهمه. البلبلة والبلبال: الهم ووسواس الصدر وهو التباريح، حيث يقال تباريح الحب، وتباريح الشوق، وتباريح الجوى، وبرح به الحب والشوق: إذا أصابه منه البرح وهو الشدة، ويقال لقيت منه برحًا بارحًا أي شدة وأذى.

ولقيت منه بنات برح وبني برح، ولقيت منه البرحين، والبُرحين أي الشدائد والدواهي.

بداية العشـرة تكيّف وتأقلم
وترقّب للعشير وتأهّب للمصير

* منذ أبعاد عميقة من الزمن فى نفـوسنا، قد عشناها تخيّلاً وتصوراً للزوج المرتقب وللحياة معـه. وها هو الزوج ملاصـق معايش مصاحب بالجنب، جمعنا الله بقدره وقدرته، وبدأت العلاقـة بعقد زواج على كتابه وسنة نبيّه ﷺ، وأغلق علينا بيت دون خلق الله جميعًا، فلم يلتصق ويتقارب مع النفس مثل الزوج، لا أم ولا أب ولا أخت ولا أحد، يلتقى الروحان، ويتصل قلبان، وتتمازج عاطفتان، وتتعاطف نفسان، ويكتمل جسدان، وتشمر غريزتان، وصدق الله العظيم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] ألبس الله عز وجل الزوج بالزوج لباس الستر والعفّة، ولباس الوقاية من حرّ الغـريزة وبرد الوحدة، لبـاس الزينة والمتاع ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا...﴾ [الأعراف: ٢٦، ٢٧] فـهذه جنـتك، زوجك وبيتك، وإياك وإياك أن يدخل الشيطان عليكما فيخـرجكما من الجنة، فقد قص الله علينا قصـة أول التقاء لزوجين، آدم وحواء عليهما السلام ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١١٦، ١٢٤] قد جعل الله لك جنة لا تجوع لك فيها عاطفة ولا غريزة، ولا تعرى لك فيها سوءة ولا نفس ولا تظمأ لك فيها رغبـة ولا روح. فشجرة الخلد والملك الذى لا يبلى أنت سائرة إليه، فاجـعلى الإحسان وحسن العـشرة للزوج الشجرة التى تغرسينها فى قلب الزوج فتظلك بوارف ظلهـا، واجعلى الملك الذى لا يبلى المودّة والرحمـة لزوجك تمكين قلبه

أشجان، وقد شجنتني الحاجة شجنًا: إذا حبستك، ووجه آخر أيضًا وهو أن الشجن الحزن والجمع أشجان، وقد شجن فهو شاجن، وأشجنه غيره وشجنه، أي أحزنه، والحب فيه الأمران. رده وهو اللاعج وهو اسم فاعل، لعجه والاكتئاب هو افتعال من الكآبة وهس سوء الحال والانكسار من الحزن، وقد كئب الرجل يكأب كآبة كرأفة ورآفة، ونشأة ونشاءة فهو كئيب. والكآبة تتولد من حصول الحب وفوت المحبوب فتحدث بينهما حال سيئة تسمى الكآبة.

والحب يسمى بالوصب وهو ألم ومرضه فإن أصل الوصب المرض، وقد وصب الرجل يوصب فهو واصب، وأوصبه الله فهو موصب، والموصب بالتشديد الكثير الأوجاع. ووصب الشيء يصب وصوبًا إذا دام وهو الحزن عد من أسماء المحبة. والصواب أنه ليس من أسمائها وإنما هو حالة تحدث للمحب، وهي ورود المكروه عليه وهو خلاف المسرة، ولما كان الحب لا يخلو من ورود ما لا يسر على قلب المحب كان الحزن من لوازمه. وهو الكمد والكمد هو الحزن المكتوم، كمد الرجل فهو كمد وكميد، والكمدة تغير اللون، وأكمد القصار الثوب إذا لم

همسات ونصائح من المجربين الصالحين

* قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: النساء ثلاث: امرأة عاقلة، مسلمة، عفيفة، لينة، ودود ولود، تعين أهلها على الدهر، ولا تعين الدهر على أهلها، وقليلاً ما تجدها. وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك. وأخرى غُلٌّ قَمِلٌ يجعله الله فى عنق من يشاء، ثم إذا شاء أن ينتزعه نزعه.

* قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: خير نسائكم الطيّبة الرائحة، الطيبة الطعام، التى إن أنفقت أنفقت قصدًا، وإن أمسكت أمسكت قصدًا، فتلك من عمّال الله، وعامل الله لا يخيب.

* سئلت عائشة رضى الله عنها: أى النساء أفضل؟ فقالت: التى لا تعرف عيْب المقال، ولا تهتدى لمكر الرجال، فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها، والإبقاء فى الصيانة على أهلها.

* قال الحسن البصرى رحمه الله: ينبغى للوجه الحسن ألا يشين وجهه بقبيح فعله، وينبغى لقبيح الوجه ألا يجمع بين قبيحين.

* قيل لأعرابى: أى النساء أفضل؟ قال: العزيزة فى قومها، الذليلة فى نفسها، التى فى حجرها غلام، وفى بطنها غلام، ولها فى الغلمان غلام.

* قال حكيم: ما تقول زوجة فى زوجها الذى ترك كل النساء واختارها هى؟ وما تفعل زوجة مع زوجها الذى ترك الوالديْن والأهل والأصدقاء ولم يرض أليفًا ولا أنيسًا له غيرها؟ وما حرص زوجة على عرض زوج وبيتْه وعرضها عرضه وبيته لها؟ وما صنع زوجة فى نفسها لزوجها، وشياطين النساء رافلات فى الزينة خارج البيت يفتنّ زوجها؟

* قال الفقيه ابن عبد ربه الأندلسى: البلاء كله موكل بالزوجة السوء، التى لا تسكن النفس إلى كريم عشرتها، ولا تقرّ العين برؤيتها.

* خطب عمرو بن حُجْر إلى عوف بن محلّم الشيبانى ابنته أمّ إياس، فقال: نعم أزوّجكها على أن أسمّى بنيها وأزوّج بناتها. فقال عمرو بن حجر: أما بنونا فنسمّيهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا، وأما بناتنا فننكحهن أكفاءهن من الملوك، ولكنى

استكن لأنه ليس في كلامهم افتعال.. وهو التبالة وهي فعالة من تبله إذا أفناه.

تبلهم الدهر وأتبلهم إذا أفناهم

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم عندها لم يفد مكبول

والحب يعني اللوعة أي لوعة الحب: حرقته وقد لاعه الحب يلوعه والتاع فؤاده أي احترق من الشوق. وهو الفتون فهو مصدر فتنة يفتنه فتونًا، والفتنة يقال على ثلاثة معان: الامتحان والاختبار، الافتتان نفسه: هذه فتنة فلان أي افتتانه، المفتون به نفسه يسمى فتنة. والفتن الإحراق، ورق فتن أي فضة محرقة. وافتتن الرجل وفتن إذا أصابته فتنة في ماله أو عقله وفتنته المرأة إذا ولهته.

والحب إذا ارتبط بالعشق أصبح مرتبطًا بالجنون وقيل الجنون من الحب ما يكون جنونًا.

قالت جننت بمن تهوى فقلت لها

العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه

وإنما يصرع المجنون في الحين

الصـــادق الأميـــن ﷺ يبيّـــن
حقائق الدين ووصاياه للزوجين

* عن ثوبان رضى الله عنه قال: «لما نزلت: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾، كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفـاره، فقال بعض أصحابه: أُنزلت فى الذهب والفضة لو علمنا أى المال خيرٌ فنتخذه؟ فقال ﷺ: أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه» رواه ابن ماجة والترمذى وقال: حديث حسن.

* وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة. إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله» رواه ابن ماجة ومعنى إن أقسم عليها أبرته أى إن حلف على شيء سارعت بتنفيذه.

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» رواه مسلم والنسائى وابن ماجة ولفظه: «إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شىء أفضل من المرأة الصالحة» وذكره رزين ولفظه «الدنيا متاع ومن خير متاعها امرأة تعين زوجها على الآخرة، مسكين مسكين رجل لا امرأة له، مسكينة مسكينة امرأة لا زوج لها».

* وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله فى الشطر الباقى» رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

فانظرى هداك الله ورعاك من أنت فى هذا الوجود؟ هذا الوجود الذى خلقه الله ليعبد، فأنت بعد تقوى الله !!! فتقوى الله بها سعادة الدنيا والآخرة، وأنت بك سعادة الدنيا، والعون على سعادة الآخرة. أنت مفتاح السعادة وليس للرجل بعد تقوى الله من مطلب وغاية واستفادة إلا أنت. أنت بصلاحك، أنت بإيمانك، أنت فى طاعته، سعادته أن تطيعيه، سروره أن ينظر إليك، متاعه فى الدنيا، بل خير متاعه أنت، دنياه ومبتغاه، لا الولد ولا المنصب ولا المال ولا الأهل، ليس بعد تقوى الله، إلا امرأة

إذا غير النأى المحبين لم يكد

رسيس الهوى من حب مية يبرح

وهو الداء المخامر، وسمي مخامرًا لمخالطته القلب والروح، يقال خامره. والمخامرة المخالطة، وخامر الرجل المكان إذا لزمه. وقد يكون أخذ من قولهم: استخمر فلان فلانًا إذا استعبده، وكأن العشق داء مستعبد للعاشق، فالحب داء مخالط مستعبد.

ويقال عن الحب الود إذ إن الود هو خالص الحب وألطفه وأرقه، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة، وددت الرجل أوده ودًا إذا أحببته. والوِد والوُدَ والودَ المودة، والود الوديد بمعنى المودود والجمع أود، والودود المحب ورجال وداء، فالود أصفى الحب وألفه. وهو الخلة وهو توحيد المحبة، فالخليل هو الذي توحد حبه لمحبوبه، وهي رتبة لا تقبل المشاركة. وقيل إنما سميت خلي لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح. والخلة: الخليل يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ لأنه في الأصل مصدر قولك خليل بين الخلة والخلولة. ويجمع على خلال، والخل الود والصديق، والخليل: الصديق والأنثى خليلة، والخِلالة والخَلالة: الصداقة والمودة.

وهو الخلم وهو مأخوذ من المخالمة وهي المصادقة والمودة،

الطاعة للرجل والقوامة على المرأة
هل هي تنقيص للمرأة وحط لمنزلتها؟

توطئة:

* الرجل والمرأة مخلوقان لعبادة الله وحده، والدنيا ليست مقصودة لذاتها وإنما هي مزرعة الآخرة. يقول عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وكل ما يصيب العبد في هذه الدنيا امتحان ليفوز من يفوز ويخسر من يخسر ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. والغرور هو الخداع والوهم. ويقول عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧] فكل أوضاع الدنيا وكل عطاء فيها مقصود به الامتحان. والرجل والمرأة في ذلك سواء لا خلاف ولا اختلاف في غاية الأمر.

* تكاليف الشرع للرجل وللمرأة راعت العدل والرحمة. يقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] لا في القدرات والجنس، فكل ميسَّر لما خلق له، يقول الله عز وجل ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] ويقول عز من قائل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالتكاليف التي كلف الشرع بها الرجل مناسبة له ولما خلق له وهي في وسعه ومقدوره، والتكاليف التي كلف الشرع بها المرأة مناسبة لها ولما خلقت له وهي في وسعها ومقدورها.

* الرجل إذا قام بما كُلِّف به شرعًا فهو كريم على الله بقدر تقواه، وكذلك المرأة إذا قامت بما كلفها به الشرع كانت كريمة على الله بقدر تقواها لله، يقول المولى عز وجل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] بلا تفرقة بين رجل وامرأة، فهو مقياس واحد في شرع الله لا غير، الأفضل هو الأتقى، لا دخل للمقاييس الأخرى التي تعارف عليها الناس، لا الحسب، ولا الجاه، ولا المال، ولا الذكورة ولا الأنوثة ولا شيء من ذلك.

* يختلف الرجل عن المرأة في تكاليف وواجبات كل منهما، فهذه ضرورة شرعية وفطرية وعقلية وواقعية، فلن يكون الرجل كالمرأة ولا المرأة كالرجل بهذا الزعم، فليس الذكر كالأنثى، وسنن الله في الخلق لا تتغير بتغير الأزمان ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

ورجل واله وامرأة واله وواهة وقد وله يوله وولهانًا وتوله وأتله وهو افتعل وأدغم.

أما أسمى معاني الحب فهو التعبد، وهو غاية الحب وغاية الذل، يقال عبَّده الحب أي ذلَّلَهُ، وطريق معبَّد بالأقدام أي مذلل، وكذلك المحب ذلَّلَهُ الحب ووطأه. ولا تصلح هذه المرتبة لأحد غير الله عز وجل، ولا يغفر الله سبحانه لمن أشرك به في عبادة، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فمحبة العبودية هي أشرف أنواع العبادة وهي خالص حق الله على عباده. وقد ربط بعض الشعراء بين الحب والعبودية إذ يقول الشاعر:

بيني وبينك من الحب

ما يقدر واش يفسده

ما بال العاشق يفتح لي

باب السلوان وأوصده

ويقول تكاد تجن به

وأقول وأوشك أعبده

* * *

طاعة ولي أمر المرأة والزوج
تكليف شرعي من أعظم التكاليف

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ أيّ الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال: زوجها ، قلت: فأي الناس أعظم حقا على الرجل؟ قال: أمه» رواه البزار والحاكم وإسناده حسن. فما أعظمه شرع من عند الله العليم الحكيم، تكليف عظيم على المرأة وفاءً بحق الزوج وهو رجل، وفي المقابل تكليف عظيم على الرجل وفاء بحق الأم وهي امرأة.

* عن حُصين بن مِحْصن رضي الله عنه أن عـمّةً له أتت النبي ﷺ فقال لها: أذاتُ زوج أنت؟ قالت: نعم. قال: فأين أنت منه؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه. قال: فكيف أنت له؟ فإنه جنتك ونارك» رواه أحمد والنسائي والحاكم وهو صحيح الإسناد، ومعنى ما آلوه أي ما أستطيعه، أي أفعل معه كل شيء يحبه إلا إذا عجزت عنه. لقد عرفت نساء الصحابة حق الله وحقوق العباد ومنها حق الزوج فاجتهدن وشمّرن للجنة، ولم تردّ أمر الله ولم تناقشه ولم تكرهه عندما أمرها بطاعة الزوج وحسن التبعّل له.

* عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أيّما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة» رواه ابن ماجة والترمذي والحاكم وحسنه الترمذي وقال الحاكم: صحيحُ الإسناد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلّت المرأة خمْسها، وحصّنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أيّ أبواب الجنة شاءت» رواه ابن حبان في صحيحه. ورواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «إذا صلّت المرأة خمْسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» رواه أحمد والطبراني. إنها تكاليف واحدة، الصلوات الخمس، صيام رمضان، حفظ الفرج، طاعة الزوج، كلها تؤديها المرأة لله، طاعة له وحده، واستجابة لشرعه، فليس النظر في الأمر نفسه ولكن النظر فيمن هو صاحب الأمر الذي به أمر، فالطاعة له وحده، إن صمت الشهر فله وحده، وإن أطعت زوجك فله وحده، فكلها طاعة لله، والغاية الجنة، بل حتى طاعة الرسول ﷺ ليست له ولكنها لله ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾.

الفصل الثاني

فنون الحب بين الزوجين

الحب أكسير السعادة الدائم في العلاقة الزوجية فلا يمكن أن تستمر الحياة بين الزوجين طبقا لحسابات مادية لا تأخذ في اعتبارها حقيقة هذه العلاقات القائمة على المودة والرحمة وقليل من الحب يزيل ما يعكر صفو هذه العلاقة. وإذا كان مؤشر الحب ينخفض بعد الزواج فذلك لأن الزوجين تراجعا عن ممارسة الحب بسبب ضغوط الحياة المادية.. وهذا فصل من الفنون الجميلة بين كل زوج وزوجة يريد أن تثمر شجرة الحب من جديد.

الأنصار: يارسول الله قد صار مثل الكلْب الكلب نخاف عليك صولته؟ قال: ليس عليَّ منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذا بهيمة لايعقل يسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، قال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولوصلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه» رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد رواته ثقات مشهورون، ورواه البزار وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة وليس فيه لو كان إلى آخر الحديث. نعم يا أختي في الله، إنها حقوق قدرها الله تؤمن بها المؤمنة بالله، وتخالف طبعها وكبرياءها لتدخل جنة ربها، فالله ثم الزوج. والجزاء من الله مودة ورحمة ووعد بالسعادة القلبية والعيش الهنيء. قد سعدت في الدنيا النساء المؤمنات القانتات الحافظات لله بالغيب من سلفنا الصالح، وشقيت أكثر النساء في حياتنا اليوم لأن القلوب أنكرت شرع الله وخالفت أمره، ولم يحدث أن سجدت امرأة لزوجها لأن ذلك يخالف الشرع ولكنها خضعت لربها وأطاعت زوجها فأخضع الله قلب زوجها لها فملكته وتربعت فيه، فهيئتها أنها ذليلة لزوجها وحقيقتها أنها عزيزة ملكت قلبه وبيته، فالجزاء من جنس العمل.

****

حتى في إطار العلاقة الحسية المعروفة بين الرجل والمرأة ظاهرة طبية كما أنها أسمى شكل للعلاقة بين الرجل والمرأة.

■ بين العشق والحب ■

وفي التراث العربي نجد الكثير عن العشق وهو درجة أشد وأقوى من الحب ويعني في اللغة ميل الطبع إلى الشيء الملذ فإن تأكد هذا الميل وقوي سمي عشقًا. أما النوع الثاني فهو ما ذهب إليه المتصوفة الذين يعتبرون أن حب الجمال المخلوق هو المرحلة الأولى إلى حب خالق الجمال ويعتبرونها المحبة الحقيقية أو العشق الحقيقي، وابن حزم الذي أضاف إلى المكتبة العربية بل والإنسانية أعظم الكتب التي تناولت ظاهرة الحب وهو كتابه المعروف «الألفة والإيلاف.. طوق الحمامة» يقول في باب علامات الحب: «للحب علامات يقفوها الفطن ويهتدي إليها الذكي، فأولها إدمان النظر والعين باب النفس وهي المنقبة عن سرائرها والمعبرة لبواطنها وضمائرها فترى الناظر لا يطرف يتنقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه ويميل حيث مال..»

وفي «لسان العرب» الحب هو نقيض البغض والصبابة والهوة وهو العشق، والجوى شدة الوجد من عشق أو حزن.

الشُهَداء أن تَضِلَّ إحْدَاهُمَا فتُذَكِّر إحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ﴾ [البقرة : ٢٨٢] فيه دليل على استشهاد امرأتين مكان رجل إنما هو لإذكار إحداهما الأخرى إذا ضلت، وهذا إنما يكون فيما فيه الضلال فى العادة وهو النسيان وعدم الضبط. وإلى هذا المعنى أشار النبى ﷺ حيث قال: «وأما نقصان عقلهن: فشهادة امرأتين بشهادة رجل» فعلم بذلك أن عدل النساء بمنزلة عدل الرجال، وإنما عقلها ينقص عنه. وأما ما كان من الشهادات مما لا يخاف فيه الضلال فى العادة لم تكن فيه المرأة على النصف من الرجل، وتقبل فيه شهادتهن منفردات لأنها أشياء تراها بعينها أو تلمسها بيدها أو تسمعها بأذنها من غير توقف على العقل كالولادة والارتضاع والحيض والعيوب تحت الثياب، فإن مثل هذا لا ينسى فى العادة ولا تحتاج معرفته إلى إعمال العقل.

* وقال ابن قيم الجوزية: والمرأة العدل كالرجل فى الصدق والأمانة والديانة إلا أنها لما خيف عليها السهو والنسيان قويت بمثلها، وذلك قد يجعلها أقوى من الرجل الواحد أو مثله.

* والذى عليه جمهور العلماء أنه لا تجوز شهادتهن فى الحدود والقصاص، واتفقوا على قبول شهادتهن مفردات فيما لا يطلع عليه الرجال كالحيض والولادة وعيوب النساء. وذلك لغلبة الجانب العاطفى وخطورة ما يتبنى على الشهادة من قتل نفس أو قطع عضو، أما الديون والأموال فلا خطر من شهادتهن.

* وأما نقص الدين فحدّده النبى ﷺ بنقص الصلاة والصوم فى أيام الحيض والنفاس، والذى أمر بالصلاة والصوم هو سبحانه الذى حرم على المرأة فى أيام حيضها ونفاسها ذلك وكتبه على بنات آدم، وهو نقص محصور فى ذلك تعوضه المرأة بغير هاتين الشعيرتين بأداء شعائر أخرى أو بزيادة النوافل من الصلاة والصوم فى أيام طهرها. بل إن بعض العلماء منهم ابن حجر العسقلانى فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى رجح احتمال أن المرأة تثاب على ترك الصلاة أيام الحيض كما يثاب المريض على النوافل التى كان يفعلها فى صحته وشُغل بالمرض عنها.

وأما ما فى المرأة من عوج وهو عدم تثبتها فى الأمور، وسرعة انفعالها وغضبها وتقلب رأيها ومزاجها للأسباب السابق شرحها، فإنه لا يمنع من الاستمتاع وهناء العيش وحسن وطيب العشرة، والحديث صحيح فى ذلك حيث يقول: «فإن استمتعت بها،

الغادرين بل وحتى بالنسبة لبعض الزيجات التقليدية، التي تتم دون معرفة سابقة بين الزوجين وهي كثيرة في مجتمعاتنا، فهذه الزيجات لا يمكن أن تستمر وتنجح في تأسيس أسر سوية ومستقرة نفسيًا واجتماعيًا دون أن يكون الحب قد طرح ثمره بين الزوجين، ومد ظلاله ليأنس به باقي أفراد الأسرة.

والخطأ الذي يقع فيه بعض الأزواج، وقليل من الزوجات، هو أنهم يتصورون –رجالاً ونساء– أن ماكينة الحياة يمكن أن تسير بين الزوجين تبعًا لحسابات ميكانيكية تقوم بالأساس على المادة، ولا مانع من أن يتخللها بعض الجنس في إطار علاقة التعاطي اليومية بين الزوج والزوجة.

فالزوج يشعر أنه طالما يوفر لزوجته حاجاتها المادية ويؤمن لها السكن والنفقات فمن حقه تلقائيًا أن يضغط الزر في أي وقت لاستدعاء زوجته ومعاشرتها جنسيًا.

وقليل من الزوجات يشعرن في المقابل أن لديهم بضاعة رائجة يمكن عن طريق عرضها كل مساء في الفراش أن يحصلن على ما يبغين من أزواجهن، سواء كان ذلك في صورة طلبات مادية أو غيرها.

المرأة ريحانة منزلها وروحه

* أيتها الأخت البارة الكريمة، أسعدك الله وهداك، اعلمى أنك وبيتك لزوجك الكريم الذى رضى بصحبتك دون بنى جنسك أجمعين، فى دنياه وآخرته، فكونى ملكة له فى بيتك تكونى ملكة متربعة على عرش قلبه بعد الله تعالى، أنت وبيتك لزوجك.... أولاً.

* عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا التقى المسلمان، فسلم أحدهما على صاحبه، فإن أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه، فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة، وللبادى منهما تسعون وللمصافح عشرة». رواه البزار، وعن شيبة الحجبى عن عمه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث يصفين لك ودّ أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له فى المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه» رواه الطبرانى فى الأوسط. وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله عز وجل يوم القيامة» رواه الطبرانى وأبوالشيخ.

* أيتها الأخت الراشدة، الدقائق الأولى عند استقبال زوجك لها تأثير السحر سلبًا وإيجابًا، فقد جاء فى الأثر أن الشيطان يأخذ بعين الرجل إذا دخل منزله فلا تقع إلا على ما يكره، إن العدو لا يريد الهدوء والسعادة فى منزل للمسلمين ولا لبنى آدم أجمعين، لذلك لابد أن تعلو الابتسامة وجهك بمجرد أن تقابليه:

- لقد جاء الصاحب والأنيس بتعبه وإرهاقه وعنائه لبيت السكن والمودة والرحمة، إنه عائد من عناء، داخل فى هناء، أنت وحدك جعلك الله بحنانك وبشاشتك عوضًا عن كل شىء.

- قابليه عند الباب واحرصى أن يقع نظره على وجهك الباسم الحبيب أول ما يقع، بل واحرصى أن يرى اللهفة عليه والفرح بقدومه، والعيون تبدى ما فى القلوب، والقلوب لها لغة لاتعرف الكذب. فصدقى أيتها الأخت أن هذا الوجه لن يُنسى، إنه طيف خاطره كلما خرج من بيتك، فيحرص على سرعة العودة ليقف بالباب فى انتظار أن يفتح ليتبدّى وجهك له بإشراقه وبشاشته كقطعة القمر، فتغيب كل مظاهر العناء والتعب من نفسه، وسوف يبتسم لك، فتسرى فى جنبات النفس والبيت إشراقة الحياة.

لأن الذي يتصور أن بمقدوره أن يحصل على سعادة الأجساد بدون سعادة الأرواح هو في الحقيقة لا يعلم عن الحياة ما ينبغي له أن يعلمه لكي يحيا كما خلقه الله سبحانه وتعالى لهذا الغرض.

والحقيقة العلمية التي لا مراء فيها، هو أنه حتى بدايات اللقاء الجنسي بين الزوجين لا يمكن أن تتم في الواقع وبين الأجساد قبل أن تلتقي في العقل أولاً ويسبقها قبول نفسي بين الزوجين ورغبة أكيدة لهذا اللقاء يسبقها دافع الحب بينهما.

فالعلاقة الجنسية بين الزوجين إذا لم تتم في إطار من الحب المتبادل، ستتحول تلقائيًّا إلى عذاب متبادل يعذب فيه كل طرف الآخر، بل إنه يفترض في الجنس أن يكون لغة للتعبير عن الحب بين الزوجين وليس مجرد أداء واجب أو وسيلة للتخلص من حالة احتقان أو رغبة جسدية فاترة؛ وبالتالي فالحب هو البداية الطبيعية لإشباع هذه الرغبة وتكون اللحظات الحميمة بين الزوجين هي أروع ما تعبر عنه عندما يلتقي كل جزء من جسد الزوجين «الحبيبين» مع توءمه وكل خلية تجد في خليتها التوءم شريكها الحميم والحبيب حتى تهدأ أنفسهما القلقة بعد طول

توجيهاته بخصوصهم، كل ذلك بعيداً عنهم وفى غير حضورهم. إن الأولاد فى حاجة لقضاء بعض الوقت القصير المتاح للزوج فى البيت، فلا تستعدى دون قصد منك الأب عليهم بتكرار الشكوى له منهم فيسرع إليه الغضب عليهم فلا يعطيهم من حلو حديثه وحنانه ومزاحه وشوقه لهم. واعلمى يا أختاه أن الوقت القليل الذى يقيم فيه الزوج والأب مع الأولاد نادر وقليل فلا تكدِّرى صفوه كل يوم بسرد المشاكل وإلا ندرت أوقات السعادة العائلية وربما اختفت، والأولاد يتشربون جو الحياة العائلية، فتعتل نفوسهم أو تصح فى هذه الأجواء، فرفقًا بالزوج، ورفقًا بأولادك، ورفقًا بنفسك، فالنتيجة دائمًا تعود عليك، فجو المنزل من حيث السعادة والكدر مثل نظرية الأوانى المستطرقة، تفيض القلوب بما فيها على من حولها حتى تتساوى فى الأحاسيس والمشارب.

- العتاب فى أوقات الصفاء من الجفاء، فقد تعمد الزوجة إلى عتاب زوجها عند قدومه من خارج البيت لتأخره أو لعدم إحضار مطلوب.. إلخ وهذا من تعكير الصفو، وسوء الفهم، لقد أوصدت هذه الزوجة بسلوكها أبواب القبول والرضا عند الزوج، وأصابته بخيبة أمل، وتغير المزاج والاستعداد،وانحرف الحال وساءت النيات، وانفتح باب الوسواس الخناس. كما قد تظن زوجة حريصة أن أوقات الصفاء مع الزوج هى المناسبة لمعاتبته على أمور أخرتها بحرص حتى ذلك الوقت المناسب، وهذا خطأ شائع آخر تقع فيه الزوجات، فعليها أن تعلم أن أوقات الصفاء، مع قلتها فرصة للهناء والسرور والبهجة،وليست فرصة للكدر وتعكير الصفو وتغيير النفوس. فما بالك بمن تكثر العتاب وتكرره، ومن لا تدع وقتًا يخلو من العتاب واللوم، فنعوذ بالله من قلة التوفيق.

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «مات ابن لأبى طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوها؟ قال: لا، فقالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب ثم قال: تركتنى حتى إذا تلطخت ثم أخبرتنى بابنى، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله فى ليلتكما...» الحديث، وهو متفق عليه، رواه البخارى ومسلم، فهذه امرأة صالحة تزينت لزوجها وقد مات ولدها حتى لا

«مثل الرافلة فى الزينة فى غير أهلها كمثل الظلمة يوم القيامة لا نور لها» رواه الترمذى ومعناه: المتبرجة بالزينة لغير زوجها».

- أيتها الفاضلة اسمعى هذه الوصيّة من أمّنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وهى توجز القول النافع الجامع لكل زوجة «فعن بكرة بنت عقبة أنها دخلت على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن الحناء فقالت: شجرة طيبة وماء طهور، وسألتها عن الحفاف فقالت: إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعى مُقْلتيك فتصنعيهما أحسن ممّا هما فافعلى» رواه الإمام مسلم. نعم إلى هذا الحد تخبر زوج النبى ﷺ ما يجب أن تبذله الزوجة من التزين للزوج فتخرج عينيها لتصنعهما أحسن مما هما تحبيًا للزوج وتطميعًا فى الإقبال عليها.

- واسمعى رعاك الله لهذه القصة اللطيفة التى تحدثنا عن منافسة زوجات النبى ﷺ فى التزين له والخوف عليه من أن يرى غيرهن فى صورة من الزينة أفضل منهن. فعن رزينة رضى الله عنها مولاة رسول الله ﷺ «أن سودة اليمانية جاءت عائشة تزورها وعندها حفصة بنت عمر رضى الله عنهما، فجاءت سودة فى هيئة وفى حالة حسنة، عليها بُرْد من دروع اليمن وخمار كذلك، وعليها نقطتان مثل الفرستين من صبر وزعفران إلى عينها، قالت إحدى راويات الحديث واسمها عليلة: وأدركت النساء يتزين به، فقالت حفصة لعائشة: يا أم المؤمنين يجيء رسول الله ﷺ وهذه بيننا تبرق، فقالت أم المؤمنين: اتقى الله ياحفصة، فقالت: لأفسدنّ عليها زينتها، قالت سودة: ما تقلن؟ - وكان فى أذنها ثقل - قالت لها حفصة: يا سودة خرج الأعور - أى المسيح الدّجال - قالت: نعم، عليك بالخيمة - خيمة لهم من سعف النخل يختبئون فيها- فذهبت فاختبأت فيها، وفيها القذر ونسيج العنكبوت، فجاء رسول الله ﷺ وهما تضحكان لا تستطيعان أن تتكلما من الضحك، فقال: ماذا الضحك؟ ثلاث مرات، فأومأتا بأيديهما إلى الخيمة، فذهب فإذا سودة تُرعد، فقال لها: يا سودة مالك؟ قالت: يا رسول الله خرج الأعور!! قال: ما خرج وليخرجن، ما خرج وليخرجن. فأخرجها فجعل ينفض عنها الغبار ونسيج العنكبوت» رواه الطبرانى وأبو يعلى.

****

فنون في غرفة النوم

– إن الأمر يزداد سوءًا إذا دعا الرجل امرأته فتأبى وتتمنع، لأن المسألة أصبح فيها جرح لكرامة الرجل، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها» رواه البخارى ومسلم. نعم إنه سخط الله تعالى وغضبه لها حتى يرضى عنها زوجها!! النبى ﷺ وهو الصادق المصدوق أكد حديثه وخبره بالحلف بالله الذى نفسه بيده أن أى رجل، مهما كان هذا الرجل طالما هو زوج، يدعو زوجته للوفاء بحقه الذى شرعه له الله فتأبى عليه إلا استوجب سخط الله تعالى ودوام هذا السخط إلى أن يرضى صاحب هذا الحق ويتنازل عنه برضاه، نعم يا أختاه فى الله إن إباءك لهذا الأمر فى غاية الجرم شرعًا لأنه امتناع عن حق، وهو جرح للكرامة، وهو طعن فى الرجولة، وهو إيذاء لمسلم، وهو مظهر لكبرياء امرأة وهو اتباع لطريق الشيطان فى إبائه الطاعة لله، وهو تعريض علاقة مقدسة للفساد، وهو كفران للعشرة مع الزوج، وهو اعتراض على قيومية الزوج، وهو استخفاف بمهام الأمور، وهو مطل فى أداء الحق مع القدرة على أدائه، وهو فى الشرع ظلم لقول النبى ﷺ: «مَطْل الغنى ظلم..» رواه البخارى ومسلم.

– أيتها الأخت الحَريصة والزوجة الوفية، إن حدوث هذا الإباء وتكراره منك يجعل الزوج كرجل طعن فى رجولته، ولا يصرح به لكبريائه فينفخ الشيطان فى نفسه حتى يشتاط غضبًا عليك لأتفه الأسباب، ويجعله يعدد عليك الهفوات ويضخمها وكلها أمور لاتستدعى هذا الغضب منه، ولن يصرح لك بالذات ولا لغيرك عن السبب الحقيقى لكبريائه، وهذا من خفى الأسباب التى تجعل العلاقة غير صحيحة ولا مُرْضية، وفى نفس الوقت تفسّر كثير من المشاكل الزوجية التى تقوم على أمور عند عرضها نجدها من التفاهة والبساطة، ولكن السبب فيها خفىّ لا يُصرّح به. فمثلاً يحدث نزاع بسبب التأخر فى إحضار كوب من الماء، ويتبادل الزوج والزوجة النقاش ويصر الزوج على تخطئة الزوجة وتعلو الأصوات وتستحكم المشكلة!! ألهذا السبب وقع الشجار؟ لا. إنه سبب آخر لا يصرّح به، الزوج مغتاظ من داخله، لا يتحمل الطعن فى رجولته، إنه باللسان الدارج «بيتْلكّك».

– أيتها الزوجة العاقلة، قد لا تفطنين لهذا الأمر فتمتنعى عن فراشه بلسان الحال،

فنون في غرفة النوم

فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا» رواه ابن ماجة والترمذى وقال: حديث حسن. والدخيل هو الضيف والنزيل. نعم إن زوجك ضيف، نزل فى الدنيا عندك فى منزلك، ضيف الله وعبده فأكرميه وأكرمى صحبته «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» فأين أنت من عبد ترقُبهُ الحور العين فى الجنة وهو بين يديك لا تقدّرين منزلته، وأين غيرتك على زوجك والحور العين تطلبه وتنظر إليه، فأكرمى مثواه عندك عسى أن ينفعك ذلك وتتخذين منه الولد.

****

تطلبيه، بل ساعديه على كتمان أسراره، ولا تحاولي فض رسائله وأوراقه أو تفتيش مكتبه وحافظته، فأنت نبيلة تصاحب زوجًا نبيلاً، تتبادل معه الثقة، ويحترم كلاكما خصوصيات صاحبه، فينشأ الأولاد على الثقة والاحترام، وتعيش الأسرة بكل أفرادها في وئام تام، لا تعمل ولا تسلك طرق اللئام، فيهنأ الجميع وتصفو القلوب والأوقات.

أيتها المرأة الكريمة، اقبلي نصيحة الله ورسوله، وإياك أن تفتشي وتعتني.. بماضي الزوج، لا تصل أنانيتك في حب التملك أن تحرصي على جعل ماضي زوجك ملكك تطلعين عليه، وتحاسبينه عليه، ونصيحتي ألا تعرفي عنه شيئا من ذلك، ولا تخبريه أنت بشيء من ذلك مهما كان الأمر والسبب وإلا فالندم كل الندم، والسلامة لا يعدلها شيء، فما بالك بسلامة الصدر!! وهذا أكمل الخلق خلقا ودينا ورأيا يقول ﷺ لأصحابه: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه.

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته أو تفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه» رواه مسلم وأبو داود وغيرهما. وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنهما «أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده، فقال: لعل رجلا يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرمَّ القوم، فقلت أي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن، قال: لا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون» رواه أحمد وغيره ومعنى أرم القوم أي سكتوا، وروى البزار عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «ألا عسى أحدكم أن يخلو بأهله يغلق بابًا ثم يرخي سترا ثم يقضي حاجته ثم إذا خرج حدث أصحابه بذلك، ألا عسى إحداكن أن تغلق بابها وترخي سترها فإذا قضت حاجتها حدثت صواحبها، فقالت امرأة سفعاء الخدين والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون، قال: فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة على قارعة الطريق فقضى حاجته منها ثم انصرف وتركها»

أيتها الأخت الزوجة، إن الأسرار الواقعة بين الزوجين بسبب الوطء ومقدماته، ذكرها والحديث عنها لا يليق إلا بالشياطين والأشرار، بل أشر الناس هم يوم العرض بين يدي الجبار، فاللهم سترك علينا في الدنيا ويوم القيامة ونجنا من الخزي والعار.

الودود الولود جزاؤها من جنس عملها

* في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع ومسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها..» الحديث رواه البخاري ومسلم، أنت حفظك الله راعية البيت، أنت المسئولة عن البيت فاحفظي أو ضيعي والله رقيب، أنت راعية البيت ويسألك الله عن رعيتك، أنت في البيت صاحبة مسئوليات مهمة.. وأمام العلي الكبير، أنت ذات شأن في الحياة وفي الآخرة بحسن رعايتك، إذ جزاؤك عند الله تعالى أن تكوني ملكة في جنات ذات حدائق وأنهار وقصور وخدم وجواري، طالما أنت هنا ملكة في بيت زوجك تقومين برعايته، والجزاء من جنس العمل. وأسوتك في هذا أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أول من آمن برسول الله ﷺ، وكانت نعم الزوجة، خفف الله بها عن رسول أول الدعوة فلا يسمع شيئًا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها، فإذا خرج إلى قومه ينذرهم ويدعوهم ثم رجع إليها تثبته وتهون عليه أمر الناس، رضي الله عنها وأرضاها، حتى نزل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وهو في بيتها وأبلغ النبي أن الله يرسل بالسلام إلى خديجة وأخبرها النبي ﷺ بذلك فقالت: الله السلام ومنه السلام. كما طلب جبريل من النبي ﷺ أن يبلغها سلامه فردت عليه، وبشرها بجزائها عند الله فقال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب» رواه البخاري ومسلم، والقصب هو اللؤلؤ المجوف، والنصب هو التعب. فكما جعلت بيت النبي ﷺ هادئا يرتاح فيه نفسيا وجسديا من التعب، ولم يكن بيتها فيه صخب ولا ضجيج بشرت بهذا القصر في الجنة. فالله الله أيتها الزوجة الوفية في بيتك ومملكتك وحبك زوجك فهو جنتك.

- أيتها الزوجة الودود، يدخل عليك زوجك من خارج المنزل مهموما متعبا جائعا، يتلهف على البسمة منك، والكلمة منك، والحنان منك، وأن تهوني عليه أعباء الحياة وما أثقلها عليه.. بدونك أنت، واسمعي وتفكري في هذه القصة التي رواها البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ التي أوحى الله له بها قال: «بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء، فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته

جائعـا قد أصابته سـغبة شديدة، فـقال لامرأته: عندك شيء. قـالت: نعم، أبشر أتاك رزق الله. فاستحثـها فقال: ويحك أبتغي إن كان عندك شيء. قالت نعم هنيهـة ترجو رحمه الله. حتى إذا طال عليه المطال قـال: ويحك قومي فابتغي إن كـان عندك شيء فأتني به فإني قد بلـغت الجهد وجهدت. فقالت: نعم الآن يتضج التنور فلا تعجل. فما أن سكت عنها ساعة وتحينت أيضا أن يقول لها قالت من عـند نفسها: لو قمت نظرت إلى تنوري، فقامـت فوجدت تنورها ملآن من جنوب الغنم، ورحاها تطحن فقامت إلى الرحا فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم» قال أبو هريرة: والذي نفس أبي القاسم بيده عن قول مـحمد ﷺ: لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضه لطحنت إلى يوم القيامة.

أيتها الأخت والزوجـة الصالحة تدبري هذه القصة وانظري، في معـاملة ومعالجة هذه المرأة من الأزمان البعيـدة الخالية وليس في بيتها أي شيء يؤكل أو يباع أو له قـيمة وقد جاء زوجها من سفر وسألها الطعام وهو مجهود متعب جائع فلم تقدر أن تخيب رجاءه بل أسمعته شهي الكلام وأعطته الأمل بقولها: أبشر أتاك رزق الله، ثم مرة ثانية: هنيهة نرجو رحـمة الله، ثم قالت من عند نفسـها وطمعـا في رزق ربها: الآن ينضج التنور، وهي تعلم أن التنور أي الفرن ليس فيه شيء ولكنها لا تقـوى على كسر خاطر زوجها، فيـأتيها رزق الله الذي رجتـه ووثقت فـيه كرامـة من كرامات الله لعـبده وزوجه وفـيه حرصت على مرضـات زوجها رغبة فـيما عند ربها. وهذا نبيـنا ﷺ يقول ما روته عنه عائشـة رضي الله عنها: «من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورًا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة» رواه الطبراني.

– قد يصيـبك أنت التعب والإرهاق من كثـرة العمل في البيت، فتـقولين: أنا التي تحتاج من زوجهـا الملاطفة والتسرية عن النفس وتهوين الأمـور والهموم علي. وهل كل المسئوليـة علي أنا كزوجة والزوج ملك معزز مكرم؟ أقول لك أنت مـحقة في كل ذلك ولكن نحن نعـرض عليك واجبـاتك نحـو زوجك وأهلك ولسنا في مـعـرض مناقشـة الحقـوق والواجبات المتبـادلة، وأنا أعرض عليك هذه القصـة من حياة سيـدة نساء أهل الجنة، فـاطمة بنت النبي ﷺ ورضي الله عـنها، وهي تعـيش مع زوجهـا علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ ورضي الله عنه وهو من المبشرين بالجنة، والذي يحكي لنا هذه الحكاية هو عليٌّ نفسه رضي الله عنه حيث جلس إليه أحد التابعين واسمه ابن أعبد فقال له علي: «ألا أحدثك عني وعن فاطمـة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ وكانت من

أحب أهله إليه، وكـانت عندي؟ قلت: بلى. قال: إنهـا جرّت بالرحـا حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، فأتى النبي ﷺ خدم، فقلـت لها: لو أتيت أباك فـسألته خـادما، فأتته فـوجدت عنده حدثاء فرجعت، فأتاها من الغد فقال: ما كان حاجتك؟ فسكتت، فقلت: أنا أحدثك يا رسول الله، جرت بالرحا حـتى أثرت في يدها، وحملت بالقربة حتى أثرت فـي نحرها، فلما أن جاء الخدم أمرتها أن تأتيك فـتستخدمك خادما يقيها حر مـا هي فيه. قال رسول الله ﷺ: «اتقي الله يا فاطمـة، وأدي فريضة ربك، واعملي عمل أهلـك، وإذا أخذت مضـجعك فسبحي ثلاثا وثلاثين، واحمدي ثلاثا وثلاثين، وكبـري أربعا وثلاثين، فتلك مائة، فهو خير لك من خادم. قالت فاطمة: رضيت عن الله وعن رسول الله» رواه البخاري ومسلم. فيا أيتها الزوجة الحكيمة: هذه بيوت أسعـد خلق الله في الدنيا والآخرة، هذه هي حياة الزوجات الراضيات بحكم الله وحكم رسوله، هذه بساطة العيش وصدقه، هذا عليٌّ الوفي رضي الله عنه يترضى عن زوجـة رضي الله عنها ويحكي بكل فخر، كيـف العيش مع الرضا في بيت زاده التقوى، وعـونه ذكر الله تعالى، تنزل فيه السكينة وتغشـاه الرحمة والمودة والقناعة والرضا، جنة معجلة، وهما رضي الله عنهـما الآن في الجنة، فهنيئا لهما ولمن اقتدى بهما جنة الدنيا وجنة الآخرة.

****

حُسن الاعتذار مجلبة السعادة في الدار

* كلمات تتردد في جنبات البيت تحكم إغلاقه أمام شياطين الإنس والجن، وتستدعي تنزل الملائكة: بارك الله لك، جزاك الله خيرا، حفظك الله لنا، آسفة جدا يا حبيبي، ليس لنا بعد الله إلا أنت، أمرك، أنت تأمر، طلبك مجاب، أبشر، من فضلك، ما أجمل منظرك وأحبه إلى نفسي، لا أجد السعادة إلا في حضورك وذكراك، وكل ما تشتريه وتحضره يدل على ذوق وجمال. مثل هذه الكواكب النيرة في بيت تشيع فيه رنة السعادة، ونور الهداية، وهناء العيش، وبهجة اللقاء، وأنس القلوب والأرواح. أليس ذلك ممكنا؟ أليس ذلك واجبا؟ إن كان صعب التنفيذ عليك لعدم استجابة الزوج، أو لعدم تقديره هذه الأمور منك، أو لعدم تعودك عليه، فاعلمي أن ذلك من تلبيس عدوك إبليس الذي لا يحب لك الخير، فأنت لديك القدرة لأنك مكلفة بذلك من ربك الذي يحبك ويأمرك بالخير، وهو سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها، حاولي، ابدئي من عندك أنت، وأؤكد لك أن زوجك مهما كان سلوكه، ومهما كانت عواطفه، فسوف يتغير، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، بل سيعود أن يبادلك هذه الكلمات الطيبات، بل وأولادك سيفعلون معك ومعه ومع الناس.

– تزوج سيدنا سلمان الفارسي امرأة من قبيلة كندة، وهم ملوك اليمن، فدخل على زوجه فسلم وجلس وقال لزوجته: هل أنت مطيعتي في شيء آمرك به؟ قالت: جلستَ مجلس مَن يُطاع. رضي الله عنهم عرفوا كيف يتغلب على متاعب الحياة. تقول له أنت كالملك ليس لك إلا أن تطاع. ما أحلى هذا الكلام، وما أعظم موقعه على القلوب والنفوس، وما أحوج بيتك أن تتردد فيه هذا الأنوار والنغمات.

– عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال: النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة، ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال: ودود، ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى» رواه الطبراني. ومعنى لا أكتحل بغمض أي لا ترى عيني النوم.

أيتها الزوجة العاقلة، جربي مرة هذا الدواء المر لعلاج أي مشكلة إن وقعت مع

الزوج، فقد جربته زوجة أعرفها أكرمها الله مع زوجها وكانت قد سمعته منى وكنت تدخلت بينهما، فذكرا لى بعد وقت مضى من سماعه، أن الخلاف استحكم بينهما ذات ليلة حتى ظننا أن العلاج فى الطلاق، وفجأة تذكرت الزوجة المباركة حديث رسول الله ﷺ المذكور، فقامت لتوها دون أدنى تفكير وهى تقول: اللهم صلى عليك يا نبى. وذهبت للحجرة التى فيها زوجها وقالت يا فلان هات إيدك أبوسها أنا مش جاى لى نوم. وكانت المفاجأة، حيث قام دون كلام وأخذ هو يقبل يدها ويعتذر وهما يبكيان معا، وذاب الخلاف مع الدموع، وخرج الشيطان بغير رجعة بكبريائه لتواضع هذه الزوجة، وحتى الآن هما من أسعد وأرضى خلق الله، أدام الله عليهما التوفيق والسعادة والهناء، ولم يعد الشيطان، لأنه احترق غيظا لطاعة هذه المرأة لربها ولرسوله ﷺ.

أسألك أيتها الزوجة: كم يكلف مثل هذا الموقف؟ إنها الكبرياء الزائفة، والعناد البغيض، بعد هذا الموقف، بل الدواء الوحيد للخلافات الزوجية، ننذم لضياع الوقت فى العناد والشقاق والخلاف، فلم يعد ما كان يلقيه الشيطان فى النفس من كبرياء أهبطه الله تعالى بسببه من منزله إلى الدرك الأسفل من الجحيم، وهو - لعنه الله - لا يسكت علينا حتى نكون تبعًا له لا لله رب العالمين فنعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

- قد يلقى إليك الشيطان حباله وشباكه حتى لا تفلتى منه ومن طرقه فيوسوس لك ويقول: أنت تفعلين ما تفعلين وزوجك لا يقدر لك ذلك، بل سيتعود على هذا الأسلوب و(يأخذ عليه)، ولا يبادلك نفس الأسلوب ودائما ينتظر منك ذلك، وأقول لك يا أختاه: هذا هو الشيطان بعينه وهذا أسلوبه فاسمعى أمر ربك يخبرك بقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾[آل عمران: ١٧٥] ويقول عنه ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[النساء: ١٢٠] والغرور الوهم والخداع. ثم أيتها الزوجة المؤمنة، وما عليك لو فعلت وأطعت الله ورسوله، ولم تجدى قبولا من زوجك - وهذا مستبعد - وقبل الله عملك؟ فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن فى بيت زوجها وهو كاره ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحدًا، ولا تعزل فراشه، ولا تضربه، فإن كان هو أظلم فلتأته حتى ترضيه، فإن قبل منها فبها ونعمت، وقبل الله عذرها وأفلج حجتها ولا إثم عليها، وإن لم يرض، فقد أبلغت عند الله عذرها..» رواه الحاكم وهو صحيح الإسناد ومعنى أفلج حجتها أى أظهر حجتها وقواها.

إن الغيـــرى لا تبصـــر
أسفل الوادى من أعلاه

– الغيرة هى الحمـية والأنفة، ومنها المحمود والمذموم، قـال الإمام ابن القيم: ملاك الغيرة وأعلاها ثلاثة أنواع: غـيرة العبد لربه أن تنتهك محارمه وتضـيـع حدوده، وغيرته على قلبه أن يسكـن إلى غيره وأن يأنس بسـواه، وغيرته على حـرمته أن يتطلع عليـها غيـره: فالغيرة التى يحـبها الله ورسوله دارت عـلى هذه الأنواع الثلاثة وما عداها فـإما خدع الشيطـان وإما بلوى من الله كغيرة المـرأة على زوجها أن يتزوج عليـها. وقال ابن الجوزى: قد يشكل هذا الأمر على من لا يعرفه فيقول: الرجل إذا رأى المرأة خيف عليه أن يفتتن بهـا فما بال المرأة؟ والجـواب أن النساء شقـائق الرجال فكمـا أن المرأة تعجب الرجل فكذلك الرجل يعجب المرأة وتشتهـيه كما يشتهيها، ولهـذا تنفر من الشيخ. كما ينفر الرجل من العجوز، ولهذا لما دخل ابن أم مكتوم على رسول الله ﷺ وعنده عائشة وحفصة أمـرهما بالقيام فقالتـا: إنه أعمى، فقال ﷺ: أفأنتمـا عمياوان؟. وقد أمر الله الرجال والنساء معا بغض البصر.

أيتها المرأة التقية والزوجة الوفية، ترفقى فى غيرتك على زوجك، والاعتدال فى كل الأمور من كـمال الدين والعقل، قـال رسول الله ﷺ: «يا عائشـة أرفقى فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق» حديث صحيح رواه أحـمد بن حنبل والبزار. فعليك بتخـفيف غـيرتك على زوجك، لأنهـا إن زادت عن حد الاعتـدال صارت تهـمة له، وأشعلت نارا فى قلبك قد لا تنطفئ، وأوقدت نار الخصومة بينك وبين زوجك وأوغرت صدره وأطعت عدوك وعدوه. فالغيرى ترى بهواجس صدرها لا بعيون وجهها، وترسل الكلام بلسان شيطانها لا بثبت عقلها فـتنقلب الأمور على عقبها، وللأسف أنه لا تخلو امرأة من الخروج عن حد الاعتدال فى الغيـرة، روى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت: «دخل على رسول الله ﷺ فـوضع عنه ثوبيه، ثم لم يستتم أن قام فلبسـهما، فـأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنه يأتى بعض صويحباتى، فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهـداء، فقلت: بأبى وأمى أنت فى حاجـة ربك وأنا فى حاجة الدنيا، فـانصرفت فدخلت حجـرتى ولى نفس عال، ولحقنى رسول الله ﷺ فقال: مـا هذا النفس يا عائشة؟ قلت: بأبى وأمى أتيتنى فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما فـأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنك تأتى بعض صويحـباتى حتى رأيتك بالبقـيع تصنع ما تصنع، فقال: يا عـائشة أكنت

تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟» كما أنها رضى الله عنها قصت علينا قصة أخرى لما سألها رجل من بنى سراة قال: قلت لعائشة: أخبرينى عن خلق رسول الله ﷺ، فقال: أما تقرأ القرآن ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قالت: كان رسول الله ﷺ مع أصحابه فصنعت له طعاما وصنعت له حفصة رضى الله عنها طعاما، فسبقتنى حفصة فقلت للجارية: انطلقى فاكفئى قصعتها، فأهوت أن تضعها بين يدى النبى ﷺ فكفأتها، فانكفأت القصعة فانتشر الطعام، فجمعها النبى ﷺ وما فيها من الطعام على الأرض وهو يقول: غارت أمكم غارت أمكم، فأكلوا، ثم بعثت بقصعتى فدفعها النبى ﷺ إلى حفصة فقال: «خذوا ظرفًا مكان ظرفكم وكلوا ما فيها» والظرف هو الإناء الذى فيه الطعام.

-أيتها الزوجة الحريصة على صفاء الحياة واقتناص أوقات السعادة وفرصها، قد تقولين: هذه زوجة النبى ﷺ تغار وهى من هى وزوجها هو من هو ﷺ، أقول لك: وفقك الله وحفظك فالنبى ﷺ بشر مثلنا، وزوجاته رضى الله عنهن بشر أيضا، ومن أجل ذلك فهن قدوة لك، وهذه حوادث نادرة فى حياتهن، بل إن عائشة رضى الله عنها كانت شابة صغيرة تعامل معاملة الصغيرة حتى تفهم، ولذلك لما كبرت أخذت تروى ذلك على سبيل النصح، فقد توفى ﷺ وعمر عائشة تسع عشرة سنة، بل لقد حدث منها بسبب غيرتها ما هو أشد من ذلك فتقول: خرجت مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع فأخرج معه نساءه وكان متاعى فيه خف فكنت على جمل ناج، أى قوى سريع، وكان متاع صفية بنت حيى فيه ثقل وكانت على جمل بطىء فتباطأنا، فقال رسول ﷺ: «حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة ليمضى الركب» فلما رأيت ذلك قلت: يا لعباد الله!! غلبتنا هذه اليهودية على رسول ﷺ!! فقال النبى ﷺ: «يا أم عبد الله إن متاعك كان فيه خف ومتاع صفية كان فيه ثقل فبطأ بالركب فحولنا متاعك على بعيرها وحولنا متاعها على بعيرك» قلت: ألست تزعم أنك رسول الله؟ قالت: فتبسم رسول الله ﷺ فقال: «أفى شك أنت يا أم عبد الله؟» قلت: ألست تزعم أنك رسول الله؟ فهلا عدلت؟! فسمعنى أبو بكر رضى الله عنه وكان فيه ضرب من حدة فأقبل علىّ يلطم وجهى، فقال رسول الله ﷺ: «مهلا يا أبا بكر» قال يا رسول الله أما سمعت ما قالت؟ قال: «إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه» رواه أبو يعلى وأبو الشيخ ابن حبان. فتذكرى يا أيتها الزوجة أن زوجك ليس هو رسول الله ﷺ ولا هو على خلقه، ثم أنت لست أحب خلق الله إلى قلب زوجك كما كانت عائشة رضى الله عنها أحب الناس إليه ﷺ فاحذرى شدة الغيرة.

- احذرى أيتها الزوجة المباركة أن تشعلى غيرة زوجك عليك بأن تمتدحى رجلا أمامه أو تصفى أجنبيا فى حضوره، أو تبدى إعجابك برجل فى ملبسه أو حديثه أو قوته أو حسن رأيه وعقله أمام مسامع زوجك، وأشد من ذلك حديثك عن زوجك الآخر قبله حتى ولو كان قد توفاه الله، فالرجال يكرهون ذلك، ويدركون أنه طعن فى رجولتهم وتنقيص لهم، مهما كان الغرض من الحديث. وحتى لو كان هو الذى يطلب منك ذلك، بل لو أقسم لك أن ذلك لا يغيره فلا تفعلى فإنه لن ينسى ذلك مدى عمره كله، إن أعماق الرجل ومطلبه دائما ألا يكون فى قلبك ونفسك غيره ولا أحد عندك أحسن منه ولا أفضل منه، ولعل ذلك يلحظ من أن النبى ﷺ أخبر الرجال من أمته بنعيم الجنة فقال: «.. فتقول له زوجته: والله لا أرى فى الجنة أحسن منك ولا أحب إلىّ منك..».

أيتها الزوجة العاقلة، اجعلى من غيرتك على زوجك سببا لتقريبه إليك، فلا تجعليه ينظر إلى أجمل منك فتجملى له وتعرضى له بحسن الحيل والتلطف، وأحبيه حبا عظيما فلا يستغنى عنك ولا عن حبك له، وتجملى له حتى لا يحب النظر إلا إليك، وأسعديه بنشاطك وظرفك وبهجتك حتى لا يحب فراقك، ووفرى له الراحة وسبلها حتى لا يحتاج من الخلق سواك، وأسمعيه أطايب ما يشتهى من الحديث عنه وما يحب الرجال سماعه من النساء فلا يدرك غايته ويحس برجولته وأهميته إلا أمامك أنت، فيستغنى عن كل النساء بك.

أيتها الزوجة الحريصة، لا تلومى إلا نفسك إذا حضر زوجك ودخل البيت والكدر يعلو وجهه فاستمر كدره، ولا تتهمى إلا نفسك إذا أمعن زوجك النظر إلى غيرك فانصرف فكره عنك وزهدك، ولا تشتكى إلا نفسك إن أحب زوجك البقاء خارج بيتك ولهى عنك وسلاك، أين حرصك عليه، وانشغالك به، وانتقاؤك أطايب الكلام له، وتهيؤك له وحسن مظهرك أمامه، وإشراق وجهك وعريض تبسمك؟ لقد تغيرت فتغير لك، وتوجست تهمة له فتنبه لغيرك، أيتها الزوجة الغالية، زوجك لم يطلب امرأة فى الدنيا غيرك، وسعى إليك وعمل من أجلك، وعاش لك ويود أن يعيش بك دون غيرك، فاتقى الله وثوبى إلى رشدك، وثقى بزوجك بعد الثقة بربك الذى يحفظ من حفظ أمره وأدى ما يُطلب منه، وألقى عنك وساوس عدوك الذى يحرص على فساد قلبك وتكدر عيشك، واسمعى لمن هو حريص عليك رءوف بك رحيم عليك ﷺ وهو يقول: «لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه» رواه النسائى والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

لا عقل كالتدبير ولا عز إلا فى القناعة

* أيتها الزوجة الصالحة، أى إنسان لا يقنع بقدر حاجته من الدنيا فلا سبيل إلى رضاه، إن طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر المالح، فكلما ازداد شربا ازداد عطشا وظمأ. وفى الحديث «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» رواه البخارى ومسلم، فالقصد فى الطلب، وهو ضد الإفراط، هو استقامة الطريق، والقصد فى كل الأمور هو التوسط والاعتدال الذى لا يميل إلى حد الإفراط والتفريط. وقد روى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ «ما عال من اقتصد» رواه الإمام أحمد ومعناه ما افتقر من لا يسرف فى الإنفاق ولا يقتر، كما جاء فى حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عندما سأل عن صحف إبراهيم وموسى «.. لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف..» الحديث ومعناه ليس مثل حسن التصرف فى المتاح عقل، فالتدبير وهو النظر فى عواقب الأمور أى أدبارها، فيعمل فى الحاضر عملا حسنا لضمان حسن العاقبة، سواء فى المال أو الصحة أو الوقت أو المعايش والنفقات.

-أيتها الزوجة الفاضلة والمرأة الصالحة، قد يكون رزقك المادى ورزق زوجك قليلا لا يكفيك أو يكفى بالكاد، ويحتاج الأمر إلى الاقتصاد فى المعيشة والرضا بقليل المتاع، وعدم المطالبة للزوج بالتوسع فى النفقة والنظر إلى ما فى أيدى الناس. قالت أم الدرداء رضى الله عنها: قلت لأبى الدرداء: مالك لا تطلب كما يطلب فلان وفلان؟ قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن وراءكم عقبة كئود لا يجوزها المثقلون» فأنا أحب أن أتخفف لتلك العقبة. رواه الطبرانى بإسناد صحيح والكئود الصعبة، وفى رواية البزار «إن بين أيديكم عقبة كئود لا ينجو منها إلا كل مخف» وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله ليحمى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، ومعنى يحمى أى يمنع. فيا أيتها المرأة المؤمنة لا تغتمى لقلة ذات اليد واعملى بالرضا والقناعة واقتصدى فى المعيشة وأعينى زوجك على أعباء الحياة ولا تكلفيه ما لا يطيق، ولا تضطريه إلى اكتساب الحرام ليرضيك ويوفى بحوائجك وحوائج بيتك، وفى الحديث «قليل يكفى خير من كثير يلهى» وحاجاتك الكثيرة التى لا يستطيع الزوج لها قضاء، الصبر عليها يورث الغنى فى الآخرة، واسمعى لهذه البشرى التى زفها لك الصادق المصدوق ﷺ حيث قال: «هل

تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله عزوجل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عزوجل لمن يشاء من ملائكته: ايتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: ربنا نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا، وتسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» رواه أحمد والبزار ورواتهما ثقات عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما.

ـ أيتها الزوجة المؤمنة، أنا لا أدعوك إلى الفقر ولكنى أدعوك إلى حسن العمل فى الفقر، وهو الرضا والقناعة بما قدر لك الله، والصبر على مشاكل الحياة الشاقة، وسلوك المؤمنة التقية مع زوجها وأهلها بعدم التبرم والشكوى والمطالبات له، وزوجك عينه بصيرة ويده قصيرة، بل هو أحرص الناس على أن يجلب لك متع الحياة وييسر لك سبل العيش الواسع، ومن الإيمان الرضا بالقضاء خيره وشره، حلوه ومره، ومن أسس السعادة، القناعة، واغتنام فرص الطاعة، روى الإمام أحمد بإسناد جيد قوى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «التقى مؤمنان على باب الجنة، مؤمن غنى، ومؤمن فقير كانا فى الدنيا، فأدخل الفقير الجنة، وحبس الغنى ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال: يا أخى ما حبسك؟ والله لقد حبست حتى خفت عليك، فيقول: يا أخى إنى حبست بعدك محبسا فظيعا كريها ما وصلت إليك حتى سال منى من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه رواء». ولذلك يا أختى فى الإسلام قال رسول الله ﷺ: «اللهم أحينى مسكينا وتوفنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين، وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة» رواه ابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، وفى صحيح مسلم والترمذى وغيرهما عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» والكفاف ما يكفيك عن السؤال. والقناعة كنز لا يفنى، وفى الحديث «عز من قنع، وذل من طمع» وفسر المفسرون قوله الله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل:٩٧] أن المراد بالحياة الطيبة هى القناعة. وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: يا بنى إذا طلبت الغنى

فاطلبه بالقناعة فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك بالإياس مما فى أيدى الناس فإنك لا تيأس من شىء إلا أغناك الله عنه. فإياك أيتها المرأة الأبية أن تكون حاجاتك فيما يتنافس فيه المترفون من فضول الدنيا والمعيشة، فإنه قطع لأيام العمر فيما لا ينتهى ولا ينقطع ثم يؤول إلى التراب.

- أيتها الزوجة المؤمنة، لقد خير الله زوجات النبى ﷺ بين أن يخترن الدنيا وزينتها، وبين أن يخترن الله والدار الآخرة، وذلك حتى تعلمى أن الأمر يحتاج لتحديد الاختيار بينهما، ولأن الدنيا والآخرة ضرتان لا يلتقيان، فاختارت زوجاته رضى الله عنهن الله ورسوله والدار الآخرة، واسمعى قول الله عزوجل وهو يعرض هذا الاختيار والاختبار. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٨] أخرج البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنهما، وأخرج أحمد عن جابر رضى الله عنه قال: «أقبل أبو بكر رضى الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس، والنبى ﷺ جالس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضى الله عنه فاستأذن فلم يؤذن، ثم أذن لأبى بكر وعمر فدخلا والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت، فقال: عمر لأكلمن النبى ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتنى النفقة آنفا فوجأت - أى ضربت - عنقها، فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: هن حولى يسألننى النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبى ﷺ ما ليس عنده!! فنهاهما رسول الله ﷺ، فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده، قال: وأنزل الله عزوجل الخيار، فبدأ بعائشة فقال: إنى أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك، قالت: وما هو؟ قال: فتلا عليها ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك﴾ الآية، قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوى؟ بل أختار الله تعالى ورسوله، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت، فقال ﷺ: إن الله تعالى لم يبعثنى معنفًا ولكن بعثنى معلما ميسرا، لا تسألنى امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها، ثم خير نساءه كلهن، فقلن مثل ما قالت عائشة» فانظرى هدانى وهداك الله إلى هذا المجتمع الفاضل، وهذه البيوت الكريمة، كيف كان عيشها البسيط جدا، السهل جدا، القليل جدا، ولمجرد الرغبة والسؤال للزوج عن زيادة النفقة والتوسعة تتدخل السماء بتوجيهاتها، يقول سيد قطب رحمه الله فى ظلال القرآن: فى حادث التخيير نقف أمام الرغبة الطبيعية فى

نفوس نساء النبى ﷺ فى المتاع، كما نقف أمام صورة الحياة البيتية للنبى ﷺ ونسائه رضى الله عنهن، وهن أزواج يراجعن زوجهن فى أمر النفقة فيؤذيه هذا، ولكنه لا يقبل من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة. فالمسألة مسألة مشاعر وميول بشرية، تصفى وترفع، ولكنها لا تخمد ولا تكبت، ويظل الأمر كذلك حتى يأتيه أمر الله بتخيير نسائه، فيخترن الله ورسوله والدار الآخرة، اختيارًا لا إكراه فيه ولا كبت ولا ضغط. ثم يقول: وحكمة الله واضحة فى أن يختار رسله من البشر، لا من الملائكة ولا من أى خلق آخر غير البشر، كى تبقى الصلة الحقيقية بين حياة الرسل وحياة أتباعهم قائمة، وكى يحس أتباعهم أن قلوبهم كانت تعمرها عواطف ومشاعر من جنس مشاعر البشر وعواطفهم، ويطمعوا فى تقليدهم تقليد الإنسان الصغير للإنسان الكبير. انتهى كلامه رحمه الله. وأقول: كانت عادة السلف الصالح لا يردون موجودا، ولا يتكلفون مفقودا، بل كانت حالتهم التسليم للعليم الحكيم، فإذا وجدوا الطيب لم يمتنعوا منه، وإذا حصل لهم الخشن لم يأنفوا منه، وكل شئونهم كانت منطبقة على هذا الشأن، فينبغى للعاقل أن يكون تارة هكذا وتارة هكذا، وهذا شأن العبد مع سيده إن منحه شكر، وإن منعه صبر، والمعتبر من الإنسان المعنى والصفات، لا الملابس والذات.

****

النشاط والبكور ضمان للراحة والسرور

* عن صخر بن وداعة الغامدي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**باكروا الغدو في طلب الرزق، فإن الغدو بركة ونجاح**» رواه البزار والطبراني في الأوسط. وعن فاطمة بنت محمد ﷺ ورضى الله عنها قالت: «**مر بي رسول الله ﷺ وأنا مضطجعة متصبحة، فحركني برجله، ثم قال: يا بنية قومي اشهدي رزق ربك، ولا تكوني من الغافلين، فإن الله عز وجل يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس**» رواه البيهقي. وعن عثمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نوم الصبحة يمنع الرزق**» رواه أحمد والبيهقي وغيرهما.

أيتها الزوجة الصالحة، اليقظة في البكور، أي في الأوقات المبكرة، والانتباه في الصبح، واستقبال اليوم من أوله بثغر باسم، وصدر منشرح، وعزيمة قوية، ونفس فتية ندية وثابة، فيها إقبال الحياة وإشراقها وتفاؤلها وبركتها، وسعة الرزق والصدر، واستثمار الوقت والعمر والاستمتاع به، والعجب أن دين الإسلام وهو يحض على ذلك، بل يوجب الاستيقاظ لصلاة الفجر مبكرًا، ورغم ذلك اعتاد المسلمون النوم في هذه الأوقات المباركة، ومن سافر في بلاد غير المسلمين وخالطهم يعرف أنهم يستيقظون في هذه الأوقات دائما ويبدأون نشاطهم من بداية يومهم.

-**أيتها الزوجة والمرأة المخلصة**، اعلمي أن أحسن وأفضل ما تفعلينه بعد واجب ربك، أن يستقيظ الزوج فيراك مبتسمة، مشرقة الوجه، نشيطة، قد أصلحت نفسك وثيابك، وبيتك، وجددت هواء بيتك، فيسرى في البيت روح النشاط والحياة المشرقة مع إشراقة الشمس. ما أجمل أن تتفتح عين الزوج فيجد زوجته بوجهها الوضاء تلقى عليه كلمات الصباح الندية، فيرى بعينه، ويسمع بأذنه، فتسرى في أوصاله قوة ونشوة يواجه بها اليوم، وكل يوم. ما أروع أن يجد الزوج طعامه معدًا نظيفا، وتدعوه إليه وتشاركه فيه، وتبادله، غَزَل الصباح وقبلاته، مع أمنيات يوم سعيد.

-**أيتها الزوجة المباركة**، لا تنسى مهما كانت الظروف والمشاغل، أن يكون وجهك الباسم آخر ما ينظر إليه الزوج وهو يغادر البيت، مع كلمات رقيقات عند الباب، ونظرات معبرات، وضغطات باليد مع المصافحة تستدعيه للعودة لهناء البيت وأنسه، مع

الدعوات الصالحات. أيتها الزوجة السعيدة، أتظنين بعد ذلك أن زوجك يرغب فى البعد عنك وعن بيتك إلا لأداء واجبات عمله خارج البيت؟ أتظنين بعد ذلك أن زوجك يقدر على المكوث خارج البيت إلا ليجلب لك أسباب السعادة ويكون فى مرضاتك؟ إن الزوجة التى تشكو تغيب زوجها خارج بيتها هى المقصرة فى حق نفسها قبل حق زوجها.

- أيتها الزوجة الذكية، بيتك ومملكتك الذى فيه تقضى معظم عمرك، يحتاج منك بذل عناية، فى تنظيفه، وترتيبه، وتجميله، روحك وشخصيتك لابد أن يكون لها بصمات تميزك عن غيرك، وتميّز بيتك لكل من يطالعه ويراه، البيت البسيط الجميل النظيف المرتب البهيج المشرق، ألا يشير إلى امرأة بهذه الصفات؟ البيت الهادئ المريح فى ألوانه، وقطع أثاثه، وترتيب حجره، ألا ينبئ عن طباع امرأة لها ذوق جمالى؟إعداد الطعام والمائدة وتقديمه بروح وثابة كريمة راضية، ألا يوحى بنفس وخلق نبيل؟

أيتها الزوجة الصالحة، أنت روح البيت وعبيره، ونسمة الحياة فيه، إنك تصلحين الحياة وتجددين دماءها وأوصالها، بتقديم الطعام للأبدان، والسرور للنفس، وتنشيط العواطف لدفع حركة الحياة، والمودة والمحبة والحنان للروح، أنت وبيتك خير متاع الدنيا لعبد صالح يصحبك فى جنتك حتى بلوغ جنة الآخرة، احذرى من عدوك وشيطانك أن يجعلك شؤم الدار، فلا يدخل بيتك الزوج إلا ويأخذ نفسه بالاضطرار، فيتحين الفرصة ليلوذ بالفرار، واعلمى أن حقيقة حسن الخلق هى إراحة الغير، والخدمة بغير الإراحة قشر بلا لب، ويمكن الحصول عليها من خادم، أما خدمة الزوجة فى بيتها فلها شأن آخر، بل هى عبادة تكفر الذنوب، روت عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أمسى كالاً من عمل يده، أمسى مغفورا له» رواه الطبرانى.

- أيتها الزوجة الحنون، اهتمى بإعداد الطعام الذى يحبه زوجك قدر استطاعتك ولا تهملى الأصناف التى يفضلها بزعم أن أطفالك لا يحبونه، أو أنك لم تتعودى طهيه، أو لا تحبيه، ولو أنك أضفت نية طيبة أثناء إعدادك للطعام كأن تتقربى إلى زوجك بهذا العمل طاعة لربك، وذكرت الله كثيراً أثناء إعداده حتى تتنزل البركة فى الطعام، وتفكرت فى زوجك وإراحته وإسعاده وضيوفه ومن دخل بيتك، لو فعلت ذلك لذاق من يتناول طعامك طعم روحك المؤمنة المباركة، ولأصبح للطعام - شَمْخَةَ ونَفَس - ولن تسمعى من زوجك عندما يأكل ترحمه على أمه وعلى أيام زمان، ولن يمضغ غيظه وحسرته على المائدة التى أنفق فيها المال وهى خاوية من البركة والروح والرائحة.

امرأة أفنت عمرها لإسعاد امرأة أخرى

* أيتها الزوجة السعيدة والمرأة الصالحة، أم زوجك، أنت مدينة لها دينا عظيما، الوفاء به صعب، فزوجك الذى تحبينه وتقدرينه وتحترمينه وتسعدين به وبعشرته وتفخرين به، ربته أمه، فحملته وولدته وأرضعته وأطعمته وسهرت عليه طويلا، صغيرًا وكبيرا، واعتنت براحته وتعبت هى، وأطعمته وجاعت هى، وأنامته وسهرت هى، وأضحكته وبكت هى، أذاقته الحنان والحب حتى امتلأ قلبه، وحفظت عليه عواطفه، وهذبت أخلاقه حتى عانت وكابدت الكثير، وأنفقت عليه صحتها وعمرها لتريحه وتربيه، وأرهقت نفسها خوفا ورجاءً على مستقبله حتى أهلته رجلاً مؤهلا، وزوجا كريما، ها هو نتاج التعب والكفاح بين يديك أنت أمانة أم عند زوجة، بل أنت أيتها الزوجة، لقد كنت أمل أم زوجك وأمانيها العظام منذ نعومة أظفار زوجك، كم كان يراود خيالها الطموح أن ترى ابنها الحبيب رجلا يتزوج ويسعد بأعظم امرأة، كم كانت تسمع ممن يعاشرونها الدعوات بأن يشب ويكبر ومعه - عروسة - حلوة طيبة يسعد بها، إنه أنت التى كنت الأمل والخيال، حتى سعدت بزواجه منك، واختياره لك، وفرحه معك، فكونى الأمل والفرح والراحة والمحبة لها يسعد هو بك، وكونى لزوجك كذلك تسعد هى بك وبه، والله يوفقك ويصونك.

- أيتها الزوجة البارة والمرأة المؤمنة، إن من أهم أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة، أن يحب المسلم للناس ما يحبه لنفسه، وأن يأتيهم ما يحب أن يؤتوه، والجزاء من جنس العمل، واعلمى أن من أعظم واجباتك نحو زوجك، ومن أهم حقوقه عليك، أن تعينيه على أمر دينه، وأداء فرائض الله عليه وحقوق الناس عنده، وزوجك مأمور شرعًا ببر والديه وخاصة أمه، وهو فرض عليه، وعليك أن تعينيه عليه، بل تحضيه على أن يأتيه، وتذكريه به، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله. قال: فهل من والديك أحد حى؟ قال: نعم بل كلاهما حى. قال: فتبتغى الأجر من الله؟ قال: نعم قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» رواه مسلم. وعن معاوية بن جاهمة، أن جاهمة رضى الله عنه جاء إلى النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئتك أستشيرك؟ فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: فالزمها، فإن الجنة عند رجلها» رواه ابن ماجة والنسائى والحاكم

وقال: صحيح الإسناد. فهل هناك أيتـها الزوجة تكليف على زوجك نحو أمه أحق من ذلك؟ ما هي جـهودك ودورك مع زوجك حتى يفى بهذا الحق؟ ثم احـذرى غضب الله على زوجك الذى يلحقك منه ويلحق أبناءك إذا هو كان عاقًـا لوالديه، أو مسخطا لهما أو لأيهما. فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفـه. قيل: من يا رسـول الله؟ قـال: من أدرك والديه عند الكبـر أو أحدهمـا ثم لم يدخل الجنة» رواه مسلم ورغم أنفه: دعاء بالفقر والإهانة، والرغام هو التراب.

أيتها الزوجة والمرأة المؤمنة، لا تخيرى زوجك وتضعيـه بين شقى الرحا، عندما تضطريه أن يرضيك فيغضب أمه ويسخط ربه، ويصلك ويبرك ويقطع أمه، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قـال: «جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ فـقـال: يا رسـول الله من أحق النـاس بحسن صحـابتى؟ قـال: أمك. قال: ثم من؟ قـال: أمك. قال: ثم من؟ قـال: أمك. قال: ثم مـن؟ قال: أبوك» رواه البخارى ومسلم. فأين أنت من هذا الـترتيب عنده؟ وما مدى عونك لزوجك لإحسان صحبته لوالديه؟ ثم زوجك وأبو أبنائك وعشـيرك وحبيبك، هل تحبين له الخير؟ بالقطع إجابتك بنعم، فـإن علمت أن النبى ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ومدمن الخمر، والمنان بالعطية، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، والرجلة» رواه النسائى والبـزار والحاكم وابن حبـان وهو حديث صـحيح. والديوث هو الذى يقر أهله على الزنا مع علمه به، والرجلة هى المتشبهة بالرجال.

-أيتـها الزوجـة والمرأة الصالحـة، إنك تودين من كل قلبك أن يهـبك الله أبناءً صالحين مطيعين لله ثم لك ولزوجك، وسـبيلك إلى ذلك، بجانب حـرصك وتربيتك، هو العلم بالسبب الذى لا يقدر عليـه إلا الله الحكيم العدل، فعن ابن عمر رضى الله عنهـما قال: قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم» رواه الطبرانى بإسناد حسن وغيره عن عائشة والحاكم وصححه عن أبى هريرة. فما أسلم أن نربى أبناءنا بحسن صلتنا وبرنا بآبائنا، ومـا أصدق وأنفع أن يزيد البر والخـير فى بيوتنا وأبنـائنا، بصدق برنا وصلتنا لذوينا وأهلينا وخاصة لأبوينا، فعودى نفسك وزوجك، أصلحنى الله وإياك، على حسن بره لأهله ولأبويه تـغتنمى البركة فى بيـتك وولدك وزوجك وأنت الفائزة والسعـيدة والمحبوبة من الجميع. وثقى أيتها المرأة الصالحة فى ميزان عدل ربك، وفى عطائه وأرزاقه، التى يقسـمها بأسباب ظاهرة وباطـنة، واسمعى من رسول البشـرية ﷺ وهو يقول: «من سره أن يمد له فى عمره، ويزاد فى رزقه، فليبر والديه، وليـصل رحمه» رواه أحمد ومعناه ورد

فى الصحيح. أفلا تحبين أيتها الحريصة أن يزيد الله فى عمرك وعمر زوجك بالخير، وأن يزيد الله فى عمرك وعمر زوجك بالخير، وأن يزيد الله فى أرزاقك؟

* أيتها الزوجة والمرأة الكريمة، اقبلى هذه النصائح من المجربين واجعليها منهجا تسيرين عليه فى معاملة أم وأب الزوج:

- أنزليهما منزلة أبويك فى المعاملة والصلة، وعليك أن تناديهما بلفظ، ماما، بابا، فإن لذلك أثرًا عجيبًا فى إلانة قلبيهما نحوك. والشرع يطلب منك ذلك، لأن المصاهرة قرابة شرعية.

- أشعرى أم زوجك بأهمية خاصة بها لا تجدها إلا منك، مثل دوام السؤال عنها ولو تليفونيا، وتحرى زيارتها، وتقديم بعض الهدايا من طعام أو ملبس ونحو ذلك، وخاصة ما تفضله وتحبه هى، واحرصى أن تعرفى ما تفضله من ابنها وهو زوجك، فإنه سيسعد جدًا لحرصك، وسوف يبادلك مع أهلك هذا الفعل الجميل.

- ادفعى زوجك بالنصائح والتذكير أن يبر والديه وأهله، ويا حبذا لو استشعر أهله أنه زاد فى برهم بعد ارتباطه بك، فإن ذلك سيجعلهم أكثر حبا لك وستكسبين ثقتهما وودهما.

- إذا سمعت صوت أم زوجك. فتهللى وافرحى، ولو كان ذلك من خلال المحادثة التليفونية فإن الشعور ينتقل، وإذا استقبلتيها فى بيتك فاستبشرى وأشعريها بكل الطرق أنها فى بيتها وبيت ابنها وابنتها، واطلبى ذلك وأعلميها به.

- إذا دخلت أنت على أم زوجك فى بيتها، فأشعريها أنك لست غريبة ولا تدعيها تتكلف لك، وإن كانت مشغولة فى أى عمل فأسرعى فى أدائه بدلا منها وأصرى على ذلك، حتى تشعر نحوك بشعور الأمومة والرحمة بها.

- تحدثى أمامها ومن ورائها وفى غيبتها عنها بأدب واحترام وأكثرى من مدحها والثناء عليها، بل والثناء دائما على حسن تربيتها لزوجك.

- أظهرى إعجابك بحديثها وبمنزلها وطهيها للطعام وتدبيرها للمنزل، واطلبى منها أن تعلمك ذلك، حتى لو كنت تجيدينه، فسوف تفرح وتفخر بذلك، وتشعر أنها تعلم ابنتها وليست زوجة ابنها.

- اطلبى مشورتها فى أمورك المهمة، وأظهرى احترام رأيها وحاولى تنفيذه بقدر ما

ينفعك ولا يضرك. ولا تدخليها فى خلافـاتك مع زوجك، وتحملى محاباتها للزوج إن علمت بهذا الخلاف فهى أم قبل كل شيء.

- تجنبى مجـادلتها فى الأمـور، وإذا لم ترتاحى لرأى فاكتفـى بابتسامتك، وغـيرى أسلوب الحديث، ولا تكثرى من معاتبتها، واقبلى عذرها مهما كان، وخاطبيها بأسلوب مهذب مثل أن تقولى لها دائما - حضرتك -.

- ضعيها موضع الاحترام وخـاصة أمام الآخرين، بأن تقومى عند رؤيتها ولا تجلسى حتى تجلس، وإذا خرجت مـعها فقدميـها أمامك دائما وأفسـحى لها الطريق، وأمسكى بيدها عند الركـوب والنزول وأشعريهـا خوفك عليهـا، واحملى مشـترياتها وما تحـتاج لحمله، وأركبيها السيارة قبلك ودعيها تجلس بجوار ابنها زوجك فى السيارة.

- لا تنسى دعوتها وأسرتها على طعام كل فترة وقـدمى لها ما تعلمتيه منها واذكرى ذلك لها، وليكن أفضل ما تحبه من الأطعمة هو أساس المائدة. واذكرى لها أن كل ذلك - من فضلة خيرها - لأن ابنها زوجك هو الذى ينفق على البيت. وإذا دعتك أو دعت زوجك فافرحى ولبى الدعوة مع شكرها.

- تغافلى عن ذلاتها وأخطائها فى بيتك، ولا تسـتثقلى وجودها وأصرى على مكوثها واستضافتها فى بيت ابنها أطول ما يمكن، وأظهرى لها أن البركة - تحل بحضورها - فى البيت، ولا تتضايقى من دخولها المطبخ وحرصها على معرفة ما فيه، وكشفها - للمحلل - وسؤالها الأولاد عمـا يحدث فى البيت وعما يحضر إليكم، فهـذه عادة معظم النساء وطبعهن، وهى لا تقصد مضايقتك والتفتيش عن أسرار بيتك.

- تصرفى بما يجعل أولادك يحبون جدتهـم ويفرحون بها، فهم أولادها مثلك بل - أعز الولد ولد الولد - وعلميهم احترامها والسؤال عنها وحب معاشرتها، فسوف تعينك على حسن تربيتهم فهى مجربة، وسوف تحتاجين لها لتربية أولادك دائما وتركهم معها.

- حبذا لو هيأت الفرصة لاصطحابهـا فى نزهة أو رحلة سويا فتدخلين عليها وعلى زوجك السـرور، وكلمـا سمـحت الظروف بـالمبيت عنـدها مع كل أولادك، ولو على فترات متباعدة، فإن ذلك يزيل الفوارق، ويقرب بين النفوس، وتزداد الروابط.

- وأخيرا إياك وذم أم زوجك أمـامه، أو ذم زوجك أمامها، خاصـة إذا كانت أسرة زوجك أدنى اجتماعيا أو ثقافيـا من أسرتك، فإن ذلك يجرح كبرياءه، ويورث فى نفسه الضغينة فتظهر على سلوكه لأتفه الأسباب.

لا خيْر فيمن لا يُضيِّف، ولا يصل الرحم

* البيت الكريم، بيت فيه كِرام، فيه الجود والبشاشة، وإكرام الأضياف، يُسرع الخير إلى أهله، ويتعدّى الخير والإحسان إلى كل من يتصل به ويدخله، يرتاح فيه أهله وكل من دخله، النفوس فيه فيها سماحة، والوجوه فيها إشراقة، والقلوب فيه صافية، والموائد فيه معدّة ومهيأة للضيفان، لا يخلو من نعم الرحمن، وأجمل ما فيه حُسن اللقاء وصدْقه، الملائكة تتناوب فيه للدعاء لأهله ولتنزّل البركات والرحمات. روى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «الخير أسرع إلى البيت الذى يؤكل فيه من الشفْرة إلى سنام البعير» رواه ابن ماجة وغيره، ومعناه أن الله تعالى يسوق النعم بكثرة للبيت الذى فيه الجود وإكرام الضيف مثل سرعة السكين فى سنام الجمل عند قطعه. وروت عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الملائكة تصلى على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة» رواه الأصبهانى، وقد مدح الله تعالى نبيّه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩] أى بعجل مشْوِىّ.

- أيتها الزوجة والمرأة الحريصة على الخير، أيْقنى بأن أهل زوجك، وخاصة والديه، أحق بالإكرام والصلة قبل غيرهم. فإنها فى الحقيقة بضاعتهم تردّ إليهم، والولد وماله لأبيه، والأقربون أوْلى بالمعروف، ثم إنك أنت الذى يعود عليه الخير بحساب الإيمان والجزاء، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرّه أن يُبسط له فى رزقه، وأن يُنسأ له فى أثره، فليصل رحمه» رواه البخارى والترمذى ولفظه: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبّة فى الأهل مثْراةٌ فى المال منْسأة فى الأثر» وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ سمعه يقول: «إن الصدقة، وصلة الرحِم يزيد الله بهما فى العمر، ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور» رواه أبو يعْلى، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «أتى النبى ﷺ رجل فقال: إنى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة؟ فقال: هل لك من أم؟ قال: لا. قال: فهل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: فبرّها» رواه ابن حبان والحاكم.

- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى

مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، فقال: من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبْيانى. قال: فعلّليهم بشيء، فإذا أرادوا العشاء فنوّميهم، فإذا دخل ضيفنا فأطفئى السّراج، وأريه أنّا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف، وباتا طاويَيْن، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال: قد عجب الله من صنيعكما» رواه مسلم وغيره. فانظرى رعاك الله وحفظك كيف كان إكرام الضيف حتى إنه لما لم يجد رسول الله ﷺ فى بيوته كلها غير الماء قام بعرض الضيف على أصحابه فإذا بواحد يقبله، وإذا ليس فى بيته غير قوت العيال فينوّمهم بلا طعام ويتحايل هو وزوجته حتى يأكل الضيف ما عندهما ويناما جائعين هما وأولادهما ابتغاء الثواب وإيمانا بالحساب «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» رواه البخارى ومسلم. وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه،قالها ثلاثا. قال رجل: وما كرامة الضيف يا رسول الله؟ قال: ثلاثة أيام، فما زاد بعد ذلك فهو صدقة» رواه أحمد والبزار وأبو يعلى.

– أيتها الزوجة والمرأة البارّة، الكرم والإكرام خلق وليس كثرة مال، والمثل يقول: (لقينى ولا تغدّينى) فكم من بيوت أغنياء لا يحب الناس دخولها، وكم من بيوت فقراء لا يرتاح الناس إلا فيها ورؤية أهلها. عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا خير فيمن لا يضيّف» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ولكن ليس معنى هذا أن تتكلفى لضيوفك إلى حدّ الإسراف، أو أن تحرجى زوجك وترهقى ميزانيته فى النفقة. فعن عبدالله بن عميرة قال: دخل على جابر رضى الله عنه نفر من أصحاب النبى ﷺ فقدّم إليهم خبزًا وخلا، فقال: كلوا فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم الإدام الخلّ. إنه هلاك بالرجل أنْ يدخل إليه النفر من إخوانه، فيحتقر ما فى بيته أن يقدّمه إليهم، وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قُدّم إليهم» رواه أحمد والطبرانى وأبو يعلى.

– ومن آداب الضيافة فى بيت المرأة المسلمة: أن تحدّث ضيوفها بما تميل إليه نفوسهم، وألا تنام فى حضورهم إلا بعد أن يناموا، ولا تشكو الزمان وغلوّ الأسعار بحضورهم،

وأن تظهر البشاشة لقدومهم والتألم عند وداعهم، وألاّ تغضب علي أحد بحضرتهم، وألاّ تعنّف أولادها على الاستذكار وغيره أمامهم فتشعرهم أنهم سبب فى ضياع الوقت عليهم، وأن لا تجعل أحدا من بيتها يعبث فى أشيائهم وحقائبهم، وأن تتعاهد من معهم من أطفالهم وتهتم بهم، وتقدم لهم لعب أطفالها وترغب أطفالها باللعب معهم، أو تخفى هذه اللعب عن أطفالهم حتى لا تتطلع أطفالهم لمثلها وقد لا يقدرون على تحصيل مثلها. وأن تعرّف ضيوفها بأولادها، وتسألهم عن أولادهم وتعتنى بهم، وإذا قدّمت لهم الطعام تعجل به وتقدم الفاكهة قبل غيرها، ولا تكثر النظر إلى وجوه الآكلين، ولا تقوم عن الطعام حتى يرفع الضيوف أيديهم منه، ولا تتحدث عن شيء تكرهه نفوس الحاضرين أثناء الطعام. وينبغى أن تخرجى مع ضيوفك إلى باب المنزل مع حسن توديعهم ودعوتهم لتكرار الزيارة، وشكرهم على قدومهم عندك فى بيتك، وإذا رأيت من ضيوفك ما تكرهين فلا تواجهيهم به وتغافلى عنه ما داموا فى بيتك، وإن ظهر منهم شيء مخالف للدين وأمكنك بالرفق تعريفهم بالشرع فهو أولى، وإن تأكد لك أن كلامك لهم لا يؤثر فيهم فأمسكى عن الكلام معهم فى هذا الأمر. وإذا كان الضيوف مع زوجك فاحرصى على - تشريفه - بتلبية الطلبات برفق ودون تضجر منك، ولا رفع للصوت حتى يصل لمسامعهم، ولا اعتراض على دخولهم فى مواعيد لا تناسبك، فإن كل ذلك يحرجه ويجرحه.

****

من الإيمان حُسن معاشرة الجيران

* عن أبى شريْح رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: يا رسول الله لقد خاب وخسر، من هذا؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه. قالوا: وما بوائقه؟ قال: شرّه» رواه البخارى. وفى الصحيحين «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره» وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قسّم بينكم أخلاقكم كما قسّم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطى الدنيا مَن يُحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الدين فقد أحبّه، والذى نفسى بيده لا يَسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه. قالت: يا رسول الله وما بوائقه؟ قال: غُشْمه وظلمه» الحديث رواه أحمد وغيره.

-أيتها الزوجة المسلمة، حفظ الجار من كمال الإيمان وسبب لحسن العشرة وراحة البال، فيجب عليك الامتثال لوصايا النبى ﷺ، بل ولصريح القرآن الذى وصّى فيه رب العزة بقوله: ﴿ واعْبُدوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا به شيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦] فعليك وفّقك الله أن تحسنى إلى جيرانك بإيصال ضروب الإحسان إليهم بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند اللقاء، وتفقّد أحوالهم، ومعاونتهم فيما يحتاجون إليه، وقبل كل شىء بكفّ أسباب الأذى عنهم، حسيّة كانت أو معنوية، فالإضرار بأى جار من الكبائر.

- لقد سألت عائشة رضى الله عنها النبى ﷺ، بعد أن وصّى جبريل عليه السلام بالجار وصايا مؤكدة وكثيرة حتى ظن النبى ﷺ أنه أصبح مثل الأرحام يرث مثلهم قالت: «قلت: يا رسول الله إن لى جارين فإلى أيّهما أهدى؟ قال: إلى أقربهما منك بابا » رواه البخارى، أى أشدّهما لك قربا. وكانت عائشة رضى الله عنها تقول: حدّ الجوار أربعون جارا من كل جانب وهو قول كثير من العلماء، والأقرب أوْلى لأنه أسرع فى الإجابة لما يقع للجار من الملمّات ولا سيما فى أوقات الليل والغفلة، فإنه هو الذى يسمع الاستغاثة فيغيث.

-**أيتها الزوجة والمرأة المؤمنة**، إن للمسلم على المسلم حقوقًا كثيرة، والجار المسلم له حقّان، حق الإسلام وحق الجوار، والجار القريب في النسب له ثلاثة حقوق بزيادة حق القرابة، والجار غير المسلم له حق الجوار. ومن الحقوق، ستر العورة، وإقالة العثرة، وقبول العذر، وردّ الغيبة، وإدامة النصيحة، ومراعاة الذمّة، وإجابة الدعوة، وقبول الهديّة، والشكر على النعمة، والنصرة وقضاء حاجاته، والشفاعة لمسألته، وموالاته ونصرته على ظالمه، وكفه عن ظلم غيره، وأن يحب له ما يحب لنفسه، وألا يتجسّس عليه ولا يتنصت عليه، وإن اطّلع منه على ريبة وجب أن يسترها مع وعظه وتخويفه برفق، وأن يتواضع لهم ولا يفخر عليهم ولا يختال، ويعامله باللين، ويغض طرفه عنه، ويوقر الكبير منهم ويرحم الصغير فيهم، وحسن المصاحبة، وسهولة الكلمة، وإصلاح ذات البين، ولا يقف مواقف التهم، ويحلم على من جهل عليه، ويعفو عمن ظلمه، ويعطى من حرمه، ويصل من قطعه، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر برفق ولين وعلم. عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«مَن أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه. أتدرى ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عُدْت عليه وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنّأته، وإذا أصابته مصيبة عزّيته، وإذا مات اتّبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبنّيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقُتار ريح قدْرك إلا أن تغْرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فأهْد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرًا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»** رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق. وروى مثله الطبرانى عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه.

أيتها الزوجة والمرأة المسلمة، أرأيت أخلاقا مثل ما جاد بها الإسلام؟ أرأيت حياة مع الجيران تتعاملين أنت وهم بهذه المكارم فيعيش الناس في هناء ووئام؟ أرأيت هل نحن فى حاجة إلى الأخذ عن الغرب أو الشرق وبين أيدينا هذا التراث؟ كم ضيّعنا فشقينا، وكم تركنا أخلاقنا فتعسْنا، **فشمّرى يا أختاه وابدئى الحياة مع الله ورسوله والناس**.

-**أيتها الزوجة والمرأة الصالحة**، ربّما يؤدى بك الفكر إلى أن العزلة والبعد والاقتصار عن الناس والجيران فيه الهدوء والبعد عن المشاكل، بل هو أحسن فى الدين، وأقول لك، إن معاشرة الناس وخاصة الجيران هو اللائق بالإنسان السوّى، بل هو الإسلام بعينه، لأن المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذى لا يخالط

الناس ولا يصبر على أذاهم، بل إن الصلاة والصوم دون معاملة الناس بالحسنى يضرّ بالدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رجل: يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: هي في النار. قال: يا رسول الله، فإن فلانة يُذكر من قلّة صيامها وصلاتها وأنها تتصدّق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها. قال: هي في الجنة» رواه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد وأبو بكر بن أبي شيبة بإسناد صحيح والأثوار جمع ثور وهي قطعة من الأقط وهو شيء يتخذ من مخيض لبن الغنم.

- أيتها الزوجة والمرأة الصالحة،اسمعي هذه النصائح من المجربين نفعك الله بها:

* تعرفي على جيرانك في العمارة واحدة بعد أخرى بالبدء بالسلام مع الابتسام للجارة عند رؤيتها أو المرور بها، فالسلام والابتسام مفتاح القلوب المغلقة.

* التهّادي ولو بشيء قليل. عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال:رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إذا طبخت مَرَقَةً فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك» رواه مسلم، وعنده أيضا: «إن خليلي ﷺ أوصاني: إذا طبخت مرقا فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبْهم منها بمعروف» واسمعي نفعك الله بكلام حبيبه ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرْسَن شاة» رواه البخاري ومسلم، والفرسن هو ظلف ساق الغنم وهو أقل شيء من لحمها يؤكل.

* قليل من الحلوى، أو - حبة كرم الله - تعطينه لأولاد جارتك، تجعل الأولاد يحبونك ويطيعونك، ولا يتصرفون بما لا تحبينه من ضوضاء وخلافه، ويكون سببا لتتعامل معك الجارة أم الأولاد بمثل معاملتك لأولادها.

* قدّمي لجارتك دعوة لطيفة للزيارة في بيتك، خاصة إن كانت هناك مناسبة، وبلا مناسبة، لتعرف أنك تخصينها بالدعوة. ولا مانع من زيارة بيت جارتك في أوقات مناسبة لها بعد فراغها من واجبات بيتها، وإلا - فاعزمي عليها - أن تساعديها في العمل. ولكن تذكري حديث رسول الله ﷺ: «زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً» رواه الطبراني والبزار عن أبي هريرة. أي لا تكثري من الزيارة ولا تطيليها حتى لا تصبحي ثقيلة في الزيارة فيكون سببا للبغضاء.

* لا تطلعي جارتك على أسرارك، ولا تتطلعي لمعرفة أسرارها، وإن علمت شيئا لا تنشريه، ولا ترمقي بعينيك ما في بيتها، ولا تسأليها عن معيشتها وأشباه ذلك حتى لا تضطر للتكلف والكذب، أو تخاف الحسد.

* شجعي أولادك على اللعب مع أولادها، إذا أمنت سوء الطباع والخلق.

* التعاون مع الجارة في نظافة - بسطة السلم - فيما بينك وبين بيت الجارة، وعدم إلقاء القاذورات على السلم أو في مدخل العمارة أو داخل المصعد، ويكون أجمل وأنفع أن تتعاوني معها على زرع شيء أخضر لتجميل المدخل أو البيت.

* عادة الجارة أن تطلب بعض ما تحتاجه للمطبخ: شوية ملح، مفتاح الأنبوبة، جلدة للحنفيّة، أنبوبة البوتاجاز الاحتياطي - فسارعي في إعطائها ما تحتاجه، حتى لو لم تعتادي أنت طلب هذه الأشياء. وفي نفس الوقت إياك أنت من مطالبتها بكثرة لهذه الأشياء وأخذها بسيف الحياء، ولكن عند الحاجة والضرورة.

* احذري التحدث مع الجارة بصوت عال، خاصة من النوافذ، أو أمام الباب. وكذلك لا ترفعي من صوت المذياع فتؤذي الجيران.

* عليك بالصبر على الأذى واحتماله من الجيران، وصوْن اللسان من الكلام الذي يغضب، ومحاولة الاقتصار على إلقاء السلام والردّ عليه إذا كانت جارة سوْء.

- أخيرا أيتها الزوجة والمرأة الكريمة، هناك نوع من النساء وصفهن النبي ﷺ بأنهن من دواهي الدهر القاصمة للظهر، فعن فَضَالة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من الفواقر: إمام إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء إن رأى خيراً دفنه، وإن رأى شراً أذاعه، وامرأة إن حضَرْت آذتك، وإن غبت عنها خانتك» رواه الطبراني. فنعوذ بالله الحنان من دواهي الزمان، ومن شر النسوان، ومن معاشرة اللئام. ونسأله سبحانه صلاح الحال، وراحة البال، والعوْن على التّزوّد للارتحال، بحسن الصفات والخلال.

****

نصائح نبوية للحياة الزوجية

* عن أبي هريرة رضى الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «رحـم الله رجلا قـام من الليل، فـصلّى وأيقظ امرأته، فـإن أبتْ نضح فى وجـهها الماء، رحم الله امرأة قـامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبي نضحت في وجهه الماء» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

* عن أبي هريرة وعن أبي سـعيد الخـدرى رضى الله عنهـمـا قالا: قـال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليـل فصلّيـا أو صلى ركعـتين جميـعـا، كُتبا فى الذاكـرين والذاكرات» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

* عن أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يعقـد الشيطان على قافية رأس أحدكم، إذا هو نام، ثـلاث عُقد، يضـرب على كل عقـدة: عليك ليل طويل فارقـد، فإذا استيُقظ فـذكر الله تعـالى انحلّت عقـدة، فإن توضـأ انحلّت عقـدة، فإن صلى انحلت عـقدة، فأصبح نشيطا طّيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» رواه البخارى ومسلم.

* عن على رضى الله عنه، أن النبى ﷺ طَرَقَـهُ وفاطمة ليلا فـقال: «ألا تصلّيان؟» رواه البخارى ومسلم.

* عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» رواه الترمذى وهو حديث حسن صحيح.

* عن أوْس بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فـأكثروا علىّ من الصلاة فيه، فإن صـلاتكم معروضة علىّ» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

* عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعـالى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ، ذكرته فى ملأ خير منه» رواه البخارى ومسلم.

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مثل البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يُذكر فيه، مثل الحيّ والميّت» رواه مسلم.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» رواه البخاري ومسلم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماما، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، والحمد لله رب العالمين.

****

ميثاق الزوج مع الزوجة

١- الزوجية نظام ربّانى، وفطرى، وواقعى، ومصلحى.

٢ - الزواج يلبى احتياجات الفطرة، نفسيًا، وعقليًا، وعاطفيًا، وغريزيًا، واجتماعيًا.

٣ - السعادة والخير، هما الأصل فى الحياة الزوجية، والشقاء والشرّ عارض، بسبب خارج عنه، إما للجهل بالمقاصد، وإما بتخلف القيام بما يجب على الطرفين، وإما للأقدار المقدّرة.

٤ - من أهم مقاصد الزواج: إعانة كلا الطرفين للآخر على القيام بمهام الحياة، وتوفير ما أمكن من مطالب الطرف الآخر، والتعاون والتّشارك فى القيام بالواجبات، وبسدّ حاجات الفطرة لدى الآخر، وبتخفيف أعباء الحياة بالتآذر والتفاهم، وبتفادى المصاعب والمشاكل، وبتيسير الأمور وتسهيل المصائب، والتضحية بالجهد والمال والراحة. فهى رحلة حياة وسفر إلى الجنة والآخرة يختار كلا الطرفين صاحبه فى السفر، وخير الأصحاب خيرهم لصاحبه فى السفر.

٥ - من أخلاق وآداب السفر مع الزوج حتى تُقطع رحلة العمر فى صفاء: الإيثار والشفقة، وإدخال السرور، والملاينة فى المعاملة، وتحمل الأذى، والتوقير والاحترام المتبادل، وحسن الظن والثقة.

* المظاهر العملية لتحقيق الميثاق مع الزوجة

١- أن ينوى دائمًا التعامل مع الزوجة لوجه الله تعالى، وفاءً لعهده فى عقد الزواج على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢- أن يعتاد سؤال نفسه: لو كان الرسول القدوة مكانى الآن، ما كان يفعل؟ فإذا استحضر الإجابة اختار فعلها وحاول تطبيقها.

٣- أن يكون معها دائم البشر، ملازم الابتسام خاصة عند دخوله البيت.

٤- يحرص على ألا يجرح مشاعرها أو يكسر خاطرها، ويراعى أحوالها.

٥- يحترم آراءها، ولا يسفه أقوالها ووجهة نظرها، ويريها فيما فيه مصلحة أنه أخذ بها، ويشاورها فى شئونه استجلابا وتدعيما للثقة بينهما.

٦- يستمع لها، ويعودها أن تعرض عليه أمـورها، وينصح لها، ولا يلزمها بتنفيذ آرائه فيما يخصها، مثل تصرفها فى أموالها الخاصة، أو علاقاتها الشخصية بصديقاتها إذا كان ذلك لا يؤثر على العلاقة الزوجية أو لا يمثل مخالفة شرعية.

٧- يخصها ببعض أسراره الشخصية والتى لا يضره التصريح لها بها، لتأكيد الثقة ولكى تبادله الأمـر، وليزداد التجاوب النفـسى، ولا يَدع للشيطان مجالا لإقناعـها أنه لا يزال هناك صندوق مغلق فيزداد تلهفها وقلقها على فتحه.

٨- يتعـاهدها بالهدايا فى حـدود الإمكانات، ولو بقطعة حلوى، إدامـة لأيام البدايات الحلوة، أيام الخطبة وعقد الزواج وشهر العسل، وحبذا لو تخـير ما تحبه وتشتهيه، من فاكهة أو مأكولات، مع خطاب مطوى يفاجئها بذكر أيام الهناء والسرور، ليعيد إليها إشراق الحياة داخل البيت.

٩- يحرص على تذكر المناسبات الطيبة التى تخصها أو تخصهما معًا، وإبداء الفرح وما يناسب ذلك من تعبير.

١٠- يناديها بما تحبه من الأسماء، وخـاصة اسم الدلال الذى تحبه، ولا يخجل أن يذكر اسم الدلال أمام أهله وأهلها.

١١- يكثر التعبير لهـا عن حبه لها بألفاظ رشيقة ومختـارة بينه وبينها، ولا يحجب حبه لها عن الآخـرين، ولنا فى رسول الله ﷺ قدوة مع زوجـاته، وعائشة خـاصة - رضى الله عنهن - فقد كان ﷺ يعـبر عن حبه بالقول والفعل أمـام أصحابه، فلا خجل من حب الزوجة وإبدائه، فإن ذلك من سنن النبى ﷺ وهديه.

١٢- يتعاهد الأوقـات، ليجعل معـها وقتا ملائمًـا للسرور والاختصـاص بها، بخلاف أوقات حجرة النوم، لاستعادة الذكريات الجميلة.

١٣- مصـاحبتـها والخروج مـعها خـارج البيت للتنزه، على انفـراد تارة، وتارة أخرى بصحبة الأولاد أو الغير، وكذلك لزيارة أهلها أو أهله أو أصدقاء الأسرة.

١٤- يخصص لها مصروفا خاصًا، مهما كانت فى غير حاجة إليه.

١٥- يبالغ فى مدحـها والثناء على أعمالها فى البـيت، ويشكر لها صنيعها فى خـدمته وخدمة أولادها وضيوفهما.

١٦- يجاملها بالمدح والثناء على مظهرها المحبوب له، وجمالها فى ثيابها واختيارها لملابسها الخاصة، وتجليها فى زينتها وحرصها على إدخال السرور عليه، حتى يستديم ذلك منها ولا تمله لعدم انتباهه لما تقدمه له وتخصه به.

١٧- ينفذ معها وصية النبى ﷺ: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» فيبدى معها بعض التساهل فيما ليس فيه معصية لله، ويتغافل عن بعض حقوقه ومطالبه شفقة ورحمة بها، ويتسامح فى بعض ماله عليها فلا يعاتبها أو يكثر من عتابه لها، خاصة أمام أولاده وأمام الغير.

١٨- يصرح لها ويظهر الشفقة عليها عند مرضها، أو أثناء حملها، وأيام عادتها الشهرية، أو لظهور الإرهاق عليها، أو عند شكواها له، ولا يستهين أو يبدى تبرمه من تكرار ذلك منها، فهى فى هذه الأوقات والأحوال أحوج ما تكون للشفقة أو التعبير بالكلمة الطيبة، وليس التغير لما يحدث.

١٩- يكرم أهلها ويتحملهم بقدر الطاقة، ويبدى لهم ولها السرور، ويثنى عليهم أمامها وفى غيبتهم، ويحضها على وصلهم والإحسان إليهم، ولا يشعرها بفارق المستوى إن كانوا أقل من مستواه، بل يبالغ فى احترامهم.

٢٠- يحرص على مساعدتها بالقيام ببعض مهام البيت، أو بشراء بعض المستلزمات، أو الوقوف والجلوس معها أثناء قيامها بذلك، لإشعارها بأنها ليست مثل الخادمة، وأن هذا العمل لا مهانة فيه، ولكى يتواضع مع أهله اقتداءً بالنبى ﷺ.

٢١- يتزين لها ويحرص على إرضائها فى مظهره، لأنها تحب منه مثل ما يحب هو منها، من حيث النظافة والتعطر وغسل الأسنان والتنقية من الروائح وجمال الملبس.

٢٢- يتيح لها التمتع معه فى حجرة النوم ويكثر المداعبة والملامسة وإبداء الرغبة.

٢٣- الغضب جمرة من النار، والغضب من الشيطان، والشيطان من نار، والإنسان عندما يتمكن منه شيطانه فيغضب يتقلب إلى كائن آخر يتقمصه شيطانه فينطقه بما يريد، ويجعله يفعل ما يمليه عليه، فالذى كنت تعرفها قبل الغضب غير الزوجة المغضبة، فاستنقذ زوجتك من شيطانها وسيطرته عليها، فهى الآن وقت غضبها، ضعيفة منخزلة، فأشفق عليها فهى فى خطر، واغضب على شيطانها لا عليها، ابعده عنها فلا قوة لها على دفعه الآن، أدِّ واجبك واستنقذها بكلمات ولو كذبت، عدها ومنيها

وتأسف لها فهذه هي أسلحة دفع الغضب، وإياك وإياك أن يغرك شيطانك فتغضب أو تتكبر مثله فلا تنقذ زوجتك، الرجولة أن تنقذ زوجتك من عدوكما، وعندما ترجع زوجتك لرشدها فسوف تقدر لك هذه الرجولة، وعندها ستطيعك أنت وتتأسف لك، وسيرضى عنك ربك، ويبقى لك صلاح بيتك، ويشقى الشيطان.

٢٤- إذا رفعت زوجتك صوتها عليك فتحمل ذلك منها، لا تدرى ما دوافعها؟! ثم بعد الهدوء علمها وطالبها بحقك من التوقير.

٢٥- بادر أنت بمصالحتها بعد تعكير الصفو الزوجي، فلا تخلو علاقة فى الدنيا من التعكير بعد الصفاء، تواضع لله فليس بين الزوجين كبر وتعاظم وقد أفضى بعضهم إلى بعض وانكشف بينهما مالا يطلع عليه غير الله سبحانه.

٢٦- لا تعاقب كثيرًا، ولا تجادل ولو كنت مُحقًا، وكن كبيرًا تصغر مشاكلك، وكن رفيقًا ودودا معلمًا لها الدين والخلق تدم سعادتك.

****

العشرة الطيبة
(مع المرأة)

الفصل الأول
إشراق البدايات دليل التوفيق للنهايات

* روعة الالتقاء تستجلب الصفاء

* قلب محب وجمال معد:

كن لها كما تحب هى أن تكون لها، تكن هى أفضل مما تحب أن تكون لك، افتح لها القلب لتسكن فيه، دعها تر الترحاب فى عينيك وفى امتداد ذراعيك، وفى تمتمة شفتيك، أهلاً وسهلاً فى القلب قبل الدار، اجعلها فى جنتها منذ الليلة لا ترى أجمل منك ولا أحب إليها منك.

* جراحة بلا ألم ولا تخدير:

أكرم حياءها ورفقًا بالقوارير، وأودع فى خزينة قلبها رصيد الاحترام والتقدير للمستقبل المنشود، إياك من وثبة وهجوم الجوع الغريزى فترسم فى نفسها صورة الافتراس والاقتناص، فكن مثل الطبيب الذى يجرى الجراحة أثناء التخدير بلا ألم ولا تكدير.

* أفراح فى الأرض وفى السماء:

أنت الآن تمر بك لحظة هى متعة الأذهان وعطر الأيام، بالدعاء والركعتين يرتفع لكما الذكر والثناء مع أفراح السماء، وتزف البشرى للعروسين أن بورك من فى الدار.

* مالا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق:

لا تدع طربات الهوى وضراوة الشهوة واستعارها تستخفك فيطيش العقل وتفقد الرزانة «وقدموا لأنفسكم» قدموا التسمية والكلام والقبلة، قالوا: التقديم بالملاعبة والمداعبة والملاطفة والتقبيل يزيد فى اللذة.

* تجمل فى موطن الضرورات:

مهما تكشفت الأبدان فالنفوس دومًا متحفظة، فحافظ على النفس ولا يغرنك زوال احتشام الجسد، فلباس الزفاف يتخفف منه ولكن لباس صيانة النفس لا يُخلع.

روعة الالتقاء تستجلب الصفاء

* إنه اللقاء بين زوجين. بين روحين وعقلين ونفسين وجسدين. بين شوقين فى كل العمر الذى مضى وكل الأمل فيما بقى، إنها روعة حاضر تتحقق فيه الأمانى وتتراقص فيه الرغبات، إنه المحك لصدق المشاعر والأحاسيس، لقد انتهى عهد استدعاء النفس خيالات وصور الحبيب، فدون النفس ما اشتهت وتصورت، ها هو الحبيب قريب مجاور وأمام العين حقيقة موصول بينك وبين قلبه، وعواطفه وشوقه وكيانه كله.

* يا لروعة الفرح والبهجة والسرور، والقلب يفرح، نعم، والصدر ينشرح، نعم،والنفس تحلّق بأجنحة السعادة،نعم، وكل العواطف ترقص طربًا، نعم، والغرائز تهتف حبًا، نعم، والوجه تتكشف أساريره بإشراق الرضا، نعم، ولكن أن يترنم الهواء بأغاريد الوداد والوصال، وأن تغمض الأشياء من حولنا عيون الحياء،وأن تترفق مواضع سيرنا تيهًا وإدلالاً، وأن تبتسم ملابسنا فتبدي اللؤلؤ والمرجان، وأن يغيب الوعى عن كونه وهو يقظان، وأن يُنسَّى كل محبوب بغير فقدان، وأن يغرق حبًا فى أعماق الوجدان، وأن يتلاشى زمان ومكان، ولا يدرك غير مبهم فى إنسان، فيالروعة الزمان والمكان فى مثل روح وريحان يلتقى فيهما زوجان، فى هيمان من الوجد، وهيجان من الود.

****

ولادة مرتين للقلب والنفسين

* في عالم الخلق الأول خُلقت حواء من آدم عليهما السلام، فصار التوافق والتعاشق بين الزوجين كما بين آدم وحواء فلا تكتمل نفس أحدهما إلا مع الآخر، بل يصير كل منهما يذوق الموت بمفارقة صاحبه وتدب الحياة في كليهما بالامتزاج، فسبحان من قال: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

* إنه التزاوج الفطري قد بدأت لحظته، منذ تقابل الرضا وتجانس الوفاق، من ماء الزوجين، فانعقد رباط مقدس مغلظ مؤسس على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فتحرك في أحشاء الزوجين نبتة المودة والرحمة تخلّق منهما علقة المحبة بالقلب، ووسعت مشيمة النفس هذه الآية التي نفخ فيها روح السكينة إيذانًا بمولد جديد تفرح به الحياة وبه تستمر، إنها ولادة جديدة وبداية جديدة لحياة، ولكن لمولود، لايستهل بصرخة البكاء، كالطفل إيذانًا ببدء الحياة خارج الرحم، بل برنة الفرح إيذانًا بصحبة الأبد ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

****

قلب محب وجمال مُعدّ

* الزوجة التي بين يديك هي غاية إعداد السنين في كل عمرها من والدين محبين، أوقفا حياتهما ومشاعرهما وآمالهما وما يملكان لتدرج وتشب هذه العروس بينهما، حتى أعداها كزوجة جميلة مكتملة الصفات البدنية والعقلية والنفسية والعاطفية في تفان صادق، ودون أدنى مقابل، يحدوهما الأمل الكبير أن تصبح زوجة لزوج رفيق شفيق ودود، يقدمانها له أيضًا دون أي مقابل مادي، بل عادة كل أهل للعروس أن يردوا على الزوج أعظم ماديًا مما قدمه هو مهرًا للعروس، فعروسك وما تملك وما يقدرون هم عليه سلمت إليك هدية كالأمانة، أو أمانة كالهدية، لا يطمعون منك في غير إكرام مثواها وقد حلت في دارك وانتقلت إلى جوارك بقلبها المحب وجمالها المعدّ.

* لقد تركت الزوجة بيتها وأهلها وأحبابها وجيرانها وجاءت إليك ترغب في الصحبة والجوار، وتبحث عن السكن والاستقرار، غير مرغوب عنها من أهلها ولا مستغنى عنها من أحبابها، ولكنها سنن الاجتماع، وطبائع الاستمتاع، ولبقاء الأنواع، لذلك شرع الزواج، فحلت الزوجة في بيتك أسيرة السنن في افتقار إليك بتعزز، وانكسار في ترفع، ترفل في ثوب من الحياء في أبهى زينة من الصيانة والعفاف، تجلس منك مجلس من يطاع، فأنت فارس الأحلام، عاشتك عمرًا قبل أن تراك فارسًا لأحلام يقظتها، تستحضر الآن معك الخيالات التي راودتها منذ المهد وهي تسمع الدعوات والأماني أن تصبح عروسًا في بيت زوجها، فكن لها الفارس النبيل، وحقق الخيال بواقع منك جميل، وإياك أن تخيب الآمال، فتعيش معك وفارس أحلامها لم تقابله، بل كن لها كما تحب هي أن تكون لها، تكون هي أفضل مما تحب أن تكون لك، افتح لها القلب لتسكن فيه، دعها تر الترحاب في عينيك، وفي امتداد ذراعيك، وفي تمتمة شفتيك، أهلاً وسهلاً في القلب قبل الدار، فهي ما تركت دارها وحلت عندك طمعًا في دار، ولكن طمعًا في ساكن القلب، ومحب الجوار، اجعلها في جنتها منذ الليلة، لا ترى أجمل منك ولا أحب إليها منك.

****

جراحة بلا ألم ولا تخدير

* لقد تعددت المشاعر والوجدانات كل مألوف من الحدود، وتصاعدت فى أروقة النفس، وملأت كل الحنايا والأحشاء عواطف متولدة، فتلاقت وامتزجت وافترقت وتعانقت وافترقت وتشابكت وتضاربت والنفس متحفزة مترقبة لمجهول كالمدرك، تملأ النفس الرغبة والرهبة مع الحياء الفطرى والوقار المتكلف، وتتكتم أشواق العمر وتدافع اللوعات والمهج، وتتحرق النوازع المختزنة والمحبة المكتنزة، وتتكسر العيون حياءً والنفس كلها عيون مشرعة، لقد خفتت الأصوات الصاخبة مع فرح الأهل فى الخارج، وارتفعت دقات طبول القلب المتوتر فرحًا، والنفس تبث وتستقبل على موجات أثيرها أغاريد الأرواح المحبة مع أغنية المستقبل الرائع، التى تُدنْدن بها الحياة، فاعزف أيها الزوج السعيد على أوتار هذه النفس المرهفة ألحان الوداد وبث أشجان الغرام، فالليلة محفل الخلود.

* ولقد صقلت النفس فصفت مرآتها، وسطع على وجهها إشراق فجر الحياة الجديدة، فكل ما يتصل بالنفس هذه الليلة يرتسم على صفحتها، ويثبت فى المشاعر والحافظة، وكل جميل فيها سيسترجع، إنها ليلة مولد المحبة المقدسة للنفس، ترتفع فيها ما ينبت لحمة الوفاق والوصال، فلحظاتها تبقى وتخلد مثل القطعة الأثرية النادرة، تزداد مع الأيام قيمتها والحرص على اقتنائها، لذلك أيها الزوج الحريص فما ينكسر فى هذه الليلة لا ينجبر فى باقى العمر، وما ينجرح ويُخدش فى هذه الحالة لا يلتئم خرقه وجرحه، ويا أيها الزوج النبيل أكرم حياءها ورفقًا بالقوارير وأودع فى خزينة قلبها رصيد الاحترام والتقدير للمستقبل المنشود، وإياك من وثبة وهجوم الجوع الغريزى، فترتسم فى نفسها صورة الافتراس والاقتناص، فكن مثل الطبيب الذى يأتيه من سيُبتر عضوه برغبته لعلمه أنه يجرى الجراحة أثناء التخدير بلا ألم ولا تكدير، فيعقب ذلك الراحة وللطبيب الأجر والتقدير.

****

أفراح فى الأرض.. وفى السماء

* ثوب الزفاف المرصع بالجمال والمعد بالمقاييس لمفاتن الأبدان، ونصيف وجهها المتهلل خلفه وجه ساطع بالبشر تبديه سحابة رقيقة من حياء وفرح وجزلان، ونسيم عليل للنفس فى نشوة قوة الحياة تتدافع مع رياح مستحرة تحركها وتثيرها كوامن الرغبات والشهوات، ولكنك أيها الزوج أنت إنسان اجتمعت فيك أربعة أنواع من الأوصاف وهى:

الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية، والربانية.

وأت الآن تمر بك لحظة هى حافظة الزمن التى لا تنسى، فكن الإنسان الذى يبقى تاريخه متعة الأذهان وعطر الأيام، أيها الزوج الإنسان قدوتك الرسول الكريم وسلفك رجال الدنيا وصفوة التاريخ، ابتسم فى نشوة الرجال الفتيان، وارفع نصيف الوجه واشكر للخالق وقل: بسم الله، وبكل الرفق والحنان اجعل ناصيتها بين أصابع يدك اليمنى واهتف بقلب عارف: «اللهم إنى أسألك خيرها وخير ماجُبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ماجُبلت عليه» حديث أخرجه أبوداود وابن ماجة بسند جيد، وبذلك تتم لك البركة فيها ويجمع الله بينكما فى خير، وإن أطاعت منك النفس ورزقت التوفيق وكملت المقاصد فقوما وصليا ركعتين ليرتفع لكما الذكر والثناء مع أفراح السماء، فمعكما ملائكة محبون، وبتوفيق الله وطاعته يفرحون وبالصالح من العمل يصعدون، وعند مليك العرش يثنون ويمتدحون، فبهذا العمل القليل وفى هذا الوقت الجليل تتفتح بركات السماء والأرض، ويسمو الإنسان فى نفسه وعند أهله باقتدار وينحدر شيطانه وتتكسر أسلحته ويخيب كيده وتحرس الملائكة النفس والدار، ويهتف الوجود بالحمد لله، وتزف البشرى للعروسين أن يورك من فى الدار ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

****

مالا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق

* أيها الزوج السعيد: لا تدع طربات الهوى وضراوة الشهوة واستعارها تستخفك فيطيش العقل وتفقد الرزانة، فتصبح فى خفة الفراشة وطيشها عندما ترى نور النار فتهجم عليها فيكون حتفها.

إنما النار يستدفأ بها وينتفع بنورها وإبداء الحرص جهل وشره قال تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قالوا قدموا التسمية والكلام والقبلة وما أعظم القدوة والمعلم للبشرية ﷺ وهو يشرح أسباب المتاع المباح والطيب الحلال، ويجعل ذلك دينًا وقربة. روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام».

وقال ﷺ: «ثلاث من العجز فى الرجل أن يلقى من يحب معرفته قبل أن يعلم اسمه ونسبه، والثانى أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته، والثالث أن يقارب الرجل زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه» رواهما الديلمى فى كتابه مسند الفردوس ورواه أبويعلى فى مسنده بلفظ «إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها فإذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها».

قال أبوطالب المكى فى كتابه قوت القلوب: وأوفق ما يكون الجماع بينهما إذا اتفقت الشهوتان منهما معًا، وأكثر ما يكون التباغض بين الزوجين لاختلافهما من طبع الإنزال، أن يكون طبعه سابقًا لطبعها أيضًا.

وقالوا: التقديم بالملاعبة والمداعبة والملاطفة والتقبيل، يزيد فى اللذة، لأن المرأة المشتهية للجماع أعون على اللذة، وقد مدح الله تعالى نساء الجنة بذلك فقال عز وجل: «عُرُبًا» جمع عروب وهى المرأة المتعشقة والمشتهية للجماع، يقال رجل شبق وامرأة عروب، فهذه اللذة التى لا تدانيها لذة لو دامت تنبهه على اللذات الموعودة فى الجنة، ولأن مالا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق.

وجماع الرجل أهله من القربات والصدقات، فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ قال: «ولك فى جماع زوجتك أجر، قالوا يارسول الله: أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر. قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها فى حلال كان له أجر».

تجمل في مواطن الضرورات

* مهما تكشفت الأبدان فالنفوس دومًا متحفظة، فحافظ على النفس ولا يغرنك زوال احتشام الجسد قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦] فتجمل في مواطن ترخص الضرورات، وتميز بألطاف النبل البشرى عند نيل الرغبات، ولا تنزع عنك لباس الاحتشام عند استقضاء الحاجات، فقد ذم الله أقوامًا فقال: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ [محمد: ١٢]، وما أكمل التشريع الإسلامى فى ربطه بين الدنيا والآخرة بين الفانى والباقى، بين عالم الغيب وعالم الشهادة، إذ يقول عز من قائل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فأنت فى أخص الخصوصيات لست وحدك، معك من لا تراه وهو يراك، إنه عدو مبين لذلك شرع لك النبى ﷺ ذكرًا يغيب عنك العدو فلا يحضرك وسترًا إذ لم تأمن به عدوك ينظرك، فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ستر ما بين الجن وعورات بنى آدم إذا دخل الكنيف أن يقول باسم الله» رواه الترمذى وغيره، وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: «وقدموا لأنفسكم» أى قدموا ذكر الله عند الجماع كما قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أتى امرأته قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدًا» رواه البخارى ومسلم، لذلك أيها الزوج المسلم: تعرف هتاف النبى ﷺ داعيًا ربه سبحانه ومتلبسًا بحال التجمل فى كل أحواله «يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر» كذلك خُلُق المؤمنين يظهرون فى كل الأمور ما هو جميل، ويسترون كل قبيح ولا يهتكون سترًا وخاصة ستر حياء النفس فإنه مصان الدهر كله. فلباس الزفاف يتخفف منه، لكن لباس صيانة النفس لا يخلع.

هم الرجالُ وعيب أن يقال لمن ... لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

****

الفصل الثانى

سفر بخير زاد فى صحبة أصفي الأحباب

المفاتيح المرعية للصحبة طوال العشرة الزوجية:

* من تعاشرها لهـا نفس مثلك ترضى وتسخط وتحب وتبغض وتفـرح وتحزن وتحسن وتسيء وتشعر وتتـألم وتفكر وتعقل فهى ليست آلة لـلخدمة والترفيه، نعم... ولكن بمقابلة المثل، بقدر ما تسعـدها يعود ذلك عليك فبقدر ما تزرع تحـصد، إن خيراً فخير وإن تشـقها تشقى بها.

* العمر قصـير وإنما أنت أيام والدنيا كدر فصف أكدار الأيام والسفـر طويل يحتاج إلى رفيق أليف، وأنيس موثوق به.

* العواطف العظيمـة والنوايا الحسنة المخفاة فى داخلك لا تقنع الزوجة ولو تحـققت منها لابد من فـعل جميـل وقـول حسن «قـول هاتوا برهانكم إن كنـتم صادقين» فـالعليم بالبـواطن يطلب عمل الظواهر.

* أخبرها بكل إحساس نحوها جميل دائمًا، ودائمًا تكتم مشاعرك غير المرغوب فيها بقدر ما تطيق.

* اجعل لك رصيدًا من الاحترام عندها، حافظ عليه إن لم تنمه الأحداث.

* ماكنت تحرص عليه عند بداية العلاقة بينكما من تأنق فى الملبس وتخير للألفاظ، وتجمل فى إبداء الإعجـاب والمديح، وحرص فى إبداء وتوصـيل العواطف لا تتركـه أبداً، وليكن لك عادة، وجه بالبشر صبيح ولسان بالحب صريح.

كل شيء تراه عليه كسوة القلب

* لقد أصبح يوم ليس له مثل فى الأيام، والشمس أشرقت كما كانت تشرق والناس هم الناس والأشياء هى الأشياء ولكن النفس أشرقت فيها شمس أمل جديد، أمل كلها الحياة، كن جميلاً تر الوجود جميلا، جدران المنزل تكاد تتهلل والأثاث كأنه يستحى ويطلب المؤانسة وأصوات العصافير اليوم كالمهنئة، واهتزاز الستائر يعبر عن الرقة وتناغم المشاعر، وباقات الزهور أمام الحجرة تتناغى ألوانها وتفصح عن روعة الحياة، حتى جلبة الشوارع تنتظم بهتافات الفرح، كما كان مجنون ليلى صادقًا حين رأى ضوء الشمس على بيوت ليلى أضوأ من غيرها، وأعظم منه ما يصح عن رسولنا ﷺ أنه كان يجعل للأشياء اللازمة لصحبته العظيمة أسماء يتعامل بها معها، لناقته، لسيفه ... إلخ وصدق الله العظيم: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

إن الهموم إذا انزاحت عن القلب بثقلها سمت النفس، وصفت الرؤية، فاستقبلت مرآتها أرواح الأشياء، وفقهت لغاتها، ولم يجد العامة من الناس أصلح فى تعبيرهم عن ذلك كله من قولهم (صبحية مباركة) وأهل السلوك يقولون: (تجلية الأمور على تصفية الصدور).

* فى هذا المناخ المستجد وداخل هذا المسكن المعد، ومع من يصحبك اليوم وفى الغد، يبدأ سير الحياة الزوجية نحو سعادة الدنيا ورجاء الجنة فى الآخرة.

* وفى هذا الجو البهيج، وتوثب الروح الوثيد، تنمو مشاعر جديدة وتكتمل فضائل لا تكتمل إلا فيه، وترتوى فيه الغرائز بما أحل الله، وتطمئن فيه العواطف بمطارحة الحبيب، ويذهب عن النفس عناء وحشة الغُربة.

* فدعنى أيها الزوج وأنت فى نشوتك أحادثك سرا، واستسمح زوجتك عذرًا، فأنا أهيئ لها القلب والقالب، ومن قبل ساررتها فى القسم الأول من العشرة ويوم لكَ ويوم...... لكِ.

****

املأ قارورتك بما تحب أن تشرب

* قال أبو طالب المكى: المرأة تحتاج إلى فضل مداراة، ولطيفة من الحكمة، وطرف من المواساة وباب من الملاطفة، واتساع صدر للنفقة، وحسن خلق ولطف لفظ، وهذا لا يحسنه إلا عالم حليم، ولا يقوم به إلا عارف حكيم، ولا يصلح لذلك: ضيق القلب، بخيل الكف، سيئ الخلق، غليظ القلب، فظ اللفظ، ولو تزوج هذا عُذّب وآذى وتأذى، وأنا أقول مع القائل: إذا كانت المرأة سيئة الخلق فاسوأ منها من يحوجها إلى سوء الخلق.

* بجميل المفاوضة، ولطيف المداراة، وصدق العاطفة تحتل السويداء فى قلب الزوجة، المرأة مخلوق لطيف ويرق لك قلبها ويصفو إلى غير حدود، فقط رفقًا بالقوارير، واملأ قارورتك بما تحب أن تشرب.

* ما أعظم أخذ العلماء الأئمة عن الله حيث قالوا: شبّه الله تعالى حسن النظام والعشرة مع الزوجة بحسن القيام على الوالدين فقال فيهما: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١١] وقال فى حق المرأة: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال فى عظيم حقهن: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦] قيل هى الزوجة، وقالوا: كلما طالت الصحبة توكدت المراعاة. فكن أيها الزوج المصاحب لها زينًا فى الرخاء وعونًا لها فى الشدائد، كن معها كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، عاملها باحترام وتقدير كما تعامل الصديق الحميم، تضمن منها المودة، والتكريم، إذا دنت منك هششت لها، ورحبّت بها وإذا تحدثت أقبلت عليها وأصغيت إليها، وإذا جلست أوسعت لها، يدم لك قربها وقبولها، فإن القلوب جُبلت على حب من أحسن إليها، انظر أيها الزوج المسلم صنيع رسول الله ﷺ مع نفوس أصحابه ليعلم أمته كيف يحسنون المعاملة ويتعلمون استجلاب المودة، فعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: لقينى رسول الله ﷺ فأخذ بيدى ثم قال: «يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبى» رواه أحمد فى المسند والطبرانى ورواته ثقات، فما أروع وأنفع من يفقه ويقتدى به ﷺ فانظر كيف أخبر هذا الصحابى الجليل بحبه له وأوصل له الخير فى هذا الأسلوب البارع، إذ أخذ بيده عندما رآه، بمودة ورغبة، لأنه

صاحب له مؤمن، ثم أخبره أن قلبه يلين لرؤيته، فدامت صلوات الله عليك ياذا القلب الرحيم الحريص على مودة المؤمنين، قلب النبى يلين ويرق وينفعل بمجرد رؤية صاحبه؟ ويتواضع ويخبره بهذا الأمر فى أرقى صور الخطاب، أخبر أيها الزوج صاحبتك ودائمًا بكل مشاعرك الجميلة نحوها، خذ بيدها بحنان المحب وقبل يدها رحمة ورغبة ومحبة، وقل لها ما فى قلبك، إنها فى تلهف دائم لتسمع منك ذلك، فإنه غذاء قلوب المحبين، وذلك السلوك شرع ودين: فعن أبى كريمة المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه» رواه الترمذى وأبو داود، وقال الترمذى حديث صحيح، إنه الله الخالق العليم بخلقه، وهذا رسوله يخبر عنه، وإنها القلوب العطشى لماء القلوب، فإذا رُويت اهتزت وربت، وأنبتت من كل العواطف ما هو بهيج.

****

واشوقاه للبدايات

* أتذكر أيها الزوج الفاضل كيف كانت البدايات مع زوجتك الحبيبة؟ كيف ارتاح لها القلب وانشرح لهـا الصدر ووجدت معـها السرور والفـرح، وأدركتك الوحشة بفـقدها وغيابها عنك وبلغ بك التلهف على رؤيتها كل مبلغ؟؟

أتذكر أيها الزوج الكريم كم كنـت تسترجع بعد لقائك بهـا كل قولك وشأنك تلذذا وتشبعا بكل ما قدمت عندها من أسباب سرورها ورضاها، بل خوف أن يكون بدر منك ما يشينك عندها.

ألم تكن تستعيد كل صور اللقاء وتسعد بها وتعيـشها بكل أحاسيسها مرات، وتبتسم وتضحك مما أضحكك وسرك أثناء اللقاء. أيهـا الزوج الكريم أبشر ثم أبشر، فهذا منك رائع وجميل، وأنت صاحب نفس مدركة للجمال ومحبة للسرور وراغبة فى السعادة مع الحبـيب، ولديك القدرة على إدخال السـرور على من شئت، وعلمت أن نفـسك تفرح للجميل من القول والعاطفة، وتأكد لديـك أنه كلما حرصت على إسعاد زوجتك كانت هى أحرص على مـا ترغب أنت فيه، لذلك أيهـا الزوج الحكيم أدعوك أن تستفـيد من رصيد خبرتك، وأبدع أيـها الزوج فيما حباك الله به من قدرات لطيفـة وحلوة ومحبوبة ومطلوبة . . . فى كل وقت . . . دائمًا وليس فقط فى بدايات الارتباط.

لا تجعلها تتنهد فى حسرة وتقول: واشوقاه للبدايات.

* أيهـا الزوج الراعى والمسئـول: حلت فى رعـايتك أمانة الله وأُخـذ عليك العهـد المغلظ، وهى ترغب أن تنشـأ عندك على خير مـا تحب أنت، فقلبـها ونفسـها صفـحة بيضاء، فسطّر فيه منهاج حياتك الذى تحب أن تحـيا به وعليه، وعوّدها واعتد معها على الاحترام المتبـادل والمخاطبة الكريمة، ومراعاة الشعور، وإدخـال السرور، والتحمل وقت ملل النفس (ومـا أكثره دون أن يُعـلم سببه)، وحب النظام والتـرتيب فى كل شىء والنظافة، وفهم الرغبات بالإشارات وانتقـاء الألفاظ والعبارات، والتأنق مع البساطة فى الملبس والمأكل، والحرص على تبادل الهـدايا الرمزية كلما استدعى أمر، وتبـادل التّحايا وعبارات الشكر، وعـدم مفارقة طلاقة الوجـه فى وجود الحبيب والإقـبال عند الحديث وإظهار الاهتمـام بالآخر، وعدم تسفـيه الرأى مهمـا كان منطقه، والثقـة عند الأخبار،

والتغاضى عند حدوث بعض الزلات، والصبر عند غضب الآخر، وترك مجال شخصى جدًا للآخر لا يتدخل فيه، وعدم الإلحــاح فى السؤال، وخاصة فى أمور المال والدخول وغير ذلك مما تحب أن تعــود عليه زوجتك وتعتاده معــها، وهذه الأمور ممكنة مع الحب والعاطفة القــوية الصادقة بينكما، فــبادر واستنبت فى حقل حرثــك ما تود أن تجنيه من بستان عمرك، وتعاهد نماءه تعش فى وارف ظلاله وتنعم بنُزَه الأيام فىَ رياضه، وتقتطف أزهاره وثماره وتحيا فى جنة حوائك، فالله الله مــا أحلى البدايات لو استقامت لك هذه الأمور مع حسن النيات، ولا تتــأخر عن هذا الخير فيفوتك العــون والمدد فقد قال ﷺ: «لا يزال الرجل يتأخــر حتى يؤخره الله» وقال مولانا جل فى علاه: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

****

المشاعر الآدمية قبل الشعائر التعبدية

* قال سادتنا العلماء: حق المرأة بسبب الزفاف سواء كان عنده امرأة غيرها أم لا، أن يؤثرها بسبع ليال، والزوجة الثيب بثلاث - الثيب من سبق لها الزواج - وهذا ما قاله جمهور العلماء أى غالبيتهم. بل قال الإمام النووى الشافعى إن ذلك مستحب إذا لم يكن عنده غيرها وإلا يجب، وقال الإمام الشافعي: ولا أحب أن يتخلف عن صلاة الجماعة. ولا يمنعه ذلك من عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا إجابة وليمة. وأفرط بعض فقهاء المالكية فجعل مقامه عندها عذراً في إسقاط الجمعة إذا جاءت فى أثناء المدة قياسًا على أن المقام عندها واجب، رواه ابن القاسم من المالكية عن مالك لأنه تعارض عنده بين واجبين فقدّم حق الآدمى.

* وقالوا في علة ذلك: إنه حق للمرأة على الزوج لأجل إيناسها وإزالة (الوحشة) عنها وأقول: ما أجمل الشرع الحنيف فى أخذ المسائل بموضوعية واعتدال بشرى واهتمام بالمشاعر الآدمية قبل الشعائر التعبدية.

وأقول أيضًا: أسبوع عسل سبق به الإسلام فاعتدل الحكم بدلاً من شهر عسل الغرب، وما أجمل تعبير العامة (إن كان حبيبك عسل ما تلحسوش كله).

****

عصا موسى فى الحياة الزوجية

* إكسير السعادة عند المرأة هو . . . الكلمة، وإفساد طبائع المرأة بالكلمة، فالشأن كل الشأن أيها الزوج المعاشر لمن اختارتها نفسك دون نساء العالمين هو أن تحسن الكلام معها، فيكون كلامك غذاءً ودواءً لها، ويكون لسانك بذلك هو - عجلة القيادة - لمركب السعادة الزوجية الذى به تضمن التحكم فى أى اتجاه ترغب الوصول إليه، وتسلس لك القيادة كلما وافق الثناء موضوعًا. اسمع - زادك الله فهما - لقول الله عز وجل: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣]، قال السادة العلماء: فلو كانت خصلة هى أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم للأجر وأعظم فى القدر وأولى فى الحال وأنجح فى المآل من هذه الخصلة لكان الله سبحانه أمر بها عباده.

أقول أيها الزوج المتتبع لهدى السماء: هى هى الكلمة، إن كانت حسنة محببة لسامعها كانت من الله فتصلح ولا تفسد، وإن كانت الكلمة غير مستحسنة ولا مرغوب فيها فهى من الشيطان، يفسد بها القلوب ويقطع بها ما بين المحبين عداوة لله وللمؤمنين. الكلمة لسائر الناس كعصا موسى عليه السلام، هى لمن آمن بها تفجر الحجر ينابيع الحياة، ولمن لا يتبّعها تصير حيَّة عظيمة تبتلع حياتهم. ففجّر ينابيع الرضا والهناء والراحة فى قلب زوجتك حتى تزرع فيه محبتك، وتدنو لك ثمارها اليانعة وتستظل بوارف عطفها وتلتذ بألوان وفنون جمالها ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة:٢٦٥]، وما أعظم المثل المضروب فى كتاب الله للكلمة التى هى أصل كل كلام طيب ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [ابراهيم:٢٥]، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم. أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم، فأى روعة فى البيان من النبى ﷺ حيث ربط دخول الجنة، التى هى غاية كل العاملين المؤمنين وبين الحب بين المؤمنين، فجعل مفتاح باب الجنة هوالتحابب ثم أوصلهم إلى المطلوب لتحقيق ذلك كله «إفشاء السلام» ولا يضيق عند العلماء مفهوم إفشاء السلام فى إلقاء السلام المشروع، وإن كان يدخل فى الحديث، ولكنه إفشاء كل كلام يُحدث الوئام، ويربط القلوب فى مودة وحنان، ويغرس فى واحة العيش للزوجين رياحين الأمل للسير نحو الجنان.

الكنوز المعطلة

* يعتمد كثير من المتحابين والمتصادقين والمتزوجين على رصيد الثقة فيهم وفى حبهم لدى الآخرين، ويظن أحدهم لصدقه في المحبة لزوجته ولسابق معرفتها لحبه لها أن ذلك يكفى لاستدامة حبه عندها وبقاء علمها بذلك، وذلك خطأ فادح يقدح فى المحبة، وغفلة شديدة لواقع العلاقات الزوجية ورعايتها.

* إن الله تعالى لم يخلق لنا العواطف إلا لنتبادلها ونتعامل بها وينفع بها بعضنا البعض، وهى كسائر ما خلق الله لنا فيه حكمة ومنفعة، وبقدر ما ينتفع الناس بنعمه يعبدونه ويشكرونه، وبقدر ما ينفع العبد الخلق بهذه النعم، بقدر ما يكون مؤديًا للغاية التى خُلق لها وخلقت لها النعم، ونعمة ترابط القلوب بالمحبة أعظم نعم الله على المؤمنين بعد إسلامهم، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولقد كان هدى النبى ﷺ مع أصحابه وأزواجه مثالاً لإظهار المودة والتعبير عنها بكل وسائل التعبير تصريحًا وتعريضًا وإشارة بالقول والعمل والحال، وقد مرَّ بنا بعض الأمثلة، وسنرى بعضها فيضًا من فيض النبوة.

* أرأيت أيها الزوج العاقل لو أن إنسانًا أعطاه الله نعمة المال الكثير فكنزه ولم يستثمره، ولم ينفق منه على نفسه ولا على من يجب عليه النفقة عليهم، ما تقول فيه؟ وهل هناك بخلٌ وتعطيلٌ للمال مثل ذلك؟ إن المال جعله الله ليتداول بين الناس لا ليكتنزوه، وهل أهل ذلك الرجل الغنى البخيل انتفعوا بغناه، رغم علمهم أنه صاحب كنوز عظيمة يملكها ولا ينفقها عليهم. كذلك كنوز العواطف التى تملكها فى قلبك لزوجتك، ولا يصل منها إليها ما يكفيها ولا يقنعها ملكك وكنزها فى قلبك، بل ستتشكك فى وجودها عندك، أنفق أيها الغنى على أهلك ولا تحرمها رِفْدك فيزدد منها بعدك، قل لها بملء الفم واعترف مما فى القلب، لا تجعلها تشعر أبدًا أنك بخيل القلب حتى لو كنت سخى اليد، لا تجعلها شديدة العطش لماء القلوب وتضنّ عليها بشربة من

أعماق قلـبك، وهى ترى الماء ولا تصل إليه لأنه فى الأعماق (كـمن هو شديد العطش للماء ويراه فى بئر عميقة لا حيلة له فى الوصول إلى الماء). فهل تنفعه رؤية الماء وعلمه بوجوده؟ وهل علم من يقف على شـاطئ البحر بوجود اللؤلؤ فى أصدافـه فى الأعماق ينفع دون استـخراج اللؤلؤ وتداوله؟. إن قلب البدن يدفع الدم إلى سائـر أجزاء الجسم حتى لا تنقطع عنـه مادة الحياة، وكـذلك قلب الروح والنفس لابد أن يدفع مادة حـياة الروح والنفس لمن لا حياة لقلوبهم ونفوسهم إلا به.

والكلمة الطيبة حياة المرأة القلبية والنفسية، فلا تبخل بكلمة لا تُنقصك ولا تكلفك، وفيها حياة قلب ونفس.

****

فيتامينات الصحة النفسية

* المرأة مخلوق لطيف، على الفطرة غالبًا، سهل الانقياد كالطفل لأن نفسها فى بساطتها الفطرية، وغلبة عواطفها الجبلّية تحتاج لمعاملة رقيقة، لطيفة، بسيطة تتلخص فى القدرة على الثناء والإطراء الذى يوافق موضعًا، وأنت أيها الزوج قد جربت بالضرورة ذلك ولاحظته عند ابتداء علاقتك بزوجتك كما مرّ سابقًا، حيث كنت تنتقى كلمات الثناء والإطراء سواء عليها جملة أو على طريقتها، أو مظهرها، أو حديثها، وعلمت أثر ذلك على علاقتكما من القوة والتّمتين ومن فرحها العظيم بكلامك، وبرغبتها الدائمة لسماعه وإسماعه صديقاتها.

* اعلم أيها الزوج أن هذه فطرة ملازمة لأى امرأة، وزوجتك بالحتم منهن، فلا تحرمها الثناء والإطراء دائمًا، لأنك لو لم تفعل ستَفْتَقده وتحتاجه بالضرورة الفطرية، حتى لو لم تفهم هى عن نفسها ذلك، وهى فى هذه الحالة - أى إذا فقدت منك الثناء عليها - إحدى امرأتين: إما أنها تصبر، ثم تصبر ثم يدركها الملل، ثم تصاب باكتئاب دائم، وإحساس بعدم الرضا، رغم رغد العيش إن كان هناك رغد منه ورغم المعاملة التى تراها أنت كريمة، وقد تتدبّر هى فى أمرها أو أنت أو أنتما معًا، فلا يُعرف سبب هذا الملل وهذا الاكتئاب. لقد أصاب القلب نقص المادة الفعّالة الضرورية لحيويته، يقول الأطباء: إن الجسم يلزم له الفيتامينات بأقدار صغيرة جدًا، وإذا نقصت بدت مظاهر وأعراض مرضية كثيرة للجسم فإذا زوّد الجسم بهذا القدر الناقص، سرعان ما يعود له الحيوية والنشاط والقوة. أما فى حال المرأة الثانية التى لا تجد الصبر على افتقاد الثناء والإطراء، فتضطر المسكينة للتحايل على الخروج بأى سبب لتسمع وتُشبع نفسها من ثناء الغرباء، فى الطريق أو فى العمل، أو فى أى خلطة (تدخلت فى مشكلة زوجية مرة، واحتدّ الخلاف حول مسألة خروج الزوجة للعمل وزوجها لا يرغب فى خروجها لعدم حاجتها للمال، وحاجته لوجودها فى المنزل، ودهشت لإصرار الزوجة على الخروج للعمل، حتى مع التهديد بالطلاق، فخلوت بالزوج، وكان مما سألته عنه، هل أنت معتاد أن تقول لها إذا ارتدت فستانًا إنه جميل ورائع؟ قال وهو ينظر لى بدهشة رغم احترامه لى: وما دخل ذلك فى الموضوع يا أستاذ؟ فسألته هل . . . هل . . . كل ذلك يقول: لا، فقلت له مما أكتب عنه الآن، وطلبت منه أن يجرب ذلك، ولا يطلب من

زوجتـه الآن أن تترك العمل، فوافـقتني، وبعد مدّة ليـست بالطويلة أخبرني أن زوجـته تركت العمل، وعلى حدّ تعبيره قال: وأنا ماشي على الروشتة).

*أخي أيهـا الزوج: لماذا تُحـوج زوجتك لأن تشـحذ مـنك الثناء؟ كأن تقـول لك: عاجبك الأكل - هيه إيه رأيك في الفستان ده؟؟ صحابك عجبهم الأكل؟؟ وأمثال ذلك من الأسئلة المتكررة وأنت في غـفلة تامة، وقد تثني بعد السؤال، جـزاك الله خيراً على هذه الصدقة منك، ولكن أتحب أن تمد يد طبعهـا لك كل يوم لتشحذ منك الكلمة؟؟ ما أبخل مثل هذا الزوج! وما أبْلد حسه وشعوره نحو المتحرقة والمتعطشة للكلمة، احذر أن تضطرها للشـحاذة من الغرباء، أبْق علـيها حـياءها ودينها. واحـذر أن ينفد صـبرها، وتملّك، وتميل إلى غيرك، وهي لا تدري، وأنت الآخر لا تجد لسلوكـها تفسيرًا، تدارك من الآن واغرس لك جنة في قلبهـا، ولا تبخل بجميل الثناء العاطر، فـقد روت أسعد زوجة في النسـاء، عائشة زوج النبي ﷺ عنـه، أن الجنة دار الأسخيـاء، فاصنع جنتك وادخلها بسخـاء الكلام الطيب، تطب لك معهـا الحياة بلا ملل، واسمع لهـذا التحذير اللطيف من الشاعر محمد إقبال:

لحظةً يـا صـاحـبي إن تَغْـفَلُ ... ألفَ مـيلٍ زاد بُـعْـد المنزل

****

الفصل الثالث

غنائم المباهج تكون عند مراعاة المصاحب

* مفاتيح القلوب لمعاشرة المحبوب:

* حسن الخلق مع الأهل دين وكسب طيب العيش في الدنيا.

* المودة جوهرة تحتاج للرعاية الدائمة حتى لا تُفقد.

* ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من ليس من معاشرته بد.

* حب الزوجة دين ومفخرة لا يستخذى منه ولا يستخفى.

* طاعة الزوجة لك مفتاحها بيدك أنت.

* المرأة في أعماق فطرتها استكانة للرجل وحاجة لحمايته، فانتفع منها بذلك ولا تستثر تمرّدها عليك بتنقيصك لها.

* الأهل أولى الناس منك بالمفاكهة والتحمل ممن تتعامل معهم خارج البيت.

اعتراض وإعجاب

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَن أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً لم يَرْضَ الله له ثوابًا دون الجنة» رواه الطبراني، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم» .

* أخي المسلم راعي الأهل والبيت: كم يكون جميلاً منك، أن ترفع شعار الإسلام في إسعاد الآخرين، وأولهم أهل بيتك، فترضي ربك قبل زوجك، وتضمن الجنة، نعم يا أخي: إدخال السرور. ما أجمله من تعبير، قبل أن يكون توجيهًا نبويًا للمسلمين، إنه لمجرد تفكيرك في إدخال السرور سيجلب لك التوفيق والعوْن الربّاني، إنه سيظهر على سلوكك كله من حيث لا تدري، وإنه سيقنع زوجتك دون أدلّة إقناع برغبتك الصادقة في إسعادها، فيلين لك القلب ويهش لك الوجه وتشرف بك النفس. استمع يا أخي العزيز إلى هذه الحكاية التي حدثت لي في إحدى زياراتي لأمريكا. كنت أتحدث في أحد المراكز الإسلامية عن مبادئ العلاقات الاجتماعية في الشريعة الإسلامية، وذكرت هذا الحديث النبوي في مبدأ التعامل بين المسلمين، وضربت بعض الأمثلة العملية التي تدخل السرور بين المسلمين، وبعد انتهاء المحاضرة قابلني رجل من أصل عربي يحمل الجنسية الأمريكية ويبدو أنه متأثر بالجو المادي للحياة هناك، فسألني وأخبرني عن حديثين وردا في المحاضرة أعجباه جداً، الأول يوافق عليه تمامًا، على حد قوله - لأنه يلخص أهم أخلاق التعامل في مجتمعهم الأمريكي - والحديث يقول: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» أما الحديث الثاني الذي يعجبه ولا يوافق عليه - حسب تعبيره أيضًا - هو حديث إدخال السرور، وملخص اعتراضه وإعجابه في نفس الوقت: هل بين الناس مَنْ يمكنه فعل ذلك؟ فقلت: ولم لا؟، فقال: الطبع البشري وواقع الناس هو: إدخال السرور على النفس وليس على الغير، فقلت له ما ملخصه: لقد توصلت أنت إلى المقصود من الحديث لأن من يدخل السرور على غيره ممن يعاشرهم إنما يستجلب مودتهم له وحبهم واحترامهم له، وكف أذاهم عنه كما أن المعاشر لك وهو سعيد يدخل عليك السرور وبالعكس، زدْ على ذلك أنه يفعل ما يطلب منه شرعًا فيرضي ربه، فيعود عليه من عطايا وإنعام الرب ما أخبر عنه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠]، ولقول النبي ﷺ: «البرّ لا يبْلى» وانتهى حديثه، وابتسم، والله أعلم بالسرائر.

مسكين وألف مسكين.. رجل لا امرأة له

* الفكر يحتاج إلى مسامرة، والنفس تحتاج إلى محادثة ومطارحة، ولكل وقت للنفس حال ولغة تطلبها وتفهمها، وخاصة وقت المصافاة، فإن وجد الزوج مع الزوجة تفريح النفس، وراحة البال والقلب، وسكون العواطف الجيّاشة، فذلك من آيات الله ونعمه، فليحمد الله حتى تربو تلك النعمة، وليسارع فى بذر الخير فى قلب الزوجة، وعزّز محاسنها عندك، وحببها فى شخصك وقربها من قلبك، يصفو لك ودّها ويسلس لك قيادها، وتعطيك كل رفدها، لذلك أيها الزوج المملوء أملاً بالسعادة فى الحياة: أنصح لك من كل قلبى نصيحة غالية من شقيق أمين: لا تضن على الزوجة الحبيبة مع المودّة والرحمة، بعاطفة الاحترام والتقدير فالقليل منه له أثر السحر.

* أخى وسامعى الزوج الفاضل: المرأة لم تُخلق من أجل الرجل، كما أن الرجل لم يخلق للمرأة، ولكن كل منهما خلق لعبادة الله، وقد جعل الله لكل منهما حاجة للآخر، لذلك يجب أن تحترم المرأة لنفسها، وتقدر بقدر ما تسدّ به حاجة الرجل ويقدر الرجل فى علاقته بالمرأة بقدر ما يسدّ حاجاتها.

* ذكر فى مجلس سيدنا معاوية رضى الله عنه النساء فذمّهنّ قوم، فقال رضى الله عنه: لا تفعلوا، فما علّل المريضَ، ولا ندب الميت، ولا عمّر البيوت مثلهن، ولا احتاجت الرجال إلى مثلهن. وتدبّر يا عزيزى الزوج قول النبى ﷺ: «حُبّب إلىّ من دنياكم: الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة» عن أنس رضى عنه وراه النسائى والحاكم بإسناد جيد، فانظر إلى هذا القلب الذى لا تخللّه إلا محبة الله تعالى، إذا أحب شيئًا سوى الله فالطيب والنساء والصلاة، وانظر رعاك الله إلى ربطه بين أجمل ما فى الدنيا عند رسول الله، ريح تطيب به النفس، وعلاقته بزوجه من النساء، ووقت يقضيه مع الله فى محراب الصلاة. ألم يخبر بالحق ﷺ إذ يقول: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»، فمسكين وألف مسكين رجل لا أمرأة له، أو له امرأة لا يستمتع فى دنياه بخيرها، يخرج من الدنيا ولم يحصل على حسن متاعها. قال سيدنا عمر رضى الله عنه: المرأة الصالحة ليست من الدنيا لأنها تفرّغك للآخرة. وقال أبو سليمان الدارانى: المرأة الصالحة تفرغك للآخرة وتمتعك فى الدنيا.

الحب المتخاذل

* أخي الزوج العاقل: أعرف بعض الناس يرى أن حبه لزوجته يُنقص رجولته، ويعتمد في قوامته التي يتمادح بها مع الأقران أنه ليس ضعيفًا مع زوجته ويتطارح معها الحب ودواعيه، ويخفي أمر حبه لها - إن كان محبًا - كما يخفي عيوب بدنه، وقد يتمازح البعض ويتندّرون بمن يحب زوجته، وقد يغضب البعض إن نسب إليه ذلك، كما لو اتهم في عرضه، بل إذا رُئِيَ مع زوجته في جلسة منفردين، أو متماشيين في نزهة، يسارع هو في درء تهمة الحب للزوجة كما لو كان قد ارتكب شيئًا غير مشروع، بل أعرف رجلاً فاضلاً لا يسير في الطريق بجانب زوجته ويتقدمها كأن مجرد السير مع الزوجة عيب اجتماعي ينكر.

* أخي الزوج، لا أحسبك أحد هؤلاء، لأنك بالضرورة قد علمت أن سيد الخلق أجمعين كان يحب زوجاته، وأن حبه للصديقة عائشة أشهر من أن يخفى على مسلم، فأعظم قصة حب عظيم بين المسلمين كانت قصة حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها، وكان النبي ﷺ يصرح بهذا الحب لكل الناس، وكان أصحابه يتحرون يوم عائشة ليهدوا له هداياهم، وسأل سيدنا عمرو بن العاص النبي ﷺ قال: قلت يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قلت: ثم من، قال: أبوها» الحديث في الصحيح. فتدبّر معي يرحمك الله كيف يصرح النبي ﷺ بهذا الحب لزوجته، وأنها أحب الخلق إليه وقبل أبيها أبي بكر الصديق، صفيّه وخليله من الرجال، كما صرح ﷺ باسمها، فيا للمسلمين الملتزمين بسنة رسولهم!! لماذا تعتبرون مجرد ذكر اسم الزوجة نقصًا وعيبًا يجب ألا يذكر، وأن الحب للزوجة مما يخجل منه، وكيف آمنا بكتاب الله وقد امتن علينا بأن جعل بيننا وبين زوجاتنا مودّة ورحمة؟ بل ذلك من آياته لمن له عقل يتفكر به.

فأنا أدعوك يا أخي الزوج أن تعلن، بل تفخر أن جعل الله لك قلبًا محبًا لزوجتك وأن لك في رسول الله ﷺ أسوة، بل احرص أن تكون زوجتك أحب الناس إليك وبلا خجل.

****

سجود الحب لا سجود الرعب

* يحلو لبعض الأزواج أن يذكر لزوجته بمناسبة وبغير مناسبة: أن الله أوجب عليها طاعته، وأن يلزمها أن تنفذ أمر ربها معه فتطيعه في كل أمر ولا تغضبه، وقد يكون هذا الزوج مع زوجته من أكثر الناس تضييعًا لأوامر الله، علاوة على أنه لا يكون مطيعًا لله أصلاً أو في كثير من أمره، وأخشى أن تصدق فيه آية الله، أو يدخل في وصفها بنحو من الأنحاء، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٤٩، ٥٠].

* نعم أيها الزوج بداية أطمئنك على حقك، فما أعطاه الله لا ينزعه أحد، فقد قال رسول الله ﷺ في أحاديث عدّة صحيحة ذلك صراحة وهاك بعضها: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي ﷺ فقال رسول ﷺ: «ما هذا؟»، قال: يا رسول الله قدمت الشام فوجدتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك. قال: «فلا تفعل، فإني لو أمرت شيئًا أن يسجد لشيء، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها» رواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه واللفظ له، ولفظ ابن ماجة، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تفعلوا فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه»، وروى الحاكم المرفوع عنه من حديث معاذ ولفظه قال: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليه ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب» أي وهي فوق ظهر الجمل أثناء السفر، وجاء في قصة الجمل الذي سجد بين يدي رسول الله ﷺ حين أقبل عليه، فأخذ بناصيته وأدخله العمل بعد أن كان قد استصعب على أصحابه، فقال أصحابه: يا

رسول الله هذا بهيمة لا يعقل يسـجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، قال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيْح الصّديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه» رواه أحمد بإسناد جيد والبزار بنحوه، والنسائى مختصراً وابن حبان فى صحيحه ولم يذكر قوله: «لو كان إلى آخره». وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من خثعم أتت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: أخبرنى ما حق الزوج على الزوجة فإنى امرأة أيّم فإن استطعت وإلا جلست أيّما. قال: «فإن حق الزوج على زوجته إن سألها نفسها وهى على ظهر قتب أن لا تمنعه نفسها. وفى حق الزوج على الزوجة أن لا تصوم تطوعًا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت، ولا يقبل الله منها، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع قالت لا جرم لا أتزوج أبدًا» رواه الطبرانى ولم يعلق عليه المنذرى فى الترغيب.

* أخى الزوج الحريص: هيّا معًا نتوصل إلى المقصود من هذه الأحاديث وأمثالها، ليزال بعض اللبْس عند هؤلاء البعض، أولاً الأحاديث تذكر (حق) والحق للزوج على زوجته ما يقتضيه العقد الصحيح النافذ الذى تترتب عليه آثاره، وأول هذه الحقوق هو حل العشرة الزوجية واستمتاع كل من الزوجين بالآخر، ولا يحصل إلا بمشاركتهما معًا، لأنه لا يمكن أن ينفرد به أحدهما. وقد جعل الله المرأة مرغوبة ومشتهاه، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [آل عمران: ١٣]، ولم يقل سبحانه ما يقابلها، لذلك يطلب الزوج زوجته لهذا الأمر تصريحًا أو تلميحًا، فيجب على الزوجة طاعته فى ذلك تحت كل الظروف وحتى لو كانت فى سفر وهى راكبة فوق القتب، أو كانت أمام التنّور - أى الفرن - كما جاء فى بعض الأحاديث، هذا هو الحق الطبيعى للزوج وهذا هو الواجب المقابل له من الزوجة، ولذلك أيضًا يحرم عليها أن تمنعه هذا الحق بحجة الصيام تطوّعًا لله، أو أن لا تحتبس فى بيتها لهذا الغرض فتصوم أو تخرج بغير إذن الزوج فتفوّت عليه الحق، وقد قال النبى ﷺ: «لىُّ الواجد ظلم» أى من كان عليه ديْن وحق للآخر ويملكه فلا يتعلل بالتأخير فى أداء الحق لأن ذلك ظلم وتماطل فى أداء الحق.

* أخى وصديقى الزوج المحترم: هب أن لك الطاعة على زوجتك فى كل حال، وأن لك عليها التقدير والتبجيل لدرجة لو كان البشر يسجد أحدهم للآخر لكان على الزوجة السجود لك، إن القاعدة الفطرية أن المحب مطيع، وأن الإنسان عبد الإحسان، كما أن الله العزيز سبحانه وتعالى خلقنا وأنعم علينا كل النعم وهو غنى عنّا وعن طاعتنا له، استوجب الطاعة والسجود له ومن عصاه ولم يطعه قبل عذره وتوبته، ومد له من العمر ومن النعم ولم يمنعه فضله، ومهما كفر به وعصاه رحمه وقبل توبته، تحبب إلينا بسائر النعم وأعدّ لنا داراً بجواره فيها نعيم الأبد، ودعانا إليها، وهو قاهر عزيز قادر لو شاء لقهرنا على طاعته، ولكنه سبحانه تحبب إلينا وأرشدنا وعذرنا، فهل يا أخى الحبيب الذى يطلب من زوجته الطاعة لدرجة السجود، هل تحببت إليها؟ هل عذرتها وقبلت عذرها، هل من خلقك معها الإنعام والتكريم، أخى الكريم: المحبة قرب وتقديم القربات: «ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه» اجعلها أولا تحبك، أحبنى وأحبك الله.

* عزيزى الزوج: الرسول القدوة ﷺ كانت زوجته أحب الخلق إليه، فكيف لا تطيعه زوجته فى ظل هذا الحب الغامر؟ إن أردت من زوجتك الطاعة لأمر الرسول ﷺ، فأطع الرسول وتأسّ أنت به، لم تأخذ مالك ولا تؤدى ما عليك، كن عادلاً فالعدل أساس نظام الحياة كلها والله يأمر به، وهل مر بك فيما علمت أو قرأت أو سمعت أن إنسانًا يحب من يتبغض إليه، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ مفتاح طاعة الزوجة لك أنت تملكه وهو بيدك، فافتح قلبها لك ينفتح، ولكل شىء مفتاح وستجد كنوز العواطف وأطايب ثمار ما زرعت أنت. أنصح لك بصدق لا تضيع الوقت وابدأ ولو بكلمة.

* فى أحد الدروس بأحد مساجد الإسكندرية أخبرتنى إحدى الحاضرات مُستفتية قالت: زوجى أعيش معه منذ كذا وكذا ولى منه أولاد ويحبنى وأحبه، وأثنت كثيراً عليه جزاها الله خيراً، قالت: ولكنه منذ مدّة بدأ يقول لها بسبب ولو بسيط ومعتاد (.. هيه.. أغضب عليكِ وتبات الملائكة تلعنك، أو يقول: أنت عارفة زعلى يعمل فيكى إيه، وغيرها من التهديدات) وسألتنى: صحيح لو منفذتلوش كل طلبه تلعنى الملائكة؟، وأحيانًا بيبقى غصب عنى!! وطمأنت هذه السيدة الفاضلة ونصحت لها بعض النصائح ولا أدرى ما الله فعل بهما.

إن بعض الأزواج قـد يظن أن الشـرع قد أعطاه مـفاتـيح الجنة والنار، له أن يدخل زوجتـه ما شاء منهمـا، نعم قال النبي ﷺ لإحدى الزوجات عن زوجـها: «هو جنتك ونارك» ينصحها أن تحسن في أداء حقوق الزوج عبادة لينفعها ذلك في دخولها الجنة وألا تقصر في ذلك فـيضرها عند المطالبة بحـقوق العباد يوم المعـاد فتقصر حـسناتها ويخف ميزانها فتدخل النار.

وهذا مع كل الناس، ويجب التنبيـه عليه مع الزوج خـاصة لما سـبق من الأسبـاب قـريبًا، وقلت في نفـسي إن ذلك من عـجز هذا الزوج أن يتـوصل إلى حقـوقه بهـذا الأسلوب التهديدي الذي أخشى معه أن يوصل الزوجة لبغض هدى النبي ﷺ.

وتذكرت المقابل اللطيـف المعنى جدًا الذي أسرّ لي به أحد الأصدقـاء الظرفاء، حيث أخبرني أن زوجته تتغافل وتتناوم بذكاء الأنثى كثيرًا فلا تمكنه من قضاء وطره معها، وأن ذلك أكثـر ما يغيظه منهـا، ثم إذا تذكر أن غـضبه سـيجلب لأم ولده ومن تبيت مـعه اللعنة، فيسارع ويسامحها خوفًا عليها. فقلت؟ سبحان الله!! لله في خلقه شئون.

****

رحمة القسوة!!

* تعيش المرأة فى رحاية حنان والديها وأسرتها حتى الزواج، وبعاطفة صادقة تدرك أنها تنتمى عضويًا واجتماعيًا وعاطفيًا لبيت أهلها ولكن يصحب ذلك منذ سن التمييز، شعور بالشوق مع القلق المنير للأمل، بأنها ستنتقل إلى بيت آخر وحياة أخرى، اسمها الحياة الزوجية.

* أيها الزوج الشفوق: أنت لها الحياة الأخرى، فكن لها الجنة المأمولة، واصحبها فى رغد جنتك حتى تصل معها إلى موعود الله الودود فى جنة الخلود.

* أخى الزوج: لقد تركت أنت أيضًا صحبة والدين وأهلك، وسيتركك أولادك ويستقلون بحياتهم ولا يبقى معك صاحب ملازم لا يفارقك سوى الزوجة، فإن سبقك بها الموت - بعد عمر مديد سعيد - انتظرتك فى الآخرة لصحبة الأبد، وإن سبقت أنت لم يبك عليك مثلها. جاء فى سيرة خير الناس فى أصحاب النبى ﷺ أن أهل المدينة خرجوا يستقبلون ويتسمّعون أخبار غزوة أحد، فقالوا لإحدى النساء: احتسبى . . . وكل ذلك تسترجع رضى الله عنها حتى قالوا لها فى الرابعة احتسبى زوجك، فَوَلْوَلت، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن زوج المرأة منها لبمكان».

* أيها الفاضل: إنها تستظل بظل حمايتك ورعايتك، وتعتمد فى معظم شئونها عليك، وتشعر دائمًا بحاجتها لمساندتك وتستكين لك استكانة الفرخ بين جناح الرحمة من أمه، ومع ذلك فهى التى تحوّل أوقاتك مسرات، وتبدّل همومك وتسليك، وأنت لو كنت ساذج السلوك معها ستجد نفسك عند استراحة النفس معها نائمًا فى حجرها وواضعًا رأسك على فخذها كما كنت تفعل مع أمك الحنون، وبرغم استكانتها لك واستضعافها معك، وانفرادها بحمايتك لها من الآخرين وحبها لمظاهر القوة والرجولة فيك تريد أن تأمن قوّتك عليها، وألا يلحقها منك قسوة القوة إن لم ترحمها، إنها تحمل فطرة الطفلة ولا تزال ترغب فى صحبة من يحميها، وتحب فيك ببراءة، العيون الحلوة والقوة التى تهدّ الجبال.

* انظر رعاك الله كيف فهم العلماء عن الله فى قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، قال الإمام القرطبى: أى منزلة ومدْرجة الطريق: قارعته، والأصل فيه الطّىّ،

يقال: دَرَجوا، أي طَوَوْا عـمرهم، ومنها الدرجة التي يُرتقى عليـها. ويقال: رجل بيّن الرّجلة أى القـوة، وهو أرجل الرجلَين أى أقـواهما، وفـرس رجيل، أى قـوى، ومنه الرّجْل لقـوتها عـلى المشى، فزيادة درجـة الرجل بقـوته وعقلـه وقدرته على الإنفـاق والجهاد.

قال القـرطبى أيضًا: قـال ابن عباس: الدرجـة إشارة إلى حضّ الرجـال على حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلُق، أى أن الأفضل ينبغى أن يتحامل على نفسه، قال ابن عطية المفسر: وهذا قول حسن بارع. انتـهى كلام القرطبى رحمه الله، وقد قال الشاعر:

أهين لهم نـفـسى لـكى يكرمـوها ... ولن تـكرم النفـس التى لا تُهـانُ

وقال آخر:

لا ينـقص الكامـل من كـمـاله ... مـا جـرّ مـن نفع إلى عـيـاله

وقال سيـدنا عمر رضى الله عنه: ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مـثل الصبىّ، فإذا التمسوا ما عنده وُجِدَ رجلاً.

****

زَيّ القَرْع يمدّ برّه

* أُخبرت أو قرأت أن لكل متحرك مع آخر من المعادن يلزم لهما مليّن وملطّف يكون بينهما حتى لا يتآكلا أو ينكسرا من أثر الحرارة التى تتولّد من الاحتكاك بينهما، وهو ما يطلق عليه أهل الصنعة (التشحيم والتزّييت) فخطر ببالى أن هذا الأمر لعلّه سنّة من قوانين الوجود كله حتى مع البشر ولكن بصور مناسبة.

ولعل ذلك يلاحظ فى تعديد أساليب النصائح الشرعية عن التراحم والبر والصلة وحسن الخلق، لتخفيف قيظ حرارة التعامل بين الناس، وتذكرت بحكم تداعى الأفكار أن أحوج ما يكون لمراعاة هذه السنة الاجتماعية عندما يكون التعامل والاحتكاك كثيرًا ودائمًا، مثل المتزاملين فى العمل أو السفر أو الدراسة والبيت وأهمها وأكثرها حاجة، هو التعامل والاحتكاك فى المعاشرة الزوجية.

* أخى الزوج المعاشر الملازم للزوجة الحبيبة: لعلك أدركت ما أرمى إليه، زوجتك صاحب ملازم ويلزم صحبتها إلى أن يقضى الله أمره، وهذا يحتاج بالضرورة منك أن تتعاهد العلاقة بينمكا بالملطّفات التسهيلية حتى لا تتآكل العلاقة أو تنقطع بحكم الاحتكاك الدائم، وسوف أطلعك إن شاء الله فى فصول مقبلة على ثروات من هذه الملطّفات ولكن المقصود الآن أن تعرف أهميتها والحاجة إليها.

* أيها الفاضل: أنت بغير نصيحة من أحد تتعامل بلين ورفق ومجاملة ومسامحة ومفاكهة مع كل الناس... خارج بيتك حتى ولو كنت مضطرًا لهذا السلوك، من أجل أن تسيّر أمورك معهم، وبالطبع هذا يحتاج منك إلى طاقة نفسية كبيرة وإلى صبر يكاد ينفد منك فى غالب الأحوال، وهذا ما يجعلك يا مسكين تحتاج بمجرد وصولك إلى البيت إلى راحة نفسية، وإلى تعبئة روحية وعاطفية حتى تسترجع ما فقد منك خارج البيت!!

* أخى الزوج: اصدقنى الحديث، ما ذنب الزوجة التى يطول انتظارها لك فى شوق وأنت خارج البيت، إنها هيأت لك النفس قبل البيت وأعدّت لك فى صبر وتعب كل ما

يريحك وما ترغب فيه، وإن كان لك أولاد فهى فى رعايتــهم وخدمتهم وتتحمل كل ما يصدر منهم حتى يبلغ منهــا التعب البدنى والنفسي ما تحتاج مــنك إلى. . . بسمة وكلمة ولمسة حنان، فيــهدأ منها الوجدان، ولماذا أيها الزوج العــادل لا تعطى لزوجتك مما كنت تحرص على بذله لمن تتــعامل معهم خــارج البيت؟ مَن أحق بذلك؟ ومَن أكثر مــعاشرة وأحوج لذلك؟ أمر عــجيب لبعض الأزواج أن يصبــروا ويسامحوا حتــى لمن أساء إليهم خارج البيت، ولا يتحملون شيئًــا لمن أحسنت إليهم من زوجاتهم ويجاملون ويتلاطفون مع زملائهم، وجلسائهــم خارج البيت ويتجهّــمون ويعبثون ويكشــرون ويبخلون، حتى بالكلمة الحلوة للحبيبة الحنونة المتفانية في خدمتهم فى بيوتهم.

وما أصدق المثل العامى على وصفهم: (زى القرع يمدّ برّه).

****

الفصل الرابع

بذْل المجهود في تأنيس المحبوب

* نفحات الترقيق للمُجالس والرفيق:

* احرص أن يكون وجودكم في المنزل مرغوبًا فيه وبلا ثقل، وألا يفتقدونك لطول غيابك عنهم فتدركهم الوحشة والملل.

* شارك في البيت بقليل العمل، إكرامًا وعرفانًا لعظيم خدمة الزوجة لك، تستزيد منها العمل، بلا تبرم ولا كلل، ويصح منها الجسم والنفس بلا شكوى ولا علل.

* النفوس والقلوب ما بين قبض وبسط وإدبار وإقبال، والأحوال مواهب الرب، ودوام الحال من المحال، وللزوجة مثل ما لك من قلب ونفس ووجدان، فارع حالها مع حالك يتفق لك منها كل حال.

* احذر فإنهن لا يحببن: العبوس والتكشير، والعتب والتوبيخ، والبخل بالمال والكلام، والارتياب والتجسس، والإهمال لهن والتنقيص.

أبو زَرع فما أبو زرع؟

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة من اليمن فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا، فروت الحديث وفيه: قالت الحادية عشرة:

زوجي أبو زرع، فما أبو زرع؟ أنَاسَ من حُلِي أُذنيّ، وملأ من شحم عضديّ، وبَجَحَني فَبَجَحَتْ إليّ نفسي، وجدني في أهل غُنَيْمة بِشِقّ فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومُنَقٍ، فعنده أقول فلا أُقَبّح، وأرقد فأتصبّح، وأشرب فأتقمّح.

أم أبي زرع فما أم أبي زرع؟ عكومها رَدَاح، وبيتها فساح. ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع؟ مضجعهُ كمسَلّ شَطْبة، ويشبعه ذراع الجفْرة.

بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع؟ طوْع أبيها وطوْع أمها، وملء كسائها وغيظ جارتها.

جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع؟ لا تبثُّ حديثًا تبثيثًا، ولا تُنقّث ميرتنا تنقيثًا، ولا تملأ بيتنا تقشيشا. الحديث، وفي آخره قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «كنت لكِ كأبي زرع لأم زرع» رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما.

ومعنى بعض كلمات الحديث: قولها أبو زرع فما أبو زرع: أي شأنه العظيم، ومعنى أناس من حليّ أذني أي حرّك وأثقل أذنيها من أقراط الذهب واللؤلؤ، بجحني فبجحتْ إليّ نفسي أي قدرني وعظمني فعظمت نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشقّ أي أهل رعاة غنم مجهودين، صهيل وأطيط ودائس ومنقّ أي أهل خيل وإبل وطعام منتقى ومنخول، أقول فلا أقبح أي أُدلّل فلا يُرد لها قول ولا يقبح عليها شيء تأتيه، وأرقد فأتصبح: أي تنام في الصبح فلا توقظ، وأشرب فأتقمح: أي أشرب اللبن وجميع الأشربة حتى أرتوي على مَهل، عكومها رداح حقيبة متاعها كبيرة دليل الغنى، وبيتها فساح: أي واسع، مضجعُه كمسلّ شطبة: أي ينام فلا يأخذ مكانًا سوى قدر غمد السيف. والجفرة أنثى المعز لأربعة أشهر فهو خفيف الوطأة ظريف لطيف. لا تبث حديثًا: أي تحفظ السر، ولا تنقّث: أي تحافظ على الزاد، تقشيشًا: أي مهتمة بالبيت وتنظيفه وترتيبه.

* أخي الزوج الكريم: ما أحسن ملاطفة النبي ﷺ لزوجته عائشة رضي الله عنها وهو يقرّر أمامها إكرامه لها وحسن معاشرته معها بتواضع: «كنت لكِ كأبي زرع لأم زرع»، وما أجمل أن تكون أنت لزوجتك كأبي زرع لأم زرع، بل كما كان النبي ﷺ لزوجته.

وصدق رسول الله ﷺ إذا يقول: «ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم».

فإهانة الزوجة علامة الخسّة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس» رواه البزار، فكن لها ساداً للخلل، وساتراً للزلل، وقابلاً للعلل، تخدمك وتصونك، وإذا نزلت بك مؤنة تعينك، وإذا مددت يدك بخير قدرته لك.

****

جرّب وابتسم من فضلك

* الخروج والدخول إلى البيت أمر متكرر ومألوف، ولكنه مع الزوجة والأهل غياب وافتقاد، وحضور وائتناس.

ومع افتقاد الزوج وغيابه عن البيت، تستحضر الزوجة كل ما يسرّها من خيال، ووجهك الطَّلْق الباسم أيها الحبيب هو أوّل ما يرتسم في فؤادها ويمر بخاطرها، وأنت يا مسكين هموم ومشاكل العمل خارج البيت تملأ نفسك، وكلال الجسم وتعبه يرهق الوجه ويفقده حيويته، أنت محتاج إلى الراحة والهدوء أوّلا حتى تستعيد نشاطك وحيويتك، لذلك تدخل بيتك بهذا التعب والإرهاق والهم الذى صعد من النفس فَعلًا الوجه.

بالله عليك أيها الزوج الرفيق، ما الشأن مع الزوجة المكدودة مثلك فى عمل البيت واحتمال الأولاد، وقد هيّأت لك النفس قبل البيت والطعام؟ قد تقول وأنت على حق: وماذا أفعل معها وأنا على الحال التى ذكرت؟!.

أقول يا أخى هوّن عليك فالأمر يسير، ابتسم من فضلك، وفقط، تكلف ذلك حتى تعتاده عند كل دخول، فوقع ابتسامتك على نفسها أوّل ما ترى مُحيّاك يزيل همومها ويعيد حيويتها ويبهج نفسها، ويستخرج منها إشراقات الودّ والترحاب، وستجد نفسك لتوك أيضًا غير مهموم ولا مجهود لما ينالك من عواطفها المتدفقة والمحبوسة طوال غيابك خارج البيت، إنه فعل يشبه فعل التيار الكهربائى الذى إذا اتصل أضاء، ولا تستبعد هذا الأثر للابتسامة، خاصة عند الدخول على الأهل، وجرب!! أضاء الله بصيرتك.

* من أغرب ما سمعته فى هذا الشأن، ما سمعته من زميلة فاضلة فى العمل، كانت قد تزوجت ثلاث مرات، طلقت وهى صغيرة من الأول، ومات عنها الثانى، وزوجها الثالث رجل صالح تحبه وتثنى عليه، قالت: عندما يدق جرس الباب فى موعد عودة زوجى، وبدون تفكير ولا سابق ذكر، أجد صورة زوجى الثانى الذى توفاه الله عند عودته وهو يبتسم تسبق إلى فؤادى وأسرع فى لهفة ثم أتذكر فى الحال أنه لم يعد زوجى بعد أن مات. وبالطبع كانت تسألنى هل ذلك خطأ منها؟ وماذا تفعل؟ ومن جهتى نصحتها بأهم أمرين:

أوّلاً: ألا تخبر بذلك زوجها تحت أى ظرف.

والثاني: أن تتلطف مع زوجها حتى تعوّده أن يبتسم كلما دخل عليها، فأقسمت لي أنها تحب زوجها جدًا وأنها لا تقصد ما يحدث لها، فعذرتها وقلت في نفسي: مات من مات ولم تمت ابتسامته، وعاشر من عاشر ولم ترتسم له صورة في قلب زوجته.

وتذكرت الحبيب الوَفيّ محمد ﷺ إذ تقول عائشة رضي الله عنها: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد!!» فكم كان صدق قلب النبي ﷺ في وفائه وحبه لزوجته خديجة التي توفّاها الله حتى يرتاع كما جاء في لفظ آخر ويرتاح لمجرد سماع صوت أختها تستأذن في الدخول عليه، إنها الرَّوْعة الرائعة، والشوق المريح، والدرس المفيد، والصدق في المشاعر.

****

ادخلوها بسلام

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلّم يكون بركة عليك وعلى أهلك» رواه الترمذى.

البركة، مـا أجمل البركة، وما أحوجنا إليـها فى بيوتنا، ومفتاحـها أن تدخل بسلام وحيّى أهلك عند الدخول.

وما أعظم شرع يشرعه رب رحيم ودود حتى يجعل فى قرآنه طريقة الدخول للبيوت عبادة تقرأ وتحفظ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]، فما بين خير لكم، وبركة عليك وعلى أهلك يجول ذكر العبد وفكره، ويعلم حـاجته لهذا السلوك المبارك، إنه ليس فقط بيتك وأهلك، بل بيوت الغير يملأها السلام بالخير.

فيا أيهـا الزوج المسلم هل يليق بزوج أن يدخل على أهله متـجهمًا صـامتًا؟ «أفشوا السلام بينكم» اجعلوا السلام منتـشرًا تنشرح الصدور، وترتاح النفوس، وتعمـر البيوت بالخير والبركة.

لقـد عشت مـع أناس طيبين فى أريـاف بلادنا، كانوا يدخـلون ويخرجـون دون أن يسلموا على أهلهم، وفى الوقت الذى يسلم الصغيـر قبل الكبير والمرأة قبل الرجل على مَن يلقـونه خـارج بيوتهم، وكـأن تسليم الرجل على زوجتـه من قبـيل العـيب الذى يتحرجـون منه. فلا أحسبك يا عزيزى بحكم الاعـتياد لا تسلم على أهلك. وإن كنت ممن يتحـرجون من فـعل ذلك، فابدأ بسـلام وابتسام تدخل قلب جـنّتك، أى زوجتك بسلام واحترام. وقد جاء فى الخبر «إذا التقى المسلمان فتصافحا فتبسم أحدهما إلى صاحبه تحاتت ذنوبهما كمـا يتحات ورق الشجر» وفى لفظ آخر «قُسّمت بينهما مـائة رحمة، تسعة وتسعون لأنسهما بصاحبه وأحسنهما بشرا» وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عـاش رُزِقَ وكُفِىَ وإن مات دخل الجنة: رجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله» فذكر الحديث ورواه ابن حِبان فى صحيحه.

* عن جابر رضى الله عنه أنه سـمع النبى ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيتـه فذكر الله

عند دخوله، وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان أدركتم المبيت والعشاء» رواه مسلم، وأبو داود، والترمذى والنسائى، وابن ماجة.

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مَن سرّه أن لا يجد الشيطان عنده طعامًا ولا مقيلا، ولا مبيتا فليسلم إذا دخل وليسمِّ على طعامه» رواه الطبرانى.

* أخى الزوج المؤمن: إنك آمنت بالغيب وصدّقت رسولك ﷺ، فاعلم بيقين أن معك عدواً مبينًا لا يفارقك، وله أعوان يرصدونك عند دخولك بيتك وهم أشد حرصًا على إفساد بيتك وإذهاب المودّة منه، من حرصك على إصلاح أمرك مع الزوجة، وإصلاح معاشك.

وقد قرأت حديثًا نبويًا لا يحضرنى تخريجه ولا أذكر مظانه فأستخرجه، ما معناه: إذا دخل الرجل بيته فلم يذكر الله أخذ الشيطان بيصره فأراه ما يكره من بيته وأهله.

* أخى الزوج: اسمح لى أن أقص عليك هذه القصة لعل الله ينفعنى وينفعك بها: كنت ألقى بعض الدروس فى أحد المساجد فذكرت خلال الدرس الحديث الأخير، وفى الدرس الثانى، وبعد انتهائه وأثناء خروجى أعطانى أحد الحاضرين ورقة وقال لى: اقرأها ومش عايز ردّ، وفى البيت قرأت الآتى: أنه تأخر خارج المنزل فى أحد الليالى وعند حضوره أدرك بمجرد دخوله البيت أن زوجته نائمة، وكان قد تفاهم معها أن تظل فى انتظاره، وزاد فى غيظه منها أنه شاهد البيت غير مرتب وهو ما يغيظه جدًا، ونظر إلى المائدة فلم يجد العشاء مُعداً، فذهب ونام وتركها نائمة وهو متغيظ منها جدًا، وظل متيقظًا يفكر فيما يفعله مع هذه الزوجة التى، والتى، والتى، وتوصّل أخيراً وحزم أمره أنه لابد مِن مفارقتها، وعند ذلك سمع زوجته بجانبه تتكلم وهى نائمة، واستمرّ ذلك لحظات وفجأة وجد نفسه يوقظها فلا تستيقظ كعادتها، كما تنبه أن درجة حرارتها عالية جدًا، زوجته محمومة وليس معها إلا الله، وهو متأخر مع أصحابه خارج المنزل. ثم يقول لى هذا الزوج الظريف فى رسالته: (قل لهم إن الزوجات غلابة) فجزاه الله خيراً.

* الناس ينقسمون إلى قسمين من حيث الشبه ببعض المخلوقات:

القسم الأول: مَن لديه ميول ذُبابيّة وطبائع سُفلية، كالذباب لا يقع إلا على القاذورات ولا ينشغل إلا بالخساسات، ولذلك ينتقل عن طريقهم المرض المؤدى إلى قتل

الحياة، ومنهم مَن لا يلتقط إلا المتروكات والزبالات مثل مَن يطلق عليهم: - الزبالون - فلو كان أحدهم فى داخل حديقة أزهار، لا تقع عينه ولا يلتقط إلا الزبالات وما يلفظه الناس من أمتعتهم.

القسم الثانى: لديهم ميول نحلية وطبائع علويّة، مثل النحلة لا تبحث إلا عن الزهر والورد، ولا تقع إلا على أجمل ما فى الحدائق، وصدق رسول الله ﷺ وهو يصف المؤمن بقوله: «مثل المؤمن كمثل النحلة، تقع فلا تكسر، وتأكل فلا تفسد، ولا تضع إلا طيبًا»، إنها أخلاق المؤمنين وشرائع رب العالمين، فكن أيها الزوج الرشيد مؤمنًا كالنحلة فى كل أخذك وتركك، فلا تبحث عن العيوب والأخطاء التى من الزوجة، أو لا ترى العيوب وتغفل المزايا:

أيُّهذا الشاكى وما بك داءٌ	كيف تغدو إذا غدوتَ عليلا؟
وترى الشوْك فى الورود وتعمى	أن ترى فوْقها النَّدى إكليلا
أيهذا الشاكى وما بك داءٌ	كن جميلاً تر الوجود جميلا

****

إن الله جميل يحب الجمال

* قال الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أى ولهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، قال ابن عباس رضى الله عنهما: (إنى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى، وما أحب أن أستنطف - أى آخذ كل حقى - الذى لى عليها فتستوجب حقها الذى لها علىّ، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أى زينة من غير مأثم.

* قال القرطبى: أما زينة الرجال فعلى تفاوت أحوالهم، فإنهم يعملون ذلك على وفق اللياقة والوفاق، فربما كانت زينة تليق فى وقت ولا تليق فى وقت، وإنما يعمل اللائق والوفاق ليكون عند امرأته فى زينة تسرها ويعفها عن غيره من الرجال. قال: ثم عليه أن يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجال فيعفها عن التطلع إلى غيره. انتهى.

* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان». فقال رجل: يا رسول الله: الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر من بطر الحق وغمط الناس» رواه مسلم.

* أخى الزوج المهذب: أنت إنسان بفطرتك تحب الجمال، فتذكر أن زوجتك لها نفس تحب الجمال مثلك، بل النساء عمومًا لا يشغلهن سوى الجمال، وتحب أن تراك فى عينها وعيون الناس جميلا، بل تحرص على هيئتك فى الملبس والمظهر أمام الناس، ألم تر اهتمامها بك عند الخروج وحرصها على نظافة ومظهر الملابس؟ فإذا كانت تحب أن يراك غيرها مع شدة غيرتها عليك جميلا مهندما، فكيف بحبها أن تراك لنفسها؟ ولذلك قال سيدنا عمر: تزينوا لنسائكم فإنهن يحببن منكم مثل ما تحبون منهن، فلا يبلغ بك التخفف وعدم التكلف فى بيتك ألا تتجمل لمن تعاشرها كما تحب منها ذلك. ولك فى رسول الله ﷺ أسوة فقد كان جميلا فى خلقته ومع ذلك كان يكتحل ويدهن شعره ويرجله بالمشط ويفرقه.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يكتحل فى كل عين ثلاثًا» رواه الترمذى وابن ماجة، وجاء أنه ﷺ كان يفعل ذلك كل ليلة، وعنه أيضًا «كان يفرق

شعر رأسه» وعن أنس رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ يدهن الشعر ويرجله»رواه الترمذى وفيه عنه «كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته» وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يستاك بالليل مرارا»رواه مسلم وهو تطهير الفم والأسنان بعود أو فرشاة.

وعن عائشة رضى الله عنها: «كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه»رواه الطبرانى.

وعن جابر رضى الله عنه قال: «دخل على النبى ﷺ رجل ثائر الرأس، أشعث اللحية، فقال: أما كان لهذا دهن يسكن به شعره»رواه أبو داود والترمذى وابن حبان.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «من كان له شعر فليكرمه»وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم»رواه ابن عدى.

ألا يكفيك ذلك أيها الزوج العزيز، وهذا سيدنا النبى ﷺ يعلمنا كيف نحيا مع الزوجات والناس، وهو من هو فى عبادته وزهده وسنه الكبير، فاحرص هداك الله للخير حتى ترى أثر ذلك على زوجتك:

تُريك عيونا ناطقات صوامتا فما شئت من خجل وما شئت من سحر

****

شاى فى البلكونة.. وصدَقَ سلمان

* جاء على لسان سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وصف النبى ومنه: كان إذا أوى إلى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزأ نفسه بينه وبين الناس.

وقال أيضًا: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فاحش ولا عياب، ولا مزاح، يتغافل عما يشتهى، ولا يخيب فئة، قد ترك نفسه من ثلاث: كان لا يذم أحدا، ولا يعيره، ولا يطلب عورته. انتهى.

فصلى الله عليه وسلم، فقد جعل الله أولا، ثم أهله قبل نفسه، بل جعل وقت نفسه بينه وبين الناس. وهذا سيدنا سلمان الفارسى حكيم النصرانية والإسلام ينصح أخاه فى الله سيدنا أبا الدرداء رضى الله عنهما يقول له: (إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعط كل ذى حق حقه، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال النبى: «صدق سلمان» رواه البخارى.

* أخى الزوج العاقل: من فضلك، انتبه لما أقول دون أن تغضب منى، فيعلم الله أنى أحبك فى الله ومن أجل ذلك أنصح لك فى الله:

المنزل يا أخى ليس - لوكاندة - للنوم وتقديم الوجبات وغسل وكى الملابس، والحساب تدفعه آخر الشهر!! إنه منزلك مع زوجتك، فيه من يحبك ويحتاجك وله حق عليك، المنزل... سكن لنفسك وسكن لزوجتك، وليس مقصوده محلا للإيواء، بل سكن وسكينة لكل شىء فيك وفى زوجتك، المنزل عالم جميل وفيه أغلى وأحب الذكريات، المنزل عش الأفراح التى تتولد منكما معا وتدرج فيه فى ظل الحنان والحب والبهجة والرعاية منكما معا.

أنا أعرف يا أخى أنك حريص على توفير كل شىء لهم ولا تتعب خارج المنزل وتعود متعبا إلا من أجلهم، ولكن أحلف غير حانث، جلسة مع الزوجة، وإن كان أولاد، ومع الأولاد، يشعرون فيها بوجودك معهم، ويرون حبك بعيونهم، أهم من كثير مما توفره لهم.

جمعتنــي الظروف مرّة مع مهندس طيب بسيط في منطقة مـا، ودار حديث حول ما يجب على الزوج نحو زوجته بخلاف النفقة عليها، وأثناء الحديث قاطعني وهو يضحك إذ تذكر شيئًا مهمًا وقال: علشان كده مراتي دائمًا تقول لي: نفس أقعد معاك، أقول لها ما هو أنا قاعد آهو؟! تقول لي: لأ، عاوزه أقعـد معاك في البلكونة نشرب سويًا شاي، تصدق يا أخي الزوج أنني بمجـرد سماعي لهذا الكلام منه نزلـت من عيني دمعة شـفقة على هذه المسكينة، يبدو أنه أدرك وتأثـر لدرجة أنه قال لي: خلاص يا أستاذ دي آخر مرّة وحاشرب معاها شاي في البلكونة من غير ما تطلب، فجزاه الله خيرًا فأسأل الله له التوفيق.

* عن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلـة! قال: سبـحان الله، ما تقـول؟! قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنّا رأي عـين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافَسْنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا. قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مـثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حـتى دخلنا على رسول الله ﷺ فـقلت: نافق حنظلة يا رسـول الله!! فقـال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعـات، نسينا كثيرًا. فـقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده أن لو أنكم تدومون على مـا تكونون عندي وفي الذكـر لصافحـتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات رواه مسلم، ومعنى عافسنا أي عالجنا ولاعبنا.

فـانظر رعاك الله إلى هدى الإسـلام، فهـذا نبي الإسـلام ﷺ يقرّ الصـديق أبا بكر وكاتب وحيه وشهيد الإسلام حنظلة، على ملاعبة ومداعبة الزوجة والأولاد، وأن ذلك له وقته والذكر والعلم والعبادة لها وقتهـا. وهذا كان فعل النبي ﷺ كما ستعلم إن شاء الله، فملاعبة ومداعبة الزوجة فـعل الأنبياء والشهداء والصديقين. بل كان حرص النبي ﷺ على متابعـة أصحابه لذلك الأمر وتعليمـهم الملاعبة والمضاحكة عظيمًـا، فقد روى البخاري ومـسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهمـا: «قال لي رسول الله ﷺ: هل نكحت؟ قلت: نعم. قال: أبكرًا أم ثيبًا؟ قلت: ثيب. قال: فهلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟ قلت: يا رسـول الله قُـتل أبي يوم أحـد، وترك تسع بنات، فكرهت أن أجـمع إليـهن خرقاء مثلهن، ولكن امرأة تمشطهن وتقيم عليهن. قال: أصبت» وفي رواية «تضاحكك

وتضاحكها وتلاعبها وتلاعبك» بل إنه ﷺ شدّد فى ذلك، قال أبو أمامة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «شر الناس الضيّق على أهله، قالوا: يا رسول الله وكيف يكون ضيقًا على أهله؟ قال: الرجل إذا دخل بيته خشعت امرأته وهرب ولده وفرّ، فإذا خرج ضحكت امرأته واستأنس أهل بيته» رواه الطبراني، فلا تنس يا صاحبى أنهن يكرهن التكشير.

*أخى الزوج: لا تعجب لحرصى على هذا الأمر وإيراد كل هذه الاستشهادات، فإن بيوتنا لا تشيع فيها السعادة بالقدر اللازم الذى يوفّره وييسره ديننا الحنيف الذى جعل لهو الإنسان المسلم مع الأهل من الدين الحق الذى يعينه على أمر الدنيا والآخرة.

فقد روى الإمام أحمد فى مسنده وأصحاب السنن، عن عائشة رضى الله عنها قالت: (سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقته فسبقنى، فقال: «هذه بتلك السبقة») رواه أحمد وأبو داود.

وروى أحمد أيضًا أن النبى ﷺ قال: «كل شيء يلهو به ابن آدم فهو باطل، إلا ثلاثًا: رميه عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق» وجاء فى الحديث الطويل عن صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله ألا يكون ظاعنًا إلا فى ثلاث: تزوّد لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو لذة فى غير محرم» رواه ابن حبان فى صحيحه، نعم يا أخى فإن ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة للزوجة والنظر والمداعبة، إراحة للقلب وتقوية له على العبادة، وتنشيط للذهن والبدن لاستعادة القوى للعمل الجديد، فإن النفس ملول، فإذا رُوّحت باللذات بعض الأوقات نشطت وقويت، والاستئناس بالزوجة يوفر كل ذلك، فكما يحتاج الجسم إلى النوم للراحة، وإلى الطعام للقوة، فإن النفس تحتاج إلى الاسترواح واللذّة المشروعة من لدن حكيم عليم.

****

عملك القليل فى المنزل كملح الطعام

* قال الإمام القرطبى: قال ابن خُوَيِّز منداد: اختلف أصحاب مالك، هل على الزوجة خدمة أو لا؟

فقال البعض: ليس على الزوجة خدمة، وذلك أن العقد يتناول الاستمتاع لا الخدمة، ألا ترى أنه ليس بعقد إجارة ولا تملك رقبة وإنما هو عقد على الاستمتاع، والعقد به الاستمتاع دون غيره، فلا تطالب بأكثر منه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

وقال البعض الآخر: عليها خدمة مثلها، فإن كانت شريفة المحل ليسارة أبوة أو ترفه فعليها التدبير للمنزل وأمر الخادم، وإن كانت متوسطة الحال فعليها أن تفرش الفراش ونحو ذلك، وإن كانت دون ذلك فعليها أن تَقُمَّ البيت وتطبخ وتغسل. قالوا: وقد جرى عُرف المسلمين فى بلدانهم فى قديم الأمر وحديثه بما ذكرنا، ألا ترى أن أزواج النبى ﷺ وأصحابه كانوا يتكلفون الطحين والخبيز والطبيخ وفرش الفراش وتقريب الطعام وأشباه ذلك، ولا نعلم امرأة امتنعت من ذلك، ولا يسوغ لها الامتناع، وكانوا يطالبوهن بذلك، فلولا أنها مستحقة لما طالبوهن.

*أخى الزوج: قد تقرأ مثل هذا وغيره من كلام سادتنا الفقهاء، وهم يبحثون بحثوهم الفقهية المجردة، خاصة عند رفع خلاف أمام القاضى، ونحن فى حياتنا المتعارف عليها، والعرف من الشرع مالم يحرم حلالاً أو يحلل حرامًا، لا يليق بنا وضع الضوابط الفقهية حسب فهمنا، وخاصة على المعروف من حياتنا. أقول ذلك لأمرين:

الأول: أنه والحمد لله لا مشاكل ولا خلاف حول وجوب العشرة بالمعروف.

الثانى: أن فهم البعض يقصر أحيانًا فى فهم مراد الفقهاء.

وخذ على ذلك مثلاً واقعيًا عجيبًا: كنت سببًا فى زواج قريبة لى لشخص متدّين ذى خلق، وسافر بها إلى بلد عربى وعاش معها هناك فى وئام وحسن صحبة، وفى زيارة لهما لمصر حضرا إلى منزلى، وسألتنى زوجته أمامه عن حقوق الزوجة، فسألتها أنا

وقلت: ما السبب وقد مرّ على زواجكما سنوات؟ قالت: زوجى فلان كان يجالسنى ويكون بينى وبينه من الحديث وسائر الأمور ما يكون بين الزوجين، ومنذ شهرين فقط وبدون أسباب لم يعد يتعامل معى كعادته الأولى ويقول لى: ليس لك عندى سوى الكسوة والنفقة من الطعام. فنظرت إليه وهو يسمع حديثها وكأنى أستنطقه، فقال: بينى وبينها حديث النبى ﷺ: «يطعمها مما يطعم ويكسوها مما يلبس» فهذا كل حقها عندى، ونظر إليها وقال: اسألها هل أنا قصرت معها فى شىء من ذلك؟ فقلت له: وعلى فرض أن ذلك للزوجة وليس للخادم، ما الذى حدث بينكما حتى سلكت معها هذا السلوك؟ قال: لا شىء ولكن هذا شرع الله وموجب عقد الزواج.

فأثارنى وكدت أرد عليه بما لا يليق بأدب الضيافة وتصبّرت، وقلت له: وهل من حقك بموجب عقد الزواج أن تخدمك زوجتك وتخدم أولادك وضيوفك وتربى لك الأولاد و .... و ...، فسكت وقال لى بلهجة أهل البلد العربى الذى يعيش فيه: امال إيش الحديث يا أستاذ؟ وجرى كلام طويل ليس فى سرده كثير فائدة، ولكن أهم ما ذُكر قولى له: لقد حَرَمتَ نفسك وأهلك السعادة وظننت أن ذلك شرع الله وعبادة بسبب إسقاط كلام الفقهاء على حالتك بلا فقه، والأمر الآخر الذى ذكر هو أننى علمت منه أنه لم يحدث أى شىء من زوجته يجعله يغير معاملته معها، وأن الذى غيرّه هو سماعه لأحد العلماء فى المسجد وهو يشرح الحديث.

* **أيها الزوج الكريم**: بعد هذا الجو الفقهى المجرد هيّا معًا نستروح فى ظل المعاشرة النبوية باختصار شديد الآن: فعن الصدّيقة بنت الصديق زوج أفضل الخلق ﷺ تحكى سلوكه فى بيته تقول: «كان يكون فى مهنة أهله» رواه البخارى، «كان يخصف نعله ويخيط ثوبه، ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته» رواه أحمد فى مسنده ورجال الصحيح. وعنها: «أرسل إلينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلاً، فأمسكت وقطّع رسول الله ﷺ) رواه أحمد.

إذًا الزوجة تعمل فى البيت والزوج يتعاون، وبلا ترفع، وبكل سهولة ويسر الإسلام تسير الحياة فى أجمل وئام. وانظر إلى عموم قولها رضى الله عنها: (يعمل فى بيته كما

يعمل أحدكم فى بيته)، إقرار من المسلمات فى حياة الصحابة ومعهم نبيهم، وانظر إلى البساطة والكمالات فى قولها: فأمسكت وقطع رسول الله ﷺ، وهو مَن هو: نبى الله، ورئيس دولة كل المسلمين، وقائد الجيوش الإسلامية وما أكثرها فى ذلك الوقت وقاضى وحاكم المسلمين فى كل خلاف بينهم، ومع ذلك يجد الوقت الثمين فى خدمة ومهنة أهل بيته، فما أعظمه من معلم، وما أرفع مقامه فى العالمين ﷺ.

وما أدْوَنَ وأنْقصَ مَن يترفع عن فعل كان رسول الله ﷺ يفعله.

وأدعوك أيها الزوج المسلم أن تبدأ إن لم تكن كذلك، وتشارك برضا نفس زوجتك بقليل من العمل، وأعتقد أنها لن تدعك تفعل، لأنها ستقدرك وتحترمك وتسارع هى فى فعل الشيء، ولكن وهى سعيدة بك جداً، وقد زال عنها كل تعب، وعلمت أنك تقدر خدمتها فى البيت، مجرد تقدير منك، بعمل قليل تدوم لك السعادة وتسلس لك القيادة.

****

وعَيْن السخط تبدى المساويا

* عادات الناس تختلف من بلد إلى بلد، ومن منطقة إلى أخرى، ومن مستوى معيشى إلى آخر، ومن زمان إلى زمان، بل ومن شخص إلى آخر، وكثير من البيوت تُعْرف بعادات معينة، ويكون ذلك فى الملبس والمأكل والطريقة التى يؤدى بها ذلك، وأنواعها وألوانها، وغير ذلك من الأمور إلى مالا نهاية، كالفكر والنوم والجلوس والسير إلخ. وأنت أيها الزوج قد تختلف فى قليل أو كثير مع زوجتك فى عادة أو أكثر، ومن العادات المخالفة للإنسان ما تسبب له امتعاضًا أو حرجًا أو ضجرًا، ومن العادات ما يمكن التفاهم حوله والحديث فيه، ومنها ما يتحرج المرء من الحديث فيه، ومن العادات ما يسهل تغييرها وما يصعب تركه.

* أخى الزوج الحصيف:زوجتك صاحبتك العمر كله، وصاحب ملازم، وقريب مشارك، ولا مناص من المعاشرة، وقد تكون لها عادات لا تعجبك، وقد لا يعجبها بعض عاداتك، فأنصح لك:

أولاً:العادات التى لا تروق لك فى زوجتك لا تسكت عليها وتسكت فى نفسك، فإن ذلك من الأمور التى تؤدى وتتسبب فى البغض والمشاكل، ولو عُولجت بحكمة، أو صُرّح بها لكان الأمر مختلفًا.

ثانيًا:تلطف فى تعريف زوجتك بهذا الأمر، كأن تحكى لها حكاية تفهم منها ذلك، أو أن تضحك بحب وأنت تحدثها عن عادتها التى قد لا تعلم أنها تؤذيك وتطلب منها أن تهدى إليك مالا يعجبها من عاداتك، وأن تشرح لها أن التصريح بذلك خير من إخفائه لما يترتب على ترك العادة من زيادة الألفة والاستحسان لها.

وأقول لك بداية إن أثر ذلك فى البداية قد لا يرضى زوجتك، ولكن الأثر الجميل من إزالة كل ما يعكر صفو المودة، وفى طول الحياة الزوجية ينسى هذا الأثر المؤقت.

وأراك بحرصك على إسعاد الآخرين، وخاصة زوجتك، ستحرص على معرفة ما تكرهه زوجتك من عاداتك، لو انتبهت لمشاعرها نحو سلوكك.

وأحكى لك واقعة تتعجب منها العقول: طلّق أحد معارفى زوجته، وكان وقع هذا الطلاق فى دائرة معارفه مستغربًا جدًا، لا لأنه طلاق اعتاد الناس أن لا يتقبلونه، ولكن

للعلم أنه كان قد تزوجها بعد قصة حب وحرصه على الزواج منها أغضب بعض ذويه، وكانت الزوجة جميلة وهو بها معجب، ولم يسمع أحد عن خلاف بينهما، كل ذلك دعانى فى أحد لقاءاتى معه أن أستفسر عن سبب طلاقه، وإذا به أعجب وأخفى سببًا سمعت به: «عَرَقُها لا يطاق».

وتفاهمت معه رغم وقع المفاجأة على مسامعى، لماذا لم تخبرها بذلك من بداية العلم به؟ ولماذا لم تعمل أنت بحصافتك على التخلص منه بشراء مزيل للعرق وإهدائه إليها؟ قال: لم أجرؤ على إخبارها، ولكنى اشتريت مزيلاً للعرق ولم تستعمله إلا مرتين تقريبًا وغلبتها عادتها فى إهمال ذلك ولم تنتبه إلى اشمئزازى من عرقها.

وقال: لقد كان الأمر فى البداية محتملاً لى، ولكنى أصبحت متوترًا جدًا كلما اقتربت منها خاصة أنها غزيرة العرق. ولم أعد بعد ذلك أحتملها، حتى فى ملاطفتها لى.

وقال: لقد أصبحت أرى كل امرأة جميلة وأقول فى نفسى (زمان عرقها وحش) وقلت أنا فى نفسى: وعين السُّخط تبدى المساويا.

****

متى تصدّقك زوجتك؟

* أيها الزوج العزيز: هيَّا ندخل بأسماعنا إلى بيوت النبى ﷺ لنتعلم طريقته فى شأن ما يؤكل فى بيته.

فقد أورد الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين، قال: كان ﷺ يأكل ما حضر ولا يردّ ما وجد، إن وجد تمرًا دون خبز أكله، وإن وجد خبزَ بُر أو شعير أكله، وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله، وإن وجد لبنًا دون خبز اكتفى به، وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله. قال الإمام العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء: هذا كله معروف من أخلاقه ﷺ ، ثم أورد الأحاديث ومنها: عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ سأل أهله الأدُمَ فقالوا: ما عندنا إلا خل، فدعا به وقال: «نعم الأدمُ الخل» رواه مسلم، وعند الترمذى قصة شبيهة يوم فتح مكة، إذ دخل على أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها جائعًا، قالت: دخل علىّ النبى ﷺ فقال: «أعندك شيء؟» قلت: لا ، إلا كسرات خبز يابس وخل، فقال: «هات نعم الأدم الخل» كما ورد عنه ﷺ أنه ما عاب طعامًا قُدم إليه قط، إن اشتهاه أكله، وإن عافته نفسه تركه. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه» رواه البخارى ومسلم.

* أخى الزوج الفاضل: لقد عشت دهرًا فى بيت أهلك وأحببت ما كان يقدم لك، وها أنت فى بيتك، وزوجتك كانت فى بيت آخر له نظامه وطريقته فى طهى الطعام، قد يعجبك، وقد لا يروق لك، فإيّاك أيها العاقل أن تقول ولو مازحًا عندما تضع زوجتك الطعام (الله يرحمك يا أمّى) فإن هذه الكلمة وأمثالها تنزل على صدر زوجتك كما لو ضُربت بسكين، وقد يكون ذلك وأمثاله مما يجعلها تضيق بأمك الغالية، بل وقد تتسبب فى كراهيتها حتى ولو كانت قد توفاها الله إلى رحمته.

واسمع منى همسة فى أذنك: إذا لم يعجبك أمرًا من صنع زوجتك فأدم مدحها:

أولاً: لأنك ستصدق نفسك مع التكرار.

وثانيًا: هى مضطرة لتصديقك لحاجتها وفرحها للثناء من جهة، ولأنها فعلاً ستحاول تحسينه وتقديمه كل مرة بأحسن كيفية من جهة أخرى ليستديم الثناء.

وبالمناسبة أيها الزوج العاقل، الدنيا كلها، والناس جميعًا فى حاجة إلى هذا الأسلوب . وليس ذلك من باب المزاح.

* وبمناسبة الطعام ينبغى لرب البيت ألا يستأثر بشىء من الطعام دون أهله، فإن ذلك مما يوغر الصدور، ويسقط مَن يفعل ذلك من العيون.

* قال الإمام سفيان الثورى رحمه الله: بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة. انتهى

وأنا أذكر حديث رسول الله ﷺ عن وحشى بن حرب رضى الله عنه، أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع؟ قال: «فلعلكم تفترقون؟» قالوا: نعم. قال: «اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه» رواه أبو داود. فاحرص يا أخى على نزول البركة إلى بيتك، وأدخل الفرح على أهلك، واجتمع مع زوجتك على الطعام ومع أولادك، فكم هى فى حاجة لهذا الأمر جدًا، وكم هى حاجة أولادك لذلك، فلا تحرمهم، لا حرمك الله من سعادة الدارين.

* أخى الزوج: هل جربت نفسك مرة، فأخذت تحمل مع زوجتك وأولادك آنية الطعام فى مرح وخفة، مع مسامرة لطيفة مع الزوجة، وثناء على طعامها ورغبتك فيه، وانتظارك له طوال اليوم، وأنك تشم رائحته دون روائح أطعمة الجيران وتميزه وتشتهى هذه الرائحة؟

لو فعلت!! أخاف فقط أن ينسكب الطعام من يد الزوجة التى يطير عقلها فرحًا عند ذلك. أؤكد لك بأن زوجتك لن تشتكى تعبًا، بل لن تحتاج إلى أدوية وعرض على الطبيب إن كانت تشكو مرضًا.

* وأيضًا بمناسبة الطعام، أذكر أننى كنت أعجب من حرص والدىَّ رحمة الله عليهما على مطالبتنا أثناء الطعام بأن نمضغ الطعام والفم - مقفول - حتى لا يُسمع للمضغ صوت مؤذ للآخرين، فما رأيك أنت أيها الزوج فى هذا الأمر؟

إن كنت تفعل فيحسن الأخذ بهذه النصيحة، وإن كنت تتأذى من فعل زوجتك لذلك، فطبعًا عليك بالتلطف فى إخبارها حتى لا تؤذيها فى شعورها بحرصك على منعها فيما يؤذى شعورك.

تريد أن تملكك.. لتُسعدك

* عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أُجر» قال: فأتيتها فسقيتها وحدثتها بما سمعت من رسول الله ﷺ، رواه أحمد والطبرانى فى المعجم الكبير والصغير.

فما أجمل هذا التّلقّى عن النبى ﷺ، وما أسرعهم رضى الله عنهم فى اغتنام النصائح وتنفيذها، وما أروع سهولة الحياة وانسياب نفوسهم مع زوجاتهم، وبلا حواجز يضعها البعض جهلاً باسم الكرامة والرجولة والوقار والاحتشام.

والذى يفوق ذلك روعة ما كان يفعله النبى ﷺ كما روت السِّيَرُ، أن النبى ﷺ كان يتحرى موضع شرب عائشة من الإناء ويشرب من هذا الموضع وأمام الناس، حتى يتعلموا ويتأدبوا بأدبه ﷺ.

فيا الله، ثم يا الله، فهل بعد ذلك جمال وسمّو فى المعاشرة !!

* عن عمرو بن أمية رضى الله عنه قال: مر عثمان بن عفان أو عبد الرحمن بن عوف بمرط أى كساء - واستغلاه. قال فمر به على عمرو بن أمية فاشتراه فكساه امرأته سخيلة بنت عبيدة، فمر به عثمان أو عبد الرحمن فقال: ما فعل المرط الذى ابتعت؟ قال عمرو: تصدّقت به على سخيلة بنت عبيدة فقال: إن كل ما صنعت إلى أهلك صدقة؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. فذكر ما قال عمرو لرسول الله ﷺ فقال: «صدق عمرو، كل ما صنعت إلى أهلك فهو صدقة عليهم» رواه أبو يعلى والطبرانى، ورجاله ثقات.

وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهى له صدقة» رواه البخارى ومسلم.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك» رواه مسلم.

فما أعظم هذا الدين، وما أرحم رب هذا الدين، بالمسلمين، إذ جعل عملهم من

أجل النفقة على عيالهم وذويهم فى سبيل الله مثل المجاهدين، كما جعل نفقتهم على من يحبون ويضطرون للنفقة عليهم بحكم الفطرة صدقة أعظم من النفقة فى سبيل الله.

ولكن يا أخانا العزيز ليس هناك عظمة فوق ما أخبر عنه نبينا ﷺ سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل فى فِىّ امرأتك» رواه البخارى ومسلم.

واسمع ما قاله سادتنا العلماء في شرح هذا الحديث، قالوا: ظاهرالحديث مقصود، وهو أن يضع الرجل الطعام فى فم امرأته، وقد ورد ذلك صريحًا فى رواية البخارى «حتى اللقمة ترفعها إلى فِىّ امرأتك» لأن فى ذلك تطييبًا لنفسها، ومداعبة للزوجة وإدخال السرور والمرح عليها.

* **أخى الزوج الحبيب:** هؤلاء سادة البشرية وعظماؤها وبينهم أشرف الخلق، وهذا منهجهم فى المعاشرة الزوجية: يسقيها بيده الماء، ويتحرى موضع شربها من الإناء ويشرب، ويضع فى فمها الطعام. فسبحان الله والحمد لله أن جعل ديننا سعادة وحب ومرح ومداعبة وملاطفة وسخاء مع الأهل، ثم أثابنا عليه الجنة والثواب.

* **أخى الزوج:** روى ابن ماجة عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا عقل كالتدبير» وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من فقه الرجل رفقه فى معيشته» رواه أحمد، وروى الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «الرفق فى المعيشة خير من بعض التجارة» وقال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧] فالكمال فى الاعتدال، فتدبر دائمًا أمر النفقة، ومع الزوجة بعقل ولا تضطرك المواقف أن تكلف نفسك باختيارك فوق طاقتها.

وتذكر قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، وقد يكون الإسراف بالنسبة لك أحيانًا هو إنفاق جنيه، وقد يكون لآخر نفس الموقف مائة جنيه ليست إسرافًا، وأنصحك لك بأمرين:

أولهما: لا تنظر، ولا تجعل زوجتك تنظر إلى غيرك فى قدر النفقة أو فيما يقتنى فى البيت، فكلٌ له ظروفه وعلى قدر طاقته، وحتى لا تورط البعض فى اقتناء أشياء بالدَيْن

فأقنع زوجتك وكن حاسمًا معها فى ذلك لتعرف نهاية قدرتك، وفى نفس الوقت لا تحرمها إن كنت قادراً.

الأمر الثانى: هو أن فتح هذا الباب ليس له غلق وتتأتى منه كثير من المشاكل الزوجية.

اجعل نفقتك مع قدرتك متلازمين، لأن الكثير من الناس يجعل نفقته أكبر من قدرته وهذا يكدر ويعكر صَفْو الحياة الزوجية وليس يريح أو ييسر المعايش. كما جاء فى الحديث: «ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر» رواه الترمذى وهو صحيح، أى كلما توسع العبد فى الطلب كلما احتاج وافتقر أكثر.

ولكن لا يصل إلى التقتير فقد قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» رواه أبو داود وغيره وروى مسلم معناه. وليكن لسان حالك مع الأهل:

لهم جُلُّ ما لى إن تتابع لى غنى ... وإن قلّ مالى لم أكن لهم رفدًا

* المرأة خُلقت بطبع حب التملك بقدر أكبر من الرجل، ومن مظاهر ذلك حبها فى تملك: وقت الزوج، وسره، وجيبه، ونقوده، وقلبه، وكل شعوره وعواطفه، ولذلك تود أن تعرف مَن التى كان يحبها زوجها قبلها؟ ومَن التى يمكن أن يتزوجها من بعدها إن ماتت هى قبله؟؟ إنها ترغب أن تملك الزوج نفسه حتى لكى تسعده وتخاف عليه!! لذلك يا أخى اختلف سادتنا العلماء حول مسألة: هل يُطلع الرجل زوجته على أمواله وما فى محفظته أم لا؟ وجمهور السلف كان يوصى أن يحتفظ الزوج بذلك دون إطلاع الزوجة، ولعل أعراف الناس فى إطلاع الزوجة العاقلة أوْفق لراحتها وليزيد الثقة عندها، خاصة فى هذه الأزمنة التى خرجت المرأة فيها للعمل وللتكسب مثل الرجل، وحتى يتم التفاهم بينهما فى كيفية التصرف فى دخل كل منهما.

****

.. فكان كعب لا ينساها لطلحة

* ماذا تحب يا أخي العزيز أن تفعله معك زوجتك إن عدت إلى بيتك مهمومًا محزونًا لشيء حدث لك وأنت خارج البيت؟ وماذا تهوى من سلوك الزوجة حيالك عندما تعود فَرِحًا منشرح الصدر لأمر أسرك وأفرحك؟ وما هي رغبتك إن عدت إلى البيت وأنت في غاية الإرهاق والتعب؟ وماذا تتوقع أن تراعيه معك زوجتك إن كنت مشغولاً بموضوع مهم جدًا يملأ عليك أقطار نفسك؟ وهكذا يا أخي الزوج ينتاب كل إنسان أحوال من الفرح والتعب والشغل وغير ذلك من الأحوال، وعادة الإنسان أن يعيش حاله هو، دون وضع اعتبار حالة الآخرين، أو قد يذهل عن ذلك لما هو فيه. وحتى لا نصدم أو نصدم مع مَن نعاشره، وخاصة الزوجة، فيجب مراعاة حال الآخرين، وليس حال النفس وفقط، لأن الآخر له نفس ويعتريها مثلك أحوال، وقد لا تكون أحوالك متوافقة مع حال الآخر.

* أخي الزوج: المرأة لها ظروف مزاجية تعتريها - خلاف الرجل - أحيانًا بسبب ما يحدث لها من تغيرات أثناء مدّة الحيض، وقد تطول، وبسبب الحمل والولادة والرضاعة، وفترات ما تُسمى بسن اليأس، وغير ذلك مما يتعلق بها كأنثى. ويُخطئ من لا يتعرف في زوجته تلك الأمور، ولا يراعي أحوالها عند ذلك، ويتعامل معها، بل ويطالبها بما كانت تفعله في حالتها العادية، ناهيك عما يلحقها من الأحوال السابق ذكرها كإنسان.

وانظر يا أخي هدانا الله وإياك إلى سلوك النبي ﷺ في بعض هذه الأحوال، وهي حال الحيض الذي يعترى الزوجة ويتكرر، وقد تظن أنها غير مرغوبة من زوجها، أو أنه يتحفظ منها ويتجنبها تقذرًا، تقول عائشة رضي الله عنها: (كانت إحدانا إذا كانت حائضًا فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتزر ثم يباشرها، قالت: وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه). رواه البخاري ومسلم، والمراد بالمباشرة هنا التقاء البشرتين على أي وجه كان، وذلك دون الوطء في الفرج، وهو ما عنته السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: (وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه).

فالموافقة في هذه الأحوال من حسن الصحبة والعشرة، إذ المخالفة موحشة، ولعل في

حديث رسـول الله ﷺ الذى رواه الحاكم وقال صحـيح على شرط البخارى ومسلم ما يحمل هذا المعنى حيث قال ﷺ: «خالقوا النـاس بأخلاقهم» فإن العشرة والألـفة تحتاج للمجاملة وتطييب القلب.

* عن كعب بن مـالك، شاعر رسـول الله ﷺ وهو أحد الثلاثة الـذين تخلّفوا عن الغـزو مع رسول الله ﷺ فـتاب الله عـز وجل عليـه وأنزل توبتـهم فى القرآن، قـال: (وانطلقت أتأمَّمُ رسول الله ﷺ يتلقانى الناس فوجًا فـوجًا يهنئونى بالتوبة ويقولون لى: لتهنك توبة الله عليك، حـتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جـالس حوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه يُهرول حتى صافحنى وهنأنى، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره. فكان كعب لا ينساها لطلحة) رواه البخارى ومسلم.

فانـظر يا أخى ما راعـاه رضى الله عنه من ظروف وحال كـعب من الفـرح وقيـامه وتعبيره عن فرحه معه وله، وانظر لهذه الحركة الجميلة الخفيفة التى لم تكلف طلحة غير القيام والمسارعـة فى استقباله فلم ينس كـعب هذا الموقف له!! إن المواقف الشريفة التى يُراعى فيها الخاطر لا تُنسى وتخلد لصدقها ولأنها خرجت من نفس زكية راقية. حدثنى أحد المعـاشرين للإمام البنا رحـمه الله أنه كان فى بيت أحـد إخوانه فقـدم له كوبًا من الشاى فشربـه، وبعد خروجه من البيت سارعت زوجـة المضيف إلى الكوب الذى شربه الإمام لتـشرب بقيتـه تبركًا به، وكانت المفـاجأة!! أنها وضعت فى الشـاى ملحًا وليس سكرًا، وحتى لا يشعـر أحد بالحرج شرب الإمام الشاى بالملح. وأنا أقـول: لقد أخفى الإمام هذا العمل الشريف العظيم فأظهره الله لينفعنا به.

****

حديث خرافة

* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «حدَّثَ رسول الله نساءه ذات ليلة حديثًا فقالت امرأة منهن: يارسول الله كأن الحديث حديث خرافة. قال: «أتدرون ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من أهل عذرة أسرته الجن فى الجاهلية فمكث فيهم دهراً طويلا ثم ردُّوه إلى الإنس، فكان يحدث الناس بما رأى فهيم من الأعاجيب، فقال الناس حديث خرافة» رواه أحمد وأبو يعلى والبزار. وروى الطبرانى فى الأوسط عن عائشة: «أن رسول الله ﷺ حدَّثها بحديث وهو معها فى لحاف، فقالت: بأبى وأمى يارسول الله، لولا حدثتنى بهذا الحديث لظننت أنه حديث خرافة. فقال الرسول ﷺ: وما حديث خرافة ياعائشة؟ قالت: الشيء إذا لم يكن قيل خرافة. فقال رسول الله ﷺ: «إن أصدق الحديث حديث خرافة كان رجل من بنى عذرة سبته الجن وكان معهم، فلما استرقوا السمع أخبروه فخبر به الناس فيجدونه كما قال» .

*أخى الزوج الحبيب: ما أجمل تلك الأوقات التى يقضيها النبى ﷺ مع أهله فى هذا الجو اللطيف، وتلك الموضوعات الشيقة التى تستهوى النساء، وما أعظم هذا الخلق الرائع منه ﷺ وهو يلاطف زوجته عائشة رضى الله عنها وهما فى لحاف واحد، يحاورها وتحاوره، ويوادها، وكم من أزواج أقل رتبة وفضلاً وشغلا من رسول الله ﷺ يحسبون أن مثل هذا الحديث، ومثل هذه المسامرة، تضييع للوقت وحط من كرامتهم.

*أخى وصديقى: لعلك وأنت تقضى معظم وقتك فى أعمالك وأشغالك خارج البيت، لاتلتفت إلى أن الزوجة معظم أيامها وأكثر وقتها داخل البيت، ويحكم الفطرة وتقسيم الواجبات يضطر كل منكما إلى ذلك. ولكن هل تفكرت أنك إن أصابك ملل وسآمة من وجودك خارج البيت يمكنك بسهولة أن ترجع إلى البيت؟ أوالعكس يمكنك الخروج وقتما تريد من البيت بسبب وبغير سبب؟ ألم تشعر رغم تنقلك من وإلى الأماكن المختلفة تحتاج أحيانًا إلى قتل هذا الملل وسآمة التكرار للشيء الواحد، وذلك بالرغبة فى قطع ذلك بنزهة ولو فى وقت قليل وفى مكان ولو قريب مما تستروح فيه النفس؟ زوجتك يا أخى ترغب فى مثلك!! بل هى أشد حاجة لذلك، لملازمتها البيت، وكثرة مشاغلها فيه، ولكثرة غيابك أنت عنها أيضًا!!

فليتق الله رجل مؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، بل واجب الزوج أن يحرص على تعاهد ذلك الأمر مع زوجته فما يضيرك يا أخي لو نفّست عن زوجتك وعنك أيضًا بنزهة خارج البيت، وبجلسة كنت تجلس مثلها مع نفس زوجتك أيام البدايات معها!!

لماذا لا تخرج معها سيرًا على الأقدام حتى فى منطقة سكنك دون أن يكلفك ذلك أموالاً؟؟ أليس من الجميل الرائع أداء زيارة لأهلها أو لأهلك معًا فى صحبة ومحادثة وأنت ممسك بيدها أثناء سيركما؟

إن المرأة تشعر بشعور رائع وجميل لو أمسكت يدها ولا تستغرب من هذه الأمور، واسأل إن شئت النساء إن كنت تفكر بأحاسيس الرجال. ولا تقل لقد كبرت، أو أن هذا خلق الشباب، واسمع قول المجرِّب:

إذا شاب قلب المرء شاب رجاؤه وشاب هواه وهو فى ضحوة العمر

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه خادم النبى ﷺ قال: «دعا رجل فارسى، النبى ﷺ على طعام، فقال النبى ﷺ: أنا وعائشة؟ فقال لا. فقال: فلا. ثم أجابه بعد، فذهب هو وعائشة يتساوقان، فقرَّب إليهما إهالة» رواه الإمام مسلم. فهل بعد هذا السلوك النبوى الشريف من حرصه ﷺ على اصطحاب زوجته إلى الطعام الذى دعاه إليه هذا الرجل من فارس، وهذا المرح المذهل من النبى ﷺ وهو يسارع المشى يسابق السيدة عائشة فى الطريق، وانظر إلى هذا الأسلوب فى المعاشرة فى وصف أنس رضى الله عنه: «فقرب إليهما إهالة» أى وضع أمامهما معًا الطعام من اللحم السمين، أى أكل النبى ﷺ عند المضيف وأمامه وقد يكون معه هو ﷺ وزوجته، ولم يحرمها من صحبته وجلسته حتى عند الأغراب!! فيا مسلمون: ما أحوجنا إلى هدى الإسلام ويسره، بل وعظمته.

وأذكر لك يا أخى واقعة بسيطة حدثت معى، لا أنساها لخطورتها: دخلت إلى بيتى يومًا وأنا مكدود مجهد وبوادر مرض النقرس الذى يعاودنى قد بدأت، وجلست مع زوجتى وأولادى لتناول الطعام، ولكنى لاحظت أن زوجتى لا تأكل ومتوقفة عن تناول الطعام، فدعوتها لتناوله فقالت لى: (عاوزه أروح باكوس وآجى) وباكوس هى سوق طعامنا ومشترواتنا من الخضار والفاكهة، فقلت لها: الآن؟! فلم ترد، ففهمت أنها تريد الخروج وفقط، واتفقنا على «فسحة» غدًا، وصارت باكوس تعنى تفاهمنا العائلى، الحد الحرج للرغبة فى الخروج.

* أخي: أختم معك هذا الفصل ببعض آداب المعاشر، منها، ألا تتدخل معها فى بعض ما يعنيها مثل شئونها فى التزين وشئون الخدمة فى البيت، واترك لها مجالاً تشعر فيه أن لها دورها وشخصيتها وخبرتها، ومنها ألا تكثر الاعتراض على آرائها ورغباتها وطلباتها وحاول ألا تكسر بخاطرها، وتلطف معها عند الضرورة إذا لزم الأمر فى الاعتراض. ومنها سقوط التكلف مع الاحتشام اللائق لدوام الصحبة،ومنها سلامة الصدر وإزالة ما به حتى لا يتراكم فيؤذى فجأة. ومنها ألا تلزمها بما تكره طالما هناك متسع فى الأمر. ومنها ألا تكثر مساءلتها من أين وإلى أين، إلا ما كان يخرج بها عن حد العرف والشرع.

ومنها ألا تكلفها ما يشق عليها. ومنها ألا تشعرها أنك مرتفع عليها أو أنها دونك سواء من الناحية الاجتماعية أو الثقافية أوالتعليمية.. وغير ذلك.

وأخيرًا قالوا: اجعل عملك ملحًا وأدبك دقيقًا. ويريدون من ذلك أن الإكثار فى الأدب مع العمل القليل خير من العمل الكثير الخالى من الأدب.

****

الفصل الخامس
المودَّة جوهرة رقيقة تحتاج لحراسة
وهى معرضة للآفات

*** محاذير وموازين تحفظ العشرة بين المتصافين**

* من طلب نفيسًا خاطر بنفيس، ومن رغب فى رغبة بذل لها مرغوبا. فمن أرفق بمُعاشره حتى ينال من المباح، عوض منه فوق ما يرغب، ومن شره استراح.

* المحبة الدائمة والألفة اللازمة للعشرة، يفسدها العتاب، ولا يفسد الوداد مثل العتاب، فإنه يُوغر الصدور، ويجد ما يكره من الأمور، وهو مبعث الخصام بين الأحباب.

* القلوب تتقلب كالقدر إذا استجمعت غليانا، والكريم من تغافل وتحمل عيوب الناس، وأقال عثراتهم وقبل أعذارهم ولم يبغضهم، لمعرفته أن ما كان منهم من كيد الشيطان الخناس.

* من وفور عقل الرجال علمه بوفور عواطف المرأة ورقتها، فعواطف المرأة مثل الزهرة الرقيقة الجميلة، يشمها وينظر إليها ولا تحتمل الفرك، وإلا فسدت عليه.

* عوج المرأة خلقة فيها، فقد ولدت ومعها عذرها الفطرى، ومن قصد أن يقيم العوج شوه الخلقة كمن قصد إقامة عوج الأنف واستدارة العين، فعند أهل النظر يُرى الجمال فى العوج، ومن كره خلقا أحب آخر.

محاذير وموازين تحفظ العشرة

* قال السادة العلماء: ليكن من نية الزوج فى الزواج: إقامة سنة، وصلاح القلب، وسلامة الدين، وغض البصر، وتحصين الفرج، ويقصد ذلك لزوجته أيضًا.

* وغضُّ البصر وتحصين الفرج هو المقصود الأول من الزواج، لأن فى الجماع ترويحًا للقلب، وتسريحًا للهم، وتنقيحًا للفؤاد. ولعل فى إرشاد النبى ﷺ لأحد شباب الصحابة فى زواجه الأول، وهو جابر بن عبدالله رضى الله عنهما: بأن يتزوج بكرًا إذ قال له: «**هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك**» رواه البخارى ومسلم، لعل فى ذلك تلميحا إلى هذا المقصود، ومِنه أيضًا قوله ﷺ: «**وإذا نظر إليها سرته**» الحديث، بل استحب العلماء ذلك كما قال الإمام النووى: يستحب نكاح الشابة لأنها المحصلة لمقاصد النكاح، فإنها ألذ استمتاعًا وأطيب نكهة وأرغب فى الاستمتاع، وأحسن عشرة، وأفكه محادثة، وأجمل منظرا، وألين ملمسًا، وأقرب إلى أن يُعَوِّدها زوجها الأخلاق التى يرتضيها.

* ما يدرك بالذوق يعظم إليه الشوق، ولعل إخبار ونصح النبى ﷺ للأزواج إذا زين الشيطان لهم الحرام أن يسارعوا إلى زوجاتهم ليردوا عليه كيده، ما يشفى النفس ويقنعها بالتزام هذه النصيحة.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إن المرأة تقبل فى صورة شيطان، وتدبر فى صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأت أهله، فإن ذلك يردّ ما فى نفسه**» رواه مسلم وأبو داود والترمذى، ويؤخذ من هذا الحديث أن الشيطان من تزيينه للرجل أن يريه فى غير زوجته ما هو فى زوجته، وما هو يملكه بالحلال، ولكن يخيل إليه من سحر الشيطان أنها أحسن وأجمل، فإذا أتى أهله لم تعد كذلك فى نفسه، إنها شهوة مزينة بصورة شيطانية، يقول الإمام ابن مفلح الحنبلى: إن العين ترى غير المقدور عليه على أحسن ما هو عليه. أى ترى الممنوع شرعًا أجمل وأطيب وأوفق وأفضل مما عندهم وتقدر عليه من الحلال الطيب، كما أن الحديث فيه أن إتيان الزوجة يطهر القلب، ويردّ كل إعجاب بغيرها إذا تعاهد أمر الجماع كلما خطرت بباله خواطر السوء.

* قال ابن حزم الظاهرى: فُرض على الرجل أن يجامع امرأته، وأدنى ذلك مرة فى كل طهر، إن قدر على ذلك، وإلا فهو عاص لله تعالى، وبرهان ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال الشافعى: لا يجب ذلك عليه، وقال أحمد: إن ذلك مقدر بأربعة أشهر، روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يطوف فى المدينة فسمع امرأة تُنشد:

ألا طال هذا الليل واسود جانبه ... وأرّقنى أن لا حبيب ألاعبه

فو الله لولا الله لا شىء غيره ... لزُعزع من هذا السرير جوانبه

مخافة ربى والحياءُ يكفُّنى ... وإكرام بعلى أن تُنال مراكبه

فلما كان الغد استدعى عمر تلك المرأة وقال لها: أين زوجك؟ فقالت: بعثتَ به إلى العراق!! فاستدعى عمر نساءً فسألهن: كم مقدار ما تصبر عن زوجها؟ فقلن: شهرين، ويقل صبرها فى ثلاثة أشهر، وينفد صبرها فى أربعة أشهر، فجعل عمر مدّة غياب الزوج أربعة أشهر، فإذا مضت أربعة أشهر استردَّ الغازين ووجه بقوم آخرين.

* قال العلماء: والمستحب له أن لا يُخلّيها من الجماع لقول النبى ﷺ: «ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأمسُّ النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى» وذلك الإخلاء لها قد يكون سببا لفسادها أو للعداوة والشقاق بينهما، دون أن يشعر هو أو يتفطن لحاجتها، وهى عادة لا تفصح عن رغبتها فى ذلك، ويكمن فى نفسها ما يعكر وينكد عيشتها دون معرفة الأسباب الظاهرة. عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ ما من يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا امرأة امرأة، فيدنو ويلمس من غير مسيس حتى يفضى إلى التى هو يومها فيبيت عندها» رواه أحمد والبيهقى والحاكم وصححه وأبو داود، وفى البخارى ومسلم «كان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن» فصلى الله عليه وسلم. كما كان حريصًا على جبر خواطر النساء وإزالة كل أثر من خواطر الشيطان من نفوسهن، وإشاعة العدالة والمحبة والملاطفة بالمتاع الحلال فى البيوت، حتى يتفرغ كلٌّ لواجباته، فقضاء الوقت فى المتع الحلال خير وأنفع من ضياع الوقت فى المشاكل والأعطال.

* جاءت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه تقول: إن زوجها

صوَّام قوّام يقوم الليل يجافى جنبه عن فراشه من القيام ويصوم النهار فأثنى عليها وأثنى على صدقها في الإخبار عن صلاحه وتقواه، فـأعادت عليه نعته مرة أخرى، فأثنى عليه عمر، فأعادت مرة ثالثة ثم مضت وهى تقول: أشكو بثى إلى الله. فقال أحد جلسائه: لقد شكت إليك زوجها فلم تشكها يا أمير المؤمنين. فقال عليٌّ بها، فأتوا بها واستعادها ما قالت وعزم على صـاحبه أن يستدعى زوجها وأن يحكم بينهـما ما دام هو الذى فهم شكواها، فقضى بأن يعتبر صاحب أربع زوجات فيكون لها ليلة كل أربع.

* إذا كانت له زوجـات فلا يجـمع بينهن في مسكن واحـد، إلا برضى كل واحدة منهن على حدة. لأن فـعل ذلك يسبب الغيـرة ويشعلها، وينغص العـيش ويفضى إلى الخصومات، وليس من شـرط العدل فى القسـمة بين الزوجات التـسوية فى الوطء، غير أن المستحب أن يساوى بينهن فى الوطء لأنه المقـصود. فإن وطئ بعضهن دون بعض لم يأثم بذلك لأن الوطء طريقُه الشهوة، وقد تميل الشـهوة إلى بعضهن دون بعض، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾[النساء: ١٢٩] قيل فى التفسير: فى الحب والجماع، وقد روى أصحاب السنن عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقسم بين نسائه ويقول: «اللهم هذا قسمى فيمـا أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك»أى أنه ﷺ كان يحـرص على العدل بين الزوجات فـيما كُلف به من النفـقة والمبيت، ولكنه يعتذر عن ميل قلبه ﷺ إلى إحداهن أكثر من غيرها.

* وقد يضطر الرجل فى بعض الأحوال إلى ترك وطء الزوجة لبعض سلوكها معه أو مع غيره، تأديبا لها وإشعاراً لهـا بعدم رضاه عن هذا السلوك، كما فعل رسول الله ﷺ مع بعض أزواجه، فعن صـفية بنت حيى زوج النبى ﷺ «أنه حج بنسـائه حتى إذا كان ببعض الطريق نزل فسـاق بهن فأسرع فقال النبى ﷺ: كـذلك سوقك بالقوارير، يعنى النساء، فبينمـا هم يسيرون برك بصفية بنت حيى جملهـا، وكانت من أحسنهن ظهراً - أى ركوبة - فبكت وجاء رسـول الله ﷺ حتى أُخبر بذلك، فجعل يمسح دمـوعها بيده وجعلت تزداد بكاءً وهو ينهاها، فلما أكثرت زبرها - أى زجرها - وانتهرها وأمر الناس فنزلوا ولم يكن يريد أن ينزل، قالت: فنزلوا وكان يومى، فلما نزلوا ضُرب خباء رسول الله ﷺ ودخل فيه، قالت فلم أدر على ما أهـجم من رسول الله ﷺ فخشيت أن يكون فى نفسـه شىء، فانطلقت إلى عائشـة فقلت لها: تعلمـين أنى لم أكن لأبيع يومى من

رسـول الله ﷺ بشيء أبـدًا، وإني وهبتُ يومي لك أن ترضـي رسـول الله ﷺ عنّي، فقالت: نعم. فأخذت عائشة خمارا لها قد ثردته بزعفران فرشته بالماء ليذكي ريحه، ثم انطلقت إلى رسـول الله ﷺ فرفـعت طرف الخبـاء فقـال: مـالك يا عائشـة إن هذا ليس بيومك!! قالت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فقال مع أهله. فلما كان عند الرواح قال لزينب بنت جحش أفقرى أختك صفية جـملا، وكانت من أكثرهن ظهرًا، فقالت: (أنا أفقر - أي أعطـي - يهوديتك؟) فغضب النبي ﷺ حـين سمع ذلك منها فهـجرها فلم يكلمها حتى قدم مكة وأيام منى في سفره حتى رجع إلى المدينة والمحرم وصفر فلم يأتها ولم يقـسم لها حـتى يئست منه، فلمـا كان شـهر ربيع الأول دخل عليـها فـرأت ظلَّهُ فقـالت: إن هذا لظل رجل ومـا يدخل عليّ النبي ﷺ!! فدخل النبي ﷺ فلـما دخل قالت : يا رسول الله مـا أدرى ما أصنع حين دخلت عليَّ!! قالت: وكـانت لها جارية وكانت تخبئها من رسول الله ﷺ فـقالت: فلانة لك، فمشى رسول الله ﷺ إلى سرير زينب وكان قد رُفع فوضعه بيده ثم أصاب أهله ورضى الله عنهم» رواه أحمد في مسنده ورجاله ثقـات. وأرجو ألا يفوتك يا أخي الزوج وأنت تقـرأ هذا الحديث، بعض روائع السلوك النبويّ مثل «فجعل يمسح دموعها بيـده» أو هذه المداعبة الرقيقة «مالك يا عائشة إن هذا ليس بيومك!!» وما أجمل هذا الرد من عـائشة رضى الله عنها ودلالها ورضاها البالغ «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

* عن جابر رضـي الله عنه قال: «بينمـا نحن مع رسول الله ﷺ في السـوق إذ امرأة أخذت بعنان دابته وهو على حمار فقـالت: يا رسول الله إن زوجي لا يقربني ففرّق بيني وبينه، ومرَّ زوجها فدعاه النبي ﷺ فقال: مالك ولها؟ جاءت تشكو منك حقًا، تشكو منك أنك لا تقربها. قال: يا رسول الله والذي أكرمك إن عهدي بها بهذه الليلة. وبكت المرأة فقالت: كذب، فرّق بيني وبينه، فإنه من أبغض خلق الله إليّ، فتبسم رسول الله ﷺ ثم أخذ برأسه ورأسها فجمع بينهما وقال: اللهم أُدن كل واحد منهما من صاحبه. قال جابر: فلبثنا ما شاء الله أن نلبث ثم مرَّ رسول الله بالسوق فإذا نحن بالمرأة تحمل أُدْما، فلما رأته طرحت الأدم وأقبلت إلى النبي ﷺ فـقالت: يا رسول الله والذي بعـثك بالحق ما خلق الله من بشر أحب إليّ منه إلا أنت» رواه أبو يعلى وهو حديث صحيح.

* قال الإمام النووى فى قوله تعالى: ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ أى موضع الزرع من المرأة وهو قبلها الذى يزرع فيه المنى لابتغاء الولد. قال: وفيه إباحة وطئها فى قبلها إن شاء من بين يديها وإن شاء من ورائها وإن شاء مكبوبة، وأما الدبر فليس هو بحرث ولا موضع زرع.

* عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضى إلى امرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرها» رواه مسلم،

وقال النووى فى شرحه: تحريم إفشاء الرجل ما يجرى بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ما يجرى من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه لأنه خلاف المروءة.

****

التغافل حسن الخلق

* عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل كريم يحب الكرماء ويحب معالى الأمور ويكره سفسافَها» رواه الطبرانى، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل: تسعة أعشار حسن الخلق فى التغافل. ومعنى التغافل تكلف الغفلة مع العلم والإدارك لما يتغافل عنه، تكرمًا وترفعًا عن سفساف الأمور، وقد كان من الوصف الذى مُدح به سيدنا على بن أبى طالب أنه كان فى بيته كالثعلب وخارجه كالليث. أى أنه كان كالمتناوم المُغْضى عينًا عن مُجريات الأحداث التى تقع حولَه، مع إدراكه وعلمه بها، إكرامًا لأهله، وألاّ يوقعهم فى حرج، وألا يرون منه التتبع الذى يرهق شعورهم ويشد أحاسيسهم. وقال أنس بن مالك رضى الله عنه: «كان رسول الله ﷺ لا يواجه أحداً بشىء يكرهه» رواه أبو داود والترمذى والنسائى.

إنه التغاضى الكريم حتى لا يحرج المشاعر أو يكسر الخاطر، وهذا بالطبع فى غير المعاصى ومغاضب الله. ومن الأمور التى تعارف عليها البعض رغم مخالفتها لهذا التوجيه النبوىّ قول البعض: «أنا أقول للأعور أنت أعور فى عينه» ويقصد بذلك البطولة والتمادح. أو يقول البعض: «أنا ما اتحملش أشوف حاجة عوجة واسكت»، وهذه الأقوال والأفعال نفسها هى التى يجب ألا يسكت عليها ويصدق فيها قول القائل: وأخَفُّ من بعض الدواء الدّاء.

****

جُمع الزمان فكان يوم رضاك

* أوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنهم أحد بنيه فقال: إياك وكثرة العَتْب فإنه يُوَرِّث البغضاء.

* فيا أخى الزوج الكريم: خذ من علماء أهل بيت النبوة هذه النصيحة والوصية الغالية لأن العتاب يضطر المُعاتب إلى التبرير والكذب غالبا للخروج مما يعاتب عليه، ويفتح باب اللجج والخصومة، ويجدد مشاعر تكون قد نُسيت، فيُعيد ذلك نفس الأسباب التى أفضت إلى ما يعاتب فيه. وما أكثر ما مرَّ بكل واحد منا من مواقف أدّى العتاب فيها إلى أمور أشنع مما بدأ العتاب فيه. ولعلّ ما يخطر فى البال هو: أننا نعاتب حتى يعرف المخطئ خطأه فيتجنبه فيكون العتاب فيه فائدة، ولكننا نُعاتب لعدم رضانا بما وقع فى الغالب، وإذا كنا نرغب فى هذه الفائدة، فالأفضل تحين الوقت، وطرح الموضوع فى شكل غير العتاب كحكاية قصة أو واقعة فيها نفس المعنى والغرض وفى جو وأسلوب من المرح والصفاء لتجنب ماتكرهه النفوس.

وأقول لك مع القائل:

خُذ من خليلك ما صفا ... وذر الذى فيه الكدر

فالعمر أقصر من معاتبة ... الخليل على الغِيَر

وأقول أيضًا وأذكر مع القائل:

وما الحب إلا طاعة وتجاوز ... وإن أكثروا أوصافه والمعانيا

بل أدعوك إن ظنت زوجتك أنك تحتمل من عتابها هى لك أن تخبرها بقولك:

ومَحوتُ كل لبانة من خاطرى ... ونسيتُ كل تعاتب وتشاكى

لا أمس من عمر الزمان ولا غد ... جُمِعَ الزمان فكان يوم رضاكِ

* أخى العزيز: إذا كان لابد من العتاب، فلا تعاتب أمام الغير، وخاصة الأولاد، فإن العتاب ما كان فى خلوة، والتوبيخ ما كان بين الناس. ولا تطلع أحدا على عيب زوجتك وما كان منها، فإن ذلك ليس من المروءة، وغالبا ما يندم عليه من يفعله.

العفو فى اليوم سبعين مرة

* أخى الزوج: هل سمعت أو علمت أن إنسانا لا يخطئ؟ فالكمال المطلق لله تعالى وحده والعصمة للأنبياء فقط. وأنت بالطبع كغيرك تقع فيما يقع فيه البشر، ولكل واحد من الناس عدو من الشياطين يُسول له الخطأ ويوقعه فيه، وهو لا يفارق قرينه ويهجم فى لحظات ضعف النفس. ولست فى حاجة أن أذكرك أن مَن تعاشرها إنسانة مثلك يجوز عليها الخطأ ويكفى لكل واحد يعاشر أحدًا أن يعلم أنه يُكن له الخير ولا يقصد فى الغالب الإيذاء، لذلك شرع لنا الدين الحنيف المسامحة وقبول الاعتذار إلى الحد الذى يعجب له العقل. خذ على سبيل المثال هذا الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم قال: اعف عنه كل يوم سبعين مرة» رواه أبو داود والترمذى، وقال حديث حسن صحيح. فهذا يخدم بأجرة ويستحق العفو فى اليوم الواحد سبعين مرة، فأطلب منك أيها الزوج أن تخبرنى كم مرة تستحق الزوجة منك العفو؟؟ وهل هناك زوجة تخطئ سبعين مرة يوميًا؟؟

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل» رواه مسلم.

وقال: «من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة» رواه أبو داود والحاكم.

وقال ﷺ: «الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» رواه الترمذى وابن ماجة عن ابن عمر.

* أخى الكريم: قد يتبادر إلى ذهن البعض أن هذه السياسة مع النساء لاتصلح وقد تفسدهم، وأنا لا أمنع من المراجعات والتفاهم وقبول العذر حتى يذهب ما فى النفس، ولكننى أقول: صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم، فإن العفو دين ومن شيم الكرام والنبلاء، وإن العفو لا يزيد صاحبه إلا عزًا فى الدنيا والآخرة، بل يزيد الزوج العفّو احترامًا وتقديرًا عند الزوجة.

وسأحكى لك هذه القصة الطريفة: جاء إلىّ أحد الزملاء فى العمل وطلب منى أن أكتب له (حجاب) وبالسؤال علمت أنه على خلاف دائم مع زوجته وقال: (أصل

معمول لنا عـمل) يقصد السحر، ومن خلال الحـديث معه، وهو رجل عامى، أدركت أنها خلافات تافهة ولكنه يقسو على زوجته ويحـاسبها على كل صغيرة وكبيرة على حد قوله، فقلت له: شـوف يا عم على!! أنا سأطلب منك أمراً بسيطـا، عليك تنفيذه أولاً وبعدين أعمل لك كل الذى تطلبه منى. فقال: (قوى يا سيدنا) فقلت: (تسامح زوجتك وتتفاهم معـها بكلام حلو من اللىّ النساء تحبّه وشوف هى رايحة تعمـل معاك إيه؟ فقال بعفوية سريعة (رايحة تركبنى يا أسـتاذ!!) فقلت لماذا يا عم على؟ قال: (النسوان كده، إن وطّيت يركبـوك)، وحتى لا أطيل فى القـصة، أخيـرًا اقتنع عم علىّ - علَى سـبيل التجربة - وبعـد أسبوع تقريبا دخل علىّ المكتب وهو يبتـسم ويدعو لى وقال: (تمام الله ينَّور عليك) وبعد شهر فـى مقابلة أخرى قال: (يا سلام يا أستـاذ!! انت علمتنى حاجة ما عرفتهاش وأنا متجـوز بقالى خمسة وثلاثين سنة) فأرجو لك يا أخى الزوج أن تكون أسعد حظا من عم على. فالعفو سبيل لـدوام المحبة وهو الذى يجعل العشرة قوية دائمة لأنه يذهب الضـغائن، فـعن ابن عمـر رضى الله عنهمـا قال: قـال رسول الله ﷺ : «تعافوا تسقط الضغائن بينكم» رواه البزار.

* قد يقع الإنسان فى خطأ نحـو آخر، إلا أنه سرعان ما يثـوب إلى رشده ويحرص على إزالة ما وقع منه ويلجأ إلى الاعتذار للشخص الذى أخطأ فى حقه، وهذا منه دليل على صدق المودة والحـرص عليها والرغبـة فى إرضاء هذا الآخر، وقـد يضطر لإرضائه بالكذب والتنصل مما وقع منه ولذلك كـان هدى النبى ﷺ فى ذلك: الحضُّ على قـبول الاعتذار فى جميع الأحوال، سواء كان صادقًا أو كاذبا، محقًا أو مبطلاً.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قـال قال رسول الله ﷺ: «عفّـوا عن نساء الناس تَعفّ نسـاؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخـوه متنصـلا فليـقبل منه ذلك مـحقًـا كانَ أو مبطلا، فإن لم يفعل لم يرد علىّ الحوض» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد. ورواه الطبرانى عن عائشة وفيه: «ومن اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد علىّ الحوض» ورواه أبو داود وابن ماجة عن جودان رضى الله عنه ولفظه: «من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه ما على صاحب مكس» وصاحب المكس الذى يأخذ الأموال بغير حق.

فهكذا أيهـا الزوج الكريم: كن عفواً مع الزوجة التى قـد يقع منها ما يجعلهـا تقبل عليك وتحرص على مـودتك وتعتذر إليك، ونصيـحتى لك أيها الكريم: افـتح لها بابا للاعتذار، ولا تلجئهـا لذلك إلجاءً بتعنتك معها ومخاصمتـها وغير ذلك من الأساليب،

واعلم أن المرأة بصفة عامة، إلا من رحم ربى، لديها مقدرة كبيرة على العناد والصبر عليه، كما لديها عزة أحيانا تأخذها إلى خراب البيوت.

فكن راعيا ومسئولا ورحيما وعفوا كريمًا، وسوف تجد إن شاء الله العون منه، بل ستجد هذه المخلوقة العنيدة المتشددة المتعززة، بمجرد قليل من اللين والمسامحة، قد عادت سهلة معتذرة منكسرة مُتَطامِنَةَ لك طائعة لكلِ أمرك، وصدق رسول الله ﷺ: «طوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر» وأعيد وأذكر يا أخى الزوج بأن لا تعاتبها عما تعتذر عنه، واقبل عذرها، بل أنصح لك: مهما كان الخطأ أن تنسى كل ما يتصل به وكأنه لم يكن، فقد تقبل العذر مؤقتًا ثم تذكره أو تؤاخذ به فى وقت آخر، وبهذا لا تكون قد قبلت العذر، بل أجلت المؤاخذة عليه لوقت لاحق، وقد يحتاج ذلك منك إلى صبر وحلم، ولكن عواقب ذلك أفضل كما قال الشاعر:

ولا تقطع أخًا لك عند ذنب ... فإن الذنب يغفره الكريم

ولكن داوِ عَوْرته برَقْع ... كما قد يرقع الخَلِقُ القديم

ولا تجزع لريب الدهر واصبر ... فإن الصبر فى العقبى سليم

****

دارها تَعِشْ بها

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضى منها آخر أو قال: غيره» رواه مسلم ومعنى لايفرك: أى لا يبغض.

قال الإمام النووى فى شرح الحديث: هذا نهى، أى ينبغى أن لا يبغضها، لأنه إن وجد فيها خلقًا يكرهه وجد فيها خلقا مرضيًا، بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك. فيا أيها الزوج العزيز: من من الناس تصفو مشاربه؟ ومَن من الناس اكتملت فيه شمائله؟ وأنا وأنت ومعظم الناس إن لم يكن كلهم، فينا ما يحبه الآخرون، وفينا ما يكرهون !! وقال النبى ﷺ: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» رواه الترمذى وابن ماجة والحاكم، فهى قضية كلية لم يُستثن منها أحد من بنى آدم. فلما يكره الزوج زوجته لما فيه هو مثله؟!، والنصيحة المطلوبة عندما نجد ما يدعونا، أو يوصلنا إلى بغض الزوجة، أن نتذكر لها الصفات والفعال الجميلة، والأوقات الحلوة السعيدة التى عشناها، حتى ندحر الشيطان الذى لا يذكرنا إلا بالسوء وما يوصل إلى القطيعة والبغضاء، وإلا يا أخى الزوج لأوقعنا الشيطان فى العمل الذى لا يُحبُّ من النساء وهو «كفران العشير» أى نسيان كل خير سبق من الزوج العشير.

* أيها الزوج العاقل: إن النبى ﷺ نصحنا كأزواج بما يحب لنا وبما يحب ربنا منا وبما يصلحنا وبما نغلب به عدونا الشيطان. ومن ذلك ما وصف لنا من طبائع خلقة المرأة ودخيلتها حتى نكون أولا على بينة من أمرها، وحتى لانظلمها ونطلب منها أو نتوقع ما هو فوق قدرتها وغير طبيعتها فقال ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» رواه البخارى ومسلم. أى تواصوا أيها الرجال فى حق النساء بالخير، وذلك لضعفهن واحتياجهن إلى الصبر عليهن والرفق والإحسان إليهن، لأنها خلقت من ضلع أعوج، فهو تعليل لما قبله، ولذلك أعاد نفس الوصية فى نهاية كلامه - فطلب ﷺ أن نُخالقها بأخلاقها المعروفة، لأن عذرها لا يفارقها لأنه أصل فى خلقتها، فإن رأيت منها عوجًا فى بعض الأوقات أو فى بعض الحالات، فتجاوز الموقف واعبُر هذا العوج حتى لا ينكسر فلا يُجبر، لأن كسره طلاقها، ولا مطمع فى استقامة العوج، فإما كسره وإما

لم يزل أعوج. فالطريقة المثلى نأخذها أيها الزوج العاقل من الحريص علينا وهو سيدنا النبى ﷺ، فعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها، فدارها تعش بها» رواه ابن حبان فى صحيحه. نعم دارها تعش بها، ولا سبيل لك غير هذا، المداراة، لفظ جميل وسلوك حميد ووصية غالية، وما أنفع قول العامة فى هذا الموطن (طَنّش) ومن نافلة القول أن نذكر أن ذلك لا يكون فى معصية شرعية.

* أيها الزوج الحريص على السعادة: لا يعنى ذلك كله أن الحياة مع النساء، وهذه طبيعتهن، ليست سهلة أو ممكنة بلا متاعب، فكما رأيت من أخبار السماء عنهن أن تلك طبيعة فيهن جميعًا، ومع ذلك فكم من السعادة وراحة البال وطيب العيش كان ويكون مع المرأة، لو أُحسن التفاهم والتعقّل معهن، فلا يمنع هذا الوصف لهن من التمتع بهن ومعهن كما صرح بذلك نفس الحديث فى رواية الإمام مسلم «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها» فهى بالفطرة فيها هذا العوج الذى لن يستقيم لك حسب الطريقة التى تراها أنت، فاستمتع بها مع هذا العوج، واقبل ذلك منها، فإن طمعت فى إقامتها على غير فطرتها كان الطلاق، فإن طمعت فى غيرها واستبدالها بأخرى، فسوف تجد أنها أيضًا بطبع المرأة، وهكذا فاقبل الأمر لأنها سنة الله تعالى التى لا تتحول ولا تتغير.

* ولعل هذا العوج يا أخى الزوج هو المعنى فى قول النبى ﷺ: «إنهن ناقصات عقل ودين» ، ولا يسرع إلى فؤادك أن نقصان العقل والدين يشبه ما نعلمه عن نقصان العقل عند الرجل وكذلك نقصان الدين، فقد جاء فى تفسير العقل والدين ونقصانهما الحديث، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة جَزْلَةٌ: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تُكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن. قالت: يا رسول وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالى ما تصلى، وتفطر فى رمضان، فهذا نقصان الدين» رواه البخارى ومسلم، وهذه رواية مسلم.

وذكر الإمام النووى فى شرح الحديث أن الطاعات تُسمى إيمانا ودينا، وأن ترك

الطاعات قد يكون على وجـه هو مكلف به كترك الحائض الصلاة والصوم، وهل تثاب على هذا الترك زمن الحيض، كـما يثاب المريض ويكتب له فى مرضه مـا كان يفعله فى صحته؟ ففيه بحوث للفقهاء.

وقال الإمام المازدى: قوله ﷺ أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، تنبيه منه ﷺ على ما وراءه، وهو ما نبه الله تعالى فى كتابه بقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ﴾ أى أنهن قليلات الضبط فى أداء الشهادة.

* لقد خلق الله تعالى المرأة وخلق الرجل وبحكمة بالغة ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾ ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فالرجل مـؤهل بخلقتـه للدور الذى خُلق له، وكذلك المرأة، فـالقوة والصبر على المعاناة لكسب العيش ومحاربة الرجـال، لا يقوى عليه إلا الرجال، والحنان ووفُور العاطفة والصبر على مهام الأولاد والأزواج ورعايتهم بالخدمة والتنشئة لا يؤديه إلا النساء والاستثناء فى كل ذلك وارد للحاجة والضرورة. لذلك كان وفور العاطفة والشفقة والرحمة ميزة المرأة وحلية طبعها وبه تُمدح ولا تُذم، وذلك عندها هو سبب قلة الضعف فى الشهادة الذى هو نقص عقلها، ولا دخل لهذا فى قوة ذكائها وإدراكها وعلمها وفهمها.

بل قد تكون بعض النساء أعقل من بعض الرجال، وقد تكون الأنثى أكرم عند الله لتقواها من الذكر، فاختلاف الطبائع لحكمة بالغة وهو الكمال فى الخَلق.

وبهذه المناسبة أذكر أن أحد الزملاء ذكر لى واقعة تستحق الذكر:

قال: جلست يومًا مع ابنى الرضيع وحتى تحضر زوجتى من مهمة اضطرتها للخروج وترك طفلها فى رعايتى، قـال: وكنت فى البداية سعيدا بمرح الطفل وملاعبته، ولكن سرعان ما تغير الوضع عندما بدأ الطفل يبكى ثم يصرخ ثم يشتد صراخه، فأخرج إلى البلكونة وأنظر مستعجلا حضور الزوجة، ثم أرجع للطفل وأضع يدى فإذا البلل من بوله وبرازه، وحاولت أن - أغير- له الملابس، وبعد جهد استطعت ذلك، إلا أنه لم يتقطع بكاؤه، وطالت الدقائق التى تأخرت فيها الزوجة، وفوجئت بعد قليل بإعادة الطفل -عملته- ويشعر بالبلل، وأشعر أنا بالإحباط الشديد حتى كدت أن أبكى، وحضرت الزوجة وتشهدت، وفى لحظات سكت الطفل وكأن معها السحر.

وقلت أنا فى نفسى: من أجل ذلك تبكى الموظفات عندما يصعب عليهن الموقف فى

الشركة التى أعمل فيها، كما كاد صاحبى هذا يبكى عندما وُضع فى مكان المرأة. إن المرأة بفطرتها فيها مميزات الإدارة والتنفيذ فى مملكتها وشئون بيتها، وقيمتها ودورها فى تكميل وتجميل الحياة، بإعطاء الأولاد زاد الجسم والنفس ما تستمر به الحياة، وبسدّها الخلل والنقص فى وجدان وعواطف الرجل الذى يعود لبيته ليستروح ويستعيد رباطة جأشه وهدوء نفسه من أمّه أو زوجه أو أخته التى حباهن الله هذه الوفرة من العواطف والحنان والرحمة التى قد تقلل من قدرتها على الضبط وإتقان الشهادة عند أدائها وهو ما أطلق عليه «نقصان عقلها» وأذكر حديثًا دار بينى وبين إحدى الفضليات من النساء حول شهادة المرأة ولماذا هى على النصف من شهادة الرجل. وكنت أعلم حبها الشديد للتحلى بالذهب، فقلت لها: لو أن سارقا سرق منك الذهب الذى تملكينه هل تبلغين عنه؟ قالت: طبعًا. فقلت لها: وتشهدين عليه بذلك؟ قالت: نعم، وهل فى ذلك شك!! فقلت لها: إذن بناءً على ذلك سوف تقطع يده!! فقالت بارتياع: (لأ، حرام) فقلت لها: صدق الله ورسوله، لذلك كان الرجال أهلاً للقضاء والحكم والإمارة دون النساء، ولا ينقص ذلك من قدر النساء ولا من دورهن فى الحياة، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: قيمة كل امرئ ما يحسن من عمل. وأختم بحديث لرسول الله ﷺ قال فيه: «أنا الشاهد على الله أن لا يَعْثر عاقل إلا رفعه الله حتى يجعل مصيره الجنة» رواه الطبرانى إسناده حسن.

* * *

الفصل السادس

الصبر علي بلوى الغيرة وعند حالات الغضب يُسيّر سفُن السعادة بغير توقّف ولا عطب

* الغيرة فطرة ومبدؤها فكرة مثل جرثومة المرض، وجراثيم الغيرة: الشك وسوء الظن، ونقص الثقة، وفتور العلاقة، والانشغال عن الزوج، وكثرة الإعجاب بالآخرين، والتغيب الكثير عن البيت.

* الغيرة تلتهم العواطف وتحرقها، وتذهب بالنوم والراحة، والعقل، وتعرّض لقالة السوء في غير حالات الريبة، وتفسد ما بين المحبين، والظن أكذب الحديث.

* الرعاية للزوج بألطف السلوك ومجاملات القلوب وتعاهد النفوس ومراعاة الخاطر، تزرع الثقة وتُنقى القلوب من الدّخن والدَّغل وتمنع علائق الظن بالمحبوب.

* الغضب جذوة من نار الشيطان تُنضج الحقد والحسد والانتقام، ولا يطفئه مثل السكوت أو لطيف الكلام، ويزيد اشتعاله الجدل والتّلاوم ولجج الخصام.

* الغضب تتعدّى ناره إلى القلوب، وتنتشر أضراره فتنهدم البيوت، ومحاصرة النار وإطفاؤها واجب يدرك بالعقول. وصبر ساعة يمنع كدر السنين.

* بعد الغضب يُترك العتب عليه والحساب، فإعادة الكلام عنه تعيد أسبابه بأكبر مما كان، وتثمر العناد وتستمر به الأنكاد.

لا تكثر الغيرة على أهلك
فتُرمى بالسوء من أجلك

* أوصى عبد الله بن جعفر أحد بنيه فقال: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق. نعم فالقصد القصد تبلغوا، فالاعتدال في كل أمر مرغوب ومحمود عواقبه، والاسترسال مع الغيرة يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وكما قال الشاعر:

أذن الفتى في قلبه ... حيناً وحيناً في نُهَاه

فلو أصغى الإنسان لهواجس النفس ونزغات الشيطان وألقياته لأصبح عيشه مرّاً وتنغصت عليه حياته. ومع هذا لا ينبغي أن نُهمل مبادئ الأمور الموصلة إلى الوقوع في أي خطأ، ونتسامح في بعض المواقف والتصرفات حتى يُرْمى الأبعد بوصف الدّيوث الذي لا يبالي بمن يدخل على أهله. فالحذر واجب من كلا الطرفين، فلا نبالغ في الغيرة والتتبع حتى تفسد حالنا وحال من نعاشره، ولا نتساهل فيما يُخالف الشرع والعرف المرعي.

* روى جابر بن عتيك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله تعالى، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الرّيبة، والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة» فالاعتدال في الغيرة هو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تُخشى غوائلها، ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن.

فالغيرة لابد منها، ولكن منها المحمود ومنها المذموم الذي يبغضه الله تعالى، والحديث يدلنا على أن الغيرة المحمودة والتي يحبها الله من عباده هي عندما تكون هناك أسباب مريبة تدعونا لأخذ موقف، وأما أن نغار من غير أسباب مريبة وظاهرة بنفسها، فهذا من أُلْقيات الشيطان في النفس ليفسد على المؤمنين حياتهم، لأن الغيرة إذا تمكنت من النفس نغصت كل عيش وكدرت صفو الوقت والنفس، وهذه هي صورة الذي يغار:

ويسير في الأرض الأغَنّ فلا ترى ... عيناه غير الشوك في أرجائه
إنْ نام لم ترقد هواجس روحه ... وإذا استفاق رأيته كالتّائه
كالنار يلتهم العواطف عقلهُ ... فيميتها ويموت في صحرائه

والغيرة المعتدلة تحبها الزوجة منك لأنها دليل عندها على اهتمامك بها ومزيد حبك لها وعنوان الرجولة التى تقدّرها المرأة، أما إن زادت عن الحد المطلوب، وكانت بلا سبب مريب فإن المرأة تتوتر حياتها ويزيد قلقها وخوفها منك ومن عواقب الغيرة، بل قد تُرمى بالسوء بسبب المبالغة فى الغيرة، فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: (لاتكثر الغيرة على أهلك فَترمى بالسوء من أجلك) فصيانة كل ما يُخدش الشرف أو يَمتَهن الكرامة ويعرّض السمعة لقالة السوء من الغيرة التى يحبها الله.

أما زيادة التتبع والبحث عمًّا كُتم عنك فهو من التجسس المنهى عنه، بل هو تنطع وقد قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» رواه مسلم، كما قال معاوية رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدت أو كدت تفسدهم» رواه أبو داود بإسناد صحيح. وعن ثوبان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا تؤذوا عباد الله ولا تُعيّروهم ولا تطلبوا عوراتهم فإنه مَن تطلّب عورة المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه فى بيته» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

* **أيها الزوج الحريص**: دعنا ننظر سويًا فى الأسباب التى تؤدى إلى الغيرة، وأعتقد أن نقص الثقة أو انعدامها، سواء فى الإنسان أو فى الطرف الآخر هو العامل القوى فى إشعال الغيرة وانبعاثها فى النفس، وتخلّف هذه الثقة بين الطرفين تؤدى هى الأخرى إلى العامل المؤثر فى الغيرة وهو إساءة الظن، وهناك عوامل هامشية أو غير مباشرة مثل إبداء الإعجاب بالآخرين، أو فتور العلاقة الفجائية دون أسباب معروفة، أو التغيب عن المنزل على غير المعتاد، أو الارتباط بعلاقات عمل أو غيره يوجد فيه الجنس الآخر، أو وجود مظاهر ارتباط فى بعض المواقف يرتبط تفسيرها بوجود الجنس الآخر، وغير ذلك من الأسباب التى لو أُهملت رغم هامشيتها لتضخمت وأشعلت الغيرة.

****

إذا ظننت فلا تتحقق

* أخي الزوج الحصيف: إن الثقة التي انعقدت بينكما كانت نتيجة الحب الصادق الذي أقنع كل منكما بحب الآخر له، وهذه المحبة لها مظاهرها وثمارها وعلامات صدقها، فإذا اختفت أو نقصت هذه المظاهر وتلك العلاقات تخلخلت عقدةُ الثقة، وقد تنحل وتُفْقد كل الثقة، وبالتالي تبدأ هواجس الغيرة تحتل الفراغ في النفس بمجرد انسلاب الثقة. لذلك يحتاج الرجل الحريص أن يهيئ الأسباب المقنعة للزوجة بحبه لها الدائم والصادق، ومن ناحية أخرى لا يسلك السلوك الذي يُساء الظن فيه من قبل الزوجة. وهذا فيما يؤكد ثقة الزوجة فيه هو، أما ما يؤكد ثقة الزوج في زوجته، فأول ذلك عدم إساءة الظن فيها وقطع وسواس الشيطان أولاً بأول، بمصارحة الزوجة بأسباب ظنونه إذا كانت واقعية وليست مجرد خواطر نفسية، وعدم تأويل تصرفاتها دائمًا على النحو الذي يؤكد سوء الظن، وألا يضخم بعض الأمور التي تقع عفويًا حتى لو كانت دليلاً على ظنه، لأن كل إنسان تقع منه الهفوات ثم يعود لمعدنه واستقامته، وقد وصف الله تعالى المتقين بهفوة الشيطان لهم ثم يسارعون للتقوى فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وقال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. فيجب أن يضع الإنسان الأمر على أحسنه حتى يجيئه ما يغلبه عليه، وخاصة مع من يحب ويعاشر، فكم من دواهي وقعت بين زوجين ولم يكن ما انبنت عليه له أصل ولكن أوقعها سوء الظن أو حمل الحوادث غير ما تحتمل. والمبدأ الإسلامي السابق الذي جعل الظن أكذب الحديث، وكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] ولذلك نصح النبي ﷺ الأمة إذا أوقع الشيطان أحدهم في الظن ألا يحققه ويتتبع ميادينه، ويقطع الأمر بتركه، فعن حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ لازمات أمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن. فقال رجل: ما يذهبهن يارسول الله؟ ممن هن فيه؟ قال: إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض» رواه الطبراني، وخاصة إذا بلغك عنها شيئًا فلا تغير من ناحيتها حتى يجيئك اليقين، فأول حق لها عليك ألاَّ تحكم عليها إلا ببينة، وقد قال عمر بن عبد العزيز لقاضيه: من جاءك وإحدى عينيه على يده فلا تقض له، فربما جاءك خصمه وعيناه على يده.

.. ولا شخص أغير من الله

* عن جابر رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تتطلب عثرات النساء» رواه الطبرانى فى الأوسط، وعنه رضى الله قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً يخونهم أو يطلب عثراتهم» رواه مسلم، وهو عند البخارى مقتصراً على عدم الطروق ليلاً. ومعنى يطرق أى يقدم على أهله ليلاً، وكان من هدى النبى ﷺ إذا قدم بأصحابه من سفر أن ينزل بهم على مقربة من المدينة ويرسل من يخبر بقدومهم وبين سببًا آخر خلاف ما ذكر هنا، وهو أن تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة، أى تصلح النساء من شئونهن استعدادًا لاستقبال أزواجهن بعد غياب. وقد روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما «أن النبى ﷺ كان فى غزو فقال قبل دخولهم المدينة: لا تطرقوا أهلكم ليلاً، قال: فخالفه رجلان فسعيا إلى منزلهما، فرأى كل واحد فى بيته ما يكره» رواه أحمد بسند جيد. وما أجمل توجيه النبى ﷺ فى قوله: «يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا، فإذا تخاونا رفع يده عنهما» رواه أبو داود والحاكم وهو صحيح الإسناد.

* أخى الزوج العاقل: لقد جاءتك زوجتك بخاتم الفطرة ودليل العفة، بكرًا بخاتمها، ولم تكن قبل أن تتزوجها عليها رقيب بعد الله إلا ضميرها وطهرها وحسن خلقها، وكانت بغير زوج وهى فى شبابها وقوتها، فما الذى يجعل الوسواس والغيرة تتطرق إلى مثلها وقد أعففتها وأحببتها وأخلصت لها؟؟ إن المرأة إذا أحبت أخلصت، وإذا أخلصت وفت لمن تحب. ولذلك تكتفى بحكم فطرتها وبشرع الله تعالى بزوج واحد، ومن أجل ذلك أقول لمن تزداد غيرته أو يتشكك فى زوجته: اتهم نفسك وإخلاصك وثقتك فى نفسك أولاً، فقد كان عمر رضى الله عنه يقول: إنى أرى أثر ذنبى فى خلق زوجتى وخادمى. وقال ابن المبارك: من أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولاً، لم ينج منها وإن جاهد.

* عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح عنه. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغير منه والله أغير منى، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث

المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنة» رواه مسلم، قال النووى: العـذر هنا بمعنى الإعذار والإنذار قبل أخذهم بالعـقوبة ولهذا بعث المرسلين.

وأقول: الغيرة هنا هى التى يحبها الله تعـالى إذا كانت هناك ريبة، وليست الغيرة فى غير ريبة والتى يبغضها الله، فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: كثر على مارية القبطية فى قبطى ابن عم لها كان يزورها ويختـلف إليها، فقال لى رسول الله ﷺ: خذ هذا السيف فانطلق فإن وجـدته عندها فاقتله. قال: قلت يا رسول الله أكون فى أمرك إذا أرسلتنى كالسكة المحـماة لايثنينى شىء حتى أمضى لما أمرتـنى به؟ أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب؟ قال: بل الشاهد يـرى مالا يرى الغائب. فأقبلت مـتوشحًا السيـف فوجدته عندها فاختـرطت السيف، فلما رآنى أقبلت نحوه عـرف أنى أريده فأتى نخلة فرقى ثم رمى بنفسه على قفاه ثم شغر برجلـه - أى رفعها - فإذا هو أجب أمسح ماله قليل ولا كثير، فغمدت السيف ثم أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: الحمد لله الذى يصرف عنا أهل البيت» رواه البزار وأخرجه الضياء فى أحاديثه المختارة على الصحيح.

****

* أن يحب الرجل زوجته ويعلمها بذلك، لا يكفى لأن تكتمل الثقة عندها، ولكن لابد من إبداء الرغبة الدائمة فيها وأنها مرغوبة فى كل الظروف، خاصة أوقات حيضاتها المتكررة والتى تعتريها فيها أحوال نفسية وضعف جسدى، وهذا ما نبه عليه النبى ﷺ بهديه العملى مع زوجاته رضى الله عنهن، فعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فىَّ فيشرب» رواه مسلم، وعنها رضى الله عنها أنها قالت: «كان رسول ﷺ يتكئ فى حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن» رواه مسلم، وعنها أيضًا رضى الله عنها قالت: «كان النبى إذا اعتكف يُدنى إلىّ رأسه فأرجله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان» رواه مسلم، وترجيل الشعر تسريحه.

* أخى الزوج: هل تظن أن رجلاً يفعل مثل هذا مع زوجته يداخلها شك فى حبه لها ورغبته فيها؟ وهل يبقى لشيطانها مجال لإشعال الغيرة عندها على زوجها؟ فإذا وثقت من حب زوجها لها أخلصت له واكتفت بحظها منه، وبالتالى وثق زوجها فيها ولم يعد شيطانه هو الآخر يداخله بشك أو غيرة. وأحب أن ألفت النظر إلى أن النبى ﷺ كان يفعل ذلك وسنُّه حوالى الستين من عمره الشريف، وأن صيغة الرواية عن عائشة رضى الله عنها تشير إلى أن ذلك كان سلوكًا معتادًا وليست واقعة حدثت ولم تتكرر، فما أجمل وأهنأ العيش بين زوجين يحرص كل منهما على إظهار حبّه للآخر فى أنماط سلوكية راقية ومعبرة بصدق عن المودة والرحمة والرغبة والمجاملة الممزوجة بالوقار العاطفى، ويا سعد وهناء من يقتدى بالصادقين الصالحين . . فى حبهم وسلوكهم مع أهلهم.

****

الزواج بأخرى.. جده جدّ وهزله جدّ

* أيها الزوج الوفيّ: من نُبْل المعاملة، الحرص على مشاعر من تعاشره، فلا تجرحه أو تؤذيه بكلمة أو تصرف لا يليق أو يخدش الأحاسيس، ومن أهم هذه الأمور بالنسبة لأى امرأة، وخاصة الزوجة، ذكر محاسن امرأة أخرى، حتى ولو كانت أم الزوج أو كانت التى تمدح ميتة، قالت عائشة رضى الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدْقَيْن قد أبدلك الله خيرًا منها. قال ما أبدلنى الله خيرًا منها، قد آمنت بى إذ كفر الناس، وصدَّقتنى إذْ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله أولادها وحرمنى أولاد الناس» رواه أحمد وإسناده حسن. ومعنى حمراء الشدقين أى عجوز.

* أيها الزوج العاقل: إياك ثم إياك، بل أرجوك، لا تذكر أمام زوجتك موضوع الزواج بأخرى ولو كنت مازحًا، فهذه المسألة أصبحت عقدة عند نساء هذا العصر، فزوجتك لا تنسى لك أبدًا أنك ترغب فى الزواج من غيرها، ومزاحك فى هذا الموضوع جدُّه جدّ وهزله جد عندها، وسوف تفسر كل موقف وحركة ونظرة على أنك لم تعد تكتفى بها، وأنك سوف تتزوج لا محالة. وإذا ذكر أمامك أحد أنه تزوج بأخرى فلا تُظهر موافقتك أو تأييدك له. وإذا سألتك زوجتك عمن سوف تتزوجها إن ماتت هى، وغالبًا كل زوجة تحرص على هذا السؤال، فلا تخبرها أنك ستفعل ذلك، والحذر كل الحذر أن تسمّى لها امرأة فى هذا الشأن. كما أنصحك ألا تتحدث أمام زوجتك عن موضوعات أو مشاكل لزميلات لك فى العمل حتى لو كانت هى السائلة عن ذلك، فسؤالها لك عن ذلك له معنى خاص عندها لتتوصل لقصدها.

واعلم أن زوجتك تكون شديدة الملاحظة لك وبذكاء فطرى عند وجود امرأة أخرى معك أو حتى أثناء السير معها فى الطريق، بل عند مشاهدة الصور فى المجلات أو مشاهدة التليفزيون.

* من المسائل التى يتفق عليها الجميع أن المرأة تخاف كبر السن، ولا تحب أن يقال

لها إنها عجوز أو فقدت شبابها، بل تحرص أن تبدو أصغر من عمرها الحقيقى دائمًا، والزوج العاقل يعطى هذا الإحساس لزوجته ليريحها من عناء مقاومة الزمن، أو ليخفف من غَلْواء غيرتها عليه. ومن نوادر ما يُحكى فى ذلك ما رواه سيدنا أنس بن مالك خادم النبى ﷺ مع أمه أم سليم رضى الله عنها وهى من العاقلات من النساء الصحابيات، وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويقيل فى بيتها. يقول أنس رضى الله عنه: دخلت دار أبى طلحة - زوج أم سليم - وهو مغلق الباب على أم سليم وهو يضربها، وهى أم أنس بن مالك، يقول: فناديت من وراء الباب: ما تريد إلى هذه العجوز تضربها؟ فنادتنى من وراء الباب فقالت لى: تقول العجوز!! عَجَّزَ الله رُكْبَكَ. رواه الطبرانى.

****

لا تغضب.. ولك الجنة

* يقول الإمام الغـزالى فى الإحياء: قوة الغضب محلهـا القلب، ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام. وإنما تتوجه هذه القـوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التَّشفّى والانتقام بعد وقوعها. فالانتـقام قُوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذاتها ولا تسكن إلا به، ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرامهـا أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة، فـإذا وُعظ لم يسمع بل زاد غضـبه. ومن آثار الغضب فى الظاهر، تغير اللون، وشدة الرعـدة فى الأطراف، وخروج الأفعال عـن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام، وحتى يـظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق، وتسـتحيل الخلقة، وقُبح الباطن فى هذه الحال أقبح من قبح الظاهر. وأثره فى الكلام الشتم، وفى الأعضاء الضرب والكسر، وفى القلب الحقد والحسد وإضمار السوء.

* عن أبى هريرة رضى الله عنه «أن رجلاً قـال للنبى ﷺ: أوصنى قال: لا تغضب فردد مراراً قال: لا تغضب» رواه البخارى. وعن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال: «قال رجل: يا رسول الله أوصنى قال: لا تغضب. قال: فـفكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله» رواه أحمد. وعن ابن عمر رضى الله عنهما «أنه سأل النبى ﷺ: ما يباعدنى من غضب الله عز وجل؟ قال: لا تغضب» رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه. وعن أبى الدرداء رضى الله عـنه قـال: «قـال رجل لرسـول الله ﷺ دلنـى على عـمل يُدخلنى الجنة، قـال رسـول الله ﷺ: لا تغـضـب ولك الجنة» رواه الطبـرانى بإسنادين أحدهما صحيح.

* هكذا يا أخى الزوج: الغضب نار يغلى منه دم القلب لا تُحمد عـواقبه، لذلك فهو يجمع خصال الشر كلها، فمَن ملك نفسه عند الغضب نجا من الشر ومن غضب الله عز وجل، وما أكثر حرص هذا الصحابى وهو يُصر علـى استخراج الوصية النافعة من علم النبى ﷺ فلا يجد إلا النصيحة المتكررة: لا تغضب. فـهلا أخذت بتلك النصيحة لتغنم خيرى الدينا والآخرة. فتبعد عن غضب الجبار، وتنعم مع أهلك فى هذه الدار.

* أخى الزوج: من تمام الخلقة أن من استغضب يغضب، ولكن كظم الغيظ والعفو هو كمال الخلق الذى ندبنا إليه وفطرتنا تطاوعنا عليه إن اسـتعنا بالله ونفذنا شرعه. والناس

متفاوتون فى القدرة على ذلك، فالأخلاق أرزاق ومواهب وقسمة بين بنى آدم، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات. ألا وإن منهم بطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء. ألا وإن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم أما رأيتم حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض» رواه الترمذى وقال: حديث حسن. والذى قسم بيننا أخلاقنا كما قسم بيننا أرزاقنا هو سبحانه وتعالى، الذى أمرنا بتزكية النفس بالحلم وكظم الغيظ، بل بالعفو عمن ظلمنا، قال عز من قائل: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فسمى من يفعل ذلك محسنا وأخبر أنه يحبه لذلك. وأعظم البيان لذلك ما ذكره النبى ﷺ من علامات الرجولة والقوة والفتوة، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» رواه البخارى ومسلم، ورواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ «ليس الشديد من غلب الناس، إنما الشديد من غلب نفسه» والصُّرَعة بضم الصاد وفتح الراء هو الذى يصرع كثيرا بقوته، وأما الصرعة بضم الراء فهو الضعيف الذى يصرعه الناس كلهم.

* أخى الزوج العاقل: الشيطان عدو مبين أوقف كل قواه على هلكة الإنسان، وهو مسلط على كل بنى آدم، وهذا معلوم بالضرورة، ولكن الغفلة عن عداوته والجهل بطرق كيده وشباك صيده يضر المسلم العاقل الذى بين له الشرع طرق النجاة من الشيطان وإبطال كيده ودفع ضرره، وأوسع أبواب الشيطان للنفس هو الغضب، فطالما الإنسان لم يغضب تظل أبواب النفس مغلقة أمام الشيطان، وكلما غضب الإنسان سهل للشيطان السيطرة على الإنسان وأصبح مؤذيا ومنفذا لكل ما يطلبه ويأمر به الشيطان، فعن سليمان بن صرد رضى الله عنه قال: «استب رجلان عند النبى ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه، فنظر النبى ﷺ فقال: إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبى ﷺ فقال: هل تدرى ما قال رسول الله ﷺ آنفا؟ قال: لا. قال: إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقال له الرجل: أمجنونا ترانى؟» رواه البخارى ومسلم.

نعم يا أخى، إن هذا الشيطان وقد تمكن من القلب بعد الغضب لا يدفعه إلا العون من الله القوى، ولكن الذى يصعب الأمر أن الغاضب وقت غضبه يظن أنه يتصرف

تصرفًا معـقولا وأنه يسيطر على نفسه، وهذا من غامض كيـد الشيطان له، فلذلك قلما يقبل النصح وقت الغضب، فقد روى معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: «استب رجلان عند النبى ﷺ فغضب أحدهما غـضبًا شديدًا حتى خيل لى أن أنفه يتمزع من شـدة غضبه فقال النبى ﷺ: إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجـد من الغضب فقال: ما هى يا رسول الله؟ قال: تقـول: اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجـيم. قال: فجـعل معاذ يأمره فـأبى وضحك وجعل يزداد غضبا» رواه أبو داود والترمذى والنسائى.

* أن يكون الغضب من الشيطان، وأنه جمرة من نار، وكان الشيطان يجرى من ابن آدم كما يجـرى فيه دمه، كما جـاء فى الحديث، فهذه أمور غـيبية نصدق بهـا بمقتضى الإيمان بالغيب، ولا سـبيل للعقل فى هذا إلا العلم والاتـباع، فإما ألا نغـضب ونجاهد النفس، وإما إذا غـضبنا نتبع ما جاء به الشـرع، ومما جاء به الشـرع فى ذلك، بجانب الاستـعاذة بالله من الشيطان الرجـيم، أن يتوضأ مـن أصابه غضب أو أن يلصق نفـسه بالأرض كما مر قريبا فى الحـديث، أو يجلس إن كان قائمًا، وإلا فليضطجع. فعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع» رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه. وعن أبى وائل قال: «دخلنا على عروة بن مـحمد السعدى فكلمـه رجل فأغضبـه فقام فتوضـأ، فقال: حدثنى أبى عن جدى عطية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الغضب من الشيطان وإن الشيطـان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء، فـإذا غضب أحـدكم فليتـوضأ» رواه أبو داود. وعن ابن عبـاس رضى الله عنهمـا عن النبى ﷺ قال: «علمـوا ويسروا ولا تعـسروا وإذا غضب أحـدكم فليسكت وإذا غضـب أحـدكم فليسكت» رواه أحمد والطبـرانى. وأما هذه القصة الطريفة التى وقعت لسيدنا أبى بكر الصديق فهى تبين لنا كيف يتم العون من الله عند الغضب، فـعن أبى هريرة رضى الله عنه «أن رجـلا شـتم أبا بكر والنبى ﷺ جـالس، فجعل النبى يعجبـه ويتبسـم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فـغضب النبى ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر، فـقال: يا رسـول الله: كان يشـتمنى وأنت جـالس فلمـا رددت عليه بعض قـوله غضبت وقمت؟ قال: إنه كان معك ملك يرد عنك فلمـا رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان» رواه أحمد والطبرانى وأبو داود ورجال أحمد رجال الصحيح.

****

معظم النار من مستصغر الشرر

* أيها الزوج العزيز: إذا غضبت زوجتك فقد تملكها شيطانها وأصبحت طائعة له، فماذا أنت فاعل؟ هل تكون عونا للشيطان عليها؟ وقد تقول: وهل يعقل أن أعين عدوى وعدوها عليها؟ بالتأكيد أنت لا تقصد، ولكن الواقع أننا نفعل ذلك بغفلة منا، إذ نغضب عندما نسمع الزوجة الغاضبة، وقد وقعت فى شباك شيطانها وهى تتكلم بما لا نحب أو تفعل ما يغضبنا، وهكذا فنكون قد أعنا الشيطان على الزوجة وأعنا شيطاننا علينا، والنتيجة أن كلا الشيطانين يفرح ويرقص على النار المشتعلة فى النفسين، بل فى البيت كله، وقد تأتى عليه فتخربه. عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا تكن عونًا للشيطان على أخيك» رواه البخارى. وأصور تلك الحقيقة فى الآتى: إذا غضبت الزوجة فاشتعلت فيها النار، كما ذكر النبى ﷺ: «إن الغضب جمرة من نار»، فالواجب عليك بحكم عقلك ومسئولياتك أن تطفئ هذه النار، لا تزيدها، تماما كما لو رأيت نارًا تمسك فى ملابس زوجتك أو بدنها فهل تتباطأ فى العمل على إطفاء النار وإنقاذ الزوجة؟ وهل يقبل منك أن تلقى عليها مواد تزيد من اشتعال النار فيها؟ إنك يا أخى إذا لم تسارع فى إخماد نار غضبها فأنت مقصر، فما بالك لو فعلت ما يزيد من نار غضبها؟!. ولذلك قال أبو الدرداء رضى الله عنه لزوجته: إذا رأيتنى غضبت فرضنى، وإذا رأيتك غضبى رضيتك. فما أنفع هذه الوصية لو كانت بين كل زوجين.

* واعلم يا أخى أن النار تأكل بعضها بعضًا ثم تنطفئ، إلا إذا مُدَّتْ بطعامها من الوقود فتستمر وتزداد، وكذلك تماما نار الغضب، فتطفأ بالماء، والماء الذى يطفئ الغضب وناره هو أن تسترضى المغضب حتى يهدأ ويرضى، وماء الاسترضاء هو الكلمة المقبولة والمطلوبة لهذا الموقف ولو كذبًا. والحذر كل الحذر من الكلمة المثيرة وغير المقبولة وقت الغضب، فالماء سائل مطفئ للنار، والبنزين سائل مشعل للنار، إن سنن الأمور تتطلب ذلك، كما يفعل صاحب السيارة عندما يسخن موتورها، فعليه أن يوقف دورانه ثم يلطف حرارته بالماء، فإذا عادت حرارة الموتور لمعدلها الطبيعى أداره وحركه وسار بسيارته، إن لم يفعل ذلك احترق الموتور وتعطل هو عن السير وخسر سيارته. والمرأة يا أخى العزيز لما جبلت عليه من وفور العاطفة وتوقد حساسيتها سريعة الاستهواء للغضب، ولكنها لنفس السبب سريعة الاسترضاء عادة، ولذلك قال عنها النبى ﷺ:

«اطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن العشير لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قـالت: ما رأيت منك خيراً قط» رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما. فهكذا الكفران منها للزوج لا يكون إلا عند الغـضب منه - رأت منك شيئًا - وهذا أيها الزوج هو طبع النسـاء وليست زوجـتك فقط، بل هذا منهـا مع العشـير المحـسن مدى الدهر، ولكنه الغضب يعمى ويـنسى، وهـذا الخبر النبوى يدعوك فيه إلى الصـبر عليهن فإن الصبر لا يستغنى عنه حريص، ومن عرف فضل الحياة الزوجية الصافية صبر للزوجة وحلم واحـتمل لهـا لينال الود والرحمـة وكل ما يؤمله منهـا، فَهُنَّ لزوجـتك ولا تطع الشيطان فى أمرها، واستعن بالله فهو الذى يقول: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ وكان نبيًا.

وقد قـيل: من لم يظلم نفـسـه للناس ويتظالم لهم ويتـغافل عنـهم لم يسلم منهم، والزوجة أولى بذلك، وقـد قالوا ونصحوا: من حـقها أن تتجـاوز لها عن ثلاث: ظلم الغضب، وظلم الهفوة، وظلم الدالة. ومن النصائح التى سمعتها وحفظتها عن الغضب أيضًا، أن النار فى مبدئهـا تكون ضعيفة يطفؤها قدر قليل من الماء، وقـد يطفؤها مجرد النفخ بالفم بقليل الهواء، ولكنها إذا تركت قويت ويزيدها النفخ نفسه اشتعالا، ومعظم النار من مستصغر الشرر. فبالكلمة الصـغيرة التى تخرجها بسهولة من فمك تستطيع فى بدايات الغضب أن تطفئ ناره، وقد تكون الكلمة بعـد ذلك تزيده اشتعالا. وقد ضرب لى أحدهم مثالا رائعا عن غضب الزوجة بالذات فـقال: يعمد أحد الناس عندما ينقطع التيار الكهربـائى بالمنزل إلى تغيير جميع اللمبات الكهربية، بل وتغييـر التوصيلات ولا يعـود الضوء الكهـربائى للمنزل، لأنه يجـهل العلم بذلك، والأمـر فى غـاية اليسـر، المطلوب تغـيير مـا يسمى - شـعرة الفيـوز - فى دقيـقة واحدة وبلا كلفـة يعود التـيار الكهربائى لمجراه. وكذلك يفعل من عنده علم بغضب النساء، يسترضى الزوجة المغضبة بكل ما يرضـيها كـلاما سهـلا حلواً يعيـدها لخلقها الطبـيعى ولا يكلفـه عناء الغضب والخصام ومـا هو أكبر من الخصـام، وبذلك يحل النور بدلا من الظلام، ويعود الوئام، وكما يقـول المثل العامى (يا دار ما دخلك شر) ويكون جمـيلا منك أن تتفق معهـا كما فعل الصحابى الجليل أبو الدرداء رضى الله عنه وتخبرها بقول الشاعر:

خذى العـفو منى تـستديمى مـودَّتى	ولا تنطقى فى سـورتى حين أغضب
ولا تنقـريـنى نقـرك الدُّفَّ مـرَّةً	فـإنك لا تدريـن كـيف المغَـيب
ولا تكثرى الشكوى فـتذهب بالقوى	ويـأباك قـلـبى والـقلوب تـقلـب

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

* الجدال والمراجعة تورث النفرة والكراهة والإيحاش بين المتحابين، ومعظم الغضب لا يأتى إلا من مجادلة ومراجعة، والصبر على ذلك أيسر من عواقب الغضب. عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: (كنا معشر قريش قوما تغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم. قال: وكان منزلى فى بنى يزيد بالعوالى، فتغضبت يوما على امرأتى فإذا هى تراجعنى فأنكرت أن تراجعنى، فقالت: ما تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت لها: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ فقالت: نعم. فقلت: أتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذا هى قد هلكت؟ لا تراجعى رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئًا وسلينى ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هى أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك - يريد عائشة-) رواه البخارى ومسلم، فأى صبر وأى حلم كان من رسول الله ﷺ وأصحابه، وخاصة عمر رضى الله عنه المعروف عنه الشدة، بل هناك ما هو أشد من المراجعة والهجر، فقد روت عائشة رضى الله عنها (أنها غضبت مرة عند رسول الله ﷺ فقالت له: وأنت الذى تزْعَم أنك نبى؟! فتبسم رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا) أخرجه أبو يعلى فى مسنده وأبو الشيخ فى كتاب الأمثال. كما روت رضى الله عنها أنه جرى بينها وبين النبى ﷺ كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما، فقال لها النبى ﷺ: «تكلمين أو أتكلم؟» فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا، فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال: يا عدوة نفسها، أو يقول غير الحق؟ فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال له النبى ﷺ: «لم ندعُك لهذا ولا أردنا منك هذا» رواه الطبرانى فى الأوسط والخطيب البغدادى فى التاريخ. وكان عمر رضى الله عنه، رغم شدة غيرته يصبر على زوجته عاتكة بنت زيد رضى الله عنها، فكان إذا خرج إلى الصلاة تبعته، فكان يكره خروجها ويكره منعها، وكان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إذا استأذنكم نساؤكم إلى الصلاة فلا تمنعوهن» رواه أحمد فى مسنده.

* أخي الزوج: من الأخطاء الشائعة أن يحاسب المغضب عما قاله حالة غضبه، ونحن قد عرفنا أن الإنسان في حالة الغضب يكون شيطانه هو المتحكم فيه وهو الذى يمده بما يقول. فالواقع أن الذى يجب أن نحاسبه هو عدونا الشيطان وليس المغضب، وكل ما يمكن ذكره هو التنبيه ألا يضعف مرة أخرى لشيطانه ويحذر منه، والشائع أننا نعيد الشر الذى ألقاه بيننا الشيطان وقت الغضب فيكون ذلك سببا فى إعادة الغضب وجوه مرة أخرى، وذلك قصد العدو.

* أخي الزوج: الذى كان يَرْغى ويَزْبد فى حالة الغضب ليست زوجتك وإن جرى على لسانها، إنما هو الشيطان العدو فلا تقع فى حبائله مرة أخرى بمحاسبة الزوجة على ما يكون وقت الغضب، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين. فأحكم سفينتك فإن بحر الشيطان عميق.

****

الفصل السابع

باقة من ألوان الأزهار
تتزين بها أركان الدار

* الحياة الطيبة ممكنة في ظل فهم صحيح وقصد سليم بين الزوجين، والشعار (السعادة مطلوبة وممكنة) بشيء من التعقل والصبر والحرص والمداراة، فيسر على نفسك الأمور وعلى غيرك، ييسر الله لك وعليك.

* بيت المسلم متميز بشيوع المحبة والفرحة والكرم والاستقرار، من يدخله يداخله السرور ويقابل على السعة والترحاب، يجد فيه مطلبه أو يرد بكريم اللقاء وجميل الكلام.

* أقرب من يُسرع لنجدتك إن ناديته هو جارك، فصله، وتعرف عليه، وشاركه في أفراحه وأتراحه، ولا تهمل من ذلك شيئًا.

* هل فكرت أن تدعو زوجتك على الغداء أو العشاء؟ لو فعلت لكان رائعًا وبارعًا ولو بدون تكلف كبير.. جرب وسوف تدعو لي بالخير.

* لا تسأم من دعوة أهل زوجتك ومدحهم والثناء عليهم، وتوطيد الصلة بهم خاصة الوالدة، فإن ذلك لا يكلف شيئًا وله أثر بالغ على حياتك الزوجية.

* لا تظهر خلافاتك مع زوجتك مع أهلكما أو مع أولادك، بل أظهر أمامهم الكلمات الجميلة المحببة للزوجة، ولا تخجل أن تقولها أمامهم... تصبح حياتك وحياتها بلا ملل.

السعادة مطلوبة وممكنة

* الحياة الطيبة ممكنة فى ظل فهم صحيح وقصد سليم بين الزوجين الصاحبين بالجنب، والشعار الذى يجب أن يرفرف على البيت المسلم هو: السعادة مطلوبة وممكنة، بشيء من التعقل والصبر والحرص والمداراة. إن الحياة فى مجملها قصيرة، ولكنها مثيرة ومشوقة بمواقفها ومفاجآتها المتتالية. والناس أقدارها في المواقف، والإنسان قَدْرُهُ وقَدَره بما أحسن فى مواقف حياته، وغالبا نحن لا نصنع تلك المواقف، إنما العبرة فى النجاحات أو فى الفشل فى معالجة المواقف. وهناك بيوت سَعِدَ فيها أهلها، وأخرى شَقى فيها الناس.

وكم من حياة سعيدة وناجحة وموفقة، وكم من أعمار انقضت فى شقاء وعَنَت برغم أن أصحابها ذوات عقول ولكنها تناطحت وتنافرت، وكم من بسطاء فقراء من أسباب العلم والمال والجاه ولكنهم وُفقوا فى حياتهم الزوجية بما يقسم لهم من حظ التوفيق وسهولة المعاملة والمعاشرة.

ولقد سمعت من زوجة سعيدة في حياتها - فيما أعلم - قولا يبدو أنها تتخذه مبدأ لحياتها قالت: (وصية أمي لى منذ تزوجت هى: كبِّريها تكبر صغّريها تصغر) ولما استوضحت منها المعنى فهمت أنها تقصد المشاكل والمواقف التى تمر بالزوجين، أى أن كل مشكلة إن أخذتها على أنها كبيرة ومهمة تصبح كبيرة، وإن نظرت إليها على أنها صغيرة ولا تستحق الاهتمام البالغ صغرت وانقضت بسرعة.

* **نعم أيها الزوج السعيد:** أنت الذى تُحدِدّ وزن الأمور، بنظرتك وتقييمك واهتمامك، فيسر على نفسك الأمور وعلى غيرك ييسر الله لك وعليك، وقد نصح الأمين ﷺ فى ذلك بقوله: **«يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»** حديث صحيح.

****

طوبى لمن أمسى لدارك جاراً

* المسلم فى نفسه وفى بيته وفى كل أموره جميل مهذب محبوب، خفيف الظل ليس بثقيل على أحد، فى كلامه، وفى طعامه، وفى ملبسه وفى مدخله ومخرجه، وفى حركته وسكونه، مع نفسه ومع أهله، مع جاره وزواره. وما أجمل المطالب التى حضَّنا عليها قُدوة الخلق الكرام محمد ﷺ فى مثل قوله: «أحسنوا لباسكم، وأصلحوا رحالكم، حتى تكونوا كأنكم شامة بين الناس» وفى قوله: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» وفيما رواه ﷺ عن رب العزة «حقَّت محبتى للمتحابين فى والمتباذلين فى والمتصافين فى» وقال ابن عباس رضى الله عنهما: (من أفضل الحسنات إكرام الجلساء)، بيت المسلم متميز عن غيره؛ بشيوع المحبة والفرحة والكرم والاستقرار، من يدخله يداخله السرور ويُقابل على السعة والترحاب، يجد فيه مطلبه أو يُردُّ بكريم اللقاء وجميل الكلام، وقد قال الشاعر:

للقلب على القلب دليل حين يلقاه

ذلك أن هدى النبى ﷺ هو سمت أهل البيت: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» رواه البخارى ومسلم.

* جيران البيت المسلم يصلهم من أنواره وخيره وحسن جواره، وكلنا يحفظ حديث رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» وهذا أيها الزوج العزيز فى الجار من الناس الذى بينك وبينه جدار وأحجار، فكيف بالجار المصاحب لك فى نفس الدار، فرعاية جواره وإكرام قربه أحق وأولى. وقد قال رسول الله ﷺ: «أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا» رواه الترمذى وابن ماجة. وما أصدق قول الشاعر عن جيران المسلم:

إنى لأحسد جاركم لجواركم ... طوبى لمن أمسى لدارك جارا

يا ليت جارك باعنى من داره ... شبراً فأعطيه بشبر دارا

* أخى الزوج: أقرب من يسرع لنجدتك إن ناديته هو جارك، فصله وتعرف عليه

وشاركه فى أفـراحه وأتراحه ولا تهمل من ذلك شيـئًا. تحبب إلى أولاده وأعطهم بعض الهدايا الصغيرة اللطيفة فسوف يصبحون رجالاً ويقدرون لك كل ذلك.

ولا تنس فى كل المناسبـات والأعياد أن تهنئهم وتدق البـاب عليهم خصيـصًا لذلك حتى يعتادوا منك ذلك ويذكروك به، وإن كنت صـاحب مهنة أو فى وظيفة وتستطيع أن تفيدهم فـاحرص على ذلك ودون أن يطلبوا هم منك هذه الفائدة. ويكون جـميلا منك أن تدعـوهم إلى منزلك فـى المناسـبـات الخـاصة، أو عـلى طعـام، أو على شىء من الحلوى، وتظهر الاهتـمام بهم، وأنت بذلك متعـبد لله فى إكرامهم، وسـوف تجد آثار ذلك كله فى تعـاملهم معك ومع زوجـتك ومع أولادك، فى حياتك وبعـد مماتك، فى حضورك وفى غيابك، وأقل ذلك وأنفعه لك، أن تُحفظ من أذاهم وتأمن جانبهم.

****

اسكُبى أمَّ سُنْبلة

* من أكبر الأسباب لاستجلاب المحبة والصداقة تبادل الهدايا. وكان النبى ﷺ يقبل الهدية ويهدى، روى أنس بن مالك رضى الله عنه: (أن أبا طلحة بعث بورك أرنب أو فخذها إلى رسول الله ﷺ فقبله) رواه البخارى ومسلم، فما أعظمها بركة تلك القطعة الصغيرة من أرنب إذا كانت هدية من محب، وما أعظم تواضع النبى ﷺ وهو ذو القدر العظيم عند المسلمين إذ يتقبل مثل هذا من أحدهم. فالعبرة يا أختى الزوج ليست فى قيمة الهدية المادية، إنما القدر العظيم فيمن أحب فأهدى مما يملك لمن يحب. ولذلك لما سألت أم حكيم بنت وداع الخزاعية رضى الله عنها النبى ﷺ فقالت: «يا رسول الله تكره رد اللطف؟ قال: ما أقبحه لو أُهدى إلى كُراع لقبلت ولو دُعيت إلى ذراع لأجبت» رواه الطبرانى: وقالت عائشة رضى الله عنها: «أهدت أم سنبلة لرسول الله ﷺ لبنًا فلم تجده، فقلت لها: إن رسول الله ﷺ قد نهانا أن نأكل من طعام الأعراب. فدخل رسول الله ﷺ وأبو بكر معه فقال: ما هذا معك يا أم سنبلة؟ قالت: لبن أهديته لك يا رسول الله. قال: اسكبى أم سنبلة، فسكبت، فقال: ناولى أبا بكر. ففعلت. فقال: اسكبى أم سنبلة. فسكبت. فقال ناولى عائشة. فناولتها فشربت. فقال: اسكبى أم سنبلة. فسكبت فناولته رسول الله ﷺ فشرب. قالت عائشة: ورسول الله ﷺ يشرب من لبن أسلم وأبردها على الكبد، فقلت: يا رسول الله قد كنت حدثت أنك نهيت عن طعام الأعراب. فقال: يا عائشة هم ليسوا بأعراب هم أهل باديتنا ونحن حاضرتهم وإذا دُعوا أجابوا فليسوا بأعراب» رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح. وسبب النهى عن طعام الأعراب ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما، أن أعرابيًا وهب لرسول الله هبة فأثابه عليها، فقال له النبى: أرضيت؟ قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «لقد هممت أن لا أتهب هبة إلا من قرشى أو أنصارى أو ثقفى» رواه أحمد والبزار والطبرانى. ومن لطائف معاشرة النبى ﷺ لأصحابه ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما «أن رجلا كان يلقب حمارًا وكان يهدى لرسول الله ﷺ العكة - وعاء جلد - من السَّمن، والعكة من العسل، يشتريها، فإذا جاء صاحبها يتقاضاه الثمن جاء به إلى رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله أعط هذا ثمن متاعه. فما يزيد رسول الله ﷺ على أن يبتسم ويأمر به فيُعطى». رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. وعن أنس رضى الله عنه قال: (كان المسلمون يتهادون على عهد رسول الله ﷺ صلة بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «لو قد أسلم الناس لتهادوا من غير فاقة») رواه الطبرانى، وعن عائشة رضى الله عنها: «أن النبى ﷺ قال: تهادوا تزدادوا حبًا» رواه الطبرانى. وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا نساء المؤمنين تهادوا ولو بفرسن شاة - أى ظلف - فإنه يثبت المودة ويذهب الضغائن» رواه الطبرانى.

مرحبًا بأم هانئ

* البساطة وعدم التكلف وخاصة لمن اعتاد زيارتك وصحبتك، دليل على صدق الصداقة والارتياح للضيف، وإكرام الضيف لا يعني التكلف له بما لا يحتمل. فعن عبدالله بن عبيد قال: دخلت على جابر رضى الله عنه فى نفر من أصحاب النبى ﷺ فقدم إليهم خبزًا وخلا فقال: كلوا فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم الإدام الخل، إنه هلاك بالرجل أن يدخل عليه النفر من إخوانه فيحتقر ما فى بيته أن يقدمه إليهم، وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم» رواه أحمد والطبرانى وأبو يعلى. وكان سيدنا سلمان رضى الله عنه ظريفًا يحب المِلَح، يقول شقيق بن سلمة: (دخلت أنا وصاحب لى على سلمان الفارسى، فقال سلمان: لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن التكلف لتكلفت لكم، ثم جاء بخبز ومِلح، فقال صاحبى: لو كان فى ملحنا عنقر؟ فبعث سلمان بمطهرته فرهنها ثم جاء بعنقر. فلما أكلنا قال صاحبى: الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا. فقال سلمان: لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتى مرهونة!!) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، وفى رواية: «نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف ما ليس عندنا».

* أخى الزوج: هل فكرت أن تدعو زوجتك على الغداء أوالعشاء؟ لا تعجب من سؤالى البرىء فهو ليس غريبا، إنما فقط أنت لم تتعود ذلك، ولو فعلت لكان رائعًا وبارعًا، ولو بدون تكلف كبير، وأقول لك: جرب وسوف تدعو لى بالخير.

* دخلت السيدة أم هانئ بنت عم النبى ﷺ فسلمت على النبى ﷺ فقال لها: «مرحبًا بأم هانئ» رواه مسلم. ودخلت عجوز على النبى ﷺ فأكرمها فقيل له فى ذلك فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» رواه الحاكم عن عائشة رضى الله عنها وصححه. وعن أنس رضى الله عنه قال: «أتى النبى ﷺ سائل فأمر له بتمرة فلم يأخذها وأوحش بها. قال: وجاء آخر فأمر له بتمرة قال: سبحان الله!! تمرة من رسول الله ﷺ!! قال: فقال النبى ﷺ لجارية: اذهبى إلى أم سلمة وأعطيه الأربعين درهما التى عندها» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

* أخى الزوج: هذه صورة صاحب البيت المسلم مع من يدخلون عليه، الترحاب والبشاشة والإكرام والكرم، فليكن يا أخى فى بيتك متسع للأهل والزائرين، وليتسع صدرك وينطلق وجهك عند استقبالهم، فقد رضى العامة من الناس بحسن اللقاء وطيب الاستقبال بأكبر من إكرامهم بصنع الطعام فقالوا: (لقينى ولا تغدينى).

من أسدى لك معروفًا فكافئه

* أقارب الزوجة ووالداها هم أقرب الناس لزوجتك، ويجب أن يكونوا كذلك عندك بعد أهلك، والزوجة شديدة الحساسية فى الأمور التى تتصل بأهلها، وفى نفس الوقت شديدة التأثر والعرفان لأى جميل يُصنع معهم، فاحرص على إكرامهم فى بيتك وأشعرهم أن البيت بيتهم أو على الأقل بيت ابنتهم التى هى زوجتك حتى لا يشعروا بشعور الغرباء فى بيت ابنتهم، ويجب عليك أن تجالسهم وترحب بهم ولا تتركهم مع الزوجة وكأن زيارتهم لا تعنيك أو كأنك لا تهتم بوجودهم، ويكون جميلا أن تتكلف لهم قليلا بإحضار بعض الفواكه والمرطبات ونحو ذلك خصيصًا لهم حتى لو كان ذلك على غير رغبة الزوجة، إذ أن الزوجة فى مثل هذه الحالات تخشى على الزوج وما يتكلفه لأهلها لأسباب خفية، مثل أن يسأم الزوج أهلها لما يتكلفه معهم، أو خشية أن ينفق مثل ذلك أو أكثر على أهله وقد تكره هى ذلك لأمور لا تصرح بها. كما يجب أن يراعى الزوج عدم ذكر أهل الزوجة بما تكره، بل يذكرهم بالخير أمامهم ومن ورائها فإن ذلك يُفرحها جدًا حتى ولو كان بينه وبينهم خلافات. ومن واجب الزوج أيضًا أن يعين الزوجة على بر والديها وصلة رحمها، سواء بزيارتهم، والأفضل أن يصحبها فى مثل هذه الزيارات، وأن يحرص على حمل بعض الفواكه والهدايا كلما أمكن. ومن أسباب توطيد الصلة والعلاقة بأهل الزوجة وخاصة والدتها. أن يمتدح الزوجة أمامهم، كما يمتدح ما يقدم له من طعام ويخبرهم أنه يحب هذه الصناعة لهذا الطعام الذى تعلمته زوجته من أمها ويشكرها على ذلك وأنها كانت السبب فى سعادته وتربية زوجته على كل ما كان يتمناه فى الزوجة.

* أخى الزوج: لا تسأم هذه الكلمات أن تقولها وأن تكثر من تكرارها على مسامع أهل زوجتك، فإن ذلك لا يكلفك شيئًا وله أثر بالغ على حياتك الزوجية. وفى الدعوة للمناسبات الطيبة فى بيتك احرص أن يكون أهل زوجتك قبل دعوة أهلك.

* علاقة زوجتك بأهلك تقوى وتضعف بقدر قوة علاقتك بأهلها وضعفها عموما، ولكن إذا احتاج أهلك لبعض المال منك أو ظنت الزوجة أنك تعطيهم فإن ذلك يسبب كثيرًا من الخلافات معهم ومعك، وقد تحرص هى على قطع العلاقة معهم - إن أمكن -

لتقطع عنهم هذا المدد، وذلك أن شعور المرأة ورغبتها فى التملك لكل ما يتصل بزوجها كما مـر بنا سابقا، يجعلهـا قلقة ومتوترة لهـذا الأمر. وعلاج ذلك بالصبـر والمصارحة والإقناع، لأن إهمال ذلك بدعـوى خطأ الزوجة فى هذا الأمـر يجعلها تخـفى الموضوع وتفتـعل أسبابا أخرى للخـلاف مع الأهل، فإذا لم تعالج هذه الأسبـاب لا تتوصل إلى تحسين العلاقة ويعود الخـلاف لوجود أسبابه الخفية، وعمـومًا إرضاء الأهل على حساب إغضاب الزوجة ليس حلاً، ولا عكس ذلك بإرضاء الزوجة وإغضاب الأهل.

من المفيد جداً أن تظل الخـلافات الزوجية - إن وجدت - محـدودة فيما بينك وبين الزوجـة، ولا تلجـأ إلى أهلهـا أو أهلك دائمًـا. ومن المفـيـد أن تثق زوجـتك فى أن الخـلافات لا يعلم بهـا أهلك أو غـيرهم. والزوجـة تحب ألا يتـدخل أحد بينهـا وبين زوجها، إلا إذا كـانـت هناك صديقة عاقلة وأمينة للـزوجة فإنها تفيـد فى توسيطها عند وقوع بعض المشاكل، وعادة تقبل الزوجة عرض الأمر عليها.

* أولادك الصغار قلوبهم وذاكرتهم شديدة التـأثر بالخلافات مع أمهم، فيجب عليك أن تتجنـب الحديث فى هذه المسـائل أمامهم أو على مـسمع منهم. واعـلم أن الأطفال يدركون ذلك جـيداً رغم صـغر سنهم، فـلا تغفل عن ذلك،خـاصة أطفـال هذا الجيل العجـيب، فإن لهم قدرة علـى فهم مشـاعر الضيق من وجـوه وعيون وطريقـة حديث الوالدين معًا، ويظهر أثر كل ذلك فرحًا وضيقًا وغضبًا على سلوكهم وصحتهم ونومهم ولعبهم ومذاكرتهم.

* قال ابن المبارك لإخوانه - وهم فى الجهاد فى سـبيل الله -: تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه؟ قالـوا: ما نعلم. ذاك جهاد فى سبيل الله وقتـال لأعدائه، أى شىء أفضل منه؟ قال: لكنى أعلم. قالوا: ما هو؟ قال: رجل متعفف ذو عيال، قام من الليل فنظر إلى صبيـانه نيامًا متكشـفين فسترهم وغطاهم بثـوبه، فعمله هذا أفضل من جـهادنا فى سبيل الله عز وجل.

* وقال أبو طالب المكى: يُقال أن أول مَن يتعلق بالرجل يوم القـيامة زوجته وولده، فيوقفونه بين يدى الله عز وجل ويقولـون: يا ربنا خُذْ لنا حقنا من هذا فإنه ما علمنا ما نجهل، وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم. قال: فيقتص لهم منه.

* الكلمات الجميلة المحببة للزوجـة لابد أن تُعْتاد أمام أولادك ومن يخالطونكم حتى

يعتادونها ويتعلمونها، ولا تخجل أن تقولها أمامهم وإن لم تكن جربت ذلك فابدأ ولا تتأخر، فهذا غذاء ودواء وحافظ من تدخل الشياطين. احفظ بعض الأشعار اللطيفة وأسمعها لزوجتك، اكتب لها الرسائل إن سافرت أو تغيبت عنها وضمنها ما تحتفظ به وتذكرك به، قل لها:

يا جنة الحب ودنيا المُنى ما خِلْتنى ألفاكِ فى مقلتين

قل لها:

قد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضْعا

قل لها، وقل لها ولا تملّ القول لها، تصبح حياتك وحياتها بلا ملل.

* كان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ ثلاث، كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه: «الله الله فى النساء فإنهن عوان عندكم.. الحديث» رواه النسائى وابن ماجة.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

****

ميثاق الزوجة مع الزوج

* ألا يكون هناك من هو أحب إليك منه بعد الله ورسوله.

* أن يكون شعار الحياة عندك الوصول إلى تقوى الله وإدخال السرور على زوجك ومن تخالطين.

* أن يكون كل عملك وفاءً لله الذى عاهدتيه بعقد الزواج على كتاب الله وسنة رسوله حتى ولو قصر الزوج فى الوفاء بحقوقه فكل امرئ بما كسب رهين.

* إذا كان المسلم له حقوق والجار له حقوق والقريب له حقوق والصاحب والصديق لهما حقوق والزوج له حقوق، فزوجك له عليك حقوق: المسلم، والجار الجنب، والقريب والصاحب والصديق، كما له حقوقه كزوج، فلا تنسى ما له عليك من كل هذه الحقوق والوفاء له بها بصدق ومحبة.

وبناءً على هذه المبادئ:

١- استقبلى زوجك، مهما كانت ظروفك، بالاستبشار والترحاب مع إظهار التلهف عليه وحبذا لو كانت منك قبلة سريعة.

٢- لو كان مظهرك غير حسن لانشغالك بواجبات البيت اعتذرى له بحياء، وسارعى فى إبداء كل مظاهر الجمال منك.

٣- أكثرى من كلمات يحبها الرجال، بمناسبة وبغير مناسبة، مثل أنت حبيبى ونور عينى، وحشتنى يا حبيبى، دخلتك بتملا البيت بركة، ومن غيرك البيت يبقى بارد ومافيهوش روح، ربنا ما يحرمنا من دخلتك ولا رؤيتك يا حبيبى، ما تبقاش تغيب أحسن بأقلق عليك قوى، شبيك لبيك أنا زوجتك بين ايديك آأمرنى يا حبيبى.

٤- لا تخجلى من ذكر كلمات الإطراء والحب أمام أولادك وأنت تتعاملين مع زوجك وأمامهم، فهذا تعليم وتربية لهم وذلك منك لزوجك - أبيهم - يسرهم ويألفونه منكما.

٥- عوّدى أولادك على رؤيتك فى أبهى زينة عند حضور الزوج أو عند موعد مجيئه، طالما حرصت على ستر العورة عنهم وهى من السرة إلى الركبة، ولكن لا تلجئى لإظهار ما فوق ذلك مراعاة للعادة والصيانة وظروف الأولاد المراهقين.

٦- إذا سمعت زوجك ينادى عليك فقولى دائما حاضر يا حبيبى وسارعى فى تلبية النداء.

٧- لو كان زوجك قد اعتاد على أمر مثل شرب كوب من الشاى أو القهوة فى أوقات أو أحوال معينة، فعليك بتقديم ذلك له قبل أن يطلبه، فإن ذلك يسعده ويفرحه ويجد فيه بغيته من الخضوع له والحرص على خدمته ودليل محبته.

٨- اطردى وساوس شيطانك اللعين والعدو المبين التى يكثر أن يوقعها فى قلبك، من أن زوجك سوف (ياخد على كده) وقولى فى نفسك: ليرحل مخذولا مقهوراً. ولو. . . ده حقه وواجب على وربى يرضى عنى لذلك.

٩- حدثى زوجك بأسرارك الخاصة وأشعريه بثقتك فيه ولكى يرى شفافية نفسك فى التعامل معه فهو نعم الأب لك، والأخ المخلص والصديق الوفى، والزوج الشفيق.

١٠- لا ترهقيه فى متابعتك له فيما يخص المال والنقود، أشعريه بحريته فى إنفاق ماله، فلست الرب الذى يسأله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ (تغافلى عن عمد إذا أنفق على نفسه أو على أهله ورحمه أو إذا أساء فى إنفاقه، فإن ذلك من أوسع أبواب الشيطان التى يدخل منها لخراب البيوت وإيجاد المشاكل، ودفع الضرر أولى من جلب المنافع.

١١- احرصى على أن تكون حجرة نومك مع زوجك هى فردوس حياته يتعشقها ويتلهف على حضوره فيها، لما تعوده من فنون المعاملة والسلوك الأنثوى منك، أسمعيه بلا خجل، وأريه بلا ملل، واستجيبى بلا علل وتطاوعى بلا كلل. اصدقى الله فيه ليصدق الله معك، وأعطيه ليخلص لك.

١٢- احفظيه بغيب يحفظه الله لك بغيب، فالجزاء من جنس العمل.

١٣- أبدى السرور والانشراح لزوجك، وحبذا الضحك معه ومع الأولاد، فالشيطان يعتزل تلك المجالس ويحضر إذا كان النكد، والرجال تقبل على مجالس الأنس

والانشراح وتفر من مجالس النكد فعودى زوجك على حب البيت ومجالسه حتى لا يحب مجالس أخرى.

١٤- لا تسأمى انتظار زوجك إذا تعوق حضوره، ولا تظهرى قلقك من الانتظار وأظهرى قلقك عليه وقولى: الحمد لله على سلامتك. ما دمت أنت بخير كل القلق راح.

١٥- احرصى على الأكل معه وإن كنت متخمة، وأريه حب المشاركة فى طعامه ولذاذة الأكل فى حضوره.

١٦- إذا كان زوجك مهموماً فلا تكثرى معه الكلام، وأكثرى النظر إليه فى صمت وشفقة، واجلسى بجانبه مع الالتصاق الشديد ووضع اليد على كتفه وقولى له مع التبسم: مالك يا حبيبى؟

١٧- لا تفاتحيه فى موضوعات الأولاد ومشاكل الجيران أو العمل أو الأهل عند استقباله أو أثناء الطعام أو أثناء الجلسة العائلية المرحة أو فى حجرة النوم قبل قضاء وطره. ولكن فى الأوقات التى يروق له معرفة هذه الأمور، وإياك والإكثار من عرض المشاكل، وليس كل يوم تطالبينه بتبنى آرائك ولكن للعلم والاستفادة والمشورة.

١٨- احرصى من ورائه وأمام الله تعالى أن تكرمى أهله وخاصة والديه ولا تذكريهم بسوء أمامه. وأعينيه على حسن معاشرتهم وإكرامهم وبرهم، وأشعريهم فى بيتك أنك وبيتك لهم، وأن يتصرفوا كأنه بيتهم وتحملى أذاهم وما تسمعين منهم مما لا يسرك، فهذه عادة معظم الناس حتى يأنسوا لك ويحسنوا معاملتك.

١٩- صارحيه فى كل ما تطلبين أو تودى أن يكون عليه فى نظرك، سواء فى مظهره أو ميوله نحوك أو كيفية تمتعك معه وبه، صارحيه بأنك تحبين منه أن يمدحك فى سلوكك معه وأنه يحبك وأن يصرح لك بذلك، صارحيه حتى يصارحك هو الآخر حتى لا يلقى عدوكما الشيطان بوساوسه المشئومة، صارحيه فليس على وجه الأرض من تكشفت له غيره، وإياك وشيطانك يقول لك: كرامتك، عيب تقولى، فليس بين الزوجين عيب أو زعم كرامة.

٢٠- تعودى التنازل عن بعض الرغبات والمطالب لديه، وارضى بحاله الخلقى والسلوكى والاجتماعى فهو قسمك فى الدنيا وزوجك فى الجنة، فليس كل ما تطلبين أو

تطمعين أو تحلمين يتـحقق لك فى دنياك، عما قليل يكون الـرحيل وتحصلين على كل الأمانى ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥].

٢١- بكرى فى اليقظة من نومك حتى يسـتيقظ زوجك فيراك فى خدمتـه وقضاء مطالبه من تجهيز الملابس والحـذاء ومن ترتيب حقيبته إن رضى بذلـك ومن تحضير الإفطار والشاى والجلوس معه للمشاركة.

٢٢- ليكن وجهك الصـبوح المشرق المودع هو آخر منظر يعلق بذاكـرته عند خروجه من باب المنزل، فيصاحبه طوال غيـبته عنك، وليكن وجهك المشرق الوضاء أول خاطر بقلبه وهو واقف خلف البـاب ينتظر رؤياه عند القدوم لبيـته السعيـد، وليبق الحب مظلة بينكما.

****

العشرة الطيبة

(مع الأولاد وتربيتهم)

الفصل الأول

* الولد هتاف البقاء الكامن في الفطرة.

* لو ملك عبد الدنيا بحذافيرها لاحتاج إلى الولد.

* الأولاد هبة الله لا يملك أن يهبهم إلا المالك.

* كل ما أمكن فرعون مصر وعزيز مصر أن اصطنع كل منهما لنفسه ولداً.

* وحشة في النفس البشرية لا يقتلعها إلا الأنس بالولد.

* الأولاد ثمرات الفؤاد ورياحين الدنيا.

* هتاف السائرين إلى الغرفات في الجنة طلب قرة العين.

* الولد مبخلة مجبنة محزنة.

* الدعوة لمنع الخلف فطرة ممسوخة.

* الأولاد وكثرتهم أو الحرمان منهم، ليس دليلاً على الكرامة أو المهانة عند الله تعالى.

* **الولد هتاف البقاء الكامن في الفطرة**

يقول الله عز وجل: ﴿كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ١-٧]. هكذا أفصح زكريا عليه السلام عن الرغبة المكنونة في البقاء والذكر بعد الموت عندما شعر بالكبر والضعف، فهتف هتاف نبي صادق ذي فطرة سليمة إنه يحتاج إلى الولد. وبرغم شيخوخته وضعفه، وبرغم أن زوجته عاقر، وأنه بذلك يفقد أسباب الولد، إلا أنه يطلب من قدير وهّاب يعطي من لدنه بلا أسباب. فجاءته البشرى أن ربّه قد استجاب.

* **لو مَلَك عبدٌ الدنيا بحذافيرها لاحتاج إلى الولد**

إن فرعون مصر، وعزيز مصر، ملك كل منهما أرض مصر وما عليها وحرمهما الله عز وجل الولد، فلا السلطان الذي يأمر فيطاع ويطلب فيلبيّ له طلبه، ولا المال الذي يسخّر به صاحبه كل شيء لحسابه والذي به يقضي الإنسان كل رغباته، نعم، فلا السلطان ولا المال بمستطيعين أن يقضيا حاجة العبد إلى الولد. إن الأولاد هبة الله سبحانه، لا يملك أن يهبهم إلا المالك الرازق القادر، يقول الله عز وجل: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. وكل ما أمكن الفرعون لتحقيق هذه الحاجة أن اصطنع له ولداً، وكذا فعل عزيز مصر، يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩]. ويقول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١] لكن هيهات بين أن يهب ملك الملوك الولد، وبين أن يصطنع ملك لنفسه ولداً لم يهبه له الله ووهبه لمن ليس بملك من أفراد مملكته. وصدق الله العظيم إذ يخبر عن تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَمَا

جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ [الأحزاب: ٤]. ولعل من مدلولات قول الله عز وجل: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف: ٤٦] أن عز الدنيا بالمال والولد، فلا يملك صاحب المال بماله القدرة على الإتيان بالولد، فهو يسخر المال لكل حاجاته فيمكنه الحصول عليها إلا الولد، لذلك أضيف الولد للمال، كما أن صاحب المال لا تكتمل له سعادته الدنيوية بدون الولد.

* وحشةٌ في النفس البشرية لا يقتلعها إلا الأنس بالولد

الإنسان بطبيعته يحتاج إلى الأنيس، يحتاج للزوج والصاحب والرفيق والجليس وغيرهم، ولكن كل هؤلاء لا يشبعون حاجته للأنس بالولد. فهؤلاء يعيش معهم ويختارهم ويخالطونه لوجود رابط يربطه بهم من توافق في الصفات أو الأرواح فيجد شبيهه فيأنس له وبه، وهذه خاصية في البشر والحيوانات والطيور وغيرها من الأحياء. ولكن الإنسان يحتاج إلى نموذج من نفسه، يرى كل نفسه فيه، يكمّل به وفيه ذاته وآماله وغاياته، فإذا تفرَّد دون الولد استوحشت نفسه نوع وحشة لا يذهبها كل من حوله من البشر، ومن أجل ذلك كان النداء الخالد الذى جعله الله تعالى فى كتابه ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين (٨٩) فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠]. فزكريا عليه السلام ليس تفرده عدم وجود الغير معه، فله عليه السلام زوجة، بل هو نبى له قوم يدعوهم ويعيش بينهم. فسبحان الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾ [الإسراء: ١١١] وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذى كان يقول: «فاطمة بضعة منى، يؤذينى ما آذاها» رواه البخارى ومسلم وعند الترمذى زيادة «وينصبنى ما أنصبها».

* الأولاد ثمرات الفؤاد ورياحين الدنيا

إن حب الصديق والفرح به ومصاحبته من سعادة الدنيا للعبد، وكذلك حب الزوجة والوالدين، ولكن حب الولد والعيش معه هو رحيق السعادة ومعدنها وبه بهجة الحياة، ولنسمع إلى الصادق المصدوق ﷺ يعبّر عن ذلك فى قوله الذى رواه عنه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إذ قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «هما ريحانتاى من الدنيا، أى

الحسن والحسين» رواه البخارى والترمذى. والريحان والريحانة: الرزق والراحة، قاله ابن الأثير. «سئل رسول الله ﷺ: أىّ أهل بيتك أحب إليك؟ فقال: الحسن والحسين، وكان يقول لفاطمة: ادعى لى ابنىّ، فيشمّهما ويضمّهما إليه» رواه الترمذى. «كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرتُ إلى هذين الصبيّين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعتُ حديثى ورفعتهما» رواه الترمذى وأبو داود والنسائى.

أىُّ قلب كبير معمور بحب الله، وفى موقف جليل فوق المنبر يدعو إلى الله، فيدفعه الحب والشفقة للولد إلى قطع حديثه وحمل الولد؟!، إنها الفطرة فى صدقها ونصاعتها، بل قل: إنها الفتنة بالولد. بل قل: إنها الرحمة مع أحب ما فى الدنيا. وقل أيضًا: إنه قلب المؤمن الذى يَتَعبّد لله بمباح كما يعبد الله فى مسجده، وقل كذلك: إنه قلب مؤمن لا يغفل عن واجب الدنيا وهو يؤدّى واجبات الآخرة، وقل أخيرًا: إنها القدوة تعلّم على ملأ أن القلب المعمور بحب الله تعالى يتّسع لرحمة خلق الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. عن أبى بكرة رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يصلى فإذا سجد وثب الحسن عليه السلام على ظهره وعلى عنقه، فرفع رسول الله ﷺ رفعًا رفيقا لئلاّ يُصْرع، يفعل ذلك غير مرّة، قالوا: يا رسول الله رأيناك صنعتَ بالحسن شيئًا ما رأيناك صنعته بأحد؟ قال: إنه ريحانتى فى الدنيا، وإن ابنى هذا سيّدٌ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين» رواه أحمد والبزار والطبرانى. ورجال أحمد رجال الصحيح.

إن هذا المشهد الرفيع الشأن من سيرة النبى ﷺ لا يحتاج إلى شرح، بل لا تكفيه الشروح، فبهذا التأكيد الصريح: «إنه ريحانتى فى الدنيا» فصلى الله عليك يا صاحب أبهج قلب وأسعده ممّن جاء إلى الحياة ليعلّم الخلق كيف يَحْيَوْن فى الدنيا فى سعادة بأسباب فيها وهبهم إيّاها الله. عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: «دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يا رسول الله أتحبهما؟ فقال: وما لى لا أحبهما وهما ريحانتاى» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. بأبى أنت وأمّى يا رسول الله، ولذلك يلعبان على بطنك الشريف؟ وأنتَ مَن أنتَ!! ولكنك الرحمة المتسامية فى تواضعها، والرجولة المتناهية فى رقتها، والبساطة المتألقة فى حسن

تعـاملها، والقـدوة التى تحـار العقـول فى إدراك مقـاصـدها، والأبوّة الحانيـة فى أروع مبـاهجها. وهـذا يا رسول الله ما تدركـه عقولنا فـى ظل قولك عن الأولاد: «إن لكل شجـرة ثمرة، وثمـرة القلـب الولد، إن الله لا يرحم مَن لا يرحم ولده، والذى نفسى بيـده لا يدخل الجنة إلا رحيم، قلنا: يا رسول الله كلنا يرحم، قال: ليس رحمته أن يرحم أحدكم صـاحبـه، إنما الرحمـة أن يرحم الناس» رواه البزار. نعـم إنها رحمـة فى القلب تسع كل الناس، وليست رحمته لخـاصته فقط، ولا يمنع ذلك من أن يخص الولد الذى هو ثمرة القلب برحمـة تزرع فيه الرحمة وتنمـو بها المحبة بينهـما، وتستمتع النفـس البشرية فى ظلال ورونق أغصانهـا وقطف ثمارها الدانية. إن موكب أهل الغـرفات فى الجنة يهتف السائرون فيه طوال سيرهم ليستحثوا السير بنشيد السعادة ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]. ويتجاوب فى أرجاء الوجود معهم زجل حملـة العرش: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [غافـر٧، ٨] يقول النبى ﷺ: «إن الله عز وجل ليـرفع ذرية المؤمن إليـه فى درجتـه وإن كانوا دونـه فى العمـل لتقرّ بهم عينُه، ثم قـرأ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ قال: وما نقـصنا الآباء بما أعطينا البنين» رواه البزار والطبرانى. إن السعادة لا تكتمل إلا بنزع الخوف من فقدها، فما أسعد الآباء بالأولاد وما أسعد الأولاد بآبائهم.

* الولد مَبْخلةٌ مَجْبَنةٌ مَحْزَنةٌ

لو أن عبـدًا ملك أسبـاب الدنيا من مال وسلـطان وغيرهمـا ولم يهبـه الله الولد ما استطاع أن يكون له ولد، فقـد جعل الله التـوالد بين الناس من شئونه سبحـانه التى يختصّ به من شاء ويمنعه من يشاء، ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. فالأولاد عطاء من الله تعـالى على سبيل الهبة، ولذلك تجد القرآن وهو يخـبر عن هذا الشـأن، سواءٌ فى حـالة طلب الخلفة أو إعطائـها لأحـد تأتى دائمًا بلفظ الهبـة مـثل:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [إبراهيم: ٣٩] ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ﴾ [ص: ٣٠] ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [مريم: ١٩] ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران: ٣٨] ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي ﴾ [مريم: ٥]. فالأولاد إذن عطاء كريم يختص الله به من شاء من عباده ولو كان فقيراً مركزه بين الناس حقير، ويمنعه الله عمن يشاء من خلقه ولو كان غنيًّا عظيمًا، فمن أعطاه الله الولد فقد وهبه هبةً قيمتها تفوق المال والسلطان وكل قيمة مادية، وعليه شكر الوهَّاب سبحانه، ويقول بلسانه وحاله: الحمد لله الذى وهب لى الولد، ويعلم أنها نعمة عزيزة يجب أن يرعاها ويوجّهها إلى طاعة المنعم، ومن أجل ذلك أيضًا كانت الأولاد مجبنة ومبخلة، لأن المرء يجبن عن القتل ليبقى لأولاده، ويبخل بما عنده ليبقيه لأولاده، فلو لم يكن عنده الأولاد ما خشى على نفسه القتل ولا أمسك المال فلم ينفقه، وهذا لا يعنى أن صاحب الأولاد لا يقاتل ويقتل فى سبيل الله، أو لا ينفق، ولكنها غريزة وفطرة تدعو إلى ذلك يجاهد المؤمن نفسه فى سبيل ربِّه. عن خَوْلة بنت حكيم رضى الله عنها قالت: «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو محتضن أحد ابنى ابنته وهو يقول: إنكم لتبخّلون وتجبّنون وتجهّلون، وإنكم لمن ريحان الله» رواه الترمذى، «جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبى ﷺ فضمهّما إليه وقال: إن الولد مبخلة مجبنة» رواه ابن ماجة، «الولد ثمرة القلب، وإنه مجبنة مبخلة محزنة» رواه أبو يعلى والبزار. «إنهم لمجبنة محزنة، إنهم لمجبنة محزنة» رواه أحمد «أخذ النبى ﷺ حسنا فقبلّه ثم أقبل عليهم فقال: إن الولد مبخلة مجهلة مجبنة» رواه البزار ورجال سنده ثقات. ولكن من أعجب العجب أن لا يرغب بعض الناس فى خلفة الأولاد، وكأنهم بذلك يردّون على الله تعالى هبته، وأنهم مستغنون عنها؟!! إنهم بذلك قد انتكسوا فى فطرهم ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [التين: ٤-٦]، والغريب من أمر هؤلاء أنهم يبررّون ما يصدر عن فطرهم الممسوخة بأن دعوتهم لمنع الخلفة من خوف الرزق، وهم لا يشعرون أنهم بقولهم ذلك قد افتروا على الله فى أمر آخر وهو أن الأرزاق بيدهم لا بيد الرزاق ذى القوة المتين، إن الرزق شأن من شئون الله فهو قيوم السماوات والأرض وما فيهن ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾

[العنكبوت: ٦٠] ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له﴾ [العنكبوت: ١٧] ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾ [الإسراء: ٣١] ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾ [النحل: ٧٢] ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم﴾ [الروم: ٤٠]. إن الأمر يتعلق أصلا بالإيمان بالله، فإما أنهم ضعاف الإيمان أو فاقدون له، فلو قوى الإيمان لأثمر التقوى وعند ذلك يسمعون بقلوبهم قول الله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣] ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله﴾ [النساء: ٩] نسأل الله اليقين والعافية. إن شياطين الجن والإنس الذين دعوا لهذا الأمر وجدوا من بعض الحكومات التى فشلت فى تنمية موارد الشعوب تبريرًا لعجزهم فألقوا المسئولية على شعوبهم الفقيرة لأنهم يكثرون بالخلف الكثير. فبدلاً من أن يزيدوا الموارد المتاحة وينموها، طلبوا من الشعوب أن يقللوا من عددهم، ولكن الفقراء والحمد لله يحبون الأولاد ويتبركون بهم ويعتقدون أنهم من أسباب سعة الرزق.

* من لطائف ما نصح به العلماء من لم يرزقوا الأولاد أن يكون لهم ورد دائم من الاستغفار، وأن يقبلوا على الله تعالى بالطاعات والخيرات، فيكون ذلك من الأسباب التى يجعلها الله تعالى سببًا فى استحقاق الرحمة فيرزقهم الله الولد. وقد استنبطوا ذلك من مثل قوله تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا (١٠) يرسل السماء عليكم مدرارا (١١) ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ [نوح: ١٠-١٢]. وقوله تعالى: ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين (٩٠) والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ [الأنبياء: ٩٠، ٩١].

* ليس عطاء الأولاد دليلاً على الكرامة عند الله تعالى، فقد يعطى الله سبحانه الأولاد لمن يعصونه ويحرم من يطيعونه من الأولاد، ولا العكس من ذلك، يقول الله تعالى: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٥) نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] فقد يكون العطاء للاستدراج أو للابتلاء. عن عقبة بن عامر

رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا رأيت الله عز وجل يعطى العبد فى الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾» رواه أحمد والطبرانى. وقد قال الله تعالى فى معرض الزهادة فى الدنيا والحضّ على عمل الآخرة: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]. بل قد تكون الأولاد عند الكفار والفجار من أكبر أسباب الشقاء لهم، يقول الله عز وجل: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]

****

الفصل الثانى

* الرحم شجنة من الرحمن، والأنثى مختصة بفضل من الله.
* الأرض والسماء، وعالم البشر وعالم الملائكة، والروح والمادة، فى أحفال ملائكية داخل القرار المكين.
* الحامل ليست وحدها، يحل فى أحشائها مخلوق يحيا بحياتها.
* ماينبغى للأم الحامل أثناء الحمل عمله، أو تركه.
* التأوهات السعيدة للحادث الفريد، ولحظات قلق الوالد.
* مايجب اتخاذه من تدابير للأم الوالدة وللمولود الجديد.
* ريح الولد من ريح الجنة، وضم الوليد وشمّه.
* تحنيك المولود واختيار اسمه الجميل الذى يدعى به يوم القيامة.
* المؤنسات الغاليات معهن البركة، والقيم عليهن مُعان، وعزّ الولد الذى لم يكن.
* كل غلام رهينة بعقيقته.

- [illegible]
- [illegible]
  [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
  [illegible]
- [illegible]

* الرَّحِمُ شُجْنَةٌ من الرحمن:

* أيتها الأنثى: لقد اختصك الله تعالى بأن جعلك صاحبة الرحم الذى تبدأ فيه حياة كل البشر، فإن كانت حواء خلقت من ضلع آدم عليهما السلام، فليس رجل أو امرأة في الوجود إلا وخلقت فى رحم أنثى، ففى رحمك يخلق الإنسان، وفى محضنك يتربى وينمو كل الناس، فأنت الأم، وأنت الزوجة، وأنت الابنة، وأنت الأخت، وأنت كل حبيبة، وأنت كل قرابة رحيمة، أنت الضرورة والأنيس لكل إنسان، فأنت الحب والحنان، وبك صلاح المجتمعات والعمران، أنت أيتها الأنثى شيء عظيم لو تعلمين، فاتقى الله وكونى صالحة لتكرمى عند الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

* إن رحم المرأة لمن أعظم معجزات الخالق فى الخلق ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦] . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

إن الرحم والأرحام قد جعلها الله سببا للتواصل البشرى على امتداد الزمان وانتشار العمران، والرحم هنا هو المعنَى المطابق والمترشِّح من رحم الأنثى الذى يبثّ منه الخلق.
عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ: «الرحم معلقة بالعرْش تقول: من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطعه الله» رواه البخارى ومسلم، إذاً هو معْنى الوصل والقطيعة بين الخلق الذين خلقوا فى الرحم، فعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «قال الله تعالى: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققتُ لها اسما من اسمى، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» رواه ابو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرحم شُجْنَةٌ من الرحمن» رواه أحمد بإسناد جيد قوى وابن حبان فى صحيحه، وعن سعيد بن زيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن من أرْبا الربا الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق، وإن هذه الرحم شُجْنة من الرحمن عز وجل، فمن قطعها حرّم الله عليه الجنة» رواه أحمد

والبزار ورواة أحمد ثقات. قال أبو عبيد إمام اللغة: شجنة من الرحمن يعني قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، وفيها لغتان، شجنة بكسر الشين، وبضمها وإسكان الجيم.

* أحفال الملائكة في القرار المكين

* قضى الله تبارك وتعالى أن لايتم خلق بشر في الرحم إلا بعد أن يتم اتصال بين الذكر والأنثى، وبين الأرض والسماء، وبين عالم الملائكة وعالم البشر، وبين عالم الروح وعالم المادة، في رعاية إلهية عظمى تتخيّر من الأرحام ما شاءت لتصوّر القدرة الإلهية فيه ما شاءت من خلق الله رب العالمين، إن خلق آدم عليه السلام من غير اتصال بشري بقول الله: كن، فكان بقدرته، ثم خلق حواء عليها السلام من آدم بلا اتصال بشري أيضًا، ولكن بالقدرة، ثم قضى الله بسنّة خالدة أن لايخلق بشر إلا باتصال آدمي بين زوجين، ذكر وأنثى، ولم تَسْتَثْنِ الإرادة الإلهية سوى خلق عيسى عليه السلام من أمّه مريم البتول عليها السلام، أما العرسُ الملائكي والاتصال بين عالم الملائكة وعالم البشر، وبين عالم الروح وعالم المادة فليس فيه أي استثناء من ذلك، وحتى عيسى عليه السلام فقد اتصل عالم الملائكة بمريم الطاهرة عليها السلام، يقول عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٧-١٩]، وأما سائر البشر فقد أخبر النبي ﷺ فيما رواه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «وَكَّلَ الله بالرحم مَلَكاً، فيقول: أي ربِّ نطفة؟ أي ربِّ علقة؟ أي ربِّ مضغة؟ فإذا أراد أن يقضي خَلْقَها قال: يارب أذكر أم أنثى؟ أشقيّ أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيُكْتب ذلك في بطن أمه» رواه البخاري ومسلم.

- فيا أيتها الأنثى الطاهرة، يا أيتها الأم الكريمة: رحمك محل لهذا التكريم، ولهذه العناية الإلهية، وهذا الحفل الملائكي، وهذا الإبداع الخَلْقي، في رحمك يهب الله تبارك وتعالى ما شاء من ذرية آدم لمن شاء من خلقه، رحمك باب الحياة ومفتاحها، وعليه مدار بقائها، فاتّقي الخالق واشْكريه واعْبديه ليُعيدكِ وبَنيكِ إلى جنة الخلود.

- أيتها المرأة الطاهرة، والزوجة الصالحة: أنت الآن تحملين في أحشائك كائنا آخر غيرك، أنت لست مثل الآخرين، تَحْيَيْن ويحيى بحياتك مخلوق بين جنبيْك لايفارقك لحظة واحدة، فسبحان القائل تُخرِجُ الحيَّ من الميتِ وتُخرجُ الميتَ من الحي وترزقُ من

﴿تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٧]، إن الأمر بالنسبة لك معاناة مع الشعور بسعادة فريدة، ولكن الأمر فى طياته مسئولية وحمل للأمانة، فجسمك وصحتك لم يعودا يخصانك وحدك، ولذلك أيتها الأم الحامل أقدم لك هذه التعليمات والإرشادات الخاصة بالحمل والولادة كما ذكرها المختصون بهذا الفرع من فروع العلم:

- الاهتمام بصحة الأم الحامل أثناء فترة الحمل فى غاية الأهمية حتى تتجنب العديد من مشاكل الحمل والولادة، بالإضافة إلى أن ذلك يحافظ على صحة وحيوية الجنين طوال شهور الحمل وأثناء عملية الولادة، مما يترتب عليه سلامته بعد الولادة وخلال سنوات عمره. ويجب أن تعلم الأم الحامل الحريصة أن كثيرا من الأمراض الجسمانية والعقلية والنفسية والتشوّهات التى تصيب المولود وتستمر معه بعد ولادته تنتج من إهمال صحة الأم أثناء الحمل.

- معرفة بدء الحمل وحفظه هام لمتابعة الحمل ومعرفة موعد الولادة، ويبدأ حساب مدة الحمل من أول أيام الحيض الأخير- أى تحتسب أيام الدورة الشهرية الأخيرة ضمن مدة الحمل- ومدة الحمل ٢٨٠ يوما، أو أربعون أسبوعا، أو تسعة شهور ميلادية وسبعة أيام، أو عشرة شهور قمرية.

- الاهتمام بالراحة وأخذ قسط وافر من النوم فى الشهور الأولى للحمل، وعدم الإقدام على أعمال شاقة، أو السفر الطويل.

- يفضل الاستحمام يوميا بالماء الدافئ، ويكون برش الماء وليس بطريق الجلوس فى «البانيو».

- تنظيف منطقة الشرج والمهبل بالماء والصابون، ويكون الغسيل من الخلف إلى الأمام، أى يبدأ غسل الشرج ويتجه إلى ناحية المهبل وليس العكس.

- لاحرج من الجماع طوال فترات الحمل طالما كان الحمل طبيعيا، ويفضل تركه فى الأسابيع الأخيرة من الحمل.

- يجب أن تكون ملابس الحامل واسعة فضفاضة، سواء الداخلية أو الخارجية وينصح بعدم لبس حذاء له كعبٌ عالٍ.

- الاهتمام بصحة أسنان الحامل ونظافتها فى غاية الأهمية، فيجب غسل الفم والأسنان بعناية بعد كل طعام، والمسارعة بالعلاج عند حدوث أى التهاب باللِّثَةَ أو الأسنان، إذ أن إهمال العلاج قد يؤدى إلى حدوث حُمىً النّفاس بعد الولادة.

- ينبغى تجنّب الإمساك أثناء فترة الحمل، ويساعد على ذلك زيادة تناول المشروبات، وتناول الخضراوات الطازجة.

* تحذير هام: ينصح بعدم أخذ أى صنف من الأدوية، أثناء فترة الحمل، إلا بعد استشارة أهل التخصص من فرع النساء والولادة، حتى ولو كان الدواء علاجا قرره طبيب فى فرع طبى آخر، حيث إن أمراضًا عديدة تصيب الجنين فى رحم الحامل بسبب تناولها بعض الأدوية دون استشارة متخصصة، من ذلك، تأخر نمو الجنين، وضعف بنيته الجسمانية، حدوث آلام وأورام فى الرقبة والكلية للمولود، ضعف الأسنان عند ظهورها عند المولود، انشقاق سقف الحلق، ومن ذلك موت الجنين فى مراحل تكونه وحدوث الإجهاض، حدوث أورام سرطانية وتشوّهات للمولود فى القلب والرئة والعينين والساقين... الخ.

- ينصح بأخذ الحامل عن طريق مختص مَصْل ضد التيتانوس بعد الشهر الرابع من الحمل.

- ينصح بمتابعة الأم الحامل والجنين متابعة طبيّة بتوقيع الكشف مرة كل شهر ابتداء من الشهر الأول حتى الشهر السابع، ثم الكشف مرتين خلال الشهر السابع ومرتين خلال الشهر الثامن، والكشف أسبوعيا خلال الشهر التاسع، وخاصة فى حالة الحمل لأول مرة أو إذا كان هناك ما يدعو لذلك.

- من أعراض الحمل: انقطاع الحيض، والميل إلى التّقيّؤ، والكسل والخمول، والرغبة الشديدة فى النوم وكثرته، والهبوط العام مع الشعور بالدّوخة، وضعف الشهية للطعام، وذلك كله فى الشهور الأولى للحمل.

- وينصح بسرعة العلاج والاتصال بالطبيب أو الطبيبة فى الحالات الآتية:

١- القيء الشديد والمتكرر أثناء الفترة الأولى للحمل والذى يؤدى إلى الهبوط الحاد ونقص الوزن بشكل ملحوظ، لأن الأمر يحتاج للعلاج.

٢- نزول أى كمية من الدم من المهبل فى أى فترة من فترات الحمل.

٣- المغص الشديد والحاد الذى يصحبه آلام فى الظهر خلال أية فترة من الحمل.

٤- الصداع الشديد الدائم.

٥- تورم القدمين.

٦- الزيادة الكبيرة فى الوزن التى تفوق المعدّل العادى.

٧- الكبر السريع فى حجم البطن خاصة فى الثلث الثانى من فترة الحمل (من ١٦ -٢٤ أسبوعا) لأن أيا من هذه الحالات تدل على حدوث أمر غير طبيعى عند الأم الحامل أو للجنين وقد يؤدى ذلك إلى حالة الإجهاض.

- يجب إخبار الطبيب أو الطبيبة واستشارتها إذا كانت الأم الحامل لها تاريخ مرضى سابق على الحمل مثل الإجهاض السابق أو المتكرر، أو إذا كان هناك ارتفاع فى ضغط الدم، أو مرض السكر، أو حدوث تسمّم سابق بسبب حمل، أو موت الجنين داخل الرحم، أو أن ولادةً كانت فى الشهر السابع لمرةٍ سابقة.

- فى بداية الحمل تكون شهية الأم الحامل ضعيفة، ويمكن التغلّب على ذلك بتناول أصناف من الطعام خفيفة مثل البسكويت مع الشاى فى الصباح عقب الاستيقاظ، ثم تناول وجبات قليلة فى أوقات متكررة متقاربة، أو عند الشعور بالرغبة فى الطعام، مع شرب نصف كيلو لبن طازج يوميًا كلما أمكن.

- ظاهرة «الوَحَم» ظاهرة نفسية، ولاتدل على احتياج طبيعى للنوع المُشْتَهى من الطعام، وعدم تناول أى شىء من ذلك لا أثر له عند الحامل ولا عند الجنين، وكل ما يحكيه العوامّ من النساء عن آثار ذلك لاثبوت له علميا ولا واقعيا، وقد يكون وراء هذا الوَحَم كَوَامِن نفسية لدى الأم الحامل، مثل رغبتها فى أن يهتم بها وترى (معزتها) عند الأهل والزوج، وقد لايقصد البعض صراحة مثل ذلك الأمر، ولكن الارتباط النفسى للسماع عن هذا الأمر منذ الصغر يجد الاستجابة التلقائية النفسية عند حدوث الحمل.

- يجب أن يُعتَنى بتغذية الأم الحامل وتناولها الكميات اللازمة من الأطعمة البروتينية والخضراوات الطازجة والفواكه الطازجة. والكميات المطلوبة بحسب وزن جسم الأم الحامل، فإذا كان وزنها ٧٠ سبعين كيلو جراما فإنها تحتاج ما قيمته ١٤٠ جراما من البروتين يوميا، أى لكل كيلو جرام فى الوزن جرامان من البروتين. ويبقى اللبن فى غاية

الأهمية للأم الحامل، عليها إذا لم تكن تستسيغه أن تضيفه إلى أى شىء تَشْربه، لأن قلة اللبن فى الوجبات يؤدى إلى هشاشة عظامها، الأمر الذى يسبب لها الآلام فى ظهرها وساقيها وقد يؤدى إلى تسوّس الأسنان وسقوطها.

- الزيادة فى وزن الأم الحامل أمر طبيعى، ولكن ينبغى ألاّ تزيد طوال مدة الحمل عن ١٣ ثلاثة عشر كيلو جراما بالتدريج، بحيث يكون معدّل الزيادة خلال النصف الأول لمدّة الحمل حوالى ٢٠٠ (مئتى) جرام فى الأسبوع، ويكون معدّل الزيادة خلال النصف الثانى لفترة الحمل حوالى ٥٠٠ (خمسمائة) جرام فى الأسبوع. ولابد من متابعة الوزن بدقة أثناء الحمل حتى لاتكون هناك زيادة مفرطة لخطورة ذلك على الأم الحامل وعلى عملية الولادة، وزيادة معدل الوزن بالخطورة التى تكون لنقْصه أثناء فترة الحمل. ويساعد على زيادة الوزن تناول كميات من السمن أو الزبد أو السكريات أو النشويّات.

- مع زيادة الوزن وفي الثلث الأخير من فترة الحمل تشعر الأم الحامل ببعض الآلام فى أسفل البطن وأسفل الظهر، وكذلك بالساقين. أما الإحساس بحركة الجنين فيبدأ عند البكر حوالى الأسبوع ١٨-٢٠ من بداية الحمل، والتى تكرر الولادة والحمل ففى خلال الأسابيع ١٦-١٨ من بداية الحمل.

- يجب عمل تحليل كامل للدم للاطمئنان على نسبة الهيموجلوبين، ومعرفة فصيلة الدم، وللتأكد من خلوّ الأم الحامل من أمراض الدم الوراثية مثل الزهرى، ولأمر هام جداً وهو الاطمئنان على المعامل R.H، لأن هناك نسبة من النساء يوجد عندها هذا المعامل والذى يتسبّب فى موت الجنين بعد أول ولادة، وفى حالة وجوده لدى الأم الحامل يلزم أخذها للحقنة اللازمة لذلك خلال مدة ٤٨ ساعة من الولادة.

- فى خلال الشهر الأخير من الحمل ينصح بغسل حلمتى الثّدْى بالماء والصابون يوميا، مع تكرار شدّ الحلمة بالإبهام والسبّابة أثناء اليوم، وذلك لضمان عدم اختفائهما فى طيّات الثدْى عند الولادة، ممّا يعوّق عملية الرضاعة بعد الولادة.

※ التَّأَوُّهات السعيدة للحادث الفريد

● أيها الأب السعيد الذى وهبه الله تعالى الزوجة التى تلد لك الولد: كن رحيما بزوجتك الحامل التى تترقّب موعد الولادة بقلق وخوف وشوْق، فهى تحتاج منك إلى المساندة،

والعناية الزائدة، والصبر، وتذكر أنها ستلد إن شاء الله تعالى من يحمل اسمك أنت دون اسمها، وأجرها هي على الله ، فرفقًا أيها الأب الوالد بزوجتك، خاصة فى الأشهر الأخيرة من الحمل، لأنها مُجْهدة، فَهَوِّن عليها، ولا تكن سببا فى زيادة قلقها، حتى ولو قصّرت- دون قصد طبعا- فى خدمتك أو موانستك، فلا تعاتبها ولاتطالبها بكل ما تحب من واجباتها نحوك، أو نحو البيت.

* أما أنت أيتها الأم الحامل: فلا ترددّى فى القيام بالأعمال المنزلية والواجبات الزوجية ما أمكنك، فإن كثرة الحركة والمشى يفيد عملية الولادة ويسهّلها، ولا تتخوّفى من الولادة فإنك مؤهلة بالفطرة لها، وتذكرى أن الملايين من أمثالك يلدْن كل يوم، وتيقّنى أيضًا أن زوجك يحبك جدًا ويخاف عليك حتى وإن لم يصرح بذلك كعادة الرجال. وتذكرى دائمًا أن الله معك دائمًا، وأن النبى ﷺ يبشّرك بالبشريات العظيمة، فقد روى الطبرانى بسنده «أن سَلاَّمة حاضنة إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم قالت: يارسول الله، تبشر الرجال بكل خير ولا تبشر النساء؟ قال: أصُوَيْحِباتك دَسَسْنَك لهذا؟ قالت: أجل، هن أَمَرْنَنى، قال: أفلا ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض، أن لها مثل أجر الصائم القائم فى سبيل الله؟ فإذا أصابها الطَّلْق لم يعلم أهل السماء وأهل الأرض ما أُخْفى لها من قرة أعْيُن، فإذا وضعت لم يخرج منها جرعة من لبنها، ولم يُمَصُّ مَصَّةً إلا كان لها بكل جرعة، وبكل مصة حسنة، فإن أَسْهرها ليلةً كان لها مثل أجر سبعين رقبة تَعْتِقُهنّ فى سبيل الله» رواه الطبرانى ورواته كلهم ثقات، كما روى الطبرانى أيضًا عن النبى ﷺ «المرأة فى حملها إلى وضعها إلى فصالها، كالمرابط فى سبيل الله» فأى خير أنت عليه أيتها الحامل للخير؟ غَنِيمةٌ تَغْنَمها كل امرأة تؤمن بالله العظيم، طوال الليل والنهار، وهى نائمة ومستيقظة منذ أن قدّر الله تعالى الحياة فى النطفة التى استقرت فى رحمها، وحتى يستغنى عنها طفلها، إنها الأرزاق والمواهب الربانيّة الكريمة للنساء الوالدات الضّعيفات المؤمنات المرضيات لله ثم لأزواجهن.

* يوم الوضع والولادة له مقدّمات وعلامات، فيعرف اقتراب موعد الولادة عندما يحدث للحامل آلام أسفل البطن وأسفل الظهر، وبانتظام مع الازدياد المستمر والتتابع كلما تقدم الوقت، ثم يتم نزول- العلامة- وهى عبارة عن كُتْلة مخاطية صغيرة مُدمّمَة- أى يعلق بها نقط من الدم- ويعنى ذلك أن عنق الرحم قد فُتح استعداداً لنزول الجنين،

نعم إن الجنين الذى تكوّن ونَمَا وحفظ فى الرحم الذى كان له قرار مكين، قد أذن الذى صَوّره فى أحسن تقويم سبحانه وتعالى أن يخرج إلى الحياة من باب عنق الرحم، وقد تم فتحه ليخرج المولود على هيئة الساجدين، وجهه نحو الأرض وجسمه على هيئة الساجد، وأول حدث وفعل فى حياة المولود يُسَمّى استهلالاً، وهو صوت يخرجه بقوة على شكل صَيحة أو عطسة، وكأنه يسبح بلغته أن لا إله إلا الله، وهذا الاستهلال هو أمارة حياة المولود، يقول النبى ﷺ: «لايرث الصبيُّ حتى يستهلّ صارخا، واستهلاله أن يصيح أو يبكى أو يعطس» رواه الطبرانى.

- تستغرق الولادة بالنسبة للبكر، من بدء أعراض الولادة حوالى ١٦-٢٤ ساعة، وبالنسبة لمن تكررت ولادتها من ٦ - ١٠ ساعات.

- ينصح أن تغتسل الأم الحامل بالماء الدافئ عند بداية الشعور بآلام الولادة، مع تنظيف منطقة الشرج والمهبل بمطهّر موضعى مثل (البيتادين).

- مع اللحظة الأولى لاستقبال المولود، يتم تنظيفه، ويسرع فى تقديمه للأم الوالدة لتضعه فى حضنها وتلقمه الثدى، ويفضل ألا نطعمه شيئا آخر حتى لو كانت الأم الوالدة منهكة، ولو لمدة ساعتين.

- ينصح بأن تشرب الأم الوالدة بعد الولادة بعض المشروبات الدافئة، ليساعدها على النشاط والحيوية، ومن أجل إدرار اللبن للرضيع.

- ينبغى أن تكون ملابس الأم الوالدة، والمولود، واسعة فضفاضة، وأن يدهن جسم المولود، بعد تنظيفه بزيت اللوز، وأن يقطر فى عينيه قطرة (فينيكول).

- تبدأ الأم الوالدة فى عمل تدريبات رياضية، بعد الولادة بأربع وعشرين ساعة، وخاصة تدريبات تقوية عضلات البطن خوفا من الترّهل.

* من الأمور الشرعية التى يجب أن نحافظ عليها، لما فيها من فوائد: التأذين وقت ولادة المولود بصوت منخفض فى أذن المولود، قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: «رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أذّن فى أذن الحسن بن على، حين ولدتْه فاطمة رضى الله عنها» رواه الترمذى وأبو داود، وزاد رزين فى كتابه «وقرأ فى أذنه سورة الإخلاص، وحنّكه بتمرة وسَمّاه».. قال ابن قيم الجوزية: وسرُّ التأذين- والله أعلم- أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة للكبرياء والعظمة للرب، والشهادة التى

أول ما يدخل بها الإسلام، فكان ذلك كالتَّلْقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقَّن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر، مع ما فى ذلك من فائدة أخرى، وهى هروب الشيطان من كلمات التأذين، وهو الذى كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التى قدّرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضْعَفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به، وفيه معنى آخر، وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التى فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم.

أقول: إن النبى ﷺ فعل ذلك مرارا، بل أمر بذلك، فعند أبى داود وكما رواه الطبرانى «أن النبى صلى الله عليه وسلم أذَّن فى أذن الحسن والحسين حين وُلدا وأمر به».

* ريح الولد من ريح الجنة

* لقد أصبحت الأم الحامل والدة، وأصبح الزوج أبًا لمولود، ولقد ترتب على هذا الحادث السعيد مسئوليات وحقوق وواجبات، ولقد انقطع الشوْق والترقّب للمولود برؤيته، ولقد وجب شكر الواهب على هبته وعظيم عطائه، ولقد مَنَّ اللهُ وسَلِمَ المولود وعُوفيت الوالدة، فبين يدى الوالدين الآن شىء قريب العهد بالرحمن والملأ الأعلى، فقد روى الطبرانى فى المعجم الصغير وفى المعجم الأوسط عن النبى ﷺ قال: "ريح الولد من ريح الجنة" ولعلّ ذلك يفسّر الشوْق الفطرى لبنى آدم للجنة ولموْطن الأرواح حيث يقرّب الإنسان المولود والطفل إلى أنفه فيشمّه، وقد كان يفعل ذلك رسول الله ﷺ «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم فقبّله وشمّه» رواه البخارى ومسلم وكان يقول ﷺ لفاطمة رضى الله عنها "ادعى لى ابنىّ فيشمّهما ويضمهما إليه" رواه الترمذى. ولقد بلغ حب سيدنا يعقوب لابنه سيدنا يوسف أن وَعَت حافظته ريح يوسف، قال الله عز وجل: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف :٩٣، ٩٤]. فيجب ألاّ يُنْسِى الفرح بالمولود، شكر الله وحمده على المولود وعلى سلامة الوالدة، فقد علمنا صاحب الملّة الحنيفية سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا

الصلاة والسلام أن تفعل ذلك، حيث يقول الله عز وجل على لسانه: ﴿الحمدُ لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إنّ ربي لسميعُ الدُّعاء﴾ [إبراهيم: ٣٩]

* من الأفعال المسنونة في شريعتنا تحنيك المولود، وهو عبارة عن مضغ تمرة جيداً بحيث تختلط بلعاب الذي يقوم بهذا الأمر، ثم أخذ شيء من ذلك اللّعاب على باطن الإصبع السبّابة ويمسح به حنك الطفل المولود مع الدعاء له. عن عائشة رضى الله عنها قالت: «خرجت أسماء بنت أبي بكر، حيث هاجرت وهي حُبلى بعبد الله بن الزبير، فقدمت قُباء فَنَفِسَتْ بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نَفِسَت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحنكه، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره، قالت عائشة: فمكثنا ساعة نَلْتَمِسها- يعني التمرة- قبل أن نجدها، فمضغها في فيه، فأوّل شيء دخل بطنه لريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت أسماء: ثم مسحه وصلى عليه وسمّاه عبد الله» رواه البخاري ومسلم، ونَفِسَت، أي ولدت فهي نُفَسَاء. وصلى عليه: أي دعا له. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لمّا وُلد الحسن سميته حربا، وكنت أحب أن أكْتَنى بأبي حرب، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه فقال: ما سميتم ابني؟ فقلنا: حربا، فقال: هو الحسن، ثم وُلد الحسين فسميته حربا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه فقال: ما سميتم ابني؟ فقلنا: حربا، فقال: هو الحسين» رواه البزار والطبراني وأحمد ورجالهم رجال الصحيح.

* ويُختار للمولود اسم جميل ينادى به في الدنيا وأمام الخلق يوم القيامة، وقد رأينا في الحديثين السابقين أن النبي صلى الله عليه وسلم سمّى عبد الله بن الزبير، والحسن والحسين ابني علي وفاطمة رضي الله عنهم. وقال ﷺ: «إن من حق الولد على الوالد أن يُحْسن اسمه، وأن يحسن أدبه» رواه البزار. بل إن الحس الجمالي عند المسلم وتفاؤله الدائم ليجعل شعوره مرهفا نحو كل اسم لأي شيء، فقد جاء في الحديث «أن النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّ بأرض يُقال لها: غَدْرة فسمّاها خَضْرة» رواه أبو يَعْلى والطبراني ورجال سند أبي يعلى رجال الصحيح. وعن عبد الرحمن بن سبرة رضى الله عنه قال: «أتيْت النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي وأنا غلام، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما اسم ابنك هذا؟ قال: اسمه عزيزا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ولكن سمِّه عبد الرحمن فإن أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن» رواه الطبراني وإسناد رجاله رجال الصحيح. وعن سهل بن سعد رضى الله عنه «أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم أتى بالمنذر بن أبى أسيدٌ حين ولد، فوضعه على فخذه، وأبو أسيد جالس، فَلَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء كان بين يديه، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتُمل من على فخذ النبى صلى الله عليه وسلم، فقلبوه، فاسْتَفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما اسمه؟ قال: فلان، قال: لا، ولكن اسمه المنذر، فسمّاه يومئذ المنذر» رواه البخارى ومسلم. ثم لنسمع هذا الخبر الهام والتوجيه الكريم من رسول الله ﷺ حيث قال: «إنكم تُدعَوْن يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم» رواه أبو داود.

* ويستحب أن يكنّى الوالد والوالدة باسم أكبر الأولاد، فعن شريح بن هانئ رضى الله عنه عن أبيه رضى الله عنه قال: «لمّا وَفَد أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مع قومه، سمعهم يكنّونه بأبى الحكم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله هو الحكم وإليه الحكم، فَلِمَ تكنّى أبا الحكم؟ فقال: إن قومى إذا اختلفوا فى شىء أتَوْنى فحكمت بينهم فرضى كلا الطرفين بحكمى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟ قال: لى شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: فمن أكبرهم؟ قال: قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح» رواه النسائى وأبو داود. فالسنة تدعو لاختيار الاسم الحسن، بل وتغيير الاسم غير الحسن إلى الأحسن، وأن من المستحب أن يكون للوالد كنية، وأن يكتنى باسم أكبر الأولاد، وحتى لايكون اختيار التكنية بغير اسم الابن الأكبر شىء فى نفس باقى الأولاد.

- عن عائشة رضى الله عنها قالت: «قلت: يارسول الله كل صَوَاحبى لهن كُنًى، قال: فاكْتنى بابنك عبد الله بن الزبير، فكانت تكَنَّى: أم عبد الله» رواه أبو داود، وعبد الله ابن الزبير هو ابن أسماء بنت أبى بكر أخت عائشة رضى الله عنهم.

*** ضعيفة خرجت من ضعيفة.. القيِّم عليها مُعان إلى يوم القيامة**

* من الأمور التى يترقّبها ويتشوّق لمعرفتها الأب الوالد، وكذلك الأم الحامل ومن يهمه أمر الحمل، هو معرفة ما إذا كان المولود ذكرا أم أنثى؟ وهذا أمر شائع عند معظم الناس وإن كانت رغباتهم لأى من النوعين تختلف، وسبحان الله الذى اختص بالعلم والخلق للذكر والأنثى، ولو تصوّرنا أن هذا الأمر متروك لرغبات البشر، وأنهم هم الذين يحدّدون نوع الولد الذى يرغبون فيه لتوقفت الحياة البشرية، أو قل لأصبح الأمر

معضلة فوق التصورّ، فالله عز وجل هو الذى يصورّ فى الأرحام ما يشاء، وهو سبحانه الذى يعلم ما فى الأرحام علما محيطا بتدبير الوجود كله، فبرغم أحداث الحياة من موت وميلاد تظل النسبة التى تنتظم بها الحياة محافظا عليها، وذكرنى ذلك بدرس للشيخ المطيعى رحمه الله قال فيه: إن من عجائب القدرة أن نجد ذكر الفراخ الرومية كثير ونجد إناثه قليلة، لأن الناس تعوّدوا أكل الذكور، وفى نفس الوقت نجد إناث الفراخ البلدى كثيرة والديوك قليلة لأن الناس تعوّدوا أكل إناثها أكثر من الديوك.

* وأنت أيتها الأم الحامل، أو الأم الوالدة: عليك بقبول هبة الله لك، ذكرا أو أنثى، واشكرى الله تعالى، واعلمى أن الخير فيما قدّره الله، وليس الخير فيما ترغبين فيما يخالف تقديره الحكيم، وقد قال تعالى فى محكم التنزيل ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١] فالولد عزّ لم يكن والبنت بركة للأهل. يقول النبى صلى الله عليه وسلم: «إذا وُلدت الجارية بعث الله عز وجل إليها ملكاً يزف البركة زفّا، يقول: ضعيفة خرجت من ضعيفة، القيّم عليها مُعان إلى يوم القيامة» رواه الطبرانى، هكذا تكون البنت لأهلها بركة يزفها إليهم ملك من السماء، وأن هذا أمر دائم إلى يوم القيامة، بل يحذّر النبى ﷺ من كراهة البنات ويدعو لحبهم والفرح بهن، وكان صلى الله عليه وسلم يحب بناته حبّا عظيمًا ويقول: «لاتكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات» رواه أحمد والطبرانى وإسناده حسن. نَعَم إنهن المؤنسات فى الدنيا بعد الإيمان، ولا أنس فى الدنيا كالأنس بالمرأة، ونَعَم، إنهن الغاليات لوغبْنَ عن بيت أصبح قريبا من القبر. وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن كانت له أنثى، فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر عليها ولده، يعنى الذكور عليها، أدخله الله الجنة» رواه أبو داود، فالبنت سبب لدخول الجنة فكيف لايفرح لها؟ وقال أيضاً ﷺ: «مَن كان له ثلاث بنات يؤدبهن، ويرحمهن، ويكفلهن، وجبت له الجنة البتّة، قيل: يارسول الله فإن كانتا اثنتين؟ قال: وإن كانتا اثنتين، قال: فرأى بعض القوم أن لو قال واحدة لقال واحدة» رواه أحمد والبزار والطبرانى وزاد «ويزوجهن» وإسناد أحمد جيد. وقال أيضاً ﷺ: «من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وعلمها وأحسن تعليمها وأوسع عليها من نعم الله التى أوسع عليه، كانت له منعة وستراً من النار» رواه الطبرانى، فهل هناك مطمع فوق النجاة من النار ثم دخول الجنة؟ إن البنات وخلفتها قد جمعت غاية العبادة فى الدنيا للعبد الموفّق بسببهن. حتى ولو كن أخوات ولسْنَ أولاد فالقيام عليهنّ يعطى العبد نفس الأجر والجزاء، يقول النبى ﷺ: «مَن كانت

له أختان فأحسن إليهما فى صحبتهما دخل بهما الجنة» رواه ابن ماجة وأحمد. ويقول أيضًا ﷺ: «من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذى قرابة، يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما من فضل الله، أو يكفيهما، كانتا سترا له من النار» رواه أحمد والطبرانى.

- وأما من وهبه الله تعالى الولد، فلا أعظم وصفا لهذا العطاء من رسول الله ﷺ وهو يقول: «ما وُلد فى أهل بيت غلام إلا أصبح فيهم عزّ لم يكن» رواه الطبرانى ورجاله ثقات، وقوله ﷺ: «إذا نظر الوالد إلى ولده فَسَرَّه كان للوالد عتق نَسَمة، قيل: يارسول الله وإن نظر ثلاثمائة وستين نظرة؟ قال: الله أكبر» رواه الطبرانى فى الكبير وإسناده حسن، أى الله أكبر فى عطائه للعبد ممّا تتوهّمون وتستعظمون، فالله أكبر ولله الحمد فى الدنيا والآخرة، واجعل اللهم الإسلام منتهى رضاتنا وأوزعنا شكر نعمك.

* كل غلام رهينة بعقيقته

* العقيقة اسم الذبيحة التى تذبح لله باسم المولود عند الولادة يوم السابع، ويستحب أن يجتمع الأهل والمعارف على هذا الطعام لزيادة الألفة، والتّيامن والبشرى بالمولود والدعوة له، وفعل ذلك من سنن الهدى التى شرعها الإسلام، فيجب المحافظة على فعلها بما تيسّر من الطعام إذا لم يقدر على ذبح الذبائح، ويفضّل الذبح عند المقدرة فيما بعد، كما أن السنة أن يتصدق بقدر وزن شعر المولود ذهبا أو فضة، وهو فى الحقيقة قدر ضئيل نذر لضآلة شعر المولود، وكذلك من السنة إزالة شعر المولود ودهن رأسه بأى نوع من الطّيب، وكل هذه الأفعال ثابتة شرعا والحكمة فيها قد تدرك وقد لاتدرك بالعقل، والخير كله فى اتباع هَدى النبى صلى الله عليه وسلم. روت عائشة رضى الله عنها قالت: «عَقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين، شاتين، شاتين، يوم السابع، وأمر أن يُماط عن رأسه الأذى، وقال: اذبحوا على اسمه وقولوا: بسم الله، الله أكبر، منك ولك، هذه عقيقة فلان» قال: وكانوا فى الجاهلية تؤخذ قطنة فتجعل فى دم العقيقة ثم توضع على رأسه، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل موضع الدم خلوقا» رواه أبو يعلى والبزار ورجاله رجال الصحيح. والخلوق: نوع من الطيب والذبح للولد شاتان عند القدرة، فلا يكلف الله بغير المستطاع، ولذلك فقد جاءت بعض الأحاديث مطلقة وغير مقيدة بقدر عدد المذبوح، وجاءت أحاديث أخرى أن للولد شاة واحدة، فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَقّ عن الحسين بشاة، وقال: يا فاطمة احْلقى رأسه، وتصدقى بزنة شعره فضة، قال:

فـوزنّاه، فكان وزنه درهمًـا أو بعض درهم» رواه التـرمـذى. وفى الحـديث الذى رواه البخارى وأبو داود والتـرمذى والنسـائى عنه ﷺ: «مع الغلام عـقيقـته، فأهريقـوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى».

- ولعل بعض الحكمة فى فعل هذه الـعقيقة، قد يفـهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيـما رواه أبو داود والترمذى والنسائى وهو حديث صـحيح قال رسول الله ﷺ: «كل غلام رهينة بعقيقـته، تذبح عنه يوم السابع، ويحلق رأسه. ويسمّى» قال الإمام الخطابى: قال الإمام أحمد بن حنبل فى مـعنى رهينة: هذا فى الشفاعة، يريد أنه إذا لم يعق عنه فمات طفلا، لم يشفع فى والديه.

- لايمنع من تسمية المولود فى أى وقت، كما لا يمنع فعل العقيقة فى غير يوم السابع ولكن الأكمل فعل ذلك، وقالوا: يستحب لمن فاته يوم الســابع أن يفعلها بعد سبعة أيام أخرى، ثم سبعة أخرى.

****

الفصل الثالث

* المخلوق البشري يحتاج إلى أطول فترة من الرعاية والاعتماد على غيره.
* الأم المرضعة هي أحنا إنسان على المولود بدليل الكتاب والسنة وواقع الناس.
* الحضانة للأم، ولبنها له حكم شرعي في التحريم.
* اللذة والألم هما المحرك الأول لسلوك الإنسان.
* نوم الرضيع وجوعه وصراخه لها أسباب.
* الرضيع له لغة يعبّر بها، وصراخه قد يكون من شدّة ذكائه.
* الذاتية المفرطة عند الطفل فطرة تقوى وتضعف، وأمرها يُتَدارك.
* ماذا يعني ميلاد طفل في أسرة لديها أطفال؟ وهل يغير الصغار والكبار؟
* متى يكتسب الطفل الثقة في نفسه وفي الآخرين؟ وأثر العلاقات الاجتماعية داخل أسرة.
* الخطأ والصواب عند الصغير، وشعوره بالذنب وتأثره بالعقوبة.
* الوالد المتسامح، والمتشدّد، وقواعد السلوك عند الطفل الصغير.
* التدليل الزائد، وخاصة للطفل الأول وآثار ذلك.
* مشاكل التحكم في الإخراج والفطام والخروج منهما بلاصدمات وآلام.
* اللعب لذة واستمتاع بالمولود، ومن المولود.
* ملاحظات عامة على مرحلة الرضاعة.

خير النساء، أَحْناهُ على طفل فى صغَرِه
وأَرْعَــــــاهُ علـى زوج فى ذات يــــدِه

المخلوق البشرى هو المخلوق الذى يحتاج إلى أطول مدّة زمنيّة من الرعاية، ولايستقل بنفسه إلا بعد جهد ورعـاية طويلة تقدم له من الآخرين. والمولود بذلك يكون أمانة الله تعالى عند والديـه، وُضع بين أيديهما ضـعيفـا لايدرك، ولايقدر على شىء، عليهـما رعايته ومساعدته حتى يستغنى عنهما ويستقل بنفسه بعد سنوات، وأجرهما يقع على الله تعالى الذى أَوْدع فى قـلبيهـما، محـبة المولود، والشفـقة عليه، والحـنان الدائم نحوه، والتضـحية من أجله، والرغـبة فى راحته وقـضاء متطلبـاته، وَحَبَا الأم الوالدة خـاصة بالنّصـيب الأوْفر من ذلك كله، حـتى جـعل جنة الأولاد تحت أقدامـها. وفى التـاريخ المتكرر كل يوم نماذج من العطـاء الربّانى للأمهـات مع أولادهن مـا يسْـحق التخليـد، وبقدر هذا العطاء الفطرى فى غريزة الأم تكون الخيريّة بين النساء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نساء قريش خير نساء رَكِبْنَ الإبل، أحْناه على طفل فى صِغَرِه، وأرْعاه على زوج فى ذات يده**» رواه البخـارى ومسلم، ومعنى أحناه، أعطفـه وأشفقـه، وأرعاه على زوج، من المراعاة والحـفظ والرفق وتخفـيف الكُلَف. ومن ألطف وأظرف الحكايات فى ذلك، ما روته أم قيس بنت محصن أخت عكاشـة بن محصن رضى الله عنهما قالت: «**تُوُفّى ابنى، فجـزعت عليه، فـقلت للذى يغسّله: لا تغسل ابـنى بالماء البارد فتـقْتله، فانطلق عكاشة بن محصن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقوْلها، فتَبسَّم، ثم قال: ما قالت طال عمرها!! فلا تُعْلم امرأة عَمِرَتْ ما عمرت**» رواه النسائى.

وقد روى البـخارى ومسلم قـصة غـريبة فى هذا الشأن حكاها لـنا النبى ﷺ قال: «**كانت امرأتان مـعهما ابناهمـا جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فـقالت هذه لصاحبـتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبـرتاه، فقال: ائتونى بالسكين أشُقّه بينهما، فـقالت الصغرى: لاتفعل رحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى**» وقد قيل إن تلك القصة هى التى عناها القرآن فى قوله تعالى (**ففهمّنـاها سليمان**) وكلما كان المولود صغيرا ضعيفـا كان الحنو والشفقة من الأم أعظم، روى النبى صلى الله عليـه وسلم قال: «**لمّا كانت ليلة أسرى بى، أتيت على**

رائحة طيبة، فقلت: ياجبريل ما هذه الرائحة؟ قال: هذه رائحة ماشطة فرعون وأولادها، قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذْ سقط المدْرى من يدها -المشط- فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربّي وربّ أبيك الله، قالت: أخبره بذا؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يافلانة، وأنّ لك ربًا غيرى؟ قالت: نعم، ربى وربك الله، فأمر بنُقْرة -أي إناء- من نحاس فأُحْميت ثم أمر أن تُلْقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لى إليك حاجة؟ قال: وما حاجتك؟ قالت: أُحب أن تجمع عظامي وعظام أولادي في ثوب واحد فتدفننا جميعا. قال: ذلك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فأُلقوا بين أيديها واحداً واحداً، إلى أن انتهى ذلك إلى صبيّ لها مُرْضَع، كأنها تقاعسَت من أجله، قال: يا أُمّه اقْتحمي فإن عذاب الدنيا أهْون من عذاب الآخرة، فاقتحمت» رواه أحمدُ والبزار والطبرانى،

فهذه الأم الوالدة قد ثبتت لقوة إيمانها لتهديد فرعون، بل وهى ترى أبناءها واحداً واحداً يُلْقى فى العذاب الشديد ليموت، ولكنها تردّدت وكادت تَتَراجع عندما أُمر بإلقاء ابنها الرضيع، لولا أن أنطقه الله تعالى وهو فى المهد كرامةً لجهادها. وهذا الحنان الوافر عند الأم الوالدة لايمتنع معه أن يكون الأب الوالد رحيما شفوقا على الأولاد، فهذا قدوة البشر ﷺ يُخبر عنه مَن عايشه عن قُرب وهو خادمه أنس بن مالك رضى الله عنه حيث يقول: «ما رأيت أحداً كان أرْحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان إبراهيم مُسْتَرْضَعا فى عَوَالى المدينة، وكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت، وإنه ليُدَخَّن، وكان ظئْره قَيْناً، فيأخذه ويقبّله» رواه مسلم، والظئْر هو الذى ترضع زوجه غير ابنه، والقين، الحدّاد الذى يحمّي الحديد ويصنعه، ولذلك كان بيته مملوءاً بالدخان

- والأم الوالدة، التى حملتْ كَرْهاً ووضعتْ كَرْهاً، هى التى جُعلت الحضانة لها، فهى التى تُرْضع المولود وتحتضنه، يقول الله تعالى: ﴿ والْوالداتُ يُرْضعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْن كاملين لمن أراد أن يُتم الرَّضاعَة وعلى المولُود له رزْقُهُنَّ وكسْوتُهُنَّ بالمَعْرُوف ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فالرضاعة للأم، والنفقة على الأب الوالد، وعلى الرغم من أن حضانة المولود، رعاية وعناية وبذل وتضحية، إلا أن حق حضانة المولود يكون للأم الوالدة قبل غيرها لمصلحة المولود نفسه قبل مصلحتها فى أن يكون مولودها بين يديها وفى حضنها، على الرغم من ذلك فإننا نجد التّنافس على حضانة المولود، والتّنازع بين الوالدين المختلفين على حق هذه الحضانة، عناية بهذا الضعيف المحتاج حتى لايُهْمل عند التنازع والفرقة،

فسبحان من أودع الحنان القلوبَ، وجَبَل الفِطَر على قضاء الحاجات للخلق ولو بالتنازع والعنَاد. عن عمرو بن العاص رضى الله عنه «أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إنى ابنى هـذا كان بطنى له وِعَاء، وثديى له سِقَاء، وحجرى له حِوَاء، وإن أباه طلَّقنى وأراد أن ينتزعه منى، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت أحقّ به مالم تَنْكِحى» رواه أبو داود، فانظر رعاك الله كيف بَسَطَتْ تلك الصحابية رضوان الله عليها حجتها ببساطة الفطرة، بطنى له وِعَاء، وثديى له سِقَاء، وحجرى له حِوَاء. ومـا أعـدَلَكَ فى حكـمك يا رسـول الله صلى الله عليك وسـلم؛ إن الأم الوالدة أحق بحضانة المولود مالـم تنشغل بالزواج من غير والده، لأن الأمور عند ذلك تتغـيّر بالنسبة للمولود. وخـرّج الإمام مالك فى الموطأ قـال: «كانت عند عمـر بن الخطاب امرأة من الأنصار، فولدت له عاصم بن عمـر، ثم إنه فارقها، فجاء عمر قباء فـوجد ابنه عاصما يلعب بفناء المسجـد، فأخذ بعضده فوضـعه بين يديه على الدّابة، فأدركتـه جدّة الغلام فنازعته إيَّاه، حتى أتَيَا أبا بكر الصديق، فقال عمر: ابنى، وقالت المرأة: ابنى، فقال أبو بكر الصديق: خَلِّ بينها وبينه، قال: فما راجعه عمر الكلام» الموطأ.

- لبن الأم الوالدة له حكم شرعى خاص، يجعل من شربه ابناً لها، وإن لم تكن قد ولدته، فتصير بذلك أمّاً له ويصير هو ابناً لها، وقد سمّاها القرآن أمّاً فى قوله تعالى فى معرض بيان المحـرمات من النساء ﴿ وأُمَّهاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وأخَواتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾ [النساء: ٢٣] فـإذا أرضعت المرأة طفـلا حرمت عليه لأنهـا أمّه، وبنتـها لأنها أخته، وأختها لأنها خالته، وأمها لأنها جـدّته، وبنت زوجها لأنها أخته، وأخت زوجها لأنها عمتّه، وأم زوجها لأنها جدّته، وبنات بنيها وبناتها لأنهن بنات أخوته وأخواته.

- والتحريم بالرّضاع إنما يحصل إذا كـانت الرضاعة للطفل خلال حوْلين من ولادته لقول الله تعالى: ﴿ والْوالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فإن كان خارجا عن الحولين لم يحرم، لأنه كما قال القرطبى: وليس بعد التّمام والكمـال شىء، وهو قول الشافعى، واعتبـر أبو حنيفة ستة أشهـر بعد الحولين، وشهر ونحوه عـند مالك. وشرط الشافعى خمس رضـعات مشبعات، واشـترط أحمد وداود وإسحاق ثلاث رضعات وقال مالك: الرضعة الواحدة تحرم.

- الأصل أن يرضع الطفل لبن أمّه من صـدْرها، لأن مزايا ذلك كبيرة للطفل وللأم

أيضاً، علاوة على أنه غذاء صحّي كامل ومناسب خلال مراحل الرضاعة، وفيه قوة للوقاية من الأمراض المختلفة التي يصاب بها الطفل خلال تلك الفترة، فهو غذاء ودواء، مادي ومعنوي، لجسم المولود ولنفسه. فالطفل ينمو انفعاليا ووجدانياً واجتماعيا بشكل طبيعي بالرضاعة، حيث يظهر تعلّق مباشر للطفل بالأم، مع ازدياد الرابطة بها، ولايلقى الرضيع ذلك عند الاسترضاع من غير صدر الأم. لذلك يُنصح في حالة ما إذا اضطرت الأم إلى الترضيع الصناعي، أن تُقَرِّب الرضيع من جسدها وصدرها بقدر ما تستطيع لتشبعه من حاجاته غير محتويات اللبن. وقالوا في فائدة الرضاعة للأم: إن ذلك يساعد على سرعة انكماش الرحم وعودته إلى حجمه الطبيعي بعد الولادة، بالإضافة إلى عودة نسب جسمها وخاصة الصدر والبطن إلى حالتهما الطبيعية قبل الحمل، كما تقلل من احتمالات إصابة الأم بأمراض الثدي والرحم التي شاعت في السنوات الأخيرة بشيوع الرضاعة الصناعية. ويلزم أن تكون تغذية الأم تغذية جيدة، وأن تمتنع عن العقاقير التي قد تؤثر في لبنها، وينصح بتناولها البلح الرطب، فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «أطعموا نساءكم الوَالد الرطبَ، فإن لم يكن رطبًا فالتمر، وليس من شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران» رواه أبو يعلى. وقد وُجد أن الطفل يميل إلى التغذية الهادئة والمنظمة والكافية، وكلما كانت الأم المرضعة على درجة كافية من الرّضا والسعادة والاسترخاء، ولديها رغبة في القيام بهذا الواجب عن رضا كلما كانت نتائج الرضاعة مثمرة.

* اللذّة والألم المحرك الأول للإنسان

مرحلة الرضاعة منذ الولادة وحتى عام ونصف أو عامين تتسم بالاعتماد الكامل على الكبار، والذي يحرك المولود ويتفاعل به، هو اللّذةُ والألم، وهو يمرّ خلال الأسبوعين الأولين بعمليات تكيُّف مع درجات الحرارة، وعملية التنفّس، وعمليات المصّ والبلع، وعملية إخراج البراز والبول، لذلك يتناقص وزن الطفل خلال هذين الأسبوعين، ثم تبدأ بعدهما زيادة وزنه. والوزن العادي للمولود ما بين (٣ إلى $\frac{1}{2}$ ٣) ثلاثة كيلو جرامات إلى ثلاثة ونصف، ويكون طوله حوالى عشرين بوصة، وعادة تكون الذكور أطول وأثقل قليلا من الإناث، والرأس يبلغ وحده ربع طول الجسم، والذقن والرقبة يكونان قصيرين جداً، ويكون البطن منتفخا وكبيرا. ووظائف الإخراج تبدأ بعد ساعات من الميلاد.

- ينام المولود حوالى ٨٠٪ من الوقت، ويقل نومه بالتدريج ليصل إلى ٥٠٪ فى نهاية السنة الأولى من عمره. والذى يوقظ الطفل المولود مؤثرات داخلية، مثل الجوع والألم، ولايوقظه ولايؤثر فيه مؤثر خارجى إلا القوى جداً مثل الضوضاء الشديدة أو درجة الحرارة الشديدة، ومطالب الجوع لديه غير منتظمة، ويعبّر عن حاجته بالصراخ، أما الصرخة الأولى فى حياته عقيب الميلاد، فكانت لتوسيع الرئتين بحيث تسمحان بالتنفّس وتزويد الدم بكمية الأكسجين، بعد استقلاله عن جسم الأم الذى كان يزوده بأسباب حياته، ثم صرخاته بعد ذلك مرتبطة بالجوع والألم، وعدم الراحة والتعب، وعادة يصحب الصراخ حركات للجسم لزيادة جلب الانتباه، وأكثر أجزاء الجسم حركة هما الساقان، وأقلها الرأس، وحركاته غير متآزرة، ويبدأ عادة فى يومه الخامس البكاء بدموع. وفى الشهر الثالث تزداد عضلات العين تآزراً، وعندئذ يصبح الطفل قادراً على الرؤية للأشياء وتمييزها. والرضيع يكون حساساً للغاية لجميع المثيرات الجلدية فيشعر بالحرارة والبرودة والألم، وفى نهاية الشهر الثانى يستجيب للأصوات من جميع الأنواع وخاصة للصوت البشرى.

- تتميّز مرحلة الرضاعة بالنمو الجسمى السريع، ولايشبهها فى المعدّل السريع للنمو، غير مرحلة المراهقة. والشهور الستة الأولى يكون معدل النمو أسرع، ثم يبدأ فى البطء، وتكون الزيادة فى الوزن أكبر من الزيادة فى الطول خلال السنة الأولى، ويحدث العكس خلال السنة الثانية، وبالتدريج يظهر الرأس بشكل أقل ضخامة مما كانت عليه عند الولادة، وعادة يظهر سن سفلية أمامية فى خلال الشهر الرابع، وعندما يبلغ عامه الأول يكون لديه ست أسنان، وتتفوّق البنات قليلا فى نمو العظام والأسنان عن البنين، وبالطبع يظهر على الطفل حالة عدم الراحة عند بدء ظهور الأسنان، وخلال فترة الرضاعة ينمو السلوك الحركى عند الطفل، من جلوس، وحَبْو، وزحف، ومشى بالاستناد إلى الأشياء، وفى منتصف السنة الثانية يمكن للطفل أن يمشى بدون مساعدة، والمولود يجلس وحده غالبا بعد حوالى ستة أشهر، وقبيل هذه السن يمكنه أن ينقلب على بطنه مستخدماً ذراعيه كسنادتين، ويمكنه أن يوازن رأسه ويستخدم ساقيه، وحين يكون مستلقيا على ظهره يحاول أن يجذب نفسه إلى أعلى مستخدما يديه وذراعيه، وهذه الأنشطة تمثل المتطلبات السابقة للجلوس.

- ملاحظة عن التّسنين: يظهر عند الرضيع ما يسمىّ بالأسنان اللّبنية، وعددها

عشرون سنًا، وهى تستمر مع الطفل حتى سن المدرسة وبعدها، ثم تتساقط وتنبت له الأسنان الثابتة، ويصاحب ظهور الأسنان اللبنية اضطرابات تعترى الطفل، وبالطبع يضطرب لذلك الوالدان أيضًا، فالطفل يعانى من بعض آلام اللثة والفم والضعف الصحّى العام، وأحيانا لضعفه قد يصاب بالمرض، ولكنها عموما أعراض مؤقتة، وهى تنتج عن تمزّق بعض الأوعية الدموية، وإحلال بعض الأنسجة محل بعضها الآخر، وشهية الطفل خلال مدّة التسنين تضعف، ويصاب بالضيق والتوتّر، وترتفع درجة الحرارة، وقد يصحب ذلك القيء والإسهال وآلام الأذن، وبعض النوبات التشنجيّة. وتختلف الأطفال فى مواعيد ظهور تلك الأسنان، فأحيانا يولد الطفل وفى فمه سن لبنية واحدة، والبعض لا تظهر لهم تلك الأسنان إلا عند سن ١٥ خمسة عشر شهرا، والمعتاد أن تبدأ هذه الأسنان فى الظهور بعد ستة أشهر.

* من المناغاة حتى الفصاحة بالكلام

* لغة الرضيع هى الصراخ والمناغاة والإيماءات، والصراخ الأكثر شيوعا، والمناغاة أكثر أهمية لأن منها تنمو لغة الكلام عند الإنسان، فصراخ المولود يتميّز بعد أسابيع بحيث يمكن الفهم من نغمة الصرخة وحدّتها، مع الحركات الجسمية المصاحبة، نوع التعبير والحاجة لدى الطفل، فصراخ الألم يعبّر عنه بعلوّ الصراخ المرتعش، ويصاحبه ما يشبه الأنين من التأوهات، وصرخات الجوع تكون عالية تقطعها حركات المصّ.

- الجوع والحرّ هما السببان لمعظم الصراخ فى الأسابيع الأولى من حياة الرضيع، ومع النمو يضاف لهما ألم سوء الهضم. وابتداء من الشهر الثالث يكون الصراخ الطريقة المؤكدة للحصول على انتباه الآخرين، وفى الشهر الرابع يصرخ الطفل لعدم الاستمرار فى ملاعبته، وفى الشهر الخامس يزيد الرضيع من الصراخ إذا دخلت عليه الأم ولم تعره انتباهها. ولذلك قد يكون الصراخ المعبّر عن الاحتياجات دليلا على ارتفاع ذكاء الطفل. وعموما الرضيع الذى تَتَوفّر له احتياجاته بطريقة منتظمة، يكون أقل صراخًا من الذين تتوفر لهم احتياجاتهم ولكن بتقطع وغير انتظام، ولذلك يفضل تحديد مواعيد الوجبات، ومراعاة تغيير الملابس، وتعاهد التهوية، وإشعار الرضيع بالقرب الدائم.

- يهدف الرضيع إلى الاتصال، أو التعبير، فيبدأ بعد نموّ الجهاز الصوتى فى المناغاة بمقطع واحد متكرر، ثم بمقطعين وأكثر كيفما اتّفق، ثم تتزايد بالتدريج، وتبدأ فى الشهر الثانى أو الثالث وتصل إلى غايتها فى الشهر الثامن، ثم تختفى ويبدأ الكلام العادى.

وبالممارسة والتدريب يربط الطفل بين عدد من الحروف مثل: داد - داد، ما -ما، نا-نا، وتكون أول كلمة صحيحة فى النطق فى نهاية السنة الأولى تقريبا، ومن العجيب أن أطفال البشر جميعا على اختلاف لغاتهم، تبدأ على أفواههم أول ما تبدأ كلمة -ماما- بابا- بنفس الصوت والحرف.

- فى الأسبوع السادس من عمر الرضيع تبدأ أول ابتسامة اجتماعية حقيقية، ويستخدم الطفل لغة الإيماءات، مثل، مدّ اليدين والابتسام، ليعبّر عن رغبة فى أن يُحمل، وفى هذا العمر يدرك الطفل من تعبيرات الوجوه، ونغمة الصوت لمحدثه، والإشارة له، ما يقصده المتعامل معه. والطفل ممكن أن يفهم السرور والخوف والغضب منذ الشهر الثالث، خاصة إذا كانت معزّزة بالإيماءات من الكبار. وخلال الشهرين الثانى والثالث يمكن للطفل أن يميّز بين الأشخاص فيدرك الذين يشبعون حاجاته، فيبكى حين يتركه مَن حوله، ويُظهر تعلقه بالأم بإصدار أصوات وابتسامات لها دون الآخرين، ويصرخ حين يحمله غيرها، فسبحان الحنان المنان، مُودع العواطف فى الجِنان، إن هذه الابتسامة الصغيرة من الرضيع للأم الوالدة، تغمرها بالفرح والسعادة والغنى، حتى إن ذلك ليعوّضها عن كلّ ما عانته من متاعب الحمل والولادة، ويجنّدها تجنيداً لراحة المولود، ويشوّقها للإنجاب بعدما يكبر الطفل، وهى تستعيد فى نشوة غامرة، وجه وصورة المولود وابتسامته.

- فى سن السنتين يستطيع الطفل المتوسط أن يفهم ويستجيب استجابة صحيحة لبعض التعليمات التى ألفها ممن حوله، وتبدأ المفردات اللغويّة عند الطفل بالأسماء التى ترتبط بالأشخاص والأشياء فى بيئته، وكذلك الأفعال التى تدل على نشاط اعتاده، وفى نهاية السنتين يكتسب بعض الكلمات الدّالة على النعت والظّرْف، ويندر استخدام الجمل الخبرية والضمائر فى هذه المرحلة. وأوّل كلمة صحيحة فى النطق تكون تقريبا فى نهاية السنة الأولى، وقد يتأخر الطفل السّوىّ عدّة شهور بعد ذلك عن نطق الكلمة الصحيحة، وقد يبدأ البعض قبل ذلك بقليل، ثم تنمو اللغة فى السنة الثانية، ويلاحظ أن ما يفهمه الطفل من الكلمات فى هذه الفترة يكون أكبر ممّا ينطق به بالفعل، لأن الفهم ينمو مبكراً وبسرعة أكبر من إنتاج الكلمات بخمس مرات غالبا، ويكون معدّل فهم الألفاظ خلال العام الثانى بمعدّل أكثر من عشرين كلمة جديدة خلال كل شهر، وأما ما يمكنه نطقه من كلمات جديدة لايتعدّى تسع كلمات شهريا، وقد يفهم طفل

لاينطق إلا بكلمات قليلة أكثر من طفل ينطق بكلمات أكثر منه. ومحصول طفل يبلغ ما بين ثمانية عشر شهرا وما بين عامين حوالى خمسين كلمة. والطريقة الصحيحة فى تدريب الطفل على الكلام أن يُشار له على الشيء وينطقون باسمه، ويطلبون من الطفل تكرار ما يسمع. وتبلغ فى العادة ثروة طفل عمره أربع سنوات أكثر من ألفى كلمة، ومع نهاية العام الخامس قد يصل العدد لأكثر من ثلاثة آلاف كلمة.

- طفل هذه المرحلة يسلك بحيث يظن أن الآخرين يدركون ما يدركه هو، وبنفس الطريقة التى يدرك بها هو عالمه الخاص، بصرف النظر عن واقع الأمر، فمثلا يغمِّض الطفل عينيه ويقول لمن حوله إنك لاترانى، فطالما هو لايرى مَن حوله يفترض بالضرورة أن من حوله لايراه، ولذلك يجب على الوالدين تقدير ما يفهمه الطفل عند التعامل معه، لا ما يفهمانه هما. كما أن الطفل فى هذه المرحلة تتمركز الأمور كلها حول نفسه وما يتبعها، فالعلاقة عنده من جانب واحد هى نفسه فقط، فهو مثلا يرى أن له الحق فى كل شيء، وأن يأخذ من الآخرين أى شيء يرغب فيه، ويغضب ولايفهم لماذا عليه أن يعطى الآخرين، وهو أيضًا يدرك أن له أختًا هو فلان، ولكنه لايدرك أن فلانا هذا له أخ. وهذه الذاتية المفرطة فطرة بشرية يتفاوت الأفراد فى قدرها وكيفها فقط، قال الله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]، وبالتدريج والتدريب والحاجة المعايشة مع الخلق يتخلَّص الفرد من كثير من هذه الخصلة الخلقية الرّذيلة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، فواجبنا مع أنفسنا أوّلاً ليرى الطفل فينا ويقتدى بنا، ثم واجبنا مع الطفل ألاّ نَنْزعج لما عليه من حب الذات، ثم تعويده شيئًا فشيئًا أن للآخرين مثل ما له هو.

* الغيرة من المولود

ميلاد طفل جديد فى أسرة لديها أطفال آخرون، يحتاج إلى اهتمام وتهيئة قبل حلول الطفل الجديد، فيجب على الوالدين تهيئة نفوس الأطفال قبل ذلك وأثناء الحمل نحو محبة الطفل، وإبداء العاطفة نحوه، وعليهما عدم إبداء الاهتمام البالغ بالمولود الجديد أمامهم، وألا يكثروا الحديث عنه دونهم، وألاّ ينشغلوا به ويهملوا باقى الأولاد، فإن ذلك يثير حفيظتهم ضد المولود، ويثير انفعالاتهم، وقد يدفع ذلك بعض الأولاد لإيذاء الرضيع ومعاندته، بل قد يحدث عند الأب الوالد نفسه نوع من الضيق من الاهتمام البالغ من الأم الوالدة للمولود عند إهمالها له كزوج، والذى ينصح به فى هذا الأمر،

أن نعوّد باقى الأولاد اللعب مع المولود وأنه يخصهم مثل ما يخص الأم، وليس هو للأم فقط، وعادة ما تنجح البنت فى ذلك وتستجيب أكثر من البنين، والمطلوب إظهار الاهتمام بالأولاد الآخرين وإشعارهم أنهم لايزالون موضع حب ورعاية، وطلب تقديم العون للمولود عن طريق إخوته وليس الأبوين فقط، وعموما لابد أن يلاحظ دائما أن التفضيل لأحد الأبناء يؤثر فى سلوك باقى الأبناء وشعورهم نحو المفضل دونهم، وقد قصّ القرآن علينا سورة بأكملها حول هذا الموضوع هى سورة سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

- تتأثر شخصية الطفل كثيرا بالعلاقة بينه وبين والديه وخاصة الأم، وهذه المرحلة تتحدّد فيها الأسس التى تقوم عليها شخصية الطفل فيما بعد. ففى الشهر التاسع يمكن للمولود محاكاة الآخرين فى إيماءاتهم، وفى نهاية السنة الأولى يمكنه أن يستجيب للتحذير والنهى، وفى منتصف العام الثانى يبدأ فى معاندة الكبار، ومقاومة مطالبهم بالصمت والانسحاب، أما فى نهاية السنة الثانية، فيمكنه أن يتعاون مع الكبار فى أداء بعض الأعمال. وتؤثر طبيعة العلاقات بين الطفل والشخص القائم بدور الأمومة خلال السنة الأولى فى تحديد مستوى الثقة أو عدم الثقة عند الطفل فيما بعد، فعدم تلبية حاجات الطفل من علاقات الحب والانتباه والملاطفة والتغذية، وبشكل متكرر، يؤدى إلى الشعور بعدم الثقة عنده بالآخرين، وإن كان هذا الأمر يمكن تداركه بالعلاج إذا تعرض الطفل بعد ذلك لمعاملة أفضل.

- تلعب العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة دورا هامًا فى تشكيل سلوك الطفل، إذ أن سلوك الوالدين والإخوة والأقارب الذين يتّصلون به اتصالا مباشرا ومنتظما خلال تلك الفترة الهامة، يحدد اتجاهاته نحو الناس والأشياء والحياة عموما. فالطفل الذى يُحرم من الحنان والحب تتأثر شخصيته لذلك، ويصبح شخصا ساكنًا لايستجيب لابتسامات الآخرين، وتظهر عليه مظاهر التعاسة وكأنه يبحث عن اهتمامات الآخرين، فالطفل فى حاجة إلى مَن يتوجّه إليه بمشاعر التعلق والحنان، ولو من شخص واحد، لذلك يجب أن تتنبّه الأم التى تضطر إلى وضع مولودها الصغير فى دار الحضانة، وهى عادة لايتهيّأ فيها مطالب الرضيع الحقيقية من الحنان والحب، أن تقدم الأم عند عودته للمنزل له أكبر قدر من الحنان والانتباه لتعوّضه عن الفقد لذلك فى- مخازن الأطفال- التى تسمّى دور حضانة. ودور الأب مهم فى ذلك عندما يمارس مع الرضيع أنماطا من

الأنشطة الحركية العنيفة التى لاتقدر عليها الأم لضعفها وخوفها على الرضيع، مثل رفع الرضيع إلى أعلى فى الهواء، وحمله على العاتق والسير به، وهذا ما كان يفعله النبى الكريم ﷺ مع الحسن والحسين، فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «رأيت الحسن والحسين على عاتقى النبى ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبى ﷺ: ونعم الفارسان» رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبو يعلى رجال الصحيح. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، يلثم هذا مرّة، وهذا مرّة، حتى انتهى إلينا، فقال رجل: يا رسول الله إنك لتحبّهما؟ قال: مَن أحبهما فقد أحبنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى» رواه ابن ماجة وأحمد والبزار ورجال أحمد ثقات.

- سلوك الطفل خلال مرحلة الرضاعة ليس له معايير أخلاقية بعد، وبمرور الوقت يتعلم من الوالدين ومن رفاقه قواعد السلوك الجماعى ومسايرتها، فالطفل لايشعر بالذنب على الخطأ، لأنه يعوزه المعايير المحددّة للخطأ والصواب، والتعامل معه يكون بإفهامه بقدر ما يمكنه ما يعود عليه باللذة، لأن اللّذة والألم هما المحركان لسلوكه، وبأسلوب حازم رقيق، واستخدام المحفزات المادية، مع التوضيح الدائم له فى كل موقف، يمكنه أن يساير الوالدين فى طلباتهما، ولكن يجب أن يكون موقفنا معه واحدًا حتى لايقع فى خلط وسوء تمييز، وقد يجرّب الطفلُ الصغيرُ الكبارَ بأن يفعل الخطأ ليعرف ما يسلكونه معه.

- ويجب أن تعزل الأطفال سلوكيا عن مشاعرنا وانفعالاتنا، خاصة عند الغضب والتّوتُّر، فلا يجدون منا غير المألوف لهم فى الحالات العادية، لأنهم لايستوْعبون الفرق، وحتى لانظلمهم ونعاقبهم على أمر لم نكن نعاقبهم عليه فى غير حالة الغضب، لأن عقوبة الطفل يجب أن يسبقها دائمًا توضيح له وتفهيم وتعليم للخطأ، لأن المعاقبة له ليست لمجازاته عن الخطأ، ولكن لتعليمه الخطأ، والفرق كبير فإذا عُوقب الصغير وقت الغضب وبدون تفهيم، يكون ذلك مصدر إزعاج له لايفهمه ولايستفاد منه.

- يجب ألا يتضمّن العقاب فى تلك المرحلة أشكالا من العقاب البدنى، إلا فى حالات التعمّد المتكرر للخطأ، وفى أضيق الحدود، وأخف الأشكال، وإثابة الطفل على السلوك الصحيح، بإظهار التّقبّل له، والعاطفة نحوه، أكثر فعالية من معاقبته على

السلوك الخاطئ، وحتى يتعـوّد السلوك الصحيح وخاصة خلال السنة الثـانية من عمره، حيث يزداد رفضا لمطالب الوالدين، وحيث يبدأ فى التمييز بين الخطأ والصواب.

– طفل مـرحلة الرضاعـة لايفهم المبـادئ المجردة والخطأ والصـواب، إلا من خلال مواقف خاصة، ومما يوقع الطفل فى حـيرة، أن يطلب منه فعل شيء فى حال، ويطلب منه تركه فى حال أخـرى، أو يطلب منه شخص فعل شيء أو تركه، ويطلب آخـر غير ذلك وعكسه، فلا يدرك كيف يكون نفس السلوك صوابا أحـيانا، وخطأ أحيانا أخرى، ومّما يزيده تحيّراً أن يرى الكبـار حوله، وخاصة الوالدين، يفعلون أمـوراً وينهونه عنها، فيـتعلم من ذلك فـعل تلك الأمور، ولكن بعـيدا عن الأنظار، وهذا خلـق خطير، إذا انطبع عليه، وأحـيانا يطلب الطفل أن يفعل الأمـور المنهى عنها من والده المتسامـح معه أكـثر من غـيره، وفى الغـالب فـإن الطفل يفعل مـثل تلك الأمـور ويبررها بأسـاليبـه الساذجة.

– قد يلجأ بعض الأطفال عند تجاهل الكبـار لهم وانشغالهم عنهم، إلى فعل الأمور الممنوعة، والخـروج على القواعـد لمجرّد لفت الأنظار والانتـباه له، حتى مـع علمه بما سيلحقـه من جزاء، لأنه يفضل الانتباه له عـلى مجرد العقوبة المؤقـتة. وقد يكون هذا الخرق للقـواعد السلوكيـة لتغطية شـعور آخر لدى الطفل مـثل فشله فى أداء شيء، أو لاختـبار سلطة الكبـار فى مدى المسـموح له دون التـعرض للعـقاب، وأشهـر المظاهر السلوكية فـى ذلك، هو التبوّل اللاّإرادى والأفعال الاسـتعراضية، والـتّخريب، ونوبات الغضب العصبيّة، وجذب الانتباه بأى طريقـة، والذكور يميلون إلى أفعال تخريبية، بينما تميل البنات إلى سلوك العناد. والطفل فى مرحلة الحضانة يشعـر أنه يستطيع القيام بكثير من الأعمال التى لا يسمح له القـيام بها ويثور على القيود التى يفـرضها عليه الوالدان، ثم يغضب مرّة أخرى عند عجزه عن القيام بما يعتقد أنه قادر على أدائه بسهولة ونجاح.

– التدليل الـزائد للطفل، وخاصة الـطفل الأول، يؤدى بالطفل إلى أن يتكوّن عنده ميل للاعتماد على الغير، وأن طلباته أوامـر يجب أن يستجيب لها الجميع، لذلك يجب على الأم خاصة، تشجيع الطفل على القيام ببعض مـتطلباته، وتشجعه على الاستقلال قدر الإمكان من ناحيـة، ومن ناحية أخرى أن تمنع عنه بعض طلـباته، ولو مع القدرة، حتى يتـعوّد أن كل مـا يرغب فيـه قد لا يحصل عـليه، وأذكر أننى لاحظـت مرّة عند زيارتى لأحد الأثرياء، أن ابـنه الصغيـر يطلب منه أشياءً كـثيرة، رغـم ما بين يديه من

خيرات الله ونعمه، ولاحظت أن أباه يلبي له كل طلب، وأن الطفل يتمادى فى طلباته، فقلت لهذا الأب الثرى: إن هذا السلوك مع ابنك قد يضرّه، لأنه سيكبر على التعوّد على الطلب باستمرار، وأن طلباته لابد أن تلبىّ، وقد يوافق ظروفا لا تلبىّ له رغباته فيغضب ويشقى لذلك، واقتنع الأب بعد مناقشة حاول أن يبرر سلوكه بأن ابنه صغير وأن لديه المال الكثير فيريد أن يسعد ابنه، وقلت له: من الحرص على سعادة ابنك أن تمنع عنه بعض الأشياء رغم غناك، وأن يتعلم أن الرغبات لا تلبى كلها فى هذه الدنيا، وحتى يستطيع أن يعيش مع أشخاص بعد ذلك لا يلبون له كل طلباته.

*** دعوا ابنى لا تفزّعوهُ حتى يقضى بوله**

* يجب أن يتسامح الوالدان مع الطفل عند تدريبه على التحكّم فى إخراج البول والبراز لإشاعة الثقة فى الطفل، وليتفادى أزمة شك قد تصيبه بسبب ذلك فيما بعد المرحلة. ويجب ألاّ يتمّ تدريب الطفل على عملية الإخراج قبل بلوغه فترة عمرية من ١٨ - ٢٤ شهرا، لأن النموّ الجسمى لا يتم فيه القدرة على التحكّم الإرادى إلا بعد هذه الفترة، وقبل ذلك يكون الواجب على الوالدين وليس على الطفل، بأن يلزما نفسيْهما بالمواعيد والأفعال المتعلقة بذلك.

والمشكلة فى حقيقتها هى وجود القلق عند الوالدين، وخوفهم الزائد، خاصة اعتبارهما أن تحكم الطفل فى المثانة والأمعاء مؤشر على النضج والصحة.

- نظافة الطفل والمكان بعد عملية الإخراج تظل مسئولية الآخرين وليست مسئولية الطفل، ولا يلام عليها، لعدم استطاعته، أو تفهمه ذلك خلال تلك الفترة ويستحب للوالدين تعويد الطفل فقط على المشى إلى الحمام وخلع الملابس والجلوس على - القصرية - وتحبيبه فى ذلك وتشجيعه، بدون انتهار له، أو تأفّف منه، أو توعّد، أو إيذاء له. ويمكن للوالدين أن يستعينا ببعض التنبيهات غير اللّفظيّة لتنبيه الطفل عند توقّع حدوث الإخراج، وكذلك عليهما ملاحظة ما يظهره الطفل عندما يكون على وشك التبوّل، أو التبرّز، وحينئذ يتداركان الأمر بالذهاب به إلى الحمام ومساعدته، وبذلك يُبدأ فى تدريب الطفل على الاستقلال بعملية الإخراج، ويجب أن يتذرّع الوالدان بالصبر، ولا يتعجّلا تدريب الطفل خلال هذه المرحلة وهذه المهمّة الحرجة، وأفضل سن لتدريب الطفل على عملية الإخراج بعد بلوغه سنتين من عمره، والحرص الشديد من الوالدين والتحكم الزائد يغرس فى الطفل شعورا بالشك فى إمكانياته، وقد يصيبه ذلك

بالخجل من جسمه وحاجاته، فالتسامح وتوثيق الثقة مع تعليم الاستقلالية يفوّت على الطفل الصغير المشاكل. عن أنس رضى الله عنه قال: «كنت عند النبى ﷺ وعلى صدره أو بطنه الحسن أو الحسين عليهما السلام، فبال، فرأيت بوله أساريع، فقمت إليه، فقال: دعوا ابنى لا تفزّعوه حتى يقضى بوله، ثم أتبعه الماء، ثم قام فدخل بيت تمر الصدقة ومعه الغلام، فأخذ تمرة فجعلها فى فيه، فاستخرجها النبى ﷺ وقال: إن الصدقة لا تحل لنا» رواه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات. فهذا نبى الرحمة، النبى الأمّى العربى معلّم الخلق أجمعين إلى يوم الدين يُجلس الرضيع على بطنه الشريف، فيتبوّل الصغير عليه، وكأن شيئا لا يحدث والبول ينساب على جسده الكريم، بل يمنع الآخرين، ويعلمهم، أن لا يفزّعوا الصغير حتى يقضى بوله، والمسألة بيساطة، مع تواضعه ﷺ، لا تعدو أن تكون نجاسة فتزال بالماء، وأعظم من ذلك أنه ﷺ أخذ نفس الصغير الذى تبوّل عليه وخرج به حتى دخل بيت صدقة المسلمين، وأخذ يعلم الحسن وهو من آل بيت النبى ﷺ أن الصدقة لا تحل لهم. كما روت أم قيس بنت محصن رضى الله عنها أنها «أتت بابن لها صغير لم يأكل إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ فى حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماء فَنَضَحَه ولم يغسله» رواه البخارى ومسلم، كما روت لبابة بنت الحارث رضى الله عنها قالت «كان الحسن بن على فى حجر النبى ﷺ، فبال على ثوبه، فقلت: يا رسول البس ثوبا وأعطنى إزارك حتى أغسله، قال: إنما يُغسل من بول الأنثى ويُنضح من بول الذكر» رواه أبو داود. فصلى الله وسلم على نبى الهدى والرحمة، ورضى الله عن أصحابه الكرام، ويا ليتنا نفْقه ديننا، دين السماحة والعلم.

*** فطام برحمة وبدون آلام**

* الفصال، أو الفطام، عن الرضاعة، يجب التدرّج فيه، وأن يتم بدون معاقبة للصغير، أو تشدّد معه وقهر، حتى لا يتحوّل الفطام إلى صدمة نفسية، وأفضل طريقة لفطام الرضيع دون تعريضه لمشكلات حادّة، أن تقوم الأم بإنقاص كمية الطعام الذى يتناوله الطفل عن طريق الرضاعة، طالما يستطيع الطفل الحصول على طعامه من مصادر أخرى. والمطلوب الرفق والتسامح وليس الحسم والقسوة عند تدريب الرضيع على الفطام، ويجب أن يكون ذلك طبقا لبرنامج واضح لا يترك للتقدير العاطفى وانعكاس المواقف، ويجب أن نعمل على عدم توْتير الطفل بصفة عامة، وأن يحدث تفاعل دائم من الأم للطفل حتى لا يفهم انقطاعه عن الأم نفسها، وليس عن ثديها، فينفعل ويتوتر.

- من علامات الاستعداد للفطام عند الطفل، أن يشعر بالجوع على الرغم من أنه يتغذّى برضاعة جيّدة كل ثلاث أو أربع ساعات، فيتم حينئذ تعويضه، وتحويله إلى شرب السوائل من الكوب. وهناك كثير من الأطفال يفطمون أنفسهم بالتدريج، وخاصة عندما يلاحظون إخوتهم الكبار فى طريقة أكلهم، فيحاولون تقليدهم فى ذلك، ويجب على الوالدين تشجيعهم على ذلك.

- إذا كانت هناك دواع توجب وقف الرضاعة الطبيعية لأسباب هامة، فالأفضل أن يتحوّل الرضيع إلى الرضاعة الصناعية، باستخدام الزجاجة، حتى يتوافر له إشباع حاجة المصّ، إذ يؤدى الحرمان من الرضاعة إلى عادة مصّ الأصابع بعد انتهاء فترة الفطام، ويصبح لازمة عصبية يظهرها الطفل عندما يكبر فى مواقف القلق والتوتر. وإذا أرادت الأم أن تحوّل الرضيع من الشرب فى الزجاجة إلى الشرب من الكوب وغيره، فتبدأ بملء الزجاجة بالماء دون المواد الغذائية التى يرغبها الطفل، كاللبن والعصائر، وذلك لكى يتوقف عن استخدام الزجاجة من تلقاء نفسه، ويتناول الأطعمة من غير الزجاجة.

* لذة اللعب مع الصغار

* عندما يصل الرضيع إلى سن ثلاثة أشهر، يمكنه استخدام لعب الأطفال بعد أن تكون قد نمت قدرته على التحكّم فى يديه، ويستمتع الرضيع بتقلبه على الظهر والجنبين والرّفس والوصول إلى أصابع القدم، وفى الشهر الثامن يصبح اللعب أقل عشوائية، ومع تعلّم المشي يندمج فى اللعب بنشاط. وفى سن (١٨) ثمانية عشر شهرا يحاكى الكبار فى لعبهم ولهوهم، ويلعب منفردا، وفى حالة وجود أطفال آخرين يقوم بدور المشاهد، ويبدأ فى اللعب معهم خلال النصف الثانى من السنة الثانية، ولكنه ينتزع اللعَب منهم لعدم تعلمه الطابع الاجتماعى بعد.

- بسبب نقص التآزر العضلى يكون الطفل مُخرّبًا للأشياء التى تصل إلى يديه، وهو لا يقصد تحطيمها، ولا يدرك ذلك، ومهمة الوالدين إبعاده عن تلك الأشياء الممكن تحطيمها، وإبداله أشياءً لا تتحطم حتى لا تحرمه من لذّة اللعب بالأشياء، وبالطبع لا يعاقب الطفل على سلوكه لعدم جدواه معه، ويكون ذلك ظلما له.

- وتوجد بعض الفروق عند الأطفال فى طريقة اللعب، حيث إن الأطفال الأذكياء يفضلون اللعب الابتكارى ويظهرون من صغرهم خصائص من الإبداع، وكذلك تظهر فروق اللعب تبعًا للجنس، سواء فى أدوات اللعب أو فى طرق استخدامها. والطفل فى

مرحلة الرضاعة له جاذبية للكبار نحوه فغالبا ما يتولون اللعب معه، ويستمتعون معه بذلك.

❊ ملاحظات عامة للمرحلة:

١ - يحتاج طفل هذه المرحلة إلى الرعاية والإشراف التام، أولاً لعجزه الكامل، وثانيا لتعرضه لكثير من الحوادث، وخاصة ما يتصل بالبلع للأشياء المختلفة التى تصل إلى يديه، كالمبيدات، والأدوية، والمسامير والأزرار، وكل ما يلقى دون عناية فى مجال حركة الطفل، فالطفل لا يعرف إلا البلع وصولا إلى اللذة فى خلال تلك المرحلة.

٢ - ينشأ عن التوتّر بين الوالدين، وسوء العلاقة بينهما، والتشاجر المتكرر، فقدان الطفل شهية الطعام، والتهاب القولون، والتبوّل اللاّإرادى، وأمراض الحساسية.

٣ - إظهار مشاعر الغضب نحو الطفل، وإظهار مشاعر الذنب واللوْم الدائم أو العنيف يؤدى إلى توتر الطفل ويزيد من حدّة مرضه وإطالة مدته، والعكس تؤثر العواطف نحو الطفل وإبداء الاهتمام والانتباه والقرب منه إلى نتائج طيبة فى مشاعر الطفل وصحته وتغذيته.

٤ - يمكن لطفل الحضانة فى نهاية العام الثانى استخدام أقلام الرصاص، وأقلام التلوين ورسم بعض الصور وتلوينها.

٥ - فى نهاية العام الثانى يطالب الطفل عادة باتّباع عادات سلوكية معينة وتغيير أساليبه السابقة فى السلوك، ولذلك يبدأ صراع بين الطفل ووالديه فى الظهور، ويغضب الطفل من كل مَن حوْله عندما يعجز عن القيام بما يطالب به.

٦ - العام الأول حاسم فى نمو الشعور بالثقة فى الآخرين، فالرضيع الذى لا يتلقّى قدرا كافيا من الحنان والحب قد يفشل فى تكوين علاقات اجتماعية فى مراحل عمره، خاصة إن استمر معه هذا العجز فى الحنان.

٧ - يحسن تسجيل ملاحظات عن الطفل فى سجل خاص به، وتسجيل العوارض التى تصيبه، لأن تكرار ظواهر وأفعال، قد تعنى اكتشاف قدرة خاصة، أو مرض عند الطفل، ويجب تسجيل الملاحظات كما هى لا تسجيل تفسيرنا عن الحدث.

٨ - ينبغى تسجيل الطفل بأحد مراكز التطعيم لمتابعة تطعيمه، أو لدى طبيب خاص.

الفصل الرابع

ما بين استمتاع ولهْو الطفل الغرير وما بين مسئولية وحرْص الوالدين الكبير تَزْكو نفس الطفل الصغير

* مقدمة عن تنشئة الطفل الصغير.
* دور الأبوين فى التأثير على فطرة الطفل وتحوّلها.
* الطفولة هي مرحلة التكوين للخصائص والسلوك التي تؤثر على المراحل اللاحقة.
* الخبرة والمعايير التى تتحكّم فى توجيه الطفل خلال طور الطفولة.
* على ماذا يتربى الصغار؟
* لن يكون الطفل نسخة ممّا في الخيال.
* طاقات الطفل، وكيف تستنفد.
* الشأن الخطير للأب فى التنشئة.
* ما هى الوسائل والطرق التى يتبعها الأب مع الطفل الصغير.

* بين يدى التنشئة للطفل

كما تحتاج أى نبتة لكى تنمو إلى تغذية مناسبة، ومناخ طيب نظيف من العوارض الضارة، وإلى من يقوم بالرعاية عليها، حتى تطيب وتثمر وتكون نافعة، فكذلك الطفل فى تنشئته يحتاج إلى من يقوم عليه بالرعاية، وإلى تعاهده بالتغذية الطيبة، وإلى توفير الجو الملائم من التعامل والعواطف والعناية. يقول الله تبارك وتعالى عن تنشئة السيدة الطاهرة مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، فإنباتها الحسن، وكفالة ورعاية الصالح زكريا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وجوّ الطهر، جوّ المحراب، والرزق الذى هو من عند الله.

* أيتها الأم الحنون، أيها الأب الكريم: بين أيديكما الآن طفل على فطرة الله التى فطره عليها، يقول الصادق المصدوق ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ رواه البخارى ومسلم، وفى رواية لمسلم: «حتى تكونوا أنتم تجدعونها. قالوا: يارسول الله أفرأيت لو مات قبل ذلك؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين» قال العلماء: إن كل مولود من البشر إنما يولد فى مبدأ الخلقة وأصل الجبلّة، على الفطرة السليمة والطبع المهيأ لقبول الدين الحق، فلو تُرك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها، لأن هذا الدين الحق حُسْنُهُ موجود فى النفوس، وبِشْره فى القلوب، وإنّما يعدل عنه مَن يعدل إلى غيره لآفة من آفات الشر والتقليد، فلو سَلِم المولود من تلك الآفات لم يعتقد غيْره، والمعنى: أن المولود يولد على نوع من الجبلّة، وهى الفطرة، وكونه متهيِّئًا لقبول الحقيقة طبعًا وطوعًا، ولو خلّته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يَخْتَرْ إلاَّ إيَّاها، وضرب ﷺ المثل بأن البهيمة تولد سليمة الأطراف من القطع، ولولا الناس وتعرضهم إليها لبقيت كما ولدت سليمة بلا قطع.

* مفهوم الفطرة يرتبط بالوراثة، ومفهوم الخبرة يرتبط بالبيئة، والمقصود بها: مجموع الاستثارات التى يتلقّاها الفرد أثناء حياته، والوراثة تسهم بمقدار كبير فى الفروق الفردية،

خاصة فى النشاط العقلى، وهذه الخصائص يحدث لها نَضْجٌ خلاف الخبرة فهى عمليات تعليمية وتدريبية، ولها أهمية بالغة فى إحداث تغيير السلوك والأداء، حيث إن السِّمات النفسية الكامنة - الاستعدادات - لاتصل إلى أقصى طاقاتها الوظيفية إلا بالتعلّم. والفروق الفردية فى مختلف أنماط السلوك يتفاعل فيها عامل الوراثة وعامل التعليم، ولكن هناك حدود لايمكن للوراثة أو التعليم أن يتقدم بعدها مهما توفّرت أفضل الطرق وأقوى الدوافع، لذلك لايلزم أن يكون أفراد الأسرة من الأبوين على نفس الاستعدادات فى ظل الظروف الواحدة.

* الطفولة هى المرحلة التكوينية لكثير من الخصائص الجسمية والنفسية، فالاتجاهات والعادات وأنماط السلوك تتكوّن معظمها وإلى حدٍّ كبير خلال السنوات المبكرة فى حياة الإنسان وهو طفل، ورغم هذا فليس الأمر جامدًا ثابتا، فكل شىء من ذلك عرضة للتغيير خلال فترات العمر، وخبرات الطفل فى مرحلة تؤثر فى المراحل اللاحقة، وهناك فترات يكون فيها الاستعداد لتعلم أنواع معينة من الأعمال والسلوك.

* الإنسان ونموّه وما يتّصل به والتعامل معه، يحتاج إلى خبرة فريدة، ولا يصلح له معيار واحد، أو يناسبه التّعميم فى الحكم، بسبب تعقّد سلوك الإنسان، وتعقّد البيئة التى يعيش فيها، وتعقد التفاعل بينها، ويجب أن نحذر من تحويلنا المعايير التى نحكم بها إلى قيود تحدّ من سلوكنا، أو من سلوك الآخرين، وأن نلزمهم بتلك المعايير، ويكون هدفنا هو السعى نحو التحكم فى التغييرات التى تطرأ على الطفل حتى يمكن ضبطها وتوجيهها والتّنبّؤ بها، وهذا يحتاج إلى فهم واضح وتعليل دقيق للظواهر الإنسانية خلال أطوار الطفل حتى يمكن رعايته. فمثلا الطفل من ولادته حتى سن المدرسة فى مرحلة إدراك لما حوله، أما طفل المدرسة وحتى سن ١٢ سنة فهو فى مرحلة الخيال، وأما مرحلة التعقّل والاستدلال فتكون ما بين ١٢ - ١٨ سنة، ثم مرحلة الطّموح فتكون ما بين ١٨ - ٢٤ سنة، كما أن تغير السلوك لدى الإنسان عموما، فيحتاج إلى توجيه صحيح، ومساعدة على ذلك التغيير، وأن توجد دافعية شديدة لدى الفرد نحو هذا التعديل، كما يجب أن نراعى خصائص كل مرحلة سنية فى حياة الطفل، وما الذى نتوقعه منه فى كل مرحلة، وما الذى يجب أن نقدمه له فى كل مرحلة حتى نجنّبه القلق والخوف، وما هى درجة تفرّده فى شخصيته، فالتغيير فى السلوك يرتبط بالعمر الزمنى للطفل، فالمهارة فى الكلام لا تكون قبل ثلاث سنوات

مثلا، والرضيع تعلمه التحكم فى الإخـراج وكيفية النطق وطريقة ارتداء الملابس وتناول الطعام بعد ذلك، وأما المراهق فيتعلم العادات الاجتـماعية، والراشد يتعلم كيف يتحمل المسئوليـة ويؤدى الأعمـال. والمطلوب أن نوفّـر المناخ الذى يجـعل الطفل لديه رغبـة واستجابة للعـملية التربوية بأن يشعر بالارتياح لها فى كل مـا نطالبه به، أو مايقوم به، وهذا يجعله أكثـر قبولا وانتباها وانفعـالا للتوجيهات والتكليفـات، حتى يكتسب أنماطا سلوكية جديدة، أوعند تعديل بعضها، أو إزالة السلوك غير المرغوب فيه عنده.

* على ماذا يتربَّى الصِّغار؟

* تذكر وأنت تتعامل وتربى طفلك أن الطفل لايعرف إلا الاستمتاع واللهو والبهجة، ولايعرف المسئوليات، ولايحمّله الشـرع والعقل ذلك، فحـاول أن تستمتع مـعه وأنت مسـئول عنه، واجعل ذلك قـربة تتقرب بهـا إلى الله تعالى، واحـذر أن يكون غرضك تنشئـة ابنك ليراه الناس أو ليـتحـدثوا عنه وعنك، أو ترغب وتعمل على أن تـخلّقه أو تعلّمه كما يريد الناس، ولكن اجعله لله أمانة عندك تؤدّى مـعه ما يحبه الله وما يكلفك به نحوه.

- لتكن همتك مع طفلك، أن يكون ناجـحا فى الدنيا، مفلحا فى الآخرة، سـعيدا فى الدارين، نافعًا لنفسه ولغـيره، قويًا فى جسمه ودينه، محبًا للخـير داعيا له، يعيش مع الناس فى مودّة وتعاون، فكذلك كانت همة الصالحين القدوة للناس أجمعين، يُذْكر أن سيدتنا هند بنت عـتبة زوجة سيدنا أبى سـفيان رضى الله عنهما كانت تحـمل سيدنا معاوية رضى الله عنـه وهو صغير، فرآه أحـد العرب الذين يتوسّمون، فـقال لها: أرى هذا الطفل أنه سيسود قومه، فقالت بعزم من توّها: ثكلتْه أمه إنْ لم يسدْ إلا قومه. إنها عزمت أن تنشِّئه على سيادة الدنيا وليس قـومه فقط، وقد كان، وهذه إحدى الفُضْليات رضى الله عنهن تحمل صغـيرها وتذهب به إلى النبى ﷺ ليبايعه على الجـهاد فى سبيل الله، فعن عبد الله بن هشـام رضى الله عنه، وكان قد أدرك النبى ﷺ قال: «ذهبتْ به أمّه زينب بنت حُمَـيْد رضى الله عنها إلى رسول الله ﷺ فقـالت: يارسول الله بايعْه، فقال رسول الله ﷺ: هو صغير، ومسح رأسه» البخـارى وأبو داود، وزاد البخارى: «ودعا له، وكان يضحِّى بالشاة الواحدة عن جميع أهله» فكم كانت الأمهات حريصات على التضـحية بأبنائهن فى سبـيل الله، وكم كن يُنَشِّئْنَ الرجال. وهذا صحـابىّ أصابه القلق على ابنه لأنه لايقوم الليل وينام، روى الإمام أحمد فى مسنده «أن رجلا جاء إلى

النبى ﷺ بابن له، فقال: يارسول الله إن ابنى يقرأ القرآن بالنهار ويبيت بالليل؟ فقال رسول الله ﷺ: ما تنقم أن ابنك يصبح ذاكرًا ويبيت سالمًا إن شكوى الصحابى وقلقه على ابنه أنه لايقوم الليل؟!! وهذه امرأة أخرى مات عنها زوجها وترك لها طفلا صغيرًا، فهاجرت به فى سبيل الله وحرصت على أن يصبح ابنها رجلاً مجاهدًا، فقد روى سمُرة بن جندب رضى الله عنه: «أن أم سمرة مات عنها زوجها، وكانت امرأة جميلة، فقدمت المدينة فخطبت فجعلت تقول: لا أتزوج رجلا إلا رجلا تكفّل لها بنفقة ابنها سمرة حتى يبلغ، فتزوجها رجل من الأنصار، وكان النبى ﷺ يعرض غلمان الأنصار فى كل عام، فمن بلغ منهم بعثه، فعرضهم ذات عام، فمرّ به غلام فبعثه فى البعث، وعرض عليه سمرة من بعده فردّه، فقال سمرة: يا رسول الله أجزت غلاما ورددتني، ولو صارعني لصرعته، قال: فدونك فصارعْه، فصارعتُه فصرعتُه، فأجازني فى البعث» رواه الطبرانى ورجاله ثقات. وهذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تقول: «جاء عبد الله بن الزبير، وهو ابن سبع سنين، أو ثمان، ليبايع رسول الله ﷺ، وأمره بذلك الزبير، فتَبَسَّم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلا ثم بايعه» رواه البخارى ومسلم. وفى هذه الحكاية الطريفة التى رواها أبو داود والطبرانى ما يطلعنا على ما كان يتحمله الصغار من مسئوليات عودهم عليها الآباء والأمهات رضوان الله عليهم: «أن وفدًا إلى رسول الله ﷺ مرّوا بأم زبيب، فأخذوا زربيتها، فركب زُبيبٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أخذ القوم زربية أمّي، فقال النبى ﷺ: ردّوا عليه زربية أمه فأخذ من الذي أخذ زربية أمّه صاعًا من شعير وسيفه ومنطقه، ثم رفع النبى ﷺ يده فمسح بها رأس زبيب، ثم قال: بارك الله فيك يا غلام وبارك لأمك فيك» والزربية مفرش يشبه السجّاد، ومنه قوله تعالى: ﴿وزرابي مبثوثة﴾ [الغاشية: ١٦] أى مبسوطة، فانظر إلى شجاعة الغلام ومواجهته للقوم بلا خوف واستنقاذه مفرش أمه، مما أعجب النبى ﷺ به ودعا له بالبركة.

إن ما كان عليه أطفالُ عهد أصحاب رسول الله ﷺ ليرشدنا إلى المنهج الجاد المعتدل الذى جعل منهم سادة وقادة الدنيا إلى كل خير، انظر إلى طفل يذهب من تلقاء نفسه إلى رسول الله ﷺ ليسأله سؤالاً عجيبا لا يسأله إلا صاحب نفس عظيمة، فعن مصعب الأسلمى رضى الله عنه قال: «انطلق غلام منّا فأتى النبى ﷺ فقال: إنى سائلك سؤالا! قال: ما هو؟ قال: أسألك أن تجعلنى ممّن تشفع له يوم القيامة، قال: من دلّك على هذا؟

قال: ما أمرنى به أحـد إلا نفسى، قال: فإنك ممّن أشفع له يوم القيامة ». رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. فبالله عليك، كيـف كانت الأمهات، وكيف كان الآباء ينشئون أولادهم؟ إنه اتباع منهج الإسلام الذى حملوه فيما بعد وفتحوا به قلوب العباد والبلاد، فنشروا الخير والعدل والإيمان.

أما مسك خـتام هذه الأمثلة العظيـمة، فهى قصـة غلام امتحن فـيه رسول الله ﷺ الرجولة وقوة الإيمـان والطاعة ومحبة رسول الله ﷺ «أن طلـحة بن البراء لمّا لقى النبى ﷺ قال: يا رسول الله مُرنى بأمرك ولا أعصى لك أمرا، قال: فعجب لذلك النبى ﷺ وهو غلام، فـقال له عند ذلك: اذهب فاقـتل أباك ، قال: فـذهب مُوَليًا يفعل، فـدعاه فقال: أقبل فإنى لم أُبعث بقطيعة الرحم ، فمرض طلحة بعد ذلك، فأتاه النبى ﷺ يعوده فى الشتاء فى بردٍ وغيم، فلما انصرف قال لأهله: إنى لا أرى طلحة إلا حدث فيه الموت، فآذنونى به حتى أشهده وأصلى عليه وعجّلوا . فلم يبلغ النبى ﷺ بنى سالم بن عوف حتى توفّى، وجَنَّ عليـه الليل، فكان ممّا قال طلحـة: ادفنونى وألحقونـى بربى عز وجل ولا تدعوا رسول الله ﷺ فإنى أخاف عليه يهود. وأُخبر النبى ﷺ حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبـره وصفَّ الناس معه فـقال: اللهم الْقَ طلحـة تضحك إليه ويـضحك إليك » رواه الطبرانى وإسناده حسن.

* الطفل لا يكون نسخة لما فى الخيال

* عن علي بن أبى طالب قال رضى الله عنه: علّموا أولادكم علـى غير شاكلتكم، فإنهم مـخلوقون لزمان غير زمـانكم. إن هذا القول على وجازته فـيه فقه وعلم كـثير، ذلك أن الوالدين اللذين يربيّان الصغير، قد تربيّا فى زمن مضى كان فيه من الوسائل ما يكون الكثير منها قد تغيّـر، ومن العادات والأعراف التى لا تصلح لزمان الصغار، نعم هناك ثوابت لا تتغيّر كالقيم والمبادئ والحلال والحرام فى شرع الله تعالى، ولكن يبقى أن يدرك الكبار أن عَالَمَـهُم غير عَالم الأطفال، ونفسـيته وخيالاته بالقطع تخـالف ما عليه الكبار، فـما أجمل أن يكون الوالدان مع الطفل كالطّفلـين، فيُسعداهُ ويَسْعَدا به، وألا يقْصدا مع الطفل ما يسرّهما، أو ما يرغبان فيه، ولكن ما يجب فعله معه، وما يحتاجه منهما هو كطفل، فالطفل لا يعرف إلا اللهو والمرح واللذة بلا تقدير عنده لأية مسئولية، والكبير عليه أن يستمتع معه وبه، مع تحمل كامل المسئولية.

– من الواجب نحو الطفل الملاطفة والمسامحة، مع الحب والحنان، وإذا اقتضى الأمر حسما فى أمر معه فليكن برفق ولين وعطف، إن الطفل ليس شيئا تملكه فتفعل فيه ومعه ما تشاء، إنه مخلوق رقيق أُسْند إليك رعايته وتربيته، إنه أمانة عندك ستُسْأل عنه «كلكم راع ومسئول عن رعيته» وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «أعطانى رسول الله ﷺ ناقة سوداء كأنها فحمة ضعيفة لم تخطم، فمسحها ثم دعا لى عليها بالبركة ثم قال: يا عائشة أدِّبى وارفقى» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، فإذا كانت وَصاية رسول الله ﷺ هذه مع البهيم، فما بال ما يجب فعله مع الطفل الصغير؟

– الطفل لديه طاقات كبيرة، ولابد أن يَسْتَنْفِدها، فنحرص على أن لا تبدَّد فى غير ما ينمّى مهاراته وسلوكه وقدراته، ويزيد من نشاطه، ولكن الحماية والرعاية التَّسلُّطية الزائدة، تضرّ الصغير أكثر ما تنفعه، فالمنع والرفض الدائم، والقسوة والصرامة لكى يتحمل مسئوليات أكبر من طاقته، والتّحديد الدائم لكل فعل، كالأكل والنوم واللّبس، لا يتناسب مع حاجة الطفل لحرية الحركة والنشاط حتى تنمو قدراته ومهاراته فى مناخ صحيح، والمطلوب معه أن نعطيه قدراً من حرية الممارسة والتجربة والمشاركة، مع التّشجيع والتّقدير، فهى حرية للطفل مع توجيه ورقابة، ومساعدة له مع تحميله قدراً من المسئولية ولو شكلا لإقناعة بذاته، وهو عطاء بلا تدليل حتى يتعوّد الصلابة للمواقف الصّعبة، وهى عقوبة رمزية للتعليم، مع الإثابة والرفق والعطف الكريم. وبالعموم طفلك لن يكون نسخة لما فى الخيال والمثالية، إنه مجموع قدرات وإمكانات ذاتية تنمو فى الجو الذى نوَفّره له، مع التعاهد والتوجيه الواعى الحنون ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ، ٦٤] والبيئة من حوْل الطفل تؤثّر فيه، وأعظمها تأثيراً ما عليه الوالدان من معاملة وخلق وقدوة.

*** الأب له شأن خطير فى تنشئة الطفل الصغير**

التّعاون والتّنسيق والتّفاهم بين الوالدين فى تربية ورعاية الطفل، أساس أصيل لنجاح التربية للطفل، ولبقاء الأسرة متآلفة متشاركة قوية لا تؤثر فيها العوارض والطّوارئ التى تمرّ فى حياة البيوت والآباء والأمهات والأزواج، فكما أن الطفل يحتاج لعطف وحنان الأم ورعايتها وقربها منه، فإنه يتأثّر بقدر عظيم بوالده وسلوكه معه واهتمامه به، والطفل ينظر للوالد على أنه يعرف كل شىء ويقدر على كل شىء ومسئول عن كل شىء، وإن كان فى نفس الوقت يطلب من أمّه كل ما يطلب ويرغب فيه، ويشبع معظم

احتياجاته من خلال أمِّه، وعادة توجيهات الوالد تؤخذ من الطفل باهتمام أكثر من الاهتمام الذى يعطى لتوجيهات الأم، لأن الطفل يدرك بفطرته من صوت الأم وتعبيراتها نفحة الحنوّ والتَّدليل، وأنه سرعان ما تعود الأم لحالتها الطبيعية مع الطفل، وتَنْسى هى مع الطفل ما صدر منه ومنها، فصورة الأم المرتسمة فى فؤاد الطفل دائما، صورة الحنان والعطف والمسامحة، أما صورة الوالد الأب عند الطفل، وبرغم الحب المتبادل، فهى صورة الصلابة والحزم ورفْق القسوة، أو قسوة الرفق، والمؤاخذة والتَّعْزير، فإذا ما استُثْمر حنان الأم وحزم الأب، اعتدل العطاء التربوى عند الطفل، وتَميَّز له الصَّواب والخطأ، من بين دوافع الرغبة والرهبة، ونشأ لديه الضّمير، واتَّضَحت له المبادئ.

- يقضى الطفل فى هذه المرحلة، وقبل خروجه للمدرسة، معظم الوقت فى البيت، وخاصة مع الأم، وغالبا ما يقضى الأب الوالد معظم وقته خارج البيت مما يجعل تأثر الطفل بالأب الوالد قليلا نسبيًا، وهذا الأمر يوجب على الأب الوالد مضاعفة اهتمامه وتعامله مع الطفل حتى يعوِّضه حقَّه، ويساعد على ذلك مصاحبة الطفل للأب الوالد عند خروجه لقضاء بعض الواجبات خارج البيت. كما أنه من ناحية أخرى قد يعرض للأم ما يشغلها، أو يمنعها من القيام بواجباتها نحو الطفل، مثل مرضها، أو انشغالها فى أعمال ضرورية تُعوِّق الواجب مع الطفل، وفى مثل هذه الحالات يحسن للأب الوالد أن ينشغل هو مع الطفل، أو يصطحبه معه خارج البيت كلما أمكن ذلك. رَوَتْ السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنها: «أن رسول الله ﷺ أتاها يومًا فقال: أين أبنائى؟ يعنى حسنا وحسينًا، قالت: أصبحنا وليس فى بيتنا شىء يذوقه ذائق، فقال علىٌّ: أذهب بهما، فإنّى أَتخَوَّف أن يبكيا عليك، وليس عندك شىء، فذهب إلى فلان اليهودى. فَتَوَجَّه إليه النبى ﷺ، فوجدهما يلعبان فى سَرِيّة، بين أيديهما فضل من تمر، فقال: **يا على ألا تَقْلب ابنىّ قبل أن يشتدّ الحرّ؟** قال على: أصبحنا وليس فى بيتنا شىء فلو جلستَ يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة تمرات؟ فجلس النبى ﷺ حتى اجتمع لفاطمة شىء من تمر، فجعله فى صُرَّته، ثم أقبل، فحمل النبى ﷺ أحدهما وعلىٌّ الآخر حتى أقلبهما» رواه الطبرانى وإسناده حسن، ومعنى يقلب، أى يرجع ويعود، وكان على رضى الله عنه يأخذ تمرة من اليهودى مقابل كل دَلْوٍ يَنْزِعُه من البئر يروى الحديقة. فهذا علىٌّ الأب الوالد رضى الله عنه، وهذا النبى ﷺ الجد الوالد، برغم أعبائهما ومسئولياتهما فى سياسة أمور المجتمع كله، يقومان برعاية الطفلين

الصغيرين رضى الله عنهما، بل يقول على رضى الله عنه لزوجه وأم الطفلين الصغيرين رضى الله عنها: «أذهب بهما فإني أتخوّف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء» إنه التعاون والتّشارك في المسئولية، والحنان الأبوىّ، والزوجىّ معًا، والرجولة فى مواجهة الصِّعاب وشظف المعيشة، وما أعظم رحمتك يا رسول الله وشفقتك وحبك الكبير فى قولك: «يا على: ألا تقلب ابنىّ قبل أن يشتدّ الحرّ؟» وما أعظم تواضعك الذى يطامن السحاب، وأنت من أنت «فَحَمَلَ النبى ﷺ أحدهما وعلىٌّ الآخر حتى أَقْلَبهما» هكذا أمام اليهودى، ومن حديقته حتى بيت على، وأمام كل من قابله فى المدينة!! فصلى الله عليك وسلم وبارك يا خير قدوة فى الأبوّة، وفى كل شيء تحلّى به البشر القدوات، ثم أى حرْص وتعاهد ورعاية، حيث يذهب إلى البيت فيسأل باهتمام، «أين أبنائى؟» ولا يكتفى ﷺ بالسؤال والجواب، إنه يذهب بنفسه الشريفة إلى حيث علم أين الأبناء، فيرى بعينه ويطمئن قلبه «فوجدهما يلعبان فى سَرِيَّة بين أيديهما فضل من تمر» قد شبعا من جوع وبقى فضل من تمر، وها هما يلعبان فى مجرى الماء، ولم يبق إلا أن يعمل على إعادتهما للبيت.

– كم هو رائع وجميل عند الطفل الذى ينتظر أباه عند عودته للبيت حتى يشاركه فى لَهْوِه وطعامه، أو يسمع منه حكايةً لطيفةً فيها معنى لطيف ينطبع فى فؤاد الطفل طوال عمره، إن رحابة النفس الصغيرة عند الطفل لَتَتَّسع من خلال أبيه وما يسمعه منه، وحتى لا تَتَقَوْلَبُ نفْسُه على ضيق جدران البيت الذى يقضى فيه معظم هذه الفترة التى تنطبع فيها النفس بأهم ما يصاحبه فى عمره عن الحياة، وقد يخطر بالبال أن وسائل الإعلام وغيرها يمكن أن تؤدّى للطفل هذا الدور وهذه المهمة، ولكنى أقول: الطفل عادة لا يأخذ منها إلا الغثّ والتّافه، وما يأخذه من النافع لا يفهمه، وإذا فهمه لا يأخذه بمأخذ الاهتمام مثل ما يسمعه من أبيه، فالواجب على الأب الوالد ألا يغفل عن هذا الأمر مهما كثرت شواغله، روى الإمام مسلم فى صحيحه «أعتم رجل عند النبى ﷺ، ثم رجع إلى أهله، فوجد الصِّبْيَة قد ناموا، فأتاه أهله بطعامه، فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدا له فأكل، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها، فليأتها وليكفّر عن يمينه» فهذا أحد الصحابة الذين يجالسون النبى ﷺ حتى عتمة الليل، ويقومون على شئون الأمة فى أشدّ أوقاتها

خطورة، لا يمنعه ذلك كله من تعاهد أطفاله عند عودته للبيت فيأكل معهم ويجالسهم كما يجالس أمثاله هو خارج البيت، وفى اليوم والليلة التى تأخَّر فيها عنهم حتى ناموا، فَفَاتَهُ وفَاتَهم تلك الجلسة المعتادة، وحزن رضى الله عنه فحلف لا يأكل، كأنه يعاقب نفسه على إهماله ذلك الواجب اليومى، إنهم كانوا يجالسون النبى ﷺ فيتعلمون منه ويأخذون عنه، فما أَحْوَجنا إلى الأخذ عنهم حتى تشرق بيوتنا بالخير كما أشرقت بيوتهم، وحتى يَنْشأ أولادنا كما نشأ أولادهم. عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: «دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يا رسول الله أتحبّهما؟ فقال: وما لى لا أحبها وهما ريحانتاى» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «رأيت الحسن والحسين على عاتقى النبى ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبى ﷺ: ونعم الفارسان» رواه أبو يعْلى والبزار ورجال أبو يعلى رجال الصحيح. فَأَىُّ أبوَّة فى حِرْصِه على لَهْوِ الصغار ومداعبتهم وملاعبتهم حتى ولو احتاج الأمر أن يلعب الصغار على بطنه الشريف، وبل ولو احتاج الأمر أن يمكِّن الصغار من اتِّخاذه فرسًا يعلونه ﷺ، فيا ليت الآباء والكبار يهتدون بهديه ويسلكون منهجه، حتى يعود بيتُنَا مثل الحسن والحسين خُلُقًا ومَسْلكًا، لا مجرد اسم وحكاية. ولم يكن ذلك الذى يفعله رسول الله ﷺ خافيا على أصحابه، أو سلوكا يختصّ به النبى ﷺ دون أصحابه، بل كان دَأْبَ الصحابة كلهم، ونعلم ونذكر كثيرا قول حنظلة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «ساعة وساعة يا حنظلة» فالساعة التى للإيمان لا تمنع المؤمن من ساعة ملاعبة الصِّبْيان، يقول حنظلة رضى الله عنه: «كنّا عند رسول الله ﷺ فذكر النار، ثم جئت إلى البيت، فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة، فخرجت، فلقيت أبا بكر، فذكرت ذلك له، فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر» الحديث، وهذه رواية الإمام مسلم والترمذى، فالبيوت إذًا فيها المضاحكة والملاعبة للأهل والصبيان، وهى بيوت أهل الإيمان، فما بين بيوت النبى ﷺ وبيت الصدّيق وبيت حنظلة الشهيد، تسمع بكاء الخشوع فى الصلاة، كما تسمع ضحكات اللهو المباح فى أبهج وأسْعد حياة، ولم يعد بيت إلا وفيه الخير وخرج منه الشرّ، لأنهم سمعوا النبى ﷺ يحذرهم وينهاهم عن أسباب الشر فى البيوت حيث قال: «شر الناس، الضيِّق على أهله» قالوا: يا رسول الله وكيف يكون ضيِّقًا على أهله؟ قال: الرجل إذا دخل بيته خَشَعتْ امرأته وهرب ولده وفَرَّ، فإذا خرج ضحكت امرأته واستأنس أهل بيته» رواه الطبرانى، فأى بشاعة تلحق برجل

يكون خروجه وغيابه عن بيته أفضل وآحب وآنس عند أهل بيته من حضوره، فنعوذ بالله العظيم من الخذلان.

- إن مسئولية الأب الوالد نحو الطفل لَتزيد وتَشْتَدُّ إذا انْتاب الطفل أى مكروه أو مرض، لأن الأم الوالدة فى هذه الظروف عادة ما ترتبك ويشتد قلقها وتوتّرها وجزعها على الطفل، مّما قد يفقدها القدرة على التّصرف المناسب نحو الطفل، فوجود الأب بجانبها وقيامه بواجبه نحو الطفل، يجعلها تستعيد تمالكها لنفسها فتقوم بواجباتها المعتادة، كما أن وجود الأب مع الطفل وتلطُّفه معه يجعل حالته مستقرّة ويساعده على التحمل، ويزيد من فرص الشفاء والاطمئنان عند الطفل. عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «دخلت مع أبى بكر على أهله، فإذا عائشة ابنته مُضْطجعة قد أصابتها الحمّى، فرأيت أباها يقبِّل خَدَّها ويقول: كيف أنت يا بُنَيَّة» رواه البخارى ومسلم. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا ببعض الطريق سمع رسول الله ﷺ الحسن والحسين يبكيان وهما مع أمهما، فأسرع السير حتى أتاهما، فسمعته يقول: ما شأن ابنى؟ فقالت: العطش، قال: فأخلف رسول الله ﷺ إلى شَنَّة يبتغى فيها ماءً، وكان الماء يومئذ اعدادا والناس يريدون، فنادى: هل أحد منكم معه ماء؟ فلم يبق أحد إلا أخلف إلى شنّته يبتغى فيها الماء، فلم يجد أحد منهم قطرة، فقال رسول الله ﷺ: ناولينى أحدهما، فناولته إياه من تحت الخدْر فرأيت بياض ذراعيها حين ناولته، فأخذه فضمّه إلى صدره وهو يَضْغو، ما يسكت، فأدْلع لسانه فجعل يمصّهُ حتى هدأ أو سكن فلم أسمع له بكاءً، والآخر يبكى كما هو لا يسكت، ثم قال: ناولينى الآخر، فناولته إياه، ففعل به كذلك فسكتا فلم أسمع لهما صوتا» رواه الطبرانى ورجاله ثقات. فهذه نازلة عجيبة نزلت بفاطمة رضى الله عنها أثناء سفر فى سبيل الله، إما لأداء نسك حج أو عمرة، وإما فى سير إلى العدوّ للقتال والجهاد فى صحبة الزوج، وقد كان النساء يخرجْن مع المقاتلين ولا يشتركن فى القتال، واشتد العطش بطفليها رضى الله عنهما فأخذا يبكيان، ويسمع بكاءهما الأب الوالد ويفزع إليها لنجدتهما، ويضطر ﷺ أن ينادى بنفسه يطلب الماء من أصحابه، ولكن ليس فى كل الشِّنان - قرب الماء - قطرة واحدة من ماء، وهنا يتصرّف الأب الحكيم ﷺ بما يناسب الموقف، فيأخذ الطفل ويضمّه إليه ويخرج له لسانه المبارك حتى يمصّهُ الطفل فيرْطب حَلْقَه من ريقه المبارك ﷺ، حتى ينقطع البكاء، وتهدأ الأم القلقة رضى الله عنها، حيث لم يكن لها

حيلة معهما فى ذلك، فبرغم السفر ومشاقّه، وقيادة الركب العظيم ومسئولياته، لم يغب عن الأب الوالد ﷺ تعاهده لولده والقيام بواجبه معه، ولا يغيب عن إدراكنا، ما كانوا عليه من حرص على مصاحبة أولادهم لهم فى الأسفار لكى يكتسبوا الصلابة والتحمّل وبركة الصحبة فى أسفار العبادة والجهاد.

- خروج الأب الوالد بالطفل معه خارج البيت واصطحابه إلى المسجد سنّة مباركة، وأسلوب تربوىّ أصيل لتنشئة الطفل على حب المساجد والصلاة، والتعوّد عليها، وفيه مخالطة الطفل لأهل الخير وحضور دعواتهم، علاوة على المؤانسة للطفل وفرحه بالخروج من البيت والانطلاق خارجه فى ظل الحماية والرعاية من الأب الوالد، روى الأئمة، النسائى وأحمد والحاكم بالسند الصحيح: «خرج علينا رسول الله ﷺ فى إحدى صلاتى العشاء وهو حامل حسنا - أو حسينا - فتقدم النبى ﷺ فوضعه، ثم كبّر للصلاة فصلّى، فسجد بين ظهرانَى صلاة سجدة أطالها، قال: فرفعت رأسى فإذا الصبىّ على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودى، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدتَ بين ظهرانىّ صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننّا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك، قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أُعجله حتى يقضى حاجته» وظهرانى الصلاة، أى وسطها وفيما بينها. وعن أبى بكرة رضى الله عنه «أن النبى ﷺ كان يصلّى فإذا سجد وثب الحسن عليه السلام على ظهره وعلى عنقه، فيرفع رسول الله ﷺ رفعًا رقيقًا لئلا يصرع، يفعل ذلك غير مرّة». رواه أحمد والبزار والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح. وهكذا كان فعل أصحاب النبى ﷺ ورضى الله عنهم، حيث كانوا يصحبون أطفالهم معهم خارج المنزل وخاصة إلى المسجد ومجالس العلم وأدلّة ذلك كثيرة، وأكتفى بواقعتيْن لطيفتيْن «كان النبى ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، فيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلْقَة، لذكر ابنه، ففقده النبى ﷺ فقال: ما لى لا أرى فلانًا؟ قالوا: يا رسول الله بُنَيُّهُ الذى رأيتَه هلك، فلقيه النبى ﷺ فسأله عن بُنَيِّه؟ فأخبره أنه هلك، فَعزَّاهُ عليه، ثم قال: يا فلان، أيُّما كان أحب إليك، أن تَتَمتَّع به عمرك، أو لا تأتى إلى باب من أبواب الجنَّة إلا وجدتَه قد سبقك إليه يفتحه لك؟ قال: يا نبى الله، بل يسبقنى إلى باب الجنة يفتحها لى، لهو أحب إلىّ، قال: فذاك لك» رواه النسائى وإسناده صحيح. وأما الواقعة الثانية، فعن أبى رِمْثَةَ رضى الله

عنه قال: «انطلقتُ مع أبي نحو النبي ﷺ، ثم إن رسول الله ﷺ قال لأبي: ابنك هذا؟ قال: ابني وربِّ الكعبة، قال: حقًا؟ قال: أشهد به، قال: فتبسَّم النبي ﷺ ضاحكًا من حَلف أبي، ومن ثَبت شَبَهي في أبي، ثم قال رسول الله ﷺ: أما إنه لا يجني عليك، ولا تجني عليه، وقرأ رسول الله ﷺ ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى» رواه أبو داود والنسائي.

– من الأفعال الطيِّبة التي يقوم بها الأب مع الطفل، اصطحابه عند زيارة الأقارب وذوي الأرحام، حت يتعوّد الطفل مثل هذه الصلة للأرحام، حتى يعرف أهله وأقاربه، وقد روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن النبي ﷺ: «تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة للأهل، مثراة للمال، ومنسأة للأجل» فهذا التزاور بالنسبة للطفل يُحبِّب إليه الأقارب خاصة، كما يحبِّب إليه مخالطة الناس بصفة عامة، ويوسِّع عنده دائرة حركته واطِّلاعه، بحيث لا يتربى في هذه المرحلة في معظم الوقت في حدود البيت وما حوله، بل يكون من المفيد عند ملاءمة الظروف أن يبيت الطفل ليلةً عند إحدى ذوي رحمه، مثل خالته أو عمته، حتى يترسخ في نفسه أن البيوت قريبة الصلة ببعضها، وأن الحياة أرحب من خصوصية البيت. روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بتُّ عند خالتي ميمونة، فجاء النبي ﷺ بعد ما أمسى، فقال: أصلَّى الغلام؟ قالوا: نعم. فاضطجع...» وذكر الحديث، رواه البخاري وأبو داود، ولا يخفى مسئولية ربِّ البيت عند متابعة الطفل في التعوّد والمواظبة على الصلاة، حتى ولو كان الطفل ضيفًا.

– ومن جميل ما يعوِّد الأب ابنه عليه، المشاركة له في اللعب، والتَّباسط معه، حتى يستطيع الأب أن يوجِّه الطفل إلى الصواب من خلال لعبه معه، وحتى يزيل من نفس الطفل كل الحواجز التي يتوهَّمها الطفل نحو أبيه وما يراه فيه من سلطة تسلُّطية، روى الإمام أحمد بسند حسن: «كان النبي ﷺ يصفُّ عبد الله وعُبيد الله وكُثيِّر أبناء العباس، ثم يقول: من سبق إليَّ فله كذا وكذا، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبِّلهم ويلتزمهم» إنه اللعب الهادف المبارك، إنها مسابقة بين أطفال صغار، ولها جوائزها التي يشتهيها الطفل الصغير، في جوٍّ من الحنان والتقبيل والأحضان عميقة التأثير في حينها. وتدبَّر، هداني وإياك الله، إلى أي حدٍّ كان تواضع رسول الله ﷺ وتطامُنه للصغار الذين يرتمون على ظهره وصدره الشريفين، إنه جلال الحال المناسب للأطفال، وصدق العطاء الكريم، وعمق عاطفة الأبوة، وإقرار منهج التربية الإسلامية للصغار، وإعطاء القدوة للكبار.

-ومن مسئوليات الأب الوالد، بجانب الأم الوالدة، تعويد وتذكير الأطفال العبادات، وخاصة الصلاة، والتنبيه لهم وحضهم على ذلك، كأن يطلب من الطفل الاستعداد بالوضوء للصلاة عند قُرْب حلول موعدها، ومساعدته فى ذلك فى الوضوء ثم فى جعله مع الأم أو الأب أو الأخوة أو هم جميعا، فى الصفِّ للصلاة، ويحسن كل حين اصطحابه مع الأب أو الأخ الأكبر إلى المسجد، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على ذلك حتى أصبح لهم سلوكا معتادا، ومن أعجب هذا السُّلوك ما كان عليه سيدنا أبو قُرْصافَة رضى الله عنه فقد «أسرت الروم ابناً لأبى قرصافة رضى الله عنه، فكان أبو قرصافة إذا حضر وقت كل صلاة صعد سور عسقلان ونادى: يافلان، الصلاة، فيسمعه وهو فى بلد الروم» رواه الطبرانى، ورجاله ثقات. فأى حرصٍ من الآباء على صلاح الأولاد وتعليمهم، وإلى أى حدٍ تكون المسئولية نحو الصغار؟.

- ولا مانع من مصاحبة الأب لطفله فى الذهاب إلى أحد الصالحين ليدعو له ويبارك عليه، لعل الله أن ينفعه بهذه الزيارة، والحُلُول والخوض فى رحاب الرحمات التى تَتنزّل على عباد الله الصالحين فتغمّرهم ومَن يحضر معهم كما جاءت به الأحاديث الصحّاح، وتحفّهم الملائكة، وخاصة العلماء العاملين منهم، فعن جمْرة بنت عبد الله اليربوعى رضى الله عنهما قالتْ: «ذهبَ بى أبى إلى النبى ﷺ، بعد ما وَرَدَتْ على أبى الإبلُ، فقال: يارسول الله، ادع الله لبنتى بالبركة، قالت: فأجلسنى النبى ﷺ فى حجره ووضع يده على رأسى ودعا لى بالبركة» رواه الطّبرانى، وهذا تشريع وإقرار منه ﷺ لهذا العمل، وهذا السلوك من الأب الوالد يرسّخ فى ذهن نفس الطفل الصغير توقير العلماء والصالحين، وحبّهم واعتياد مجالسهم ومجالستهم.

- من المقرّر شرعًا وعرفًا أن الأب الوالد يجب عليه نفقة الصغير حتى يَسْتَغْنى عنها، ولكن معرفة الأب بما له عند الله من أجر ومثوبة، يزيده تمسكا بواجبه، وأن يَسْعى على أولاده وهو يعلم أنَ ذلك عبادة يتقرب بها إلى الله، كما تتقرّب الأم الوالدة بخدمة الزوج والطفل ورعاية كليْهما بأداء واجبها نحوهما. ومن أدلّة ذلك، وهى كثيرة، قول النبى ﷺ: **«أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابّته فى سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله»** رواه مسلم والترمذى. قال أبو قلابة: بدأ بالعيال، ثم قال أبو قلابة: وأى رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على عيال صغار يعفّهم الله، أو ينفعهم الله به ويغنيهم؟» رواه مسلم

والترمذى، والعفّة: كفُّ النفس عمّا لايحلّ، أى يجعلهم ذوى عفاف وتقى لا يَتَبَذَّلون.

- مرَّ بنا فى الفصل الخاص بالحمل أن الأم الحامل أثناء حملها ورضاعتها وسهرها فى رعاية الطفل لها بحكم الشرع أجر القائم الصائم فى سبيل الله، أما الأب الوالد فقد أعطاه الله أجر المجاهد فى سبيل الله عن سَعْيه على أطفاله، فقد روى كعب بن عُجْرة رضى الله عنه قال: «مَرَّ علىَّ النبى ﷺ فرأى أصحاب النبى ﷺ فى جَلَدةً ونشاطا، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا فى سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: إن كان خرج يسْعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسْعى على أبويْن شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسْعى على نفسه يعفُّها فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسْعى رياءً ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان» رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح. فيجب أن يَتَنَبَّه الوالدان لحكم شرع الله فى تربية الأطفال من أنها عبادة وقُربى يتقرّبون بها إلى الله تعالى، فيحسنون هذه العبادة، فيخلصون النيَّة والقصد لله فى رعايتهم والقيام بالمسئولية نحوهم، ولايَتَبرَّم أحد الوالدين من كثرة المشاغل والمتاعب التى تحتاجها تربية الصغار، فبعد قليل يَجْنى الوالدان ثمرة ذلك أولاداً مهذبين طيِّبين يسعدون معهم فى الدنيا، ثم النَّعيم المقيم عند رب العالمين.

- مُدبِّر الأمر الكريم سبحانه وتعالى، هو الرزَّاق ومُسبِّب أسباب الرزق، ومن حكمته وتدبيره وابتلائه للخلق، أن يُحْرَم الصغير من يرعاه وينفق عليه، وهو من يسمّى باليتيم، وشرعا اليتيم من فَقَد أباه صغيرا حتى يبْلغ الحُلُم. قال رسول الله ﷺ: «لايُتْم بعد حُلم، ولايُتْم على جارية إذا هى حاضت» رواه الطبرانى ورجاله ثقات وروى البزار الجزء الأول. والجارية: الصغيرة، لذلك حضَّ الشرع على كفالة اليتيم ورعايته لعجزه وقلة حيلته، حتى يَتَحمَّل النَّفقة عليه ورعايته مَن لم يَلِدْه، وله الثواب الجزيل، وذلك معلوم من الدين لكل مسلم، ومن أكرم وألْطف ما يُعْطاه كافل اليتيم ومحبّه والحانى عليه، ما أخرجه الإمام أحمد بسند رجاله رجال الصحيح «أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ قَسْوَة قلبه، فقال امْسح رأس يتيم، وأطعم مسكينا» فصاحب القلب القاسى، أعاذنا الله من قسوة القلب، إذا عطف على اليتيم فأظهر له الحنان الأبوىّ فمسح على رأسه وقرَّبه منه، لانَ قلبه ورقَّ بعد قسوة، وقد روى الطبرانى أيضا: «أتى النبىَّ ﷺ رجلٌ يشكو قسوة قلبه، قال أتُحبّ أن يلين قلبك وتدْرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعْمه من طعامك، يلن قلبك، وتدرك حاجتك». ومن عجائب الإيمان التى يؤمن بها كل

من آمن برسول الله ﷺ، قوله: «ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم، فيقرب قصعتهم شيطان» رواه الطبراني وهو حديث سنده حسن، بل إن سعة الرزق والتوفيق في كسبه، من أسبابه تربية الصغير، فقد روى الطبراني «أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ سوء الحرفة، فقال: ربِّ صغيراً، فسأله، فقال: جارية أو غلاما». وأقول لمن يسعى على صغير من الأولاد، أو على كبير من الآباء، أو على محتاج: لاتَمُنَّنْ بسعيك على أحد، فلعل الله تعالى يرزقك ويوسع عليك الرزق من أجلهم، فأنت تَغْنم، وتَنْعم من أرزاقهم التي يسوقها الله تعالى على يديك. واسمع لقول الله تعالى: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا (٣٠) ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ [الإسراء: ٣٠، ٣١]. فخاطب الله تبارك وتعالى الآباء الذين يكتسبون الرزق بقوله عز وجل: ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ فبدأ برزق الأولاد الذين لايتكسبون قبل رزق الآباء الذين يتكسبون. ولما عرف جيل الصحابة رضوان الله عليهم هذه المعاني، بلغ بهم أمر الرعاية لليتيم مبلغًا بأن تنازعوا عليه. روى أبو داود قال: «خرج زيد بن حارثة إلى مكة، فقدم بابنة حمزة، فقال جعفر: أنا آخذها، أنا أحقّ بها، هي ابنة عميّ وعندي خالتها وإنما الخالة أم، وقال علي: أنا أحقّ بها، هي ابنة عميّ وعندي ابنة رسول الله ﷺ فهي أحقُّ بها، وقال زيد: أنا أحقّ بها، هي ابنة أخي، وإنما خرجت لها وسافرت وقدمت بها، فقضى بها رسول الله ﷺ لجعفر، وقال: الخالة أم».

وأخيرا أيها الأب الوالد أقول لك عن طفلك الصغير: إنه يحتاج إلى والدين، أحدهما أب، والآخر أم، فإن تعاهده أحدُهما دون الآخر، كان ذلك نقصًا في التربية، يؤثر في تكوين شخصية الطفل فيما بعد، ويظل واجبك نحو الصغير حتى يكبر، وقد يستغني عن النفقة منك، ولكنه أبدًا في حاجة إلى عطفك وحنانك وتعاهدك له، حتى ولو استقل ببيت غير بيتك، وخاصة الإناث من الأولاد، وهذا ما حدثتنا سيرة النبي ﷺ مع ابنته فاطمة وأخواتها رضي الله عنهن «كان رسول الله ﷺ إذا سافر، كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وإذا قدم من سفره كان أول من يدخل عليه فاطمة» رواه أبو داود، «كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر قَبَّل ابنته فاطمة» رواه الطبراني ورجاله ثقات.

****

الفصل الخامس
أساليب الثواب والعقاب مع الطفل

* الفطرة لايصلحها إلا شريعة الجزاء بالثواب والعقاب.
* الطفل خامة بشرية قابلة للتشكيل.
* هل أساليب العقوبة مضرّة بالطفل؟
* فوائد ومزايا أساليب العقوبة.. ومتى تكون نافعة؟
* مشاكل مرحلة الطفولة المتعلقة بالعقوبة.
* تطبيقات وقواعد مأثورة لأساليب العقاب من مأثور الهدْى النبوى.

* كل ابن آدم خطَّاء، ولكن!

* من ثوابت الرسالات السماوية على مدار التاريخ البشرى، الإنذار والتَّبشير، والترغيب والترهيب، والثواب والعقاب، لأن الجزاء على الأعمال بالسعادة والشقاوة، والجنة والنار، غاية العبادة لله عز وجل. والفطرة التى فطر الله الخلق عليها مهيأة لهذا الأمر، ولا يصلحها سوى شريعة الجزاء والثواب والعقاب. والنفس مجبولة على فعل الخير والشر، وتستجيب للأمر والنهى، وترغب فى النافع وتستَجلبه، وتكره الضار وتدفعه، كما أنها تزكو بفعل الخير، وتنتكس بفعل الشر. و تفترق الخلائق بقدر ما يعملون من خير وشر، يقول الله تعالى﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٠]. وقد بيَّنت الرسالات السماوية للناس، الخير والشر، والنَّافع والضَّار، والصَّواب والخطأ، والجزاء حسنُه وسيِّئُه، ومازالت موازين العدْل الإلهى تجازى الخلق على أفعالهم من خير وشر، على أساس تلك الموازين المبيَّنة فى الشرائع السماوية، فى الدنيا، ثم فى الآخرة.

* والطفل خامة بشرية قابلة للتَّشْكيل بالفطرة، والذى يتولَّى رعايته فى سنوات طفولته هو الذى يكوِّن خصائص وصفات شخصيته، كما أخبر رسول الله ﷺ فقال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه» رواه البخارى ومسلم، فالوالدان يكسبان الطفل، إما عقائد وأخلاق وسلوك وأفعال اليهود، أو النصارى، أو المجوس، أو بالطبع، المسلمين، بالأساليب والمناهج التى يتَّبعونها معه وتؤثر فيه، والطفل فى سنواته الأولى شديد التَّأثر بمن حولْه، ومن أنجح الأساليب المؤثرة، أسلوب الثواب والعقاب للطفل.

والثواب، وهو يلائم الجسم والنفس، ماديا، ومعنويا، عاجلا أو آجلا، والعقاب عكسه بإيقاع ما لايلائم الجسم والنفس، ماديا، ومعنويا، عاجلا، أو آجلا، بغرض تحفيز الطفل على النشاط المطلوب منه فعله، أو تركه، أو تغييره، أو تعديله، طبقا لما دَلَّ عليه الشرع، أو دفع ضرراً، أو استجلب نفعًا.

والطفل لديه القدرة على فعل الصواب، وفعل الخطأ، ولكنه قد لايعرف الفرق بينهما، لذلك يكون أسلوب الثواب والعقاب مع الطفل، غايته تعليمه الصواب والخطأ،

وأن يمتنع عن تكرار الخطأ، فهو للطفل للتعلم والزجر، ولكنه للكبار للزجر والتنكيل.

هل أسلوب العقوبة مضر؟

* قد رأى البعض أن أساليب العقوبة تضر بالطفل أكثر مما تفيد، لأسباب منها:

١ - العقوبة يصاحبها القلق والخوف، خاصة عندما يبالغ فيها، ويصبح الطفل دائمًا غير سعيد.

٢ - قد يؤدي العقاب إلى - كبت - السلوك المعاقب عليه، ويجد له مسارًا آخر، ولكن بعيدا عن أعين المعاقب.

٣ - الجزاء بالثواب يفيد مفهومًا لدى الطفل يقول: كرِّر ما فعلته، وهذا يفهمه الطفل، ولكن الجزاء بالعقاب يفهم منه الطفل: لاتفعل هذا الذى فعلته، ولكنه لايحدِّد له ماذا يفعل.

٤ - عند انتهاء الحالة الانفعالية المرتبطة بالعقاب، يعود الطفل بنفس القوة إلى الأمر الذى عوقب من أجله، إذ الدافع لايزال عنده.

٥ - قد يؤدى العقاب إلى كراهية مصدر العقاب، وكراهية الأمر الذى تسبب فى عقابه.

٦ - قد يؤدى العقاب إلى تثبيت السلوك عند الطفل فى بعض الحالات مثل مشكلة التبوُّل اللا إرادى، كما سيأتى إن شاء الله.

٧ - قد يكون العقاب نتيجة انفعال الوالدين فيشعر الطفل بظلمه، وخاصة أن الأطفال لديهم حساسية ضد الظلم.

٨ - قد يؤدى الحرمان المتكرر من شيء، عقوبة للطفل، إلى سلوكه طرق الاحتيال والسرقة، مع التخفِّى فى السلوك.

٩ - قد يؤدى الإحساس بالظلم من العقوبة لدى الطفل إلى أن يلجأ إلى تحطيم شيء هام من الآنية أو إفساد الأدوات فى غيبة الأنظار.

١٠ - قد يؤذى الطفل نفسه، أو يمتنع عن تناول الطعام المرغوب فيه، كعقوبة للأم الحنون التى يعرف الطفل أن هذا السلوك يغيظها، أو يترك درسه ومذاكرته عنادًا لها.

١١ - المبالغة فى العقوبة، قد تُعوِّق الطفل، ولا تنطلق معها قدراته، وقد يَحْدث للطفل - صَدْمة - توقف الطموحات لديه، أو تجعله دائمًا سلبيًا نحو هذا الأمر الذى عوقب عليه.

والصحيح من هذا الأمر، أن هذه الاعتراضات على أساليب الجزاء بالعقوبة، ليست موجَّهة إلى نظام العقوبة فى إطار منهج التعليم والتربية للصِّغار، ولكنها اعتراضات على كيفيَّة تطبيق العقوبة. والقائلون بأهمية العقوبة وفوائدها، هم الذين يحذرون من هذه الأخطاء فى تطبيق هذه الأساليب الجزائية. فالجزاء بالثواب والعقاب وسيلة حسنة إن أحسن استخدامها فتحقق المستهدف منها، وهى وسيلة غير مُجْدية فى تحقيق تلك الأهداف إن أُسىء استخدامها.

* مزايا أساليب العقوبة

١ - إذا استخدمت فى حدود الرفق والمعقول والاعتدال، بجانب أساليب الثواب، فإنها تساعد على سرعة تكوين - الضمير - لدى الطفل.

٢ - يحدِّد أسلوب الجزاء، سلْبيًا وإيجابيا، أى عقابا وثوابا، دائرة المسموح واللاَّمسموح أخلاقيا، واجتماعيا، ودينيا، ويقعِّد المعايير لكل ذلك.

٣ - أسلوب الجزاء ينبِّه على المرغوب فيه، والبعد عن المرذول اجتماعيا، ويعلّم الطفل الانتباه.

٤ - يؤدى إلى التوقف عن السلوك غير المرغوب فيه، قبل أن يعتاده الطفل وهو لايدرى ضرره، ويعين على ذلك بقدر كبير، تشجيع الطفل فى الحال وفورا، كلما استجاب للأمر وإثابته على ذلك.

٥ - يكون العقاب مُصَحِّحًا للأخطاء، ومبدأ فى التعليم، إذا قارنه شرح وتفهيم للخطأ والضّرر، والنّفع الذى يفوته من وقوعه.

٦ - لابد من تفهيم الطفل، لماذا يعاقب، وقبل إنزال العقوبة، حتى يتعلم ويفهم أن العقاب له معنى يرتبط بالأمر غير المرغوب فيه، وهذا أمر ضرورى، وفى غاية الأهمية، لأن المقصود الأول لعقوبة الطفل تعليمه وتعويده الصواب والمرغوب فيه، وهذا التفهيم والتعليم يهمله معظم الآباء والأمهات والمعلمون، وإذا قاموا به بعد توقيع العقوبة، أو فى وقت لاحق، فإنه لايجدى ولايؤثر كثيرا، ومن أهم مزايا

التفهيم قبل إنزال العقوبة، أن الذى يوقِّع العقوبة، لايوقعها وهو منفعل، ويكون غضبه، إن كان غاضبًا قد زال بعد قيامه بدور التَّفهيم والتعليم، وكذلك يكون استقبال الطفل للعقوبة مفهوما ومؤثرا، ويزيد من هذا التأثير أن يُذَكَّر بسابقة معاقبته وتحذيره من تفس ما أخطأ فيه حتى لايشعر بظلم فى العقوبة.

٧ - يحسن مع الشرح والتفهيم، الرِّفق والحسم فى توقيع العقوبة حتى لايشعر بالتناقض، وتَتَميَّز لديه الأمور، كما يجب أن يدرك الطفل العلاقة بين الخطأ والعقوبة عليه، حتى يكون للعقاب أثره.

٨ - لا يلزم توقيع العقوبة عن كل خطأ يقع من الطفل، ويكتفى بالتفهيم له والتّحذير من العودة لارتكابه مستقبلا. وأما الخطأ المتكرر، والخطأ الفاحش المتعّمد، فيتم توقيع العقوبة بسببه بعد التفهيم بحسم ورفق.

٩ - توقيع العقوبة يؤدى إلى إضعاف الدافع العدوانى لدى الطفل على المدى البعيد.

١٠ - لا داعى لتوقيع العقوبة إذا فقد الحدث أهميته لأى سبب، أو مضى عليه ما يجعل الطفل لايدرك العلاقة بين العقوبة والحدث، ويمكن إذا تكرر الحدث منه فيما بعد، أن نذكِّره عند التَّفهيم سابق ارتكابه له.

١١ - يجب عدم معاقبة الطفل على خطأ آخر عند توقيع العقوبة عليه لغير هذا الخطأ، لأن ذلك فى الحقيقة مبالغة فى العقوبة عن الخطأ الحادث، وهذا ضارٌ للطفل كما سبق بيانه. كأن نعاقبه بشدةً، لأنه حطّم أدوات أخيه، ولأنه سبق له أن شتم ابن الجيران.

١٢ - أن نعوِّده ونعلمه ونعاقبه على الخطأ نفسه فى كل الأحوال، فمثلا لانتركه يفعل الخطأ فى حضور الضّيوف، أو عند الزيارة للآخرين، أو أثناء السير فى الطريق، وغير ذلك من الأحوال، ولا نعاقبه على هذا الخطأ إلا إذا وقع منه فى البيت، أو عندما يخلو الحال من الآخرين، لأن الطفل يدرك ذلك ويتعمد فعل الممنوع فى تلك الحالات. فكل الناس يعرفون الأطفال ويدركون لماذا يعاقب الطفل، فلا حرج فى توقيع العقوبة المناسبة أمامهم وبحضورهم بعد تفهيم الطفل، بل قد يكون توقيع العقوبة بحضورهم أفضل لهم، إذا كان خطأ الطفل قد أضرّ بهم أو بأولادهم، وحتى لانترك الزيارة مع الأطفال أثرا سيئًا فى نفوس الآخرين، أو يعتبرونها زيارة غير مريحة.

* وحتى تكون أساليب أجزاء متميزة.

* مجازاة الطفل بالثواب أسلوب لازم لتوجيه الطفل إلى ماهو صواب، وما هو مرغوب فى فعله، أو مرغوب فى تركه، أو مطلوب تعويده على السلوك المطلوب.

- ومن أهم ما يثمره أسلوب المجازاة والثواب، ما يُولّده فى الطفل من حالات انفعالية سارَّة، تريح الطفل وتجعله فى حالة من الرضا واللَّذَّة والسرور، ممّا يؤدى إلى تقوية المُحدِّدَات الدافعة التى تعمل على تنشيط السلوك لدى الطفل، وتوجيهه على المدى الطويل.

- ومن آثار التشجيع والمجازاة بالثواب، أن ذلك يولِّد الوعْى بالنجاح فى العمل الذى أُثيب عليه، ممّا يشبع بعض دوافعه التى تؤدى إلى تنشيط جهود التَّعلُّم اللاحقة التى يقوم بها، وذلك يؤدى بدوره إلى زيادة الثقة لدى الطفل بنفسه، كما يؤدى غالبا إلى تشجيعه على المغامرة والإبداع، وتزيده قناعة فى المثابرة على عملية التعليم وجَدْوَاه، لما يعود عليه من نفع فى الواقع.

- ويلاحظ أن الثواب إذا اتّخذ شكلا ماديًا دائمًا، أو كان مبالغا فيه، قد يكوِّنُ لدى الطفل اتِّجاها نفسيًا يقْنعه بملاحظة المقابل المادى فى التعامل دائما، حتى إنه ليتساءل عند كل عمل: ماذا سيعود علىّ من هذا العمل؟ فيصبح كل نشاط عنده مرتبطا بالقيم المادية.

- يُحذّر مع الأطفال، أن نُثِيبَ أحدَهم، ولا نُثِيبَ الآخر، اعتمادا على ثقتنا فى الطفل الذى تركناه، إذ قد يسبِّب ذلك إحْباطا لديْه، أو إحساسه بالفشل، أو إحساسه بخيْبة الأمل فى إرضاء والديه الذين لم يشجعوه، وقد يترتب على تكرار ذلك، الشّعورُ بكراهية أخيه الذى يثاب دونه، والتّنافر معهُ دائما، وبلا سبب ظاهر.

- المجازاة بالعقاب وحده، دون المجازاة بالثّواب، أو بعكس ذلك، لا تكون ذات فعالية صحيحة، ولابد من الأسلوبيْن معًا، فلا نعاقبه عند الخطأ والفشل، ونهمله عند فعل الصواب والنجاح، بل من المفيد أن نذكّر الطفل عند فشله، أو خطئه، ما كان منه من نجاحات ونحن نرشده ونفهّمه قبل توقيع العقوبة، لكى يعلم أننا نقدِّر إيجابياته، وأنه كان يُرْجى منه خلاف ما وقع منه.

- لا نعاقب الطفل على أمور قليلة الأهمية، لمجرّد أننا فى حالة انفعال شديد

وغضب، لتفريغ شحنة الغضب في الطفل، على الأمـور التي لم نكن نعاقبه عليها، لو لم نكن في حالة الغضب، فغـالبًا ما تعاقب الأمهات أطفالها بلا أسبـاب لمجرد انفعالها الشديد، وقـد تضربه، أو تصـرخ فيه، وهـي منهمكة في الحديـث مع من تحدثه، لأن الطفل قاطعها بطلب شيء منها.

من المفيد لإنجاح أسلوب الثواب والعقاب مع الطفل، ملاحظة بعض الأمور، منها:

١ - ألاَّ يعاقب الأب ويحـسم المواقف مع الطفل، وتتسـامح الأم في مثل هذه المواقف مع الطفل نفسـه، إلا إذا كان من باب تقـسيم الأدوار، أو في حالة بعينها، ومن الأوفق أن يتبادل الوالدان الأدوار مع الطفل، حتى لايتكوَّن لديه شعور بعدم الرضا عن أحد الوالدين، لأنه هو الذي يوقع العقوبة دائمًا.

٢ - قد يكون الطفل في مـرحلة سنِّيَّة لم يكتمل عنده الجـهاز العصـبي، مما يجعله في حالة عـدم تآزر أعضاء الجـسم، فتـتحطم منه الأشيـاء، أو يتعثـر في مشيـته، أو يصطدم بشيء فيـحطمه، كل ذلك دون قصد منه، وقـد يتكرر منه ذلك حتى يبلغ درجة تآزر الأعـضاء، فلا يصحّ مـعاقبـة مثل هذا الطفل على سلوك لم يقـصده، ويجب أن نشجعه ونـعذره ونتسامح معه في هذه الحالات، ويحـسن تفهيم الطفل بقدر الاستطاعة.

٣ - يجب على الوالدين ألاَّ يفْعـلا الأمر الذي ينْهيان الطفل عنه، ومعـاقبة الطفل على أمر يفعله المُعاقِب نفسه، يشعره بالظلم، ويفقده الثقة فيه، ويوقعه في حيرة وبلبلة. ورغم بداهة هذا الأمر عند الوالدين، إلا أنهـما غالبـا ما يسلكون هذا السلوك في غفلة عن أن الطفل يدرك ذلك منهما، أو لاعتـيادهما هذا السلوك، وأشهر الأمثلة على ذلك، أن يقف أحد بـبـاب البيت يسأل عن وجـود أحد الوالدين، فيـقول له أحدهمـا: إنه غير موجـود بالبيت، ويكون بداخل البيت، أو إنه نائم، وهو غـير نائم، ونفس الموقف إذا سُئِل عنه تليفونيـا، وكل ذلك أمام سمـع وبصر الطفل، ويتكرر ذلك منهما، حتى صار يضـرب به المثل على سبيل الفكاهة، حيث يذهب الطفل إلى السائل ويقول له: «بابا بيقول لك هو مش هنا».

٤ - ألاَّ يكثر من تهديد الطفل، دون إيقاع العقـوبة، حتى لايستهين الطفل بالمعُاقب أو بالعقوبة، أو بالأمر الممنوع الذي يهدّد من أجله، ولا يبالي بعد ذلك بشيء.

٥ - ألاَّ يكثر من توبيخ الطفل، وخاصة أمام قرنائه من الأطفال، أو أمام الغرباء، وحتى لايتعوَّد، فلا يبالى بالتوبيخ لأنه فقد قيمته لكثرته واعتياده له، ويكون التوبيخ نافعا إذا أحسَّ الطفل بألمه، وعندما لايكون كارها لمصدر التوبيخ. كما يكون مؤثرا كلما كان المصدر محترما وله تقدير فى نفس الطفل، أو كان من الشخص الذى اعتاد أن يمدحه ويثيبه عند الصواب والنجاح الذى يحقِّقه.

٦ - يجب تعويد الطفل الاعتذار للوالدين كلما أخطأ، ولا نُجْبِره على الاعتذار حتى لايشعر بالمذلَّة، وفى كل الحالات يترك الطفل حتى يراجع نفسه، أو حتى يهدأ، ثم يتعامل معه أحد الوالدين، أو الأخ الأكبر، بحيث يطلب منه أن يعتذر، ويشجعه على ذلك.

٧ - يجب ألاَّ نمنع الطفل من البكاء عند توقيع العقوبة، أو بعدها، ولا نترك عقوبة الطفل خوفا من بكائه، حتى لايجد الطفل الوسيلة لمنع توقيع العقوبة عليه رغم خطئه.

٨ - يجب الا نهدِّد الطفل بأمور وهمية، أو صارخة، فيكْمن الخوف والرعب فى نفسه من أشياء ليس لها حقيقة فى الواقع، مثل أن نخوِّفه - بالغولة - أو بالرجل المسلوخة، أو بالحرق بالنار، أو بالحبس فى مكان مظلم ويترك فيه وحده.

٩ - يحسن تنويع أساليب الثواب والعقاب، فلا نعاقب الطفل بطريقة واحدة دائما، ولا نثيبه بشىء واحد فى كل الأحوال. وكذلك لا نعاقب كل طفل بنفس الأسلوب الذى نعاقب به الآخر، وكذلك فى الإثابة لهم، فكل حالة لها ما يناسبها من الأساليب، وكل طفل يختلف فى استجابته لأسلوب العقوبة والإثابة عن الآخرين.

١٠ - يجب مراعاة أحوال الطفل عند نهيه وأمره، فمثلا لايطلب منه أثناء اللعب عدم الصِّياح والحركة، لأن غيره يطلب الهدوء فى هذا الوقت، أو يطلب من الطفل أن ينام فى وقت يرغب غيره فى النوم، أو يطلب منه الهدوء التام وعدم الكلام لأن الكبار الآن يتكلمون، ولكن يفهّم بأن يقلّل من صياحه ويخفِّض من صوته، ويقلل من حركته، أو يبتعد عن الذين يتحدثون حتى لايشوِّش عليهم. وهكذا...

١١ - المدح والذم، أسلوبان ناجحان من أساليب الثواب والعقاب، إذا أُحْسِن استخدامهما مع الطفل.

١٢ - يجب أن نقدّر الطفل ونثيبه أولاً بأول على أفعاله الناجحة، ليكون دافعا على تحسين سلوكه، كما يجب أن نوقفه على تحسّن سلوكه المرذول السابق منه، وأن أخطاءه قد قلّت أو انعدمت فى هذا الجانب. لأن عدم فعل ذلك معه يوقعه فى حيرة من أمره، ويقلّل من الدافعية عنده على التقدّم.

١٣ - يجب ألاّ نُكثر من تخويفه بالفشل من إنجاز المهمات، ويكتفى بالتلميحات، مع التشجيع له على النجاح.

١٤ - يجب أن يؤدى الثواب إلى الارتياح عند الطفل، وأن يؤدى العقاب إلى عدم الارتياح، فنوع الطعام قد لايعدّ مكافأة للطفل وهو شبعان، وإخباره بتركه يلعب، أو يتفرج على برنامج تليفزيونى، أثناء غياب والدته عنه فى زيارة خارج البيت وهو يرغب فى مصاحبتها فى هذه الزيارة، لايحدث له الارتياح ولايعدّ ذلك إثابة له، بل يفهمه على أنه تلهية له عن الصحبة المرغوبة منه. كما أن تحدّى الطفل أثناء معاقبته، قد تجعله يتجلّد ويظهر قوة تحمّل للعقاب حين يتلقّاه، فيكون أثر العقوبة لديه الفخر، ويعدّه مصدر سرور ترتاح نفسه إليه، ممّا يفوّت الغرض من توقيع العقوبة، ومن الملاحظ أن مجازاة الطفل بالثواب أو بالعقاب، لاتحدث النتائج المرجوّة إذا زادت عن حدّ الاعتدال، سواء فى قدرها، أو كيفيتها، أو كثرتها، فكلما زيدَ فيها فقدت قوتها، أو أحدثت آثارا عكسية، أو آثارا جانبية أخرى ضارةً. والارتياح بالثواب عند الطفل، وهو أن يشعر بتقدير مَن حوله، أو الاعتراف له، بما وصل إليه الطفل من إنجاز، أو شعوره بإقرار مَن حوله بالسلوك المُرضى الذى سلكه.

١٥ - يمكن بالخبرة مع الطفل، معرفة أفضل حافز يرغب فيه ويرتاح له، أو معرفة ما يخاف من وقوعه له كعقوبة، وذلك للعمل على تغيير نشاط عند الطفل مرغوب فى تركه، أو مرغوب فى إنجازه، ويتغيّر الأثر، أو يضعف، تبعًا لوقوع المحفّز، أو العقاب قبل أو بعد أداء النشاط من الطفل، فمثلا: لايترك الطفل يشاهد مباراة فى الكرة، على أن يستذكر دروسه بعدها، فالأفضل أن يستذكر دروسه ليسمح له بالمشاهدة، ولكن يجب الوفاء له بالوعد، وأن يكون مطمئنا بذلك. وإلا فقدت الثقة، وهى أمر حيوىّ فى التعامل مع الطفل. ومن الخطأ جداً أن نعد الطفل بحافز، ثم نحرمه منه لخطأ آخر وقع منه قبل أو بعد الوعد. فلكل حدث حافزه أو

عقوبتـه، بلا تداخل لترسيخ الثقة عنـد الطفل من جهة، وحتى لاتوقعـه فى حيرة لعدم تمييزه الكامل لمسألة المقاصَّة بين الوقائع.

١٦ - يجب أن يفـهّم الطفل ماهو مـرفوض فى بعض الأحـوال، ومقـبول فـى أحوال أخرى، حتى يميّز بين المواقف، فمثلا: يسمح للطفل بالصِّياح وتلويث ملابسه أثناء اللعب على الشاطئ، ولايسمح له بتلويثها على مائـدة الطعام، كما يجب لتحقيق التمييز فى المواقف ألاَّ تبْـتسم الأم أثناء معاقبتها للطفل، وإلا أصـبح الأمر غامضا عنده.

* بعض مشاكل الطفل المتعلقة بالعقوبة

* هناك بعض العادات غيـر المرغوب فيها، والتى تـعتبر من مشاكـل مرحلة الطفولة المبكرة، تعالج أحيانا بأسلوب العقاب خطأً، فيحـسن أخذها فى الاعتبار، مثل: التَّبوُّل اللاإرادى، ومصّ الأصابع، وقضم الأظافر، والكذب، والتأخر الدراسى، والسرقة.

- فالتَّـبوُّل اللاإرادى: يُبْحث عن الأسبـاب التى تحدثه عند الطفل، إما طبـيًا، وإما معنويًا، إذ يحدث من أسباب مختلفة، منها: سوء معاملة الطفل، أو التّفرقة فى المعاملة بينه وبين إخوته، وقد يكون اسـتقبال الأم لمولود جديد سببا فـى أن يتبوّل الطفل السابق كوسيلـة لجذب انتباه الأم له عند إهمـاله لانشغالها عنه بالمولود الجـديد، وقد يكون من الأسبـاب، سوء الجو العـائلى بين الوالدين، وقد يكون السـبب القسوة التى يعـامل بها الطفل، أو من نقص الحنان والحب اللاحق بـه، أو من الشعـور بالخوف الذى عـادة ما يتسبّب عن سماع الطفل لحكايات مرعبة أو مشاهدته لها فى أجهزة الإعلام.

- عادة مصّ الأصابع: قد يرجع سببها إلى نقص فى تغذية الطفل أثناء الرضاعة، أو حرمانه من مـصّ الثدْى، فيلجأ الرضيـع إلى مصّ أصابعه لإشباع حـاجة المص عنده، فيـعتـاد ذلك، وقد يرجع الـسبب إلى نقص الإشـباع الوجـدانى عند الطفل، أو نقص الاستمتاع واللّذة، فيعوّض ذلك بمص الأصابع. وفى كل الحالات يجب ألاَّ يستخدم مع الطفل أى أسلوب عنيف لإرغامه على ترك مصّ الأصابع، وينفع معـه التفهيم والتذكير كلّما رُئى متلبسًـا بمصّ أصبعه، بدون زجر له، ولكن بالابتسام المُفْـهم والمعبِّر، أو بذكر كلمة لاتحرجه أمـام الآخرين تكون كالاصطلاح معه، حتى يصـحّح من حاله دون انتباه الآخرين، كما ينفع فى ذلك أن نشغل اليدين بأمـور تستمر وقتًا طويلا عند الطفل حتى يغفل عن هذه العادة.

- عادة قَضْم الأظافر: هذه العادة لا تمارس إلا فى حالة عدم انتباه، فيكون الطفل فى حالة - سَرَحَان - وهى تدل على حالة من القلق عند الطفل، أو أنه فى حالة تَطَلُّع لأمور يحتاجها، أو فى حالة استبطان للنفس لعدم تحقيق الرغبات، ومعالجة الحالة يتطلب التَّقرّب من الطفل بمزيد من الاهتمام والحب له، وتأكيد الثقة لديه، وتفهيمه استهجان هذه العادة، وخاصة عندما يكبر دون أن يقلع عنها، حتى يقْتَنع وينْتَبه لذلك.

- التَّأخُّر الدراسى: من أسبابه، عدم ملاءمة الدراسة للطفل، أو عدم توافر أجواء مناسبة للمذاكرة، أو وجود خلافات عائلية مستمرة، تجعل الطفل فى حالة توتّر وقلق، أو بغْض الطفل لمدرسته، أو أحد المدرسين، أو للإيذاء الذى يقع عليه فى المدرسة، وقد يكون سبب التأخّر الدراسى عند الطفل لشعوره بالحرمان ورغبته فى الانتقام، فيتقاعس عن الدراسة فيتأخر.

- الكذب عند الطفل: قد يكون وسيلة مبرِّرة لديه، لحصوله على مطالبه، دون أن يدرك خطورته وسوءه، وقد يكون سببه أن الوالدين يعتمدان الكذب فى تصرفاتهما، فيكذبان، إما على الطفل نفسه، أو على غيره، فَتَتَشَرَّب نفسه الكذب ويقبله، وقد يكون سببه الخوف من مكروه أو عقوبة تلحقه، وخاصة إذا كان يعامل بقسوة عند إقراره بالخطأ، فيضطر للكذب ويَسْتَدْعِيه فى كل المواقف، وقد يكون التقريع له، والتّشهير به أمام الغير، دافعا له على الكذب ليتفادى ما قد يحدث له، فيتأصل عنده الكذب والإصرار عليه، ويتعلم التّزْييف والإخفاء للأمور. وعمومًا القدوة فى هذا الأمر ذات أهمية قصوى، للتَّعويد على الصدق، وكذلك فإن إثابة الطفل على صدقه، وإقراره بالخطأ، أنفع من عقوبته، لأن العقوبة بعد اعتراف الطفل بالخطأ، تلجئه للكذب بعد ذلك، وتمنعه من الصدق.

- وظاهرة السرقة عند الطفل، وراءها غالبا، الحرمان، فيلجأ للتّحايل والسرقة، وكذلك حب التَّملُّك عند الطفل فطرةً، تدفعه للاستيلاء على كل ما يصل إلى يديه، وقد لا يدرك الفرق بين ما يتملكه هو وما يتملكه الآخرون، وقد يكون الدافع للسرقة عند الطفل شعوره بالدُّونيَّة بين أقرانه، فيحاول الظهور بمظهر الغنَى، فيسرق ليقدّم لهم هدايا، أو ينفق عليهم ببذخ، وقد يكون الدافع للسرقة عند الطفل، الانتقام بأخذ شىء له قيمة عند الأهل، أو عند الأقران، وقد يكون الدافع هو الغيرة من الغير، فيأخذ منه ما يغيظه به. والعلاج فى هذه الحالات يكون بالتّفاهم مع الطفل بعيدا عن الآخرين

حتى لا نحرجه أمامهم فيصـرّ على موقفه ولا يقرّ بخطئه، لأن من العلاج له، التوصّل إلى أن يعترف بخطئه فى السرقـة، وفى هذه الحالة، يمكن التّغاضى عن الشىء المسروق إذا لم يوافق على استـرداده منه، وتعويض صـاحبه بمثله. ومن الخطأ، القـيام بتفـتيش حقائبه أو أدراجه، أو دولاب محتوياته من ورائه وفى غيبته ويعلم بذلك التفتيش، حتى لا تَنْهدم الثقة عنده، كـما يجب ألاَّ نبالغ فى استجلاء الأمر منه، حتى لا نخـيفه فيظن أن الأمر خطير فيزيده ذلك تكتُّمًا وتَخفيًا للسرقة، كما يجب أن نفرِّق بين طفل تقع منه حادثة سرقة على النُّدْرة، وبين من تصبح السرقـة مألوفة فى سلوكه، فالأخير يكون فى الغالب متعمدًا السـرقة، فهذا يعاقب بعد التعليم والتفهيم، لتـعمّده السرقة، ولتكرارها منه.

* تطبيقات وقواعد مأثورة من الهدْى النّبَوى

* يقول النبى ﷺ: «التأنى من الله، والعجلة من الشيطان، وما أحد أكثر معاذير من الله، وما من شىء أحب إلى الله من الحـمد» رواه أبو يَعْلى ورجالـه رجال الصحـيح. وفى الحديث إخبار من رسـول الله ﷺ عن الله تعالى وصفاته، وهى نصيحة غالية لأمـته بناء على ذلك، لأن الله الذى خلق العـباد ورزقـهم وهداهم وتحـبَّبَ إليهم بـنعمـه، يعصـونه، ويتبغَّـضون إليه، ويطيـعون عدوَّه، فلا يعجـل عليهم بالعقوبة، ويفـتح لهم باب التوبة والاعتذار، إذا ما تاب أحـدهم فاعتذر عن جُرْمه قَـبِل منه، أما الأحبّ إلى الله تعالى، فهو الذى ينعم الله تعالى عليه بالنعمة فلا يعصـيه، بل يحمده عليها، فالله يحب الحمد سبـحانه، فالله تعـالى يحب من عبـاده أن يتخلَّقوا بالأخـلاق الحميـدة، فلا يغضـبون وينزلون العـقوبة بلا تأنٍّ وتعقُّـل وتَريُّث، لأن العجلة حيـنئذ تكون من الشيـطان العدوّ الحاسد لهم على طاعتهم لله والأخذ عن رسوله ﷺ، وهى دعوة غالية إلى التحكُّم فى النَّفس عند وقوع خطأ من أحد، وخـاصة الصغار، والنّظر أولا فيـما يجب قبل الحكم بعجلة على المخطئ وتوقيـع العقوبة عليه، بل نسمع أولا ونتـحقّق من دوافع الخطأ وما أحـاط به من ملابسـات، ثم نتـقبّل العـذر، ونفتح له بـابًا حتى يفىء إليـه المخطئ، ولذلك نصح أمـير المؤمنين عمـر بن عبـد العزيز أحد عُـمّاله فقـال له: لا تقضِ وأنت غضبـان، ولا تقضِ بين اثنين حتى تسمع منهـما، حتى ولو جاءك أحدهمـا وعينُه على يده، فربما جـاءك الآخر وعيـناه على يديه. فكثيرا مـا تعاقب الأم الطفل لمجـرد إسراع الآخر بالشكوى منه، فيتعلم الطفل فعل الخطأ، ثم يسـارع بالشكوى وإلصاقه بالآخرين،

وغالبا ما يكون ذلك مع أبناء الجيران، أو رفاق الطفل، فَتَتبنّى الأم شكوى طفلها وتدافع عنها دائما بحق أو بغير حق لمجرد السماع من طفلها، وقد يحدث عكس ذلك إذا أسرعت الجارة أو ابنها بالشكوى، مما يشعر الطفل بالظلم، والتعوُّد على الكذب والمسارعة بالشكوى بغير حق خوفًا من مسارعة الطرف الآخر، وكراهية المعاقِب وعدم احترام رأيه في أمور أخرى.

* يقول النبي ﷺ: «إن من حق الولد على الوالد أن يُحْسن اسمه، وأن يحسن أدبه» رواه البزار والبيهقي، والعجيب أن يرتبط معنى الأدب عند البعض بضرب الولد ومعاقبته، فكأن التأديب هو الضرب وإنزال العقوبة، إن التأديب بالتّعلم والمسامحة وتقديم القدوة للولد، وهذا هو حقه، فلا يعقل أن يكون حقه عند الوالد هو الضرب، وقد مَرَّ بنا قول النبي ﷺ لعائشة رضى الله عنها، وقد أعطاها ناقة صغيرة: «أدّبي وارفقي» فالبهيمة الصغيرة التى لم تتعوّد الحمل والسير براكبها وطاعته، تحتاج إلى تَرْويض برفق، وليس ضربها، والطفل الصغير الوديع أحْوَج إلى الرفق به من البهيمة العنود.

* يقول النبي ﷺ: «لا ترفع العصا على أهلك، وأخفْهم فى الله عز وجل» رواه الطبرانى فى المعجم الصغير، والأوسط، وإسناده جيد. وفى هذا الحديث أصل عظيم للتربية، إن الدافع للاستقامة على الصواب والخير، ليس فى العصا والعقوبة البدنية، إن الدافع من الداخل، من ضمير مكنون يعاقب على الهاجس الذى لا يُرى، وإنها الدعوة والتنبيه على أن أسلوب العقوبة لا يكون ماديا فحسب، بل المعنوى أجْدى وأنْفع وأشْمل وأدْوم. إن الخوف من الله تعالى لا يتأتّى من موقف أو اثنين، إنه أسلوب متواصل من التّفهيم والتعليم والتذكير للطفل الصغير، حتى يتأصَّل عنده فى النفس وينطبع فى القلب، الخوف من الرقيب الذى يسمع ويرى كل شىء ويحاسب عليه، إنه سبحانه الذى يرى فى الخلْوة حين لا يرى غيره، وأنه سبحانه الذى يعلم ما توسْوِسُ به النفس حين يختلج فيها الرغبة فى الممنوع والحرام، وهو سبحانه الذى يعلم إن كان ما وقع متعّمدًا أو بدون قصد، وأنه سبحانه سيحاسب على ذلك كله مهما صَغُر أو كبُر، فى الدنيا وفى الآخرة وأما العصا، فيتحايل عليها الأذكياء والأشقياء، ويقع معظمها على البسطاء والأبرياء. لذلك يجب على الوالدين والمعلمين أن يربُّوا الصغار بالتّعليم والتّفهيم والتذكير بالله سبحانه، حتى ينمو الوازع الخلقى - الضمير - الذى يحجزهم

عن كل ما هو شر ومكروه، والحكايات والأمثلة كثيرة، والتي يمكن ضربها لتمثل عند القيام بتفهيمه الخطأ الذى ارتكبه، فالتذكير عند ذلك نافع، فهو كالضرب على الحديد وهو ساخن، لأن الطفل صغير ينطبع فى نفسه ما يتلقاه دون مجادلة ومغالبة، ولأن مناسبة الخطأ والمحاسبة عليه تجعله مُتَنَبِّهًا ومتذكرا ما يقع له. يقول النبى ﷺ: «مثل الذى يتعلم العلم فى صغره كالنَّقش على الحجر، ومثل الذى يتعلم العلم فى كبره كالذى يكتب على الماء» رواه الطبرانى فى معجمه الكبير، والأغلب أن يكون المقصود من العلم فى هذا الحديث، العلم بالله، والعلم بالمبادئ والقيم التى يكبر عليها الصغير، وقد نَمَتْ عنده وثبتت، أما تعلم هذه الأمور بعد التربية على غيرها، وقد كبر الصغير، فقلَّما تنفعه، وأما تعليم الأمور التى هى مجرد معلومات تُدرَك، فقد يدركها الكبير أكثر من الصغير، وهذا لا يمنع من وجود الحافظة خالية ومستعدة عند الصغير، فيتناسب معه تحفيظه المعلومات فى الصغر، حتى لا ينشغل هو، أو تقل قواه عند الكبر.

* روى الطبرانى بسنده «أن رجلا يقال له: جُرَىّ أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أهلى يعصونى، فَبِمَ أعاقبهم؟ قال: تعفو، ثم قال الثانية حتى قالها ثلاثا، قال: إن عاقبْتَ فعاقب بقدر الذنب، واتَّقِ الوجْه» فهذا الصحابى رضى الله عنه يسأل النبى ﷺ عن عقوبة أهله المسئول عن تأديبهم وتربيتهم، فيرشده ﷺ إلى أسلوب الرفق بالعفو والمسامحة مرَّات، فإنها إن كانت الزوجة، فإنها امرأة مشغولة بالخدمة والبيت، فلا يكون الخطأ منها عن قصد وفطنة، وإن كان ولدًا صغيرا، فإنه يحتاج إلى العطف والتعليم لقلة إدراكه للخطأ، وإن كان خادما، فكثرة معاناته للأمور تجعله يقع فى الخطأ، فحقُّه العوْن له، والمسامحة معه بالعفو عنه، وكل ذلك لا يمنع من توقيع العقوبة، إذا ناسب توقيعها، وبالشروط اللازمة لها، من تثبت الخطأ، أو تعمّده، أو تكراره، وبالرفق وعدم الإيلام الموجع للبدن أو للنفس، مع اتّقاء المواضع غير اللائق إلحاق العقوبة بها لشرفها كالوجه، لأن فى ذلك مهانة، وليست المهانة من أغراض العقوبة.

* يقول النبى ﷺ: «أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوق من ولده» رواه الطبرانى. إن اللوْم يكون للوالدين، ويقع عليهما إثم عقوق الأولاد لهم. لأن الوالدين يطبعون الأولاد بطابعهما، فالطفل الصغير خامة بشرية قابلة ومستعدة لكل طبع تطبع عليه بالفطرة «وإنما أبوَاه يهوِّدانه أو ينصِّرانه...» الحديث وقد سبق ذكره ومراميه فى فصل سابق، ولذلك يقول الناس عن الشخص السَّيئ الأخلاق «قليل الأدب، أبوه ما

ربَّاهُوش» فيلومون الأب على فعل الابن، وهم محقّون فى ذلك إلى حد كبير، والعقوق من الكبائر العظمى فى الدين، وسيأتى الحديث عن ذلك إن شاء الله فى فصل لاحق، ولكن التنبيه هنا عن سبب ذلك العقوق عند الولد، إن القسوة فى تربية الطفل، تولّد عنده الرغبة فى الانتقام، ولكن عند عجز الوالدين للكبر، أو للحاجة، فتخرج هذه الرغبة إلى الوجود وتتحقّق، والذى أخرجها فى الحقيقة من الولد فى هذا الوقت، والده الذى أنشأ هذه الرغبة فيه وأودعها الولد أحشاءه، حتى جاء المناخ والظرف الملائم لتخرج، كالبذرة المودعة أحشاء التربة، فتنبت فى موسمها الملائم ووقتها المناسب. وقد سبق ذكر حديث عن النبى ﷺ يحسن إعادته هنا للحاجة، قال رسول الله ﷺ: «شرُّ الناس الضيِّق على أهله، قالوا: يا رسول الله، وكيف يكون ضيِّقًا على أهله؟ قال: الرجل إذا دخل بيته خَشَعَتْ امرأته وهرب ولده وفرَّ، فإذا خرج ضحكت امرأته واستأنس أهل بيته» رواه الطبرانى، أينتظر هذا الأب القاسى، الذى وصفه النبى ﷺ بأنه شر الناس، ومن يهرب ولده منه فى بيته، أن يحضر إليه هذا الولد، بعد أن يستقل ببيت له، إلى والده فى البيت الذى كان يهرب منه فيه؟ وهل الذى يحرم أولاده بقسوة، وهو ينفق على ملذاتّه ولهوه دون أولاده، أن يعطيَه الأولاد عند حاجته وكبره؟ إنه الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، والبرُّ لا يبلى والذنب لا ينْسى حتى مع البشر فى الدنيا، وبين الأولاد والآباء.

وهل معنى هذا ألا نضرب الأولاد، وألا نعاقبهم؟ بالحتم ليس هذا هو المقصود، فالضرب نافع للطفل، ولكن بشروطه وفى وقته كما مرَّ بنا، ولا داعى لإعادة ذلك لظهوره، ولكن يلزم أن ندرك أن الضرب للطفل، ليس لكل طفل، ولا فى كل حال، ولا عن كل خطأ يقع منه، ولكن بعد التعليم والتفهيم للطفل، مع الصبر والرفق والمسامحة، وأهم ما يراعى فى ذلك المرحلة العمرية التى يكون عليها الطفل، وقد نبّه على ذلك خير الخلق وأرحمهم وأحرصهم على الحق فقال: «علموا الصبى الصلاة لسبع، واضربوه عليها ابن عشر» رواه الترمذى، فبدأ ﷺ بالتعليم للصغير، وطويلا بلا ضرب لمدة ثلاث سنوات، ثم تستخدم بعد ذلك كله وسيلة العقاب بالضرب بشروطه، حيث لم تُجْدِ الوسائل الأخرى مع الطبع العنيد، وفى الحديث الذى رواه الإمام أبو داود عن النبى ﷺ: «مرُوا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» نجد فيه الحرص على ما يناسب كل مرحلة عمرية يَمرُّ بها الطفل، ففى صِغَره يؤمر بما يناسبه

من كيفيات الأمـر، وهو فى هذه المرحلة يسمع ويطيع للوالدين بلا تَردُّد ولا عائق عنده للاستجابة، أما عندما يُترك حتى يبلغ عـشر سنين بلا تعليم له للصلاة، فيكون قد اعتاد إهمالهـا، وينظر إلى الأمر بهـا بعناد، ويكون قد اسْتَهْوَتْه الأقـران وفنون اللعب، ولا يفهم من الحديث أن الضرب لا يكون إلا من أجل ترك الصلاة فحسب، بل للتنبيه على استـخدام أسلوب العـقاب فى مثل هذه الحـالة، ولأن قَصْر أسلـوب الضرب على ترك الصلاة دون غيرها من أمور العبادات والأخـلاق والمبادئ، يجعل الطفل الصغير، كارها للصـلاة حـتى ولو أدَّاها، والأسـوأ من كل ذلك، أن يكون الآمـر بالصـلاة، أو الذى يضرب الطفل عليها، تاركًـا لها ومهملا لشأنها وهو القـدوة، ومثله كالرجل الذى يَنْهى ابنه عن تدخين السجائر وهو مدخّن لها.

* عن عبد الله بن بُسْرٍ رضى الله عنه قال: «بَعَثَتْنى أمِّى إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب، فأكلتُه، فقالت أمِّى لرسول الله ﷺ: هل أتاك عبد الله بقطف؟ قال: لا، فجعل رسول الله ﷺ إذا رآنى قال: غُدَرْ غُـدَرْ» رواه الطبرانى، فـما زاد رسول الله ﷺ على التَّنبيه للصَّبى فى شكل عتاب رقيق، هو أشبه بالملاعبة منه من المعاتبة، وتكرار ذلك من رسول الله ﷺ على سبيل التذكير والتفهيم حتى يدرك الصغير أنه ارتكب خطأً، فيتنبَّه، ويرجع، ولأن الأمر يتـعلّق بالأمانة، وهى أمـر مبهم عند الصـغير، لا يدركـه إلا بهذا التكرار، ولكن بلا إهانة لنفس الصغير. ولا يفـوت التّنبيه من خلال هذه الحكاية، على تعويد الطفل حـمل الهدايا، وتعويده الكرم عـمليًا، وتدريبه على بعض الأعـمال ذات الأهمية، وتفهـيم الصغير معنى التَّكافل عمليا، وتواصل البـيوت، وفى الحديث منتهى تواضع النبى ﷺ بقبـول الهدية من امرأة، يحـملها إليه صبى، وتبـاسطه ﷺ مع صبىٍّ وتعليمه.

* عن رافع بن عمرو الغفارى رضى الله عنه قال: «كنت غلاما أرْمى نخل الأنصار، فَأُتِىَ بى رسولَ الله ﷺ، فقال لى: لِمَ تَرْمى النخل؟ قلت: لأكل، فقال: لا ترمِ النخل، وكُلْ ما سقط فى أسفلها، ثم مسح رأسى وقال: اللهم أشبع بطنه» رواه أبو داود والترمذى وابن ماجـة. فهـذا الغلام الجـائع رضى الله عنه ممَّن صـحب النبى فى أوقـات الشِّدَّة والفقر، قـد لجأ إلى حدائق المدينة التى يملكهـا الأنصار، وأخذ يقذف النخـل بالحجارة حتى يسقط منها ما يأكله، وهو خطأ ونوع من أخـذ مال الغير بدون رضاه، ولذلك أُتِىَ به رسول الله ﷺ ليفصل فى أمـره، فأخذ رسـول الله ﷺ يسـأله ويستـوضح منه عن

السبب فى تصرّفه الخطأ، وعلّل الطفل سلوكه تعليلا منطقيا لطفل صغير جائع فقال: لآكل. فالقضية ليس فيها العمد فى التعدّى، ولا الحصول على ما يتموّل به، وهنا يعلّم الحكيم ﷺ الطفلَ، وطفولةَ الأمة الناشئة كلها، كيف يسلكون ويحكمون، «لا ترم النخل، وكل ما سقط فى أسفلها» الحل الرفيق بالطفل الجائع، وبصاحب النخل المالك، هذا يأكل ويسدّ جوعه، وهذا يُحفَظ عليه ماله، لأن الساقط من النخل عادة يترك ويفسد إذا لم يلتقطه لاقط، أما أن يمسح النبى ﷺ على رأس الطفل الجائع المخطئ، والدعاء له، فهذا غاية الشفقة والرحمة والحسن فى القضاء.

* عن عباد بن شُرَحْبيل رضى الله عنه قال: «قدمت مع عمومتى المدينة، فدخلت حائطا من حيطان المدينة، ففركتُ سُنْبلاً، فأكلتُ، وحملتُ فى ثوبى، فجاء صاحبه فضربنى وأخذ ثوبى، فأتى بى رسولَ الله ﷺ، فذكر ذلك له، فقال له: ما علّمت إذْ كان جاهلا، ولا أطعمت إذْ كان جائعا، فأمره فَرَدَّ علىّ ثوبى، وأعطانى نصف وَسْق من طعام» رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة، إنّنا فى هذه القصة أمام حالة فريدة، حيث كان المهاجرون يحضرون إلى المدينة، وكانت سنوات جوع وفقر، وقلة فى الطعام مع توافد الأعداد وتزايدها إلى المدينة، وهذا الطفل الصغير المهاجر مع عمومته رضى الله عنهم جميعا، هجم عليه الجوع فدخل بستانا من بساتين المدينة به سنابل القمح والشعير، فأخذ سنابل منها وفركها واستخرج منها ما أكل، ولعله جاء من البدو والصحراء، فظن أن ذلك مباح لمن جمعه، فجمع فى ثوبه صرّة من السنابل، وجاء صاحب البستان وأخذ الصغير متلبسا بالسرقة، فثوبه مصرور على السنابل التى سرقها، وهنا لا يسأل النبى ﷺ الصغير، فإن الأمر أشدّ وأكبر من سرقة طفل جائع لبعض السنابل، إنها النّازلة التى وجب على الجميع تحمّلها حتى يفرّج الله كرب الجميع، وإنه التكافل والتناصر فى المجتمع الجديد من الأنصار والمهاجرين، وإنها الظروف الطّارئة على مجتمع المدينة، واستثناء فى الأحكام المرعية، خاصة مع الضعفاء مثل هذا الصغير القادم إلى المدينة بإسلامه، التارك لأهله ووطنه، يريد أن يتعلم الإسلام من الكبار الذين سبقوه إليه، وخاصة أهل البيعة من الأنصار، فالأمر يجب أن يتّضح للأنصارى صاحب البستان، ولغيره من المسلمين، وإنه التذكير بواجب التعليم والكفالة. فالخطاب هذه المرّة توجه لصاحب المال المسروق: «ما علّمتَ إذْ كان جاهلا، ولا أطعمتَ إذْ كان جائعا» ومع ذلك، فهو أمر ليس على سبيل الإلزام، لأنه فضل وإيثار، ولذلك ردّ الثوب للطفل

والسنابل لمالكها، ويبقى الفضل والعظمة لحكيم البشرية ﷺ، حيث أعطى الصغير نصف حِمْلٍ من الطعام، ليسدّ خَلَّتَهُ هو وأعمامه ومَن معه ممَّن قدم إلى المدينة معه.

وفى هذه القصة تظهر لنا عظمة الرسول ﷺ، خاصة فى مسألة تعليم الطفل الذى ارتكب الخطأ، وليس معاقبته، كما يستفاد منها، أن العقوبة ليست فى كل حال، وأن الظروف الملابسة للخطأ لابد أن تؤخذ فى الاعتبار.

* كثيرا ما تعاقب الأم ولدها بالدعاء عليه، خاصة فى حالة انفعالاتها، أو فى حالة عجزها عن معاقبته بأساليب أخرى، وهى تعتاد ذلك، وتظن فى نفسها، أن دعاءها لن يستجيب الله لها فيه، لأن المدعو عليه ابنها والله يعلم أنها تحبه وأنها لا تقصد وقوع المدعو به لابنها، وإذا اعترض عليها أحد تقول له: «ربِّنا رب قلوب» وهى لا تعلم أن ربَّ القلوب ومقلِّبها، أخبرنا رسوله ﷺ بقوله: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله عز وجل ساعة نَيْل فيها عطاء، فيستجيب لكم» رواه مسلم وأبو داود وابن حبان. فلِلَّه شئون فى خلقه لا يعلمّها إلا هو سبحانه وتعالى، وله سبحانه مع خلقه ساعات ينال فيها كل سائل مسألته، وقال سبحانه وتعالى ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦].

• فالأم أو الأب الحريص على ابنه يدعو له الله السميع المجيب، ولا يدعو عليه بحال، لأن الدعاء على الولد من الحمق المنافى للعقل والكَيْس، وقد ضرب النبى ﷺ مثلا عجيبا لمثل هذه الحال فقال: «مثل الذى يسمع الحكمة فيحدِّث بشرِّ ما يسمع، مثل رجل أتى راعيا فقال: يا راعى، أجْزِرْنى شاة من غنمك، فقال: اذهب فَخُذْ بأُذُن خيرها شاة، فذهب، فأخذ بأُذُن كلب الغنم» رواه أبو يعلى، ومعنى أجزرنى، أى أعطنى شاة أذبحها وآكلها. وهو مثل لغاية الحمق، حيث إن صاحب الغنم قال له: خذ بنفسك لنفسك أحسن شاة فى الغنم، فترك كل الغنم وأخذ الكلب، ولله المثل الأعلى، فقد أباح للوالدين أن يطلبا لولدهما ما شاءا من فضل الله، فإذا أحدهما يطلب منه سبحانه وتعالى لولده، الويل والهلاك والشقاء. ومن جميل ما أذكر، أننى زرت صديقا لى منذ أكثر من عشرين سنة، وكان ولده الصغير يتحرك بنشاط كبير ويحدث ضوضاء تشَوِّش علينا الجلسة، فكان لا يزيد كلّما أراد أن يزجره أن يقول بصوت كالصراخ: «يا بنى اسكت الله يهديك» فلاحظت ذلك وسألته، فقال لى: «عاوزنى أدعو عليه فتَزيد شقاوته فأتعب أكثر» فتعلمتُ منه حكمة غالية.

الفصل السادس
قضايا ومسائل ترتبط بطفل ما قبل المدرسة

* مخالطة الطفل الصغير للكبار، منهج للتربية أصيل.
* الاهتمام بمشاعر الطفل الصغير فى المناسبات والأحْفال.
* الخير عادة وتكتسب خصاله بالتَّعويد عليه.
* التسامح فى كشف العورات من الصغار، وأمامهم، أمر مرذول.
* اللعب فى هذه المرحلة له أهمية غير الاستمتاع.
* اللهو فطرة وحاجة للطفل الصغير.
* ملاحظات مهمة بالمرحلة.

*مخالطة الصغير للكبير منهج في التربية أصيل

* عن أبي حُمَيْد الساعديّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أبْدِ المودّةَ لمن وَادَدْتَ، فإنها هي أثبت» رواه الطبراني. إنها قاعدة عامة يضعها النبي ﷺ في المعاملة مع الغير، وخاصة مع مَن تعاشرهم، وعلى الأخص الأطفال الصغار، لحاجتهم للحنان والعطف، ولعدم إدراكهم هذا المعنى إلا من خلال سلوك ظاهر وعمليّ. فيجب على الوالدين، والكبار عموما، عند معاملة الأطفال ومعاشرتهم، استخدام أساليب عملية ومعبّرة عن المودّة والمحبة لهم، مثل حمل الصغار، وتقبيلهم، وملاعبتهم، ومداعبتهم، وإعطائهم بعض الحلوى أو الفاكهة، أو الأشياء التي يفضلونها، ومصاحبتهم خارج المنزل للتنزه والتفرج، وزيارات المعارف والأقارب، والاهتمام بأمورهم والردّ على كل أسئلتهم، والنوم بجانبهم والسماح لهم بالجلوس مع ضيوف البيت، ومدح سلوكهم الصحيح، أو المتميّز، وتقدير أعمالهم بالجوائز والحلوى، وعدم زجرهم ومنعهم من اللعب والحركة، وأمثال ذلك من الأسباب التي توطّد العلاقة مع الطفل، وتقنعه بالحب والاهتمام، وتشبع حاجاته.

* عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: «صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله، وخرجت معه، فاستقبله وِلْدان، فجعل يمسح خَدَّي أحدهم واحدًا واحدًا» رواه مسلم، فأي صورة من الحنان المعبِّر، والأبوّة والشفقة، تلك التي يبديها رسول الله ﷺ وهو يَلْقى بعض الأطفال في طريقه، فيمسح بحنان ومودةً على كل خد للأطفال واحدًا واحدًا، لأنه الحنان الغامر الذي يشمل كل طفل، وأين هذا السلوك من سلوك الذي يزجر كل طفل يلقاه معترضا طريقه؟ أو على الأقل من لا يحدثهم ولا يلقي إليهم بالسلام؟ وقريب من ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، وبعثني إلى حاجته» رواه مسلم. فانظر إلى هذا السلوك الماهر في التربية للصغار، «فسلم علينا، وبعثني إلى حاجته» فالسلام على الصغار وهم يلعبون، وقبل أن يطلب من أحدهم ترك اللعب ليقضي حاجة، فيه احترام وتقدير للصغار، وإقرار للعبهم، ولولا الحاجة ما قطع عليهم لهوهم ولعبهم.

روى البخاري ومسلم «أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام

أصغر القوم، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أُعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أُوثر بنصيبي منك أحداً، فَتَلَّهُ رسول الله في يده» والغلام هو الفضل بن العباس رضي الله عنهما. إنه أمر يفوق كل تقدير، وتعجز عنه أساليب التَعبير كلها، ولا ترقى إليه مناهج التربية التي يحاولها غير النبي ﷺ من البشر، طفل صغير يجلس في مجلس الأشياخ وبينهم النبي ﷺ الذي يعلم ويسوس ويقود الأمة! ويستأذنه النبي ﷺ في شربة! ويجلس عن يمين النبي ﷺ، وهي كرامة للكبار قبل الصغار! ولا ينسى النبي ﷺ حقّ الطفل الصغير في الشرب بدءاً من يمين الشارب! إن هذا السلوك وغيره من أساليب التربية الإسلامية، هي التي أوصلت هؤلاء الغلمان إلى مدارج العظمة وهم لايزالون صغاراً. فهذا الفضل بن العباس رضي الله عنهما، وهو غلام دَرَجَ بين الأشياخ، يَعْرف كيف المَنْطق في مثل هذا الموقف العظيم، «والله يا رسولَ الله لا أُوثر بنصيبي منك أحداً» عطاء وحق من يد رسول الله، يدعه ذو مسكة من عقل، ولذلك وضع الرسول ﷺ الإناء وفيه الشراب عند ذلك في يده.

* المنهج الإسلامي الربّاني لا يمنع الأطفال والصغار من مخالطة الكبار، ومجالستهم في كل مجالسهم، ومساجدهم، وتجمعاتهم، وأسفارهم، وأحفالهم، وأنديتهم، وذلك حتى يأخذوا عن الكبار عملا، وبالمواقف، فَيَتَشَرَّبون السلوك ويحفظون القواعد والمبادئ، ويشاركون في الأعمال ويتدرّبون على المسئوليات. أما حرمان الأطفال والصغار من هذه المخالطة والمشاركة، فهو حرمان من القُدْوة والتجربة من جانب، وعزل للصغار عن الاتصال بالكبار، من جانب آخر، وهو منهج سلبي في التربية وغير عملي، ويدع الصغار بعضهم لبعض فلا يتعلمون إلا السفاسف من الأمور، ويستّهْويهم الشياطين فيتعلمون الشرور، بدلا من مخالطة الكبار فينشغلون بالخير ويتعلمون معالي الأمور. فعن عبدالله بن أبي حبيبة «...وقيل له: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: جاءنا رسول الله ﷺ في مسجدنا بقباء، فجئت وأنا غلام حدث حتى جلستُ عن يمينه، وجلس أبو بكر عن يساره، قال: ثم دعا بشراب فشرب وناولني عن يمينه» رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات. وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: «أتيت رسول الله ﷺ مع أبي، وعليَّ قميص أصفر، فقال رسول الله ﷺ: سَنَهْ، سَنَهْ، قال الراوي: وهي بالحبشية: حسنة، حسنة، قالت: فذهبت ألعب بخاتم النُبوَّة، فَزَبَرَني أبي، فقال رسول الله ﷺ: دَعْها، ثم قال رسول الله ﷺ: أَبْلي وأخْلقي، ثم

أبلى وأخلقى، ثم أبلى وأخلقى» رواه البخارى، وكان خالد بن سعيد قد هاجر إلى الحبشة هو وأهله، فهذه صبية صغيرة تحضر مجلس رسول الله ﷺ، فالأمر لا يخص الصبيان فقط، ثم لا تهاب فى المجلس من اللعب، بل تذهب فتلعب بخاتم النبوّة المبارك الشريف، فيمنعها بزجرٍ أبوها، فيقول له النبى ﷺ: [دعها] بل يتوجه إليها ﷺ بالمداعبة والمباسطة ليذهب عن الصغيرة الحرج، ثم يدعو لها ثلاثًا بطول العمر والعافية، فتلبس الجديد مرات ومرات بعد أن يخلق الثوب الجديد. وخاتم النبوّة الشريف، عبارة عن بضعة من اللحم بارزة تميل إلى الحمرة وعليها شعرات، فى أعلى الظهر قريب من الرقبة المباركة. والسنّة المباركة، والسيرة الشريفة، وتاريخ المسلمين، مليئة بالأمثلة على حضور الصغار، بنين وبنات، كل المجالس والأماكن مخالطين للكبار، وليس هناك أعلى من مجلس النبوّة الشريفة فى المسجد، وفى كل المواطن، والتى خالط فيها الصغار الكبار، حتى كبر الصغار على ما كان عليه الكبار، من خلق وسلوك ودين.

* مشاعر الصغار فى الأفراح والأتراح

روى الإمام مسلم فى صحيحه «أن رسول الله ﷺ كان يُؤْتى بأوّل الثمر، فيقول: اللهم بارك لنا فى مدينتنا، وفى ثمارنا، وفى مُدُنّا وصاعنَا، بركة مع بركة، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولْدان»، وروى الطبرانى «أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى بباكورة الثمرة أعطاها أصغر من يحضره من الوِلْدان» ورجاله رجال الصحيح. كما روى فى الصغير والكبير من معاجمه بسند رجاله رجال الصحيح «كان رسول الله ﷺ إذا أُتى بالباكورة من الثمار قبَّلها، ووضعها على عينَيْه ثم قال: اللهم كما أطعمتنا أوَّله فأطعمنا آخره، ثم يأمر به للمولود من أهله» ويحسن الجمع بين هذه الألفاظ الواردة فى هذه الأحاديث، والمتدبِّر فى هذه السنة يجد أن هناك شبهًا بين باكورة الثمر، وبين باكورة عمر الصغار، فَهُمَا فى أول مراحل النضج، وكلاهما قريب عهد بعملية تلقيح وتوليد، وآية من آيات الله تعالى فى توالى النوع واستمراره وفيها اتصال النعمة وعدم انقطاعها من مسديها، وأن من شكرها ذكر المنعم، وطلب البركة فيما أنعم به، وأن من كمال الشكر تقديم النعمة للأحْوج والأضعف، فإن الطفل الذى يحضر ويرى باكورة الثمرة، يرغب فيها ويتطلّع إليها، وتسرع إليها نفسه، فيكون حرمان الصغير فى هذه الحال نوعا من القسوة والأثرة، وأعرف بعض الأمهات اللاتى يُؤْثِرْن الأزواج فى مثل هذه الحالة، وتحرم الصغار، وهم يتطلّعون للشىء، ظناً منهن أن ذلك كرامة للزوج وللكبير، وتوقير لهم.

ولعل هذا التطلّع من الطفل للشيء، وراء نَهْي النبي ﷺ وهو يبيِّن حقوق الجار، أن يخرج الأطفال بالفاكهة فيراها في أيديهم أبناءُ الجار فيرغبون فيها، ولا يُعطَوْن منها، حيث قال ﷺ: «وإذا اشتريتَ فاكهة فأهْدِ له، فإن لم تفعل فأدخلها سرًّا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولَده، ولا تُؤذِه بقتار قدْرك إلا أن تغرف له منها» رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن عَدِيّ في الكامل. ولنفس الأمر، يراعي عند تناول الطعام أن نعطي من حضر من الأطفال مما نتناوله من الطعام، فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «دخلتُ على النبي ﷺ أنا وغِلْمة معي، فوجدناه يأكل تمرا في قناع، ومعه ناس من أصحابه، فقبض لنا من ذلك قبضةً، قبضةً، ومسح على رءوسنا» رواه الطبراني، فلم يَنْس ﷺ هؤلاء الصغار الذين دخلوا وشاهدوا الطعام يؤكل منه، أن يطعمهم من ذلك الطعام ويكرمهم كما يكرم من يشاركونه الطعام. إن ذلك تقدير للصغار، ومراعاة لنفوسهم، وجَبْر لخواطرهم.

* إن الاهتمام بالطفل الصغير، والانتباه إلى ما يؤثّر في نفسيَّته، ومعاملته معاملة كريمة فيها التقدير والاحترام لذات الصغير، أمر هام في التربية الإسلامية، لأنه في المعتاد عند الكثيرين من الأمهات والمعلمين، إغفال شأن الطفل لصغره، وأنه لا يدرك الأمور، وفي الحقيقة وواقع الأمر، أن الطفل الصغير شديد الحساسية، ومرهف الشعور، لكثير من الأمور التي يغفل عنها، ويهملها الكبار، وقد لا يستطيع الطفل التعبير عن إدراكه وشعوره، ولكن ذلك لا ينْفي وجود الإدراك والشعور. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «دخل علينا رسول الله ﷺ، وأنا والحسن والحسين نيام في لحاف، فاسْتَسْقى الحسن، فقام رسول الله ﷺ إلى إناء، فصبَّ في القدح، فجاء به، فوثب الحسين، فَنَحَّاهُ النبي ﷺ بيده، فقالت فاطمة: كأنه أحبُّهما إليك يا رسول الله؟ قال: إنه استسقى قبله» رواه أحمد والبزار والطبراني. فهذه خدمة من كبير عظيم لطفل صغير، ومراعاة لخاطر الذي طلب الشراب قبل الآخر، فيقدم ويهتم بهذا العدل والمساواة بحسم، بصرف النظر عن كونهم صغارا ولا يدركون تلك الأمور، أَوْ يهيأً لنا ذلك منهم. ولا يخفى عظيم تواضع النبي ﷺ وشفقته، ومسارعته إلى الخدمة والنجدة، وتباسطه ﷺ مع أهله وأولاده رضوان الله عليهم. وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «إن أباه بعثه إلى رسول الله ﷺ في حاجة، قال: فوجدته جالسًا مع أصحابه في المسجد، فلم أستطع أن أكلِّمه، فلما صلى المغرب قام يركع حتى

انصرف مَن بقى في المسجد، ثم انصرف إلى منزله، وتبعته، فلما سمع حسّى قال: من هذا؟ قلت: ابن عباس، قال: ابن عم رسول الله؟ قلت: ابن عم رسول الله ﷺ، قال: مرحباً بابن عم رسول الله ﷺ، قال: ما تريد أن تبيتَ عند خالتك الليلة، قد أمسيتَ؟ فوافقتْ ليلتها من رسول الله ﷺ، فأتيتُها فعشّتني » رواه الطبرانى. وهذا الحديث فيه ما يعجز التعبير عن الإفصاح عما فيه من عظمة رسول الله ﷺ، فهذا التقدير منه ﷺ لهذا الغلام الصغير، والتّرحيب به، والاهتمام بشأنه، وإكرامه ودعوته للمبيت معه فى بيت خالته ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها، فى كل ذلك وغيره، ما يعجز الكثير من الكرماء عن فعله مع الكبار، فكيف يكون فعله مع الصغار؟.

* من المسائل التى يجب أن يُعتنى بها مع الأطفال، اصطحابهم عند استقبال القادم من السَّفر، لأن الطفل يكون أكثر تلهُّفًا على الغائب، ويفرح بقدومه، ويتعجّل رؤيته، كما أن الغائب يكون أكثر شوقًا لرؤية الصغار، والاطمئنان عليهم، ولكل هذه الأمور وغيرها، كانت السنّة الشريفة موضِّحة لهذا المسلك الواجب مع الصغار، «كان رسول الله ﷺ إذا قَدِم من سفر تُلُقِّىَ بصبيان أهل بيته، قال عبدالله بن جعفر، وأنه قدم من سفر، فَسُبِقَ بى إليه، فحملنى بين يديه، ثم جىء بأحد ابنىْ فاطمة، فأردفه خلفه، قال: فأُدخلنا المدينة ثلاثة على دابة» رواه مسلم. وعن سلمة بن الأكوَع رضى الله عنه قال: «لقد قُدْتُ برسول الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء، حتى أدخلتهم حجرة النبى ﷺ، هذا قُدَّامه وهذا خلفه» رواه مسلم والترمذى. إنها المشاركة للأطفال فى مراسم الاستقبال والاحتفال بقدوم المسافر، وعدم تجنيبهم هذه الأحفال والأفراح والترحيب بالقادم، ومثله قد فعلته أطفال الأنصار عند استقبال رسول الله ﷺ بالمدينة فى الهجرة، وفى كل عود حميد للغزاة فى سبيل الله تعالى، كما فعلوا فى غزوة تبوك وغيرها. وهذا السلوك يُنمّى عند الطفل الصغير الشعور بالقضايا العامة، ويعمق لديه الرغبة فى أن يفعل أمثال هؤلاء القادمين، الذين يرحَّب بهم ويُحتَفَى بهم عندما يكبر، سواء كان ذلك السفر للجهاد، أو للحج، أو للتجارة، أو غير ذلك، كما يؤكد هذا السلوك ثقة الطفل الصغير فى نفسه، حيث إن له دوراً مع الكبار، وأنه لم يُهمَل ويُغفل عنه فى الأحداث الجارية. بل هذه الغفلة عن الأطفال الصغار، تكون أشدّ عليهم فى حالة النوازل التى تقع فى محيطهم، فيُتركون فى هذه الحالات، وهم أحوج للعناية والمواساة من غيرهم من الكبار، وقد نبَّه النبى ﷺ إلى هذا الأمر، فَروَتْ أسماء بنت

عميس، زوج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما قالت: لمّا أصيب جعفر وأصحابه، دخل عليّ رسول الله ﷺ، وقدْ دَبغتُ أربعين ميتة، وعجنتُ عجنى، وغسلتُ بنيّ ودهنتهم ونظّفتهم، فقال رسول الله ﷺ: ائتنى ببنى جعفر، قالت: فأتيْتهُ بهم، فَشَمَّهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله بأبى أنت وأمّى ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أُصيبوا هذا اليوم قالت: فقمتُ أُصيح، واجتمع إليّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم؛ رواه ابن ماجة وأحمد، فهذا رسول الله ﷺ أوّل ما يبدأ به مواساة الأطفال الصغار عند موْت الأب، والحرص على إعداد الطعام لهم حتى لا يَجْتَمع لهم الحزن والجوع. فيجب عند المصائب والأحداث، المبالغة فى الاهتمام بالأطفال الصغار، بمواساتهم والتخفيف عنهم، وتلهيتهم عن الشعور بالصدمة، حتى لا تمر المصيبة وقد تركت جرحا عميقا فى نفس الطفل الصغير لا يندمل، وحتى لا يحمل على الكبار، وعلى المجتمع، لاجتماع المصيبة والإهمال له، وهو صاحب القلب الرقيق والشعور المرهف والضعف وقلة الحيلة. ولا يفوتنى أن أشير إلى ما فى هذا الحديث الشريف من أمور، منها ما كانت عليه الأمهات الصالحات من عناية بالصغار وتنظيفهم والإصلاح من هيئتهم رغم الأعمال الكثيرة التى كنّ يقمن بها فى خدمة البيت.

* عوِّدوهم الخير فإن الخير عادة

روى الطبرانى بسنده عن النبى ﷺ قال: «حافظوا على أبنائكم فى الصلاة، وعوِّدوهم الخير فإن الخير عادة» ومعنى عوِّدوهم، أى علموهم بتكرار عمل الخير، حتى يألفوا فعله ويصبح فعل الخير عندهم عادة لهم، وهذا التّعويد يصلح فى الشر كما يصلح فى الخير، ولابدّ من الاعتياد على الخصال، وبقدر تعويد الطفل على خصال الخير، بقدر ما يكتسب من خلق، ومهارات، وعادات، والأسلوب النافع فى ذلك، ما كان بأداء الفعل عملا، لا تكرار الحديث عنه، حتى يُتْقَن، ويسهل على النفس فعله، والجمع بين الأسلوب النظرى والعملى، مع تغليب الأخير، أصْوَب وأجْدى، فمثلاً لو أردنا إكْساب الطفل عادة التهادى والكرم، وهو طفل لا يتملك شيئًا غالبًا، فإننا نجعله هو الذى يقوم بحمل الهدايا وتوصيلها إلى المهدى إليهم، حتى يألفوا التهادى ويسهل عليهم عندما يكبرون ويتملكون أن يهدوا إلى غيرهم، وكذلك نجعل التهادى بين أفراد البيت الذى يعيش فيه الطفل الصغير، أمراً مقرَّراً ومكرَّرًا، عند تَنَاوُل الطعام على المائدة، أو توزيع

الحلوى أو الفاكهة، بأن يعطى أحد الوالدين للآخر، ولأولاده من نصـيبه شيئًا، ويتبادل أفراد الأسرة على مائدة الطعام بعض المفضل من أنصـبتهم فى الطعام أو غيره، و هكذا يعطى الوالدان بعض مـا يخصّهـما من الأدوات للأولاد فى غيـر مناسبة، حـتى يصبح العطاء والإعطاء مألوفًا لـلصغار فى البيت فيـعتادون فعله، ويقتـدون بالكبار فى عادات الخير. عن عبـد الله بن بُسْر رضى الله عنه قال: «كانت أمِّى تبعـثنى بالهدية إلى رسول الله ﷺ فيقْـبلها» رواه أحمد. وعن أبى بكر رضى الله عـنه قال: «نزل رسول الله ﷺ منْزلا، فبعثت له امرأة مع ابـن لها بشاة، فحلب، ثم قال: انطلق به إلى أمّك، فشربت حتى رويت، ثم جاء بشـاة أخرى، فحلب، ثم قال: انطلق به إلى أمك، فشربت حتى رويت، ثم جاء بشاة أخرى، فحلب، ثم شـرب» رواه أبو يَعْلى، وكان من عادة العرب أن تحلب الرجال، ويعيـبون أن تحلب المرأة. بل بلغ من كرم رسول الله ﷺ لضـيْفه أن أطعمه طعام الصغار مراراً، حتى اعـتادوا الإيثار، فعن أبى نَضْرةَ الغفارى رضى الله عنه قال: «أتيْتُ النبى ﷺ لمَّا هاجرتُ، وذلك قُبَيْل أن أُسْلم، فحلب لى شُوَيْهة كان يحلبها لأهله، فشربتهـا، فلما أصبحتُ أسلمت، وقال عيال رسـول الله ﷺ: نَبِيتُ الليلةَ كما بِتْنا البارحة جيـاعًا، فحلب لى رسول الله ﷺ شاةً، فشربتهـا ورويت، فقال لى رسول الله ﷺ: أرويت؟ قلت: يا رسول الله قد رويت، ما شبعتُ ولا رويت قبل اليوم، فقال رسول الله ﷺ: إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء، وإن المؤمن يأكل فى معاء واحد» رواه أحمد ورجاله رجال الصحـيح. فقد بات العيال جياعًـا حين قُدِّم عليهم فى شرب اللبن الذى كان طعامهم، وخشوا أن يبيتوا الليلة الأخـرى جياعًا، لعلمهم بما تعوَّدوا عليه من إيثار الضيف والمحتاج عليهم.

* التَّستُّر فى العورات مع الصغير

* من الأخطاء الشـائعـة بين عامـة المسلمين، التَّسـامح فى كـشف العورات أمـام الأطفال، أو التسامح فى كشفها فيـما بينهم، باعتبارهم صغاراً لا يدركون تلك المسألة، فلا يتـحفَّظون منـهم، ولا يشدِّدون فى التنبيه، والمطالبـة بالتَّسـتُّر، سـواء عند تغيير الملابس، أو عند الاغتسـال، وغير ذلك من الأحـوال، بل قد تغتسـل الأم مع ابنها أو بنتهـا فى آن واحد ومكان واحد، بـزعم أن الصغيـر، أو الصغيـرة بنتها، وأنهـا كانت تغسِّلها وتغيـر لها ملابسها وهى صـغيرة تعجز عن الاسـتقلال بذلك بنفسها، ويدفـعها لذلك أيضًا، أن الولد والبنت يظل كل منهما فى عين الأم صغيـراً مَهْما كبر. عن زينب

بنت أبى سلمة رضى الله عنهما قالت: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يغتسل، فأخذ حَفْنَةً من ماء فضرب بها وجْهى وقال: وراءك أى لكاع» رواه الطبرانى وإسناده حسن. وزينب هذه بنت أم سلمةَ زوج النبى ﷺ ورضى الله عنها كانت تتربى فى حجْر النبى ﷺ وكانت صغيرة. وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: «أتى علينا، أى أبوهم، ونحن نغتسل، يصبّ بعضنا على بعض، فقال: أتغتسلون ولا تستترون؟ والله إني لأخْشى أن تكونوا خَلْف الشر، يعنى الخَلْف الذى يكون فيهم الشر» رواه الطبرانى ورجاله موثقون والخلْف يقال فى الشر، والخَلَف يقال فى الخير. فيجب تعويد الطفل الصغير على التَّستُّر الدائم حتى يشُبَّ على الحياء والتحفّظ للعورات، وكذلك يجب ألا نتسامح فنبدى من عوراتنا أمامهم، وعلينا تشجيع الصغار على الاستقلال بأنفسهم عند الاغتسال وتغيير ملابسهم، وسوف يأتى إن شاء الله الحديث عن العورات وآدابها فى فصل عبادات الطفل.

* متى يستمتع الكبار بلعب الصغير؟ ومتى يضيقون منه؟

* يغلب على أنشطة الطفل الصغير، اللعب واللهو والمرح، ومعظم طاقاته يبدِّدها فى هذه الأشكال من النشاط، وكل ذلك نافع له جسميًا، وعصبيًا، ونفسيًا، وتعليميًا، ومن هذه الأنشطة ما فيه صعوبة ومشقة وضرر، ولا فائدة منه. ويمكن استثمار اللعب عند الطفل فى تدريبه، وتعليمه، بأشكال وأساليب من اللعب التى يفهمها ويحبها الطفل ويسعد بها، ويمكن إقناع الطفل بأنه هو الذى اكتشف المعلومة، وأنه هو الذى أخبر عنها بتهيئة المعنى الذى يمكنه إدراكه من خلال قصة تؤدّى حركيًا، أو لعبة ويطلب منه معرفة الخطأ والصواب، أو المراد من اللعبة، أو القصة، ثم تنبيه على ذلك بالمدح والتشجيع، كما يمكن للطفل التدريب، والتَّعلُّم من خلال تشكيله للأشكال الصلصالية، وتقطيع الورق والتكوين والتشكيل للمربعات وغيرها، والتلوين للأشكال المعَدَّة.

– قد يكون من المفيد، إعطاء الطفل قدرًا من الوقت، ولو نصف ساعة، يتعامل خلالها بحرية، وبدون تدخل أو توجيه خلالها، مع أى شىء من لعبه، أو محتويات حجرته الخاصة باللعب، أو حقيبة لعبه، ولا نزجره ولا نلومه على شىء يحدثه، لكى يكتشف بنفسه، وبالتجربة، الخطأ والخسارة، ثم يوجه ويضبط سلوكه بناء على إطلاعه على نتائج تجربته، وأشدّ ما يفرح الطفل، تركه يفعل ما يشاء، واللعب مع أحد والديه.

- فى سن أربع سنوات يظهر لدى الطفل لعب الفريق، حيث يصبح واعيًا بوجود الآخرين، فَيسْعى لجذب الانتباه عن طريق الاستعراض معهم. وهو يبدأ باللعب بجوار الأطفال الآخرين، وليس معهم، ثم فى مرحلة تالية بعد ذلك يلعب مع الأطفال بأنشطة مشابهة، ثم يلعب بعد ذلك متعاونًا معهم فى لعب واحد، بحيث يصبح عضوًا فى فريق. ويغلب على الطفل فى البدايات دور المتفرِّج على الآخرين أثناء لعبهم، ثم التحدّث معهم قبل مشاركتهم.

- يبدأ الوالدان بالشعور بالضيق من الطفل لكثرة انفعاليته وتوتره، حيث دخل اللعب ضمن فريق حيز تفكيره ونشاطاته، فعادة ما يمنع عن الخروج للعب معهم أو يمنع عن اللعب مع أشخاص بأعيانهم، أو يمنع فى أوقات يرغب فى اللعب أثناءها، وذلك خلاف ما كان للطفل فى المرحلة السابقة من جاذبية للكبار نحوه. فبعدما كانوا يستمتعون باللعب مع الأطفال ويدفعونهم إلى اللعب، قد أصبحوا يضيقون بلعب الطفل وكثرة نشاطه.

* علموا أولادكم الكمبيوتر وركوب الطائرات

* قد مَرَّ بنا فى فصل سابق، حديث سعد بن أبى وقاص قال: «دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يا رسول الله، أتحبّهما؟ فقال: **وما لى لا أحبهما وهما ريحانتاى**» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، وكذلك الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «رأيت الحسن والحسين على عاتقى النبى ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبى ﷺ: **ونعم الفارسان**» رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. فاللعب للصغار، والملاعبة معهم من الكبار، بل من أعظم العظماء، وبهذا التَّطامن، والتَّنَزُّل، والتَّباسط، إلى الحدّ الذى يعتلى عنده الصغارُ الظَّهرَ الشريفَ ويتَّخذونه مركبًا. كذلك كان يشارك النبى ﷺ الأطفال الصغار فى لعبهم ليوجههم خلال اللعب إلى المعانى واكتساب المهارات والتدريب على المهمَّات عند الكبر. روى أحمد بسنده ورجاله ثقات: «كان رسول الله ﷺ يصفُّ عبد الله، وعبيْد الله، وكثيرًا من بنى العباس، ثم يقول: **من سبق إلىّ فله كذا وكذا**، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبِّلهم ويلتزمهم». وروى سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ يُعْرِض غلمان الأنصار فى كل عام، فمن بلغ منهم بعثه، فعرضهم ذات عام، فمرَّ به غلام فبعثه فى البعث، وعُرِض عليه سَمُرة من بعده فردّه، فقال سمرة: يا رسول

الله، أجزت غلامًا ورددتَني ولو صارعني لصرعته؟ قال: فدونك فصارعه، فصارعته فصرعته، فأجازني في البعث» رواه الطبراني ورجاله ثقات. فهذه حلبة للمصارعة بين الغلمان يقيمها لهم النبي ﷺ أمام النظَّار من كبار الصحابة، وقد اشتهر الحديث عن النبي ﷺ: «علِّموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل» إنها أنواع من الرياضة محبَّبة إلى الصغار، ونافعة لهم وللمجتمع عندما يصيرون رجالاً كبارًا، وكأني بداعية العصر يقول: علموا أولادكم الكمبيوتر والإنترنيت وركوب الطائرات. روى الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح «كان أنس رضي الله عنه يجلس ويُطْرح له فراش ويجلس عليه، ويَرْمي ولده بين يديه، فخرج علينا يومًا ونحن نرمي، فقال: يا بنيَّ بئس ما ترمون، ثم أخذ القَوْس فرمي، فما أخطأ القرطاس» إن أنسا رضي الله عنه كان قد تدرّب على الرماية حتى أتقنها، وها هو يدرب الصغار من ولده ويشاركهم.

- «مَرَّ رسول الله ﷺ على صبيان وهم يلعبون بالتُّراب، فنهاهم بعض أصحاب النبي ﷺ فقال: دَعْهم، فإن التراب ربيع الصبيان» رواه الطبراني، فقد يكون لعب الأطفال بالتراب وفي الأتربة فيه بعض الضَّرَر، ولكنه شهية يتفق عليها كل الصغار، فتركهم يقضون نهمتهم في اللعب بالتراب أحيانًا، فيه لون من الإشباع الطفولي، وفيه تنفيذ فكرة ترك الأطفال أحيانًا يفعلون كل المباح من اللعب الذي لا يغلب ضرره بعض ما فيه من الفوائد. ويمكن إتاحة هذه الفرص للأطفال باصطحابهم إلى الشواطئ وتركهم يعبثون بالرمال ويشكِّلون منها بيوتًا وأهرامات وأحصنة وغير ذلك من الأشكال، وإذا لم يتيسر الشاطئ فيحسن توفير قدر من الرمال في مكان ما بالبيت لهذا الغرض.

- كان الكبار لا يَتَضجَّرون من لعب الصغار، بل يمازحونهم ويقرونهم على اللعب، وخاصة من عظماء المربين في التاريخ والذين كانوا لا يعرفون إلا الجدَّ، ولا يأتون ولا يقرّون إلا المعالي من الأمور، وهذا منهم دليل على أن اللعب للأطفال من الجدِّ والضروري لهم «كان ابن لأم سليم يقال له: أبو عمير، كان النبي ﷺ يمازحه إذا دخل على أم سليم فدخل يومًا فوجده حزينًا، فقال: مالأبي عُمَيْر حزينًا؟ قالوا: يا رسول الله، مات نُغَيْرُهُ الذي كان يلعب به، فجعل يقول: أبا عمير، ما فعل النُّغَيْر؟» رواه البخاري ومسلم، والنُّغَير نوع من العصافير، إن سلوك الضَّيْف مع الأطفال الصغار يجب أن يتَّسم بالملاطفة والمداعبة، وإبداء الرضا عنه وعن لعبه ونشاطه، حتى يحبّ الصغير قدوم الضيوف على البيت ويشبّ على حب ذلك، وحتى لا يحرج أهل البيت

من تضجّره مــن الأولاد ونشاطهم، ولا يظهر تأفّفـه مما يحدثه الصغير فـى لعبه. وهذا خليفـة رسول الله ﷺ أبو بكر رضى الله عنه «صـلى أبو بكر العصر، ثـم خرج يمشى ومعه عـلىّ، فرأى الحسن يلعب مع الصبـيان، فحمله على عـاتقه وقال: بأبى، شـبيه بالنبى ﷺ، وليس شـبيهـا بعلىّ، وعلىّ يضـحك» رواه البخارى، إن أطفــال المسلمين الأُوَل لم يُزْجروا من أجل لعبهم فى خارج بيوتهم، فـهذا وقت مرور خليفة رسول الله ﷺ ومعه صحبه، والصبيان على حالهم من اللعب أمامه، بل يتقدم رضى الله عنه إلى أحدهم ويحمله على عاتقه، ويثنى عليه أمام أبيه، فلا يزيد على أن يضحك رضًا بفعله وقوله.

* لهو الفطرة والتسامح فيه

- اللهــو النظيف يلائم الفطرة، والطفل الصـغيـر يعـيش مرحلة انطلاق القـوى فى الحركة واللعب واللهو، وهو لا يشبع من شىء من ذلك، وإن شبع من الغذاء، وواجبنا توفيـر الظروف والوسائل والمناسـبات لإشبـاع متطلبات المرحلة من اللـعب واللهو، مع المراقبة غير المقيدة للطفل، مع التوجيه التربوى فى وقته ومناسبته. «رأى رسول الله ﷺ النساء والصــبيان مـقبلين من عُرْس، فقـام النبى ﷺ مُمْثـلاً وقال: **اللهم أنتم من أحب الناس إلىّ، قالها ثلاث مرات**» رواه الـبخارى ومسلم. فهؤلاء نساء وأطفــال مقبلون من حفل عُرْس بـالمدينة، كانوا يلهون ويمرحون ويفـرحون ويشاركون العـروسين وأهليهم، يحـبهــم رسول الله ﷺ، بل هم من أحب الـناس إليه ﷺ، إنهـم ليسـوا أولاده، ولا نساءه، إنهم صبـيان المسلمين ونساؤهم فلماذا لا نخيـر أطفالنا ونساءنا بحب النبى ﷺ لهن ولهم، وإقراره لهن ولهم بحضور أحفال اللهو الجميل البرىء الذى كانوا لا يعرفون غيره؟ تقول عائشة رضى الله عنها: «كان رسـول الله ﷺ جالسًا، فسمعنا لَغَطًا وصوتَ صبيــان، فقام النبى ﷺ، فإذا حـبشيّة تَزْفِنُ والصـبيان حولْهـا، فقال: **يا عائشة تعالى فانظرى**، فجئتُ، فوضـعتُ لَحْيى على منكب رسول الله ﷺ، فجعلتُ أنظر إلـيها ما بين المنكب إلى رأسـه، فقال لى: **أما شَـبعت؟ أما شبعت؟** قالت: فجـعلتُ أقول: لا، لأنظر منزلتى عنده، إذْ طَلع عمر، قالت: فارْفَضَّ الناس عنها، قالت: فقال رسول الله ﷺ: **إنى لأنظر إلى شيـاطين الجن والإنس قـد فـرّوا من عـمـر**، قـالت: فرجـعت» رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحـيح. والزَّفْنُ: الرَّقص، وارْفَضُّوا: تفرقوا، والحديث فيه من الأحكام واللطائف الكثير، ويكفى الإشـارة إلى إقرار رسول الله ﷺ لهذا اللهو

الذى ترقص فيه حبشيةً فى الشارع ويتجمّع عليها الصبيان، بل يدعو النبى ﷺ زوجه الصغيرة عائشة للمشاركة بالتفرّج على هذا اللهو البرىء، بل يعينها على ذلك، وكان النبى ﷺ قد تزوج عائشة رضى الله عنها وهى صبيّة تبلغ تسع سنوات، ولذلك تحكى لنا رضى الله عنها قالت: «دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنّيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفراش، وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال: مزمارة الشيطان عند النبى ﷺ؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما، فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدّرق والحراب، فإما سألتُ رسول الله ﷺ، وإما قال: تشتهى تنظرين؟ قلت: نعم، فأقامنى وراءه، خدّى على خدّه، وهو يقول: دونكم بنى أرْفِدَة، حتى إذا مَلَلْتُ قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبى، وأنا جارية، فاقدروا قدر الجارية العَرِبَة الحديثة السّن» رواه البخارى ومسلم، وبنو أرفدة: أهل الحبشة، والعربة: طيبة النفس الحريصة على اللهو. وبعد ذلك لا تعليق أكثر من أن أنبّه على قول ونصيحة عائشة رضى الله عنها: كنت جارية، أى طفلة صغيرة، فاقدروا قدر الجارية، أى راعوا فى سلوككم هذه الأعمار وحاجتها إلى اللعب واللهو.

* ملاحظات على طفل ما قبل المدرسة

* إذا بالغ الوالدان فى كَفِّ الطفل عن المُبادأة، فإن ذلك يؤدّى إلى أن يصبح الطفل فيما بعد محدود الأفق، ممتلئًا بمشاعر الذنب، وعلى العكس إذا لم يستخدم مع الطفل النّواهى إلا نادرًا، فإن الطفل لا ينمو لديه ضمير مكتمل، ذلك أن الطفل فى خلال هذه المرحلة تتّسع مداركه ويصبح له خيال وطموحات يحب الحصول عليها، فيمارس بحب الاستطلاع والاكتشاف أمورًا كثيرة، وعند ذلك يتعرّض الوالدان مع الطفل لاختيارين، إما المنع بأسلوب النّهى والأمر الحاسم والدائم، وإما التغاضى والتّغافل عما يحدث من الطفل، وكلا الأسلوبين ضار بالطفل، والواجب استخدام النواهى فى الحدود المعقولة، التى تحقّق طموحاته وتعينه على اختراق المسموح فى الحدود التى لا يتحتّم فيها الضرر، ومن هذه التجارب يتسع أفق الطفل، وينجو من التعرض للشعور بالذنب المصاحب.

* فى سن الرابعة يبدأ الطفل فى التّخلُّص من الشكل المترهّل للرضيع، ويصبح طفلاً صغيرًا، ويصل فى عامه السادس إلى تناسق أجزاء الجسم مثل الشخص الكبير، ويزداد نضج جهازه العظمى والعضلى، كما تكتمل الأسنان اللبنية فيما بين العامين الثانى والثالث، وتظل هذه الأسنان حتى سن السادسة أو السابعة عندما تستبدل بها الأسنان

الدائمة، ولا يكتمل نمو الجهاز البصرى إلا مع البلوغ، حيث يتم التركيز البصرى الواضح، ولذلك قد يحسن لبعض الأطفال أن يستخدموا خلال هذه الفترة النظارات الطبية.

- التّعلم فى هذه المرحلة أكثر سهولة عند الطفل لنمو الجهاز العصبى والعقلى عنده، ولكن يجب أن يطلب من الطفل فعل الأشياء والواجبات التى يقدر عليها صحّيًا وعقليًا، بصرف النظر عن مطامح وتطلعات الوالدين، لأن ذلك يحدّد المفهوم الذى يكوّنه الطفل عن ذاته، فإذا كانت تلك الواجبات أعلى من مستوى الطفل، وتكرر فشله فى أدائها، فإن ذلك يؤدى للإحباط والقلق عند الطفل، ويتعلم الطفل فى هذه الأحوال تبرير الفشل، كما يشعره ذلك الفشل بالدونيّة والنقص وعدم الكفاءة، ولذلك لا يجب الحرص من الوالدين على أن يسبق الطفل فصلاً دراسيًا قبل سنّه الملائمة، كما أن التدريب السابق على النّضج، بقصد التفوّق واكتساب المهارات الخاصة، يعتبر مضيعة للوقت والجهد، لأن الطفل الذى يصل إلى المرحلة العمرية المناسبة لنضجه يتْقن السلوك فى مدة وجيزة، ويستوى فى الكفاية والجودة مع الذى سبقه بالتدريب فترة أطول منه، فالطفل الأكبر يحصل على نتائج أفضل من الصغير مع توافر نفس المقدار من التدريب، فكلما كان الطفل أكثر نضْجًا، كان أكثر كفاية فى التّعلّم. وقد يحدث للطفل الذى يتلقّى التعليم والتدريب قبل النُّضج آثار ضارة فى السلوك إذا صاحبه الإحباط، أو قد يفقد حماسه للتعليم عند بلوغه النضج المناسب، فمثلاً لو تم تدريب الطفل على ركوب الدراجة قبل النضج اللازم، فإن ما يتعرّض له الطفل من إحباط أثناء التدريب المبكّر، قد يؤدى إلى القضاء على ميل الطفل لركوب الدراجات بعد ذلك، بل هناك أنماط سلوكية لا يمكن للتدريب وحده إكسابها للطفل، إذ لابد لها من النضج مثل: الحبو، المشى، القبض على الأشياء.

* يبدأ التحوّل عند الطفل باعتباره كائنًا اجتماعيًا، لزيادة وعْيه بالأشخاص والأشياء فيتسع عالمه، ويزداد اندماجه فى بعض الأنشطة، وهذا بدوره يقلّل من تعلق الطفل بالوالدين تدريجيًا، حيث يحل محلها علاقات جديدة مع بعض الأطفال خارج البيت، وقد يكون قد تهيأ لهذه العلاقات من تعامله مع إخوته بالبيت، ويحدث ذلك عادة اعتبارًا من العام الثالث، وهى سن حرجة فى تطبيع الطفل وتكيُّفه الاجتماعى وحتى سن السادسة.

- فى خلال تلك المرحلة وعند نـهايتها فى سن السـادسة، يظهر سلوك القـيادة عند الطفل، والسيطرة، أو التَّبعيَّة والاعتماد، والمسـايرة، وتكون معالم الطفل وشخصيته قد تحدّدت، فمنهـا ما يتسم بصفـات قيادية، ومنها مـا يتصف بالتبعـية، ومنها الشخـصية المستـقلة، والآخر تابع لغيره، والبـعض انبساطي، والآخـر انطوائى، وهكذا. وإذا كان النظام المتَّبع مع الطفل هو النظام التَّسَلُّطى العقابـى، فإنه يؤدى إلى تنمية الشعور الدائم لدى الطفل بالتمرّد والعدوان، أو الانسحاب والانطواء، ومـعاملة الأم لها آثارها المتميزة فى ذلك، وتلعب دورًا هامًا فى نمو خصائص الشخصية.

* يتم اكتمـال نمو المهارات اليدوية، وأهمها فى الإطـعام، وارتداء الملابس، وتمشيط الشعر، والاستحـمام، وتوجد فروق بين الجنسين فى نوع المهارات الحركيـة التى يتعلمها أطفـال هذه المرحلة، وفى سن السادسـة يمكن للولد استـخدام أدوات النجـارة، ويمكن للبنت استـخـدام أدوات الخيـاطة، كـمـا يمكن استـخدام المقـص وتشكيل الأشكال الصلصالية، وفى سن الخامسة والسادسة يمكن رسم الحروف الأبجدية، وعلى الرغم من البطء فى الكتابة. ويستطيع الطفل أن يجرى بسهولة ويتمكن من الوقوف وصعود الدرج دون مساعدة، ويستطيع القفز، وفى سن الخامسة يكون قد اكتسب القدرة على الاتزان، وعمومًا يلعب التكرار دورًا هامًا فى اكتساب المهارات الحركية.

- فى هذه المرحلة يتـدعَّم تفضـيل إحدى اليـدين فى الاستـخدام، وبالتـالى يجب تشجيع الطفل على استـخدام اليد اليمنى، لأن العسر - وهو سيطرة اليـد اليسرى -غير مرغوب فيه شرعا واجتماعيًا وتعليميًا.

- تتشكَّل عـادات الطعام، وتفضـيل بعض الأطعمة فى هذه الفـترة، ويلاحظ على الطفل نقص شهيَّـته للطعام، وتقل رغبته فـيه، وفى نفس الوقت يرغب الوالدان فى أن يبالغ الطفل فى التـغذية، وأسلوب الضّغط على الطفل ليـتناول الطعام ليس بالأسلوب الناجح، والأفضل البحث عن ألوان من الطعـام يفضلها الطفل، وهذا ما استـخدمته أم رومان زوجة أبى بكر الصديق، وأم عائشـة رضى الله عنهم، تقول عائشة: (أرادت أمِّى أن تـسمِّنى لدخـول رسول الله ﷺ، فلم أقبل عـليها بشىء مـمَّا تريد، حتى أطعـمتنى القثّاء بالرُّطَب، فسمنت عليه كأحسن السمن) رواه أبو داود وابن ماجة.

* من الأمور التى يُغْـفَل عنها مع الأطفـال الصغار، أن الوالـدين، والكبار عمـومًا يتحـدثون فى حضور الصـغار وكأنهم لا يدركـون المعانى ولا الأمور المتـحدث فيـها،

والحقيقة أن الأطفال الصغار يفهمون ويدركون الكثير مما يتحدث فيه الكبار أمامهم، ولكنهم لا يقدرون على التعبير عن بعضها، أو يخشون الحديث عنها خوفًا من أن يعاقبهم الكبار. ومن الأمثلة على ذلك: أن الأم تتحدث عن أشخاص معروفين للطفل، وفي حضوره، مع معارفها، أو جارتها، فإذا كان الحديث عن هذه الأشخاص بما يُكرهُ، وكان هذا الشخص قريبًا للأسرة، فإن الطفل لا يحب هذا الشخص ويكرهه، ويظل يكره هذا الشخص لغير سبب ظاهر للوالدين، وقد يكون الحديث عن أحد الوالدين والشكوى منه وتعديد أخطائه وزلاته، فَيَتَسبَّب ذلك في التقليل من احترام الطفل لهذا الوالد، ويحمل له في نفسه شيئًا من الكره، ويبدأ في التعاطف مع الوالد الشاكي الذي يقع عليه الضرر بناء على ما سمع، وقد تعود العلاقة الحسنة مع الوالدين، وتبقى الآثار السيئة في نفس الطفل الصغير.

* من الواجب على الوالدين الإجابة عن كل أسئلة الطفل الصغير، مهما كانت أهميتها في نظر الوالدين، ومهما كانت تفاهتها، أو خطورتها، ومهما كانت الشواغل، ويمكن طلب تأجيل الإجابة، ولكن لا تهمل بحال، لأن لذلك خطورته على الطفل، وسوف نتناول هذا الأمر إن شاء الله، عند الحديث عن عقيدة الطفل في فصل العبادات.

* * *

الفصل السابع

طفل المدرسة واتساع مداركه وتعدد أنشطته

* التهيئة للطفل قبل يوم دخول المدارس، وواجب متابعته في المدرسة طوال الدراسة.
* ملاحظات مهمة عن مرحلة المدرسة الابتدائية عند الطفل.
* أثر جماعة الأقران الاجتماعي عند الطفل.
* من الحرص ما يقتل المواهب.
* مشاكل المرحلة عند الطفل، وحالاته الانفعالية.
* حب البطولة والتمثل بها في حياة الطفل.
* التعلم والتدريب والتحصيل، وأثر القدوة العملية في التعليم.
* كيفية التعامل مع الطفل النجيب والطفل المبتكر.

تهيئة الطفل لدخول المدرسة ومتابعته طوال الدراسة

* الطفل فى مرحلة المدرسة ينتقل من عالم البيت إلى عالم المدرسة، من المحدود إلى الفسيح، من سلطة الوالدين إلى سلطة المعلمين، من اللعب واللهو إلى واجبات ومسئوليات الدراسة والتّعلم، من آفاق الحكايات والخيال إلى آفاق المعلومات والتجربة، من التعامل والمخالطة للأسرة ومن يتبعها إلى الرّفاق والمجموعات، من بيئة يغمرها التعاطف والتعاون إلى بيئة يغلب عليها التنافس والتّنافر. إنها تحدّيات مفاجئة تبهر الطفل وتشدّه إلى استجماع قواه لخوض غمار الجديد الواسع بترقب وقلق، إن الأمر يتطلب منه أساليب متوافقة لمسايرة المجتمع الجديد.

- إن الوالدين مع فرحهم ببلوغ الطفل سن الدراسة، ودخوله للمدرسة، ومع إعدادهم له الملابس اللازمة والمناسبة، والحقائب والأدوات، وسبل المواصلات إلى المدرسة، عادة ما ينسون، أوْ لا يتفطّنون إلى ضرورة إعداد الطفل ذاته وتهيئته لهذه النقلة الضخمة فى حياة الطفل، وأثرها على نفسيته ومستقبله، وحتى لو كان سبق للطفل الذهاب إلى دور الحضانة رضيعا، أو قد أُدْخل إحدى روضات الأطفال قبل المدرسة، فإن المدرسة وما يصاحبها من أجواء ورهبة، أمر يحتاج مع ذلك إلى إعداد الطفل وتهيئته لدخول المدرسة.

- إن الاعتياد، والارتياد للمدرسة قبل أول يوم للدراسة بالنسبة إلى الطفل يجعل المدرسة شيئا مألوفًا إليْه عند الدخول فتذهب من نفسه رهبة المكان الجديد، وتعطيه مسبقًا صورة لهذا الحدث المنتظر والذى يشغل الوالدين، وبالتالى يشغل بال الطفل، وهو دخول المدرسة، إن على الوالدين اصطحاب الطفل معهما، أو مع أحدهما، عندما يقدمون أوراقه فى المدرسة، إن دخول الطفل المدرسة، ولأول مرة مع أحد والديه، يزيل من نفسه رهبة المكان وغرابته، بل إن الحديث، فى حضور الطفل ومشاهدته، مع المدرسين والقائمين على تسلم الأوراق، يعطى للطفل إحساسًا أن هؤلاء المدرسين الذين يحلّون محل الوالدين فى المدرسة، لهم صلة بالوالدين وسابق معرفة، مما لا يَعدّ معه اعتبارهم غرباء يتهيّب منهم، بل لو تمكن أحد الوالدين من دخول نفس الفصل الذى سيجلس فيه الطفل بَعدُ، عند تقديم الأوراق، ومع الطفل وإطلاعه ومع الشرح له،

لكان ذلك رائعًا وجميلا بالنسبة للطفل، بل لو تكرر ذلك مع الطفل والقيام بزيارة المدرسة خصيصًا لهذا الغرض، لتغيّر الأمر بالنسبة إلى الطفل واشتاق ليوم الدخول للدراسة.

- من الأخطاء التى يقع فيها الوالدان، أو أولياء أمر الطفل، عدم الذهاب إلى المدرسة أثناء فترة الدراسة، وبعد دخول الطفل، بل إن بعض الوالدين قد لا يكون قد دخل المدرسة التى قضى فيها ابنه عدّة سنوات، وهذا الانقطاع عن المدرسة والقائمين عليها خطأ شديد الضرر على الطفل، لأن المدرسة امتداد للمجال الذى يتربى فيه الطفل، فلا تخرج المدرسة عن نطاق مسئولية الوالدين عن الطفل. إن شعور الطفل باتصال الوالدين بالمدرسة والقائمين عليها، يجعله يدرك أنه لم ينقطع عن أسرته ووالديه، وأنه يتحرك تحت الرعاية والرقابة الدائمة، وهذا الشعور يعطيه الثقة فى نفسه وفى المكان ومَنْ فيه من ناحية، ويشجعه على الاستقامة والاجتهاد من ناحية أخرى، ولوائح ونظم المدارس تعين أولياء الأمور على التّواجد فى المدرسة، بل المشاركة فى بعض الأنشطة، وإبداء الآراء والاقتراحات، وإهمال هذا الاشتراك يشعر الطفل بالدونية أمام الأقران، ويفرح ويفخر الطفل بوجود أحد الوالدين بالمدرسة، خاصة لو تحدث مع الناظر أو المسئولين، ولا يكفى مجرد الحضور فى المدرسة، ولكن يلزم متابعة أخبار الطفل ونشاطاته، مع المدرسين والإخصائى الاجتماعى والطبيب المدرسى، للوقوف على ملاحظاتهم عن الطفل، ومدى تقدمه أو تأخره الدراسى وما يطرأ عليه من أعراض عاطفية، أو نفسية، أو مرضية، وأن يظل هذا الاتصال طوال مدة الدراسة، واعتباره واجبا دائما للوالدين، وليس فى بداية دخول المدرسة وفقط.

* ملاحظات هامة عن طفل المدرسة

١ - لا يحتاج الطفل عادة إلى المساعدة فى أمور الأكل واللبس والاستحمام، ابتداء من سن السادسة، ولكن بعض الأمهات لا يقتَنعْنَ بذلك، ويستمرون فى تقديم نفس المساعدة للطفل، وهذا يؤثر فى استقلالية الطفل بنفسه، ويعوِّده الاعتماد على الغير، وكثير من الأطفال يضيقون بهذا التصرف، ولا يرغبون فيه، وقد يكون الدافع للأم هو المساعدة وتقديم الخدمة والقيام بواجباتها بعاطفة صادقة، ولكن لابد أن نفرِّق بين ما هو عاطفى من التصرفات، وما هو مطلوب عقليًا وواقعيًا، فالطفل يكبر فى الحقيقة والواقع، ويظل فى نظر والدته صغيرا دائمًا.

- يتعلم طفل هذه المرحلة المهارات الاجتماعية، ومنها ما يتّصل بالأعمال المنزلية، مثل تنظيف الأطباق، وكنس الحجرات، وترتيب السرير، والمساعدة فى المطبخ، وتلك الأعمال تعطى الطفل قدرا كبيرا من السعادة، كما تعطيه شعورا بأهمية ذاته، ولا يراها عبثا وواجبا عليه فيتضرّر منها، بل يفرح بها ويحرص عليها. وللأسف أن بعض الأمهات تفوّت هذه الفرصة المواتية لتعليمه وتدريبه حتى يكبر الطفل فينشغل عن ذلك، ويرفض القيام بهذه الأعمال ويراها عبثا يتخلّص منه، وقد يدفع بعض الأمهات إلى عدم السماح للطفل بالقيام بهذه الأعمال، أو لا يطلبون منه أصلا القيام بها، إما للشفقة عليه، أوْ لاعتقادها أن ذلك واجب الكبار فقط، أو للخوف على الأشياء من الكسر أو الإفساد.

٣ - ينتقل الطفل ببطء من كائن متمركز حوْل ذاته، أنانى، فى صراع مع الآخرين من أجل نفسه، إلى كائن اجتماعى متعاون ومتوافق مع جماعة الأقران، فهو فى المرحلتين السابقتين، كانت علاقاته مع الآخرين، طلب الانتباه له، والحب والرعاية والحماية من الوالدين، وكان مع الأطفال الآخرين يعتبر كل ما عندهم هو له، أو يجب أن يكون له، والمشاركة عنده هى مساومة على أشياء، ولكنه عندما يبلغ سن السادسة، يكون أكثر اهتمامًا بحقوق الآخرين ومشاعرهم، ولكنه لم يصل بعد إلى منزلة المعطى، فقد يتوقف عن الاستيلاء والأخذ، ولكن لا يزال العطاء منه صعبا عليه.

٤ - المهارات الحركية تلعب دورا هاما فى هذه المرحلة، بل تؤثر فى نجاحه المدرسى والاجتماعى، وفى لعبه مع الأقران، وغير ذلك من متطلبات المرحلة، والطفل الذى يضعف عنده النمو الحركى عادة ينسحب من الجماعة، وتتكوّن عنده اتجاهات سلبية نحو نفسه، ونحو الحياة الاجتماعية. فكثرة الحركة، وشدّة النشاط عند الطفل مطلوب لذلك كله، وذلك أمارة على النمو الطبيعى بلا مشاكل، وهو أيضًا علامة على التّوافق الاجتماعى، ودليل على رضا النفس والصحة النفسية عند الطفل. وكثير من الأمهات يشتكين من الطفل السّوِىّ الذى يكون هذا شأنه، ويطلقون عليه لفظا غير مناسب، فيقولون - طفل شقى - والأفضل أن يقولوا طفل نشيط، أو زائد النشاط، بل إن بعض الأمهات يمنعْنَ الطفل من الحركة واللعب والنشاط، تأديبا وتربية له، فى ظنهن، بل يخطئن فيطلقن على الطفل السلبى الانطوائى - ولد مؤدَّب - وهنّ لا يعلمن أنه طفل غير سَوِىٍّ من جهة الأدب والتربية.

- وتَتَفَـوَّق البنات على البنين فى المهارات التى تشـتمل على العـضلات الدقيـقة، مثل: الرسـم، والخياطة، والنسـيج والتريكو، ويتـفوّق البنون فى المـهارات التى تشتـمل على العـضلات الغليظة مـثل: لعب الكرة، والجرى، وقـفز الحـواجز. ومعظـم الحوادث تقع لطفل هذه المرحلة خـارج المنزل، عكس المرحلة السـابقة، وخاصة للذين يتَّسمون بالاندفاعية، أو بالقلق.

- من الهوايات التى تروق للطفل فى هذه المرحلة، جمع الأشيـاء، فيمكن توجيهه وتعويده الادِّخـار، وحفظ الأشياء النافعـة وتنظيمها وترتـيبها حتى يتـعوَّد النظام والترتيب فيـما بعد فى حياته، كـما يمكن توجيهه إلى هـواية جمع طوابع البريد وتصنيـفهـا، وغيـر ذلك كجـمع صور الحـيوانات، والفـراشات، والأسـماك، والزهور، وخرائط البـلاد والأنهار. وعلى العموم فـإن الطفل فى سن المدرسة، تتنوّع ميوله، وألعابه، ويزداد فـهمه ورغبته فى مخالطة الناس، ومـعرفة الأشياء التى لم يكن له اهتمام بها قبل، ولا تعنيه.

- تصل أسئلـة الطفل إلى قمتّـها خـلال هذه الفترة، وخـاصة فى الصـفّين الثانى والثالث الابتـدائى، ومعظم هذه الأسـئلة من نوع: لماذا؟ والمطلوب من الوالدين خاصة، ومن المعلمين إجابة الطفل على مـا يسأل عنه الطفل، وشرح ما يغمض عليه من الأمـور، لأن الامتناع عن الإجابة، لا يُنْهى التسـاؤل من نفس الطفل، بل يزيده إصرارا على معـرفة هذا الأمر، وقد يُرْضى نفســه فى هذه الحالة بإجابة خاطئـة من عند نفسه، وتظل كـفكرة راسخة فـى النفس، تشوِّش عليه الحـقائق والمبادئ التى يسلك فى سلوكه على مقتـضاها، فإذا كان هذا الغموض الذى أراد أن يستـوضحه فى أمور الدين والأخـلاق، فإن عدم إجابة الطفل على أسـئلته، يكون لها آثار ضارة فيما بعد.

- قد تكون أسئلة الطفل من البساطة، أو التَّفاهة بالنسبة للوالدين بحيث لا يأبهون لهـا، ولكنهـا قد تكون غـالبـا عند الطفل هامـة وشاغلة لـذهنه. فلذلك يجب الإجابة عنهـا والإنْصات لهـا، لتشجـيعـه على التساؤل، وهو أداة هامـة للعلم والتعلم، كـما أن احترام أسئلتـه بالاستماع والإجـابة يعطيه ثقة فى نفســه، كما يعوِّده على احترام السماع للآخرين. ومن ناحية أخرى قد تكون أسئلة الطفل فى غايـة من الأهميـة، أو الخطورة، وفى هذه الحالة يجب أن يجـاب عن كل هذه

الأسئلة، حتى ولو لم يكن يدرك الطفل أهميتـها أو خطورتها، وحتى لا يتوقّف عندها ويتفـطّن لها بطريقتـه في هذه السن غيـر المناسبة، لأن إهمـال الإجابة لا يجعل الطفل يهملها عند نفسـه حتى ولو طلبنا منه أن يهملها، وينطبق هذا الأمر على الأسئلة التي نصنّفها تحت بند - العيب - فكلها يجب الإجابة عنها، ويمكن توضيح ما فيها من - العيب - إن كان لذلك مقتضى، وبأسلوب يفهمه الطفل. وسوف نتناول المسألة بالأمثلة إن شاء الله في فصل عبادات الطفل.

- ممّا يطرأ على الطفل في هذه المرحلة، أنه يسـتطيع التفكيـر باستخـدام المعلومات التي يدركهـا إدراكًا مباشـرا، كما يسـتطيع أن يتصورّ ذهنيـا سلسلة أحداث عن الماضي، والحاضـر، والمستقبل، وهذا يمكّننـا في التعامل معـه أن نذكره بأخطائه السلوكـية الماضـية، ويفـهم عندئذ الربط بين العـقاب في الماضي على مـثل هذا الخطأ، ويربط بين العقـوبة والخطأ لو وقعت منه مسـتقبلا، فـيمكن تنبيهـه حتى يتَجنّبها.

- والطفل في هذه المرحلة يدرك مـعنى الموت، ولكن بلا اهتمـام كبيـر بما يحدث بعده، وقد لا يشـغله منه سوى الخوف من اخـتفاء الأشخاص الذين يحـبهم من حياته. كما أنه يدرك ذاته من خلال المعـلمين والأقران، بجانب رؤيتها من خلال الوالدين، بعْد أن لم يكـن يراها إلا من خلال الوالدين فقط. كـما يدرك بوعي الفروق الجنسية، والأدوار الجنسيـة، ولذلك جاء في الحديث الشريف «فرّقوا بين مضاجع الغلمان والجواري، والإخوة والأخوات، لسبع سنين» رواه البزار.

- يمارس طفل هذه المـرحلة الفكاهة، ولكن بأسـلوب فَجٍّ، ولأنه لا يدرك سـوى سمَةً أو اثـنتين من صفات الأشيـاء والأشخاص، وليس إدراكًا كليًّـا، ممَّا يجعل حكمه على الأمور ناقصًا، وكثيـراً ما يكون مضْحكًا. وفي هذه المرحلة يدرك أن لأمّه أدوارًا أخرى خلاف دور أمومته.

- يغلب على الطفل انتقاد الآخرين والسخرية منهم، ويلجأ في ذلك إلى صور الشكوى للكبار وتقديم الاقتراحات، ومع الأقران تأخذ شكل المضايقات والسباب والسخرية.

- يحظى الطفل أثناء مرضه بالاهتمام، ويعفى من القيام بواجبات المدرسة والأنشطة المعتـادة، ويتحرّر من القـيود، لذلك فإنه يلجـأ إلى المرض أو التمارض كـحيلة هروبية حين تنشأ ظروف لا يرغب فيها، أو يطلب منه عمل لا يحبه.

٦ - يتعلم طفل هذه المرحلة أن الصُّراخ ليس مقبولا اجتماعيا، ويكتشف أن الكلام وإتقانه أداة هامة للتقبل الاجتماعى، فهو يحاول تحسينه بجانب ما أضافته قراءته من المحصول اللغوى. ويقدّر عدد الكلمات التى يعرفها طفل ينهى الصف الأول الابتدائى، ما بين عشرين إلى أربعة وعشرين ألف كلمة، وهى حصيلة تقترب من ستة فى المائة من كلمات معجم عادى، ويبلغ محصول طفل فى الصف السادس إلى حوالى خمسين ألف كلمة. ويلاحظ تفوّق البنات فى المحصول اللغوى، وفى القدرة على التعبير عن المعانى، والطفل يفهم معانى كثيرة ولا يستطيع أن يستخدم لها ألفاظا من عنده. وعموما تحدث طفرة فى محصول الطفل اللغوى فى سنوات ما قبل المدرسة، وخلالها.

- ابتداء من سن العاشرة تقريبا وحتى سن المراهقة والبلوغ، تظهر فى حياة الطفل ما يسمّى باللغة السرّية، وهى تتألف من رموز ورسوم يصطلح عليها بين مجموعة من الأطفال، وقد تكون بالحركات والإشارات، والإيماءات، والبنات أكثر استخداما لهذه اللغة، ويقضى الأطفال أوقاتا طويلة فى تأليفها، وتكون هى لغة الاتصالات بين المقرّبين والأصدقاء حين يرغبون فى التعبير عن أفكار وأمور يخفونها عن الكبار.

- أحب ما يتحدث فيه طفل هذه المرحلة، حول خبراتهم الخاصة، وحياة الأسرة والمنزل، وعن الألعاب الرياضية واللُّعَب الخاصة به، وعن الجنس والأعضاء التناسلية، وعن الحوادث، ويحلو للأطفال التحدث بعيدا عن أنظار وأسماع الكبار.

- الطفل لديه ميل للتحدث بصوت مرتفع، وخاصة الذكور، لاعتقادهم أن التحدث بصوت خفيض - أنوثة - وليونة.

- التَّهتَهة، واللَّجلَجة، وغير ذلك من عيوب الكلام، يمكن بالتدريب القضاء عليها، وإذا لم نتعاهد الطفل المصاب بها بالعناية والتدريب، تظل عيبًا يصعب علاجه فيما بعد، ومردّ هذه العيوب اللّسانية عند الطفل إلى التَّوتّر العصبى فى المراحل الأولى للكلام، وتزداد عند دخول المدرسة، بسبب الارتباك، وخاصة عندما يضحك عليه زملاؤه.

* جماعة الأطفال وأثرها الاجتماعي

* طُوال فترة المدرسة الابتدائية، تتزايد الرغبة عند الطفل في الانتماء لجماعة من الأطفال، ويكون لديه حرص ورغبة في الحصول على تقبُّل هذه الجماعة له، يستوي في ذلك البنون والبنات. وفي المدرسة، ومع الأقران جميعا، وخاصة جماعة الأطفال، يتطبّع الطفل بالاجتماعية، لحاجة اللعب معهم والدراسة والنشاط المدرسي عموما. ويتقدّم الطفل خلال هذا الوسط اجتماعيًا بالخروج من ذاتيّته ومحدوديّته في المراحل السابقة، ويبدأ في صحبة طفل آخر ويتسامح معه فيما لم يكن يتسامح فيه قبل ذلك، رغبة في استبقاء صحبته وتقبله له، ثم يبدأ مع الآخرين في ترك المعارضة والعناد مع أقرانه، وإن كان عناده يظهر في شكل جديد بديل يكون مع الكبار، لأنه أصبح يتمرّد على السلْطة، ولتأكيد ذاته التي رأت أن لها دورا في الوجود.

- يبدأ الطفل في قضاء وقت أكبر خارج البيت، وحيث يقضيه مع جماعة الأطفال الجديدة، وهذه الجماعات الصغيرة، محدودة النشاط في اللعب فقط وبعض اللهو البريء، وأخطاء أفرادها غير مقصودة، ومن الصعب فرض طفل على هذه المجموعة، أو اختيار مجموعة لينْخرط فيها طفل، لأن هذه المجموعات هي التي تختار نفسها، وقد تستمر علاقة هذه المجموعة لعدّة سنوات.

- جماعات الذكور تكون أكبر عددًا نسبيًّا من جماعات الإناث، وتنشغل جماعة الذكور بلعب الكرة والألعاب العنيفة. بينما تكتفي جماعة الإناث بممارسة بعض الألعاب الخفيفة، أو مجرّد الجلوس معًا، والتحدّث بعضهن إلى بعض، وعادة ما يكون ذلك في بيت إحداهن، إذا سُمح لهن بذلك، والمطلوب من الوالدين السماح لهن بالجلوس في البيت لإشباع الحاجة عندهن تحت الأنظار، أما الذكور فيتّخذون لهم مكانا محدّدًا بعيدا عن رقابة الوالدين.

- تكون الرفقة المفضلة هي لنفس الجنس، وقد يحدث عداء للجنس الآخر قُبَيْل فترة البلوغ، ولكن الذكور أكثر موضوعية في نظرتهم من الإناث، حيث يغلب على الإناث الطابع الانفعالي نحو الذكور، لشعورهن بالضيق نتيجة لمقدار الحرية الأكبر المسموح به عادة للذكور دون الإناث، ولإحساس البنت بأنها أكثر نُضْجًا من الولد، لأن بلوغها يسبقه، وعادة ما يختار الطفل رفيقًا وصديقًا يجده مشابها له من بين زملائه في

المدرسة، أو من جيرانه، والسِّمة التى يفضلها المعظم فى هذا الرفيق، هى سمة المرح، والتعاون، والكرم، ومن لا يكذب، وما يسمونه بالروح الرياضية، وهى التّسامح.

- أثر هذه الجماعات الصغيرة كبير فى طفل هذه المرحلة، لأنه يساير المعايير التى تحدِّدها تلك المجموعات، وحتى يبقى له القبول فيها، وعادة ما تَتَشَابه أفراد المجموعة فى الآراء وأنماط السلوك والمظهر، فإذا تعارضت معايير البيت والوالدين مع معايير جماعته، فالغالب هو مسايرة معايير جماعته لحرصه عليها.

- من الآثار الصالحة لاندماج الطفل فى مثل هذه المجموعات، أنه يتعلم التّنافس والتعاون مع الآخرين، ويتحمل المسئوليات التى تكلفه به مجموعته، كما أنه يتعلم مشاركة الآخرين مشاعرهم، ويتقبّل حالات الفشل، أو النجاح معهم، وهذه الآثار لها أهمية كبيرة فى مستقبل حياة الطفل، ولذلك يجب أن نتغافل، ونتغاضى عن توتّر العلاقة مع الوالدين والطفل أحيانا، بسبب تلك المجموعات، والأفضل إرخاء العنان للطفل ليساير مجموعته بالقدر الذى يشبع حاجته، بلا تمادٍ فى تركه معهم طويلا، أو تركه بلا توجيه ورقابة، من وَرَاءَ وَرَاءَ.

- يصل التَّحيُّز لجماعة الطفل إلى أقصى حدّه فى سن الحادية عشرة، ويتعامل أفراد كل مجموعة مع أفراد المجموعات الأخرى بقسوة وعداء، على أنهم ليسوا أصدقاء، لأن مفهوم الصداقة عندهم هو لأفراد جماعته فقط، وما عداهم يحكم عليهم بالعداء، فلا يسمحون لغيرهم بمعرفة أسرارهم، ولا يسمحون بالانضمام إليهم، ومع هذا فكثيرا ما يتخاصم أفراد الجماعة، ثم يعودون بسرعة لصداقتهم، ويكون هذا الخصام لأتفه الأسباب.

- يظهر فى كل مجموعة أطفال (قائد) منهم ذو خصائص طيبة يعجب بها الأطفال الذين يقدرون البطل، ومن يحظى بهذا الاحترام بينهم يتميز عادةً بالذكاء، والمرحَ والثقة بالنفس، والقدرة على النشاط البدنى، والاتّزان الانفعالى، والاهتمام بالآخرين، ولذلك عادة ما يتجاهل الفريقُ الطفلَ الهادئَ المنطوى مهما كانت صفاته الممتازة.

* من الحرص ما يقتل المواهب

* اللعب فى هذه المرحلة، بجانب دوره السابق فى المرحلة السابقة، يؤدى دورا هامًا، لأنه المُتنفَّس المشروع للطاقة الهائلة والزائدة عند طفل المدرسة، وهو وسيلة للتعبير

عن الانفعالات العميقة عند الطفل، واللعب فى نفس الوقت هو الوسيلة المقبولة للاستمتاع والسرور والسعادة. ومن خلال اللعب تنمو مهارات الطفل، ومنها مهارة التفكير، ويمثل اللعب خبرة الطفل فى سُلّم النمو الاجتماعى، وحينما يصل سن الطفل العاشرة، تصير ألعابه من النوع التَّنافسى، ويقصد التَّفوّق وليس مجرد المتعة والسرور.

– الضحك والقَهْقَهة والجرىُ والقفز والارتماء على الأرض، كلها تعبيرات انفعالية، وتدل على سرور الطفل، وأنه سعيد ومتوافق. أما إذا انقلب مزاج الطفل الذكر فيلجأ إلى تقطيب الجبين والعبوس وتقليل الحركة، وأما البنت فتلجأ فى هذه الحالة إلى البكاء. ويكثر عند الطفل الذكىّ شديد التَّفوّق، الانفعالات غير السارة عادة أكثر من غيره، ولعل تقييد نشاطه فى اللعب، من الوالدين، بسبب حَضّه على التحصيل العلمى بقدر أكبر، لأنهم يتوقعون منه التَّفوّق، هو ما يكون وراء هذه الانفعالات، وهذا يسبِّب بجانب ذلك للطفل القلق، وقد يعانى من الإحباط. والنُّصْحُ للوالدين فى مثل هذه الحالة، أن يتركوا للطفل الذكى المتفوِّق، الوقت المناسب ليمارس اللعب، وخاصة مع أقرانه، ويكفى تَفوُّقه، فلا يعاقب بالحرمان من اللعب الكافى لذكائه وتقدمه الدراسى، بل مثل هذا الطفل يكفيه التوجيه حتى تنمو خصائصه ومواهبه بطريقة عادية، فإن من الحرص ما يقتل المواهب.

* انفعالات ومشاكل طفل المدرسة

* لكل مرحلة فى حياة الطفل انفعالات تتميَّز بها، وأغلب ما تتميّز به مرحلة المدرسة، الغضب، والخوف، والغيرة، وحب الاستطلاع. ويجب على الوالدين والمعلمين مراعاة هذه الانفعالات عند الطفل، عند حديثهم مع الطفل، أو عند حكاية الحكايات والأحداث، وعند التعامل بصفة عامة، حتى تمر هذه الانفعالات، وهذه المرحلة بدون تَخْليف آثار ضارة تبقى مع الطفل عندما يبلغ المراحل التالية.

– فالخوف قد يكون مصدره الحديث عن الظلام والعفاريت، أو مشاهدة وسماع الأفلام المرعبة، وقد يكون وراءه خوف فقد أحد الوالدين بالموت وما يرتبط به من غيابهما عنه غيابا مبهما ومفاجئا، نتيجة لسماعه الحكايات عن موت أشخاص تركوا أبناءً صغارًا، وقد يكون الطفل يعرف أشخاصهم، فيتوقع دائما حدوث ذلك له بموت والديه، وأنهم سيتركونه مثل هؤلاء الأطفال. وكذلك يخاف الطفل من الفشل فى المدرسة، أو أية مهام من المهام الجديدة فى حياته المدرسية، خاصة أن الطفل يكون

حريصا، ويحـاول أن يظهر أمام أقرانه، بأنه لا يخـاف من شيء ويتكتّم أي خوف عنده حتى لا يعرف عندهم أنه - خوافٌ.

- وأما قلق الطفل فمصدره عنده من المشكلات المدرسـية، والمشكلات المرتبطة بتوافقه الاجتـماعي. فـالاختبـارات المدرسيـة، والخوف من التـخلّف الدراسي، والتأخـير عن مواعـيد المدرسة، وبصـفة عامـة، كل ما كان له أهمـية عند الوالدين، أو عند جمـاعة الطفل يكون مَـدْعاة للقلق والتـوتّر، وتزيد حدَّة الـقلق عند البنات عنها عند الـذكور، فواجب الوالدين أن يعتدلوا فيما يتوقعونه من الطفل الصغير، من نجاحات وتقدم، وألا يرهقوه بالحديـث عن الخوف من الفشل في الدراسة، أو عن التـفوّق الواجب أن يحرزه الطفل وألاّ يفقدوا هم أعـصابهم أثناء فترة الاختبارات، فـينعكس ذلك كله على شعور وأعصاب طفل صغير مرهف الشعور، ضعيف الأعصاب، قليل الحيلة أمام المشاكل.

- يغضب الطفل لأتفه الأسباب، وأحيانا بلا سبب مفهوم، وأكثر ما يغضبه في هذه المرحلة، كل ما يقف أمام رغـبته في الاستقـلال بنفسه في كل أموره، فـيغـضب عندما تتعرض هذه الرغبة للإحباط، كما يغضبه النقد لأي شأن أو عمل يقوم به، كما يغضب عندما يقارن بينه وبين باقي الأطفال، إذا رأى هذه المقارنة ليست لصالحه، ويغضب لأية مقاطعة له أثناء اندمـاجه في عمل ونشاط، كما يغضبـه اتهامه بالكذب، أو حين يعاقب على أمـرٍ هو منه بريء، وواجب الوالدين مـراعاة تلك الأحـوال عند الطفل، لأن الأم عادة تتـعامل مع الطفل بالنظر إلى جـهة واحـدة فقط، هي ما تراه وتطلـبه، وتنسى أن الطفل ليس أداة استقبال لرغباتها ومـا تطلبه منه فقط، بل هو إنسان صغير فقط، إلا أن له نفس ما لها من مشـاعر ورغبات وانفعالات، بل وهذه المرحلة هي التي يتـأسَّس فيها عند الطفل، الكثير من القواعـد السلوكية والقيم والآداب الاجتماعيـة، ويتدرب خلالها على اكتساب المهارات من خلال ما يؤدِّيه ويعتـاده من عمل. واستقلال الطفل بكثير من المهام، والإيجابيـة والمبادأة، وعدم الاعتمـاد على الآخرين، فهذا وقتـه الواجب معاونة الطفل بتكليفه بالأعمال التي يمكن أن يؤديها، ويجب تشجيعه على القيام بها، والتقليل من شأن الفشل الذي قد يصاب به، ويجب أن نقدم له التقدير اللازم لكل ما يقوم به.

- الغيرة شأن فطري في النفس، وتُحمد وتُذم في غير حالات الاعتدال، ولكنها عند الطفل تدفع إلى المنافسة المحمودة، وزيادتها تدفع إلى التّنافر والتشاجر، والطفل ينقل ما كان عليه مـن الغيرة لإخوته في البيت، إلـى زملائه بالفصل، أو جماعـته في اللعب،

ويقع تحاسد الأطفال على الأكثر تفوقًا بينهم، والأكثر شعبية من بين الأقران، لذلك لا يفضل الإكثار من الحديث والمقارنة بين الطفل وبين أحد من إخوته، أو زملائه، لأن ذلك يدفعه إلى عدم تقبلّه وكراهته، بدلا من أن يدفعه لمنافسته، ويقولون: إن الاعتدال محمود ولو فى كراهة المحسود.

- من التغيّرات التى تحدث للطفل فى هذه المرحلة، أن تقديره لنفسه يصبح كبيرا، حتى أنه لا يحب أن يعامله الكبار باعتباره طفلا، فلا يحب أن يحتضنه أحد، أو يقبله أحد، ولو كان أحد الوالدين، وخاصة فى وجود آخرين، كما لم يعد يرتاح أن ينادى عليه باسم الدلّع الذى كان يحبه فى المرحلة السابقة، ويحب أن ينادى عليه بما ينادى به الكبار.

- ينتاب الطفل من وقت لآخر نوبات عنيفة انفعالية، يكون معظمها من عدم تقديره والاهتمام به، أو من الصعوبات التى تواجهه، ومع هذا فالغالب عليه انفعال الفرح والسرور، ويهتم بالفكاهة والتلاعب بالألفاظ.

- يختار الطفل شخصا يحبه ويقضى معه معظم الوقت، وغالبا ما يكون غير والديه، ويختاره من بين إخوته، أو أحد أقاربه، أو من رفقائه، ويكون من صفات هذا الشخص، تلبية طلباته ومساعدته، وأما الوالدان فيرغب فى عنادهما والاستقلال عنهما.

*** حب البطولة فى حياة الطفل**

* طفل المدرسة يحرص ويسعى إلى الاتصاف بالصفات الشخصية التى تقبلها جماعته من أقرانه فى اللعب، وعلى أمل أن يتقبلوه دائما بينهم، وفى نهاية المرحلة يبدأ فى اختيار شخصية يتمثلها فى كل مواقفه، وهذه الشخصية قد تكون تاريخية، أو ممّن يسمع عنها، فيعتبرها المثل فى حياته، وعادة ما تكون من مشاهير التاريخ، أو مشاهير نجوم الفن أو الرياضة، أو القادة السياسيين، وهو ما يطلق عليه - حب البطولة - ويجب على الوالدين والمعلمين استثمار هذا التوجّه عند الطفل وتحبيبه إلى الشخصيات الوطنية والدينية والقادة التاريخيين والأبطال الفاتحين، حتى يتخذ منهم المثال المختار له من بينهم، فيتمثله فى حياته.

- يحرص الطفل على الحصول على تقدير مَن حوله، بإنتاج شىء ما، يروق فى نظر الكبار، وهذا يعطيه شيئًا من الرضا النفسى، ويزيده حرصا على المثابرة فى الأعمال

حتى تكتمل، أو اتقان مهاراته حتى يحصل على الإعجاب من الآخرين. ولكنه في نفس الوقت يشعر بمرارة الفشل إذا لم يحرز النجاح في هذا الإنجاز، وقد يشعر بنقص كفاءته إذا تكرر ذلك الفشل، وللخروج من ذلك، وحتى تشبع عنده حاجته إلى التقدير، فيدفعه ذلك إلى التفوق واكتساب المهارات، يحسن أن نتيح للطفل أعمالا ومهامًا نعرف مسبقا قدرته على إنجازها، ثم نشجعه حتى يؤديها، ثم نثيبه عليها، إما بالمدح أو بتقديم الجائزة له عن عمله، فيشعر بالنجاح ويحب أن يكون ناجحا دائما، ويراعى اختيار الأعمال والمهام التى تكون محبّبة لديه، كما يجب أن نحذر الحكم بالتفاهة على إنجازاته، أو بعدم أهميتها، بل يلزم إبداء الاهتمام له وبكل ما يقدمه لنا أو يعمله، وأن نثني على أعماله، حتى يشعر بأنه قام بعمل ممتاز، أو أنه أدّى مهمة كبيرة، لأن مفهومه عن نفسه يتكوّن من تقديرات الآخرين، وخاصة الوالدين والمعلمين، ومن جانب آخر، لأن الطفل يرى فى كل ما يقدمه ويؤديه إنجازا عظيما يستحق التقدير والانتباه، فيصدم من الحكم عليه بعكس ذلك.

* مرحلة الإدراك والتحصيل

* أنسب وأنجح فترة للتعليم والتدريب، هى فترة التعليم الابتدائى، وفيها يتأسّس عند الطفل معظم قواعد السلوك والمفاهيم والمبادئ والعادات، وخلالها تنمو عقليته وشخصيته ويتسع إدراكه، وهى المرحلة التى تبنى عليها المراحل اللاحقة، فالعناية بتعليم الطفل وتدريبه وتوفير كل ما يلائم تحقيق هذا الهدف، يجب أن يعمل له الولدان، وأن يكونا عوناً له على النجاح اللازم، وتحقيق أفضل استيعاب علمى، نظريًا وعمليًا، طبقا لقدرات الطفل، من غير إجهاد له وإرهاق مُضنٍ، ولا تساهل يفوّت على الطفل إحراز التحصيل والنجاح الذى يتناسب مع قدراته. روى الطبرانى فى المعجم الكبير عن النبى ﷺ قال: «مثل الذى يتعلم العلم فى صَغَره، كالنَّقْش على الحجر، ومثل الذى يتعلم العلم فى كِبَره كالذى يكتب على الماء»، فهذا تَحْضيضٌ على تحصيل العلم فى مرحلة الطفولة، حيث الشواغل منتفية، والحواس متنبهة ومستعدة، والذهن خالٍ ولا تَزاحم فيه، والقلب رقيق يتأثر، والذاكرة فى قوتها لم يصبها الكلال ولا المَلَل.

* وعمليا كان الأولون المعلّمون للبشرية جمعاء، تحضر الأطفال الصغار مجالسهم العلمية بجانب الكبار، حيث كان كل الكبار معلمين للصغار، روى سَمُرة بن جُنْدب رضى الله عنه قال: «لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاما، فكنتُ أحفظ عنه، فما

يمنعنى من القول إلا أن ها هُنا رجالا هم أَسَنُّ منى» رواه البخارى ومسلم. وعن ثابت البنانى رحمه الله قال: كنت عند أنس رضى الله عنه، وعنده بنت له، فقال أنس: «جاءت امرأة إلى النبى ﷺ تعرض عليه نفسها، فقالت: يا رسول الله، ألك بى حاجة؟ فقالت بنت أنس: ما أَقَلَّ حياءها، واسوأتاه، واسوأتاه، فقال أنس: هى خير منك، رغبت فى النبى ﷺ فعرضت نفسها عليه» رواه البخارى والنسائى، وأنس بن مالك رضى الله عنه كان له مجلس علم يشهده طلاب العلم منهم ثابت الراوى رضى الله عنه، وها هى ابنة أنس تحضر المجلس وتناقش فيه مسائل العلم.

* التعليم بالعمل والقدوة

* التعليم بالإلقاء والتَّحديث، وكذلك بالمطالعة والقراءة، يفيد فى تحصيل المعلومة، ولكن ذلك وحده لا يفيد كثيرا إذا لم يصاحبه الشرح والتَّفهيم، وبوسائل الإيضاح وعرض النموذج العملى التَّطبيقى، وكذلك لابد من رؤية القدوة عمليا فى حياة الطفل حتى تتأكد عنده المعلومة، والمعنى، ويصير لديه القناعة بها، وبأهميتها، فإذا تعارض المعنى النظرى الذى حصَّله الطفل، مع التطبيق العملى الذى يراه حوله، وخاصة من الأشخاص المهمين فى حياته، كالوالدين، والمعلمين، فإنه يسلك سلوك القدوة العملية، ويُنَحِّى المعلومة النظرية المخالفة للسلوك، وفى ذلك من الأضرار مالا يخفى، وأشدّها ضررا أن يعتاد أن يسلك ويعمل غير ما يعتقد ويعرف، وألا يثق بنفع العلم والمعلمين.

- روى أبو داود «أن رسول الله ﷺ مَرَّ بغلام يَسْلَخُ شاةً وما يُحْسِن، فقال له رسول الله ﷺ: تَنَحَّ حتى أريك، فأدخل يده بين الجلْد واللَّحم، فَدَحَسَ بها حتى دخلت إلى الإبط، ثم مضى فصلَّى للناس، ولم يتوضأ» والدحس: الدَّسَّ. وهذا نموذج عملى للتعليم وإرشاد الصغير، والتدريب العملى فى أداء الأعمال، ونقل الخبرة عمليا للصغير، مع المعاونة والتواضع من غير زَجْرٍ وتوبيخ.

- عن الحسين بن على رضى الله عنهما قال: «دعانى أبى، علىٌّ، بوَضُوء، فقربّته له، فبدأ فغسل كفَّيه ثلاثًا، قبل أن يدخلها فى الوضَوء، ثم مضمض ثلاثًا، واستنشق ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثًا، ثم اليُسْرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحةً واحدةً، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثا، ثم اليُسْرى كذلك، ثم قام قائما، فقال: ناولْنى، فناولته الإناء الذى فيه فضل وَضُوئه، ثم

شرب من فضل وضوئه قائما، فعجبتُ، فلما رآني، قال: لا تعجب، فإني رأيت أباك النبي ﷺ يصنع مثل ما رأيتني صنعت، فأحببتُ أن أُريكم كيف كان طهور النبي ﷺ» رواه النسائي وأبو داود والترمذي. فهذا نموذج للتعليم العملي، مع الشرح والتوضيح والردّ على التساؤل، مع إشراك الصغير في الأداء.

– عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما، وكان في حجْر رسول الله ﷺ، قال: «كنتُ غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصَّحْفَة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام، سمّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليك ، فما زالت تلك طِعْمتي بَعْدُ» رواه البخاري ومسلم، تلك طعمتي بعد، أي طريقتي في تناول الطعام. وهذا نموذج على تصحيح الخطأ في الأداء والفعل، أثناء أداء العمل عمليا، وجعل الصغير يصوِّب خطأه بنفسه، ويعرفه، لذلك كان له الأثر في نفسه، فانتفع به طوال حياته.

– عن عمر بن أبان رضي الله عنه قال: «أراني أنس بن مالك رضي الله عنه الوضوء، أخذ ركْوة – إناء – فأدارها عن يساره، فَصَبَّ على يده اليمنى فغسلها ثلاثا، ثم أدار الركوة على يده اليمنى فغسلها ثلاثا، فمسح برأسه ثلاثا، وأخذ ماءً جديدًا لصُماخه – أذنه – فمسح صماخه، فقلت: قد مسحت أذنيك؟ فقال: يا غلام إنهما من الرأس، ليس هما من الوجه، ثم قال: يا غلام، هل رأيت؟ وهل فهمت؟ قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ» رواه الطبراني.

– وهذا نموذج للتعليم والتوثيق للمعلومة، والتَّحقُّق من مشاهدة الصغير للأداء والشرح، والتَّأكدُّ من الفهم والاستيعاب لما عُرِض، مع الإجابة عن الغامض وما يسأل عنه.

– عن الأخضر بن معاوية قال: «كنتُ مع مَعْقِل بن يسار رضي الله عنه في بعض الطرقات، فمررنا بأذى، فأماطه عن الطريق، فرأيت مثله، فأخذْته فنَحّيْتُه، فأخذ بيدي فقال: يا ابن أخي: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: يا عمّ رأيتُك صنعتَ شيئًا فصنعتُ مثله، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أماط أذى عن طريق المسلمين، كُتب له حسنة، ومن تقبِّلت منه حسنة، دخل الجنة » رواه الطبراني بإسناد حسن. وهو نموذج للتعليم بالقدو تَوثُّق من فهم الصغير لما يقتدي فيه، ثم تعليمه بعد القدوة العملية، العلم النظري الذي أدَّى إلى التطبيق، وفي هذا النموذج، سرعة التَّلقّي بالقدوة

واستيعاب العمل كليًا بسهولة وتلقائيـة، لاستعداد الصغير لذلك وتأثره بالقدوة، وفيه ما كان عليه المعلمون من صحبة الصغير ومخالطته حتى يأخذ العلم والعمل معًا.

– عن يزيد بن البراء قال: «قال أبي: اجتمـعوا، فلأريكم كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ، وكـيف كان يصلّي، فإني لا أدري ما قدْر صـحبتي إياكم. قال: فـجمع بنيه، وأهله، ودعا بوَضــوء، فَمضْمض واستَنْثَـر وغسل وجهه ثلاثا وغـسل يده اليمنى ثلاثا وغسل هذه ثلاثا، يعني اليسرى، ثم قال: هكذا ما ألوْتُ أن أريكم كيف كان رسول الله ﷺ يتوضــأ، ثم دخل بيته فـصلى صلاة لا ندري مـا هي، ثم خرج، فأمـر بالصلاة، فأقيمت، فصلى بنا الظهر، فـأحسب أني سمعتُ منه آيات من يس، ثم صلى العصر، ثم صلى المغرب، ثم صلى العشاء، فقال: ما ألوْتُ أن أريكم كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ، وكيف كان يصلي» رواه أحمد ورجاله ثقات. وهذا نموذج لليوم الكامل، وكأنه معـسكر كشفي لكل الأسرة لـلتدريب والمشاركة والتـعليم بواسطة معلم صاحب خـبرة وعلم. وفيه الحرص على تعليم الأهل الخير عمليا، والعيش معهم يوما كاملا.

– من الأمور التي يتسـاهل فيها الوالدان، أو المعلمون، الوعـود التي يقطعونها على أنفســهم للطفل، وتعتـمد الأم أحيـانا على أن الطفل ينسى ما وُعِـدَ به، ويتَلهّى بشيء آخر، أو لتفاهة وحقارة الشيء الموعـود له عندها، والطفل قد يتلهّى ويغفل عن الوعد، ولكن تكرار هذا الأمر عنده ومعه، يجعله لا يثق في أي وعد بعد ذلك، كما يعوّده هو الآخر، اتباع نفس السلوك في معاملته للآخرين، وكيف يطلب من طفل ألا يكذب، أو أن يكون أمينًا صادقا في وعده، ووالداه لا يصـدقان معه؟ ومن مساوئ هذا السلوك مع الطفل، ما أُطْلق عليـه – طفل إن شاء الله – وحكايته هي أن أمّه كانـت تقول له عندما تَعِدُهُ بشيء: إن شاء الله، ويتـكرر ذلك منها مع كل وعد، وغالبا لا تـفي بهذه الوعود له، فأصبح الطفل لا يحب سماع هذه الكلمة، ويقـول لأمه عندما تعده: – ما تقوليش إن شـاء الله – ولو علمت هذه الأم، وغـيـرها، منهج الإسـلام في تربيـة القـيم عند الأطفال، وعلمت مسئوليتهـا في ذلك، لغيَّرت بالقطع هذا السلوك، فقد روى عبد الله ابن عـامر رضي الله عنه قـال: «دَعَـتْني أمّي يوما، ورسـول الله ﷺ قـاعد في بيْتنا، فقالت: هَا تَعَالَ أعطك. فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردْت أن تعطيه؟ قالت: أردتُ أن أعطيه تمرًا، فقال رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطيـه شيئًا كُتبتْ عليك كذبة» رواه أبو داود وأحمد وابن أبي الدنيا. فهذا السلوك المعتاد، والمتكرر في حياة الأمهات، أمر ليس

بالهيِّن، لا عند الله، ولا عند الطفل، فالإسلام يعتبره كذبًا يُكتب على صاحبه، والإسلام ورسول الإسلام ينْهى عن تربية الطفل على هذا الكذب فى الوعد، حتى ولو كان الوعد بتمرة، لابد من الوفاء، ولا محيص عن الصدق، إن الأمر لا يتعلق بتمرة، تعطى أو تمنع، إن الأمر يتعلق بالمبدأ الذى يتربَّى عليه الطفل، وبالمنهج الذى يسلكه المربُّون.

* معاملة الطفل النجيب والمبتكر

* الوالدان والمعلمون، يرغبون فى أن يكون الطفل كائنًا مُستَقبِلاً لكل ما يطلبون، ولا يراعون أو يدركون أنه كائن إيجابى نشط وفعال، وهذا الأمر قد يؤدِّى إلى خنق ملكة الابتكار عند الطفل. وعادةً فإن الطفل الذى لديه إمكانيات ابتكارية، ينشغل بالأنشطة التى يهواها، فيكون ذلك موضع اعتراض الوالدين والمعلمين، لأن هذه الأنشطة ليست فى منهج دراسته المدرسية، ويطلقون على ما يقوم به الطفل - تَضْييعَ الوقتِ - وهذا أيضا مما يخنق ويقتل ملكة الابتكار عند مثل هذا الطفل، كذلك الإفراط فى نقد ما يقوم به، أو ينجزه الطفل، خلال أنشطته التى يهواها، والرقابة الصارمة، والتعليمات الحادَّة للطفل، يُؤدِّى كل ذلك إلى هذا الخنق للابتكار عند الطفل. وواجب الوالدين والمعلمين، أن يقدِّروا هذا الطفل وأمثاله، ولا ينظرون إلى أنشطتهم نظرةً دونيَّةً، أو اعتبارها عبثا، بل الواجب مدحهم عليها، وإثابتهم على إنجازاتهم، كل ذلك ما دام الطفل كان يؤدِّى واجباته المدرسية ولا يفرِّط فيها.

- قد يكون الطفل ليس حادَّ الذكاء، ولكنه غالبا فوق المتوسط، ويكون لديه رصيد من المعلومات عن نشاطه الابتكارى أكثر من غيره، ويلاحظ عليه أنه يثير أسئلة جديدة غير معتادة، ويقدم احتمالات غير مألوفة لأمور قديمة، ويرى بعض الأشياء المألوفة من خلال منظور جديد، وإنتاجه يكون له طابع متميِّز ينفرد هو به، وتكون تعبيراته عن ذلك بالرسم وبالكلام، وبالتوهم والتخيُّل للأمور، وقد تكون ابتكاراته فى اللعب وطريقته، وعادة يحب الأمور المعقَّدة، ولا يميل إلى البسيطة منها، لأن الأعمال العادية لا تمثل للطفل فى هذه الحالة، تحديًا فكريًا.

- الطفل الابتكارى تنقص عنده المسايرة الاجتماعية، مع أنه يملك روحا مرحة ومتسامحة، ويكثر من الدعابة، وعادة ما يقبل على المخاطر أكثر من غيره، ويكون

تفوّقه الذهنى سببا فى الميل إلى العزلة والابتعاد عن الأقران، وقد يؤدى إلى تكاسله وعدم القيام ببعض الأعمال المطلوبة منه، لعدم قناعته بها فكريًا، وواجب الوالدين والمعلمين، التفاهم معه بالإقناع والمناقشة، واحترام رأيه ومناقشة أفكاره وعدم الغضّ من شأنها. ومن الحكايات الناقعة فى هذا الشأن: أن أحد المسئولين فى إحدى إدارات المدن الكبرى، كان قد تأخّر عن بيته يوم حفل أقامه الأهل، وبعد انتظار له، وعندما حضر متأخرًا سأله ابنه الصغير عن سبب تأخّره، فأخبره والده أن السبب هو المشكلة التى كانت تناقش فى الاجتماع، حيث إن الأطنان الكثيرة من فوارغ - الأيس كريم - التى يحبها أهل المدينة لا يجدون لها تصريفا، وعلى الفور قال له الطفل الصغير: وليه يا بابا مش بتاكلها الناس - وكان هذا السؤال سببا فى حل هذه المشكلة، حيث بدأ يفكر هذا المسئول فى طريقة يأكل بها الناس هذه الفوارغ، فصنِّعت الفوارغ من البسكويت، وأكلها الناس.

- قد يكون التفوّق الدراسى مصدرا للمتاعب من الأقران، لأن المعلمين يظهرون إعجابهم الشديد للطفل المتفوق، فيصبح لذلك موضع الحسد والغيرة من الأقران. والمعلمون فى هذه الحالة، يجب عليهم تشجيع الطفل بصورة لا تثير حافظة الآخرين، ومن ناحية أخرى، يجب عليهم تفهيم الطفل المتفوّق للأمر حتى يتقبل تصرفاتهم ولا يأخذ موقفا مضادًا للأقران.

- قد يكون شديد الذكاء ليس مبتكرا ولا مبدعا، ولكنه يتفوّق فى التحصيل العلمى ويتقدم على الأقران فى ذلك، مما يجعل الآباء والمعلمين يفضلونه على الطفل المبتكر، والذى لا يحرز تفوّقا دراسيا، وهذا مما يسبب الإحباط للطفل المبتكر والذى يهمل المعلمون والآباء تفوّقه الابتكارى.

- روى البزّار بسند رجاله رجال الصحيح قال: «كان غلام بالمدينة يكنى أبا مصعب، فأتى النبى ﷺ وبين يديه سُنْبُل، فَفَرك سنبلة، ثم نفخها، ثم دفعها إليه، فأكلها، وكانت الأنصار تعيِّر مَن يأكل فريكة السنبل، فلما دفعها النبى ﷺ إليه لم يردّها عليه، قال أبو مصعب: ثم قمتُ من عنده غير بعيد، ثم رجعتُ إليه فقلت: يا رسول الله، ادع الله لى أن يجعلنى معك فى الجنة، قال: من علّمك هذا؟ قلت: لا أحد، قال: أفعل، فلما ولّيتُ دعانى قال: أعنِّى على نفسك بكثرة السجود. فأتيتُ أمِّى، فسألتنى، فقلت: كنت عند النبى ﷺ، فأتى بسنبل، ففرك منه سنبلة بيديه المباركتين، ثم نَفَخَهُ

بريقه المبارك، ثم دفعها إليَّ فكرهتُ أن أردّه، فقالت: أحسنتَ، ثم أتيته فدعا لى» فهذا نموذج لطفل عقله فوق سنه، فعامله النبى ﷺ معاملة تليق بقدر عقله وإدراكه، وأوْصاه بوصايا عظيمة اهتمامًا به، ووعده بتحقيق طلبه، وهذه أُمُّهُ وقد أدركت من قبل نباهته وفطانته، تسأله وتناقشه وتوجهه وتصوِّب سلوكه، فيا ليت أمهات أطفالنا وآباءهم، يتعاهدون الأبناء الصغار بمثل هذا السلوك الذى فعلته تلك الصحابية رضى الله عنها مع طفلها بعد حضوره من مجلس العلم، فيكون جميلا أن يسأل الوالدان ابنهما الصغير، كل يوم عما كان فى يوم مدرسته، فتتواصل محل العلم والتعلم مع البيت، وتشارك المعلمين مع الوالدين فى عملية التعليم والتربية، واجب الجميع. وبمثل هذا ينبغ النجباء من الأطفال.

وقريب من هذه القصة ما رواه مصعب الأسلمى رضى الله عنه قال: «انطلق غلام منا فأتى النبى ﷺ فقال: إنى سائلك سؤالا؟ قال: ما هو؟ قال: أسألك أن تجعلنى ممَّن تشفع له يوم القيامة، قال: من دلك على هذا؟ قال: ما أمرنى به أحد إلا نفسى، قال: فإنك ممَّن أشفع له يوم القيامة» رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. ولا يخفى من القصتين ما كان عليه أطفال تلك الحقبة من تاريخ المسلمين، وما كانت اهتمامات أطفالهم، وكيف كان يعاملهم الكبار.

روى الطبرانى قال: «جاء غلام إلى النبى ﷺ فقال: إنى أريد هذه الناحية للحج. قال: فمشى معه النبى ﷺ، فرفع رأسه إليه فقال: يا غلام: زودك الله التقوى، ووجهك فى الخير، وكفاك الهم. فلما رجع سلّم على النبى ﷺ، فرفع رأسه إليه فقال: قبل الله حجك، وكفر ذنبك، وأخلف نفقتك»، فهذا نموذج رائع لمعاملة الصغير النابغ والاهتمام له فالنبى ﷺ يمشى معه فيودعه ويوصيه ويدعو له، والطفل النجيب يرجع من حجه إلى النبى ﷺ، مثل الجندى الذى أدى المهمة فيرجع إلى قائده ليخبره عن الخبر، والنبى ﷺ يرفع له الرأس ويدعو له ويبارك جهده وعمله.

****

الفصل الثامن

الطفل والعبادات ومسئولية الوالدين والمعلمين

* مسئولية الوالدين الدينية نحو الطفل.
* ختان الطفل والطفلة.
* الطهارة من بول الطفل.
* كيف يصبح الطفل متدينا، الطريقة العملية لذلك.
* عقيدة الإيمان عند الطفل.
* الطفل والصلاة.
* الطفل والصيام.
* الطفل والحج.
* الطفل والدفاع عن وطنه ودينه.
* بعض الأحكام التى تتعلق بالصغير.
* الطفل وبر الوالدين، وعقوق الطفل لوالديه.
* الطفل وصلة الرحم.
* الطفل والرُقى
* الطفل والموت، وثواب من مات له ولده.
* بعض الآداب مع الطفل.

* مسئولية الوالدين الدينية نحو الطفل

* مسئولية الوالدين والمربين، عن تعليم الطفل أمور الدين وتدريبه وتعويده على العبادات، واجب شرعي، وضرورة تربوية، وهي مسئولية كاملة عليهم. ليس على الصغير، ما دام صغيراً، أية مسئولية في هذا الشأن. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]. وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. ويقول الرسول ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها» رواه البخاري ومسلم. وهي كسائر الواجبات الشرعية من أدَّاها يثاب عليها، ومن تركها عوقب عليها. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المولود حتى يبلغ الحِنْث، ما عمل من حسنة كُتِبت لوالديه، وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه، فإذا بلغ الحنث جرى عليه القلم» رواه أحمد وأبو يَعْلى. والحنث هو الإثم. وبلوغ الحنث: أي حتى يبلغ سن البلوغ الشرعي، وجرى عليه القلم، أي كتب عليه عمله من الإثم. والسيئة التي لا تكتب على والديه، هي التي لم يرشده إليها ويحذره منها، وفعلها من عند نفسه. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رُفِع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق» رواه الترمذي والنسائي وأبو داود. وقال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجسانه» رواه البخاري ومسلم.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يارب أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» رواه أحمد والبزار والطبراني في معجمه الأوسط ورجالهم رجال الصحيح. فهنيئًا لمثل هذا الوالد أو الوالدة، بهذا الابن الذي ربَّياه على الدين والبر. وعن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الرجل يوم القيامة من الحسنات أمثال الجبال فيقول: أنَّى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك» رواه الطبراني ورجاله ثقات. وقال رسول الله ﷺ: «أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: رجل مات مرابطًا في سبيل الله، ورجل علَّم علمًا فأجرُهُ يجري عليه ما عُمِل به، ورجل أجْرى صدقة فأجرها له ما جَرَت، ورجل ترك ولداً صالحا يدعو له» رواه أحمد والطبراني والبزار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينتقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينتقص من آثامهم شيئًا» رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته، وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه، ثم قرأ ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين﴾ قال: وما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين» رواه البزار والطبراني.

– عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه يكون للوالدين على ولدهما دين، فإذا كان يوم القيامة، يتعلقان به، فيقول: أنا ولدكما؟! فيودان، أو يتمنيان، لو كان أكثر من ذلك» رواه الطبراني. وعن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه «أن النبي ﷺ قال في خطبة الوداع: ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا يجني ولد على ولده» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ويقول الله عز وجل: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا﴾ [لقمان: ٣٣]. ولقد اشتد الأمر على الصحابي أبي قرصافة رضي الله عنه عندما أسرت الروم ابنا له «فكان أبو قرصافة إذا حضر وقت كل صلاة، صعد سور عسقلان ونادى: يا فلان، الصلاة، فيسمعه وهو في بلد الروم» رواه الطبراني ورجاله ثقات. وعسقلان: مدينة بالشام.

– وقد تكون معصية الطفل اقتداء بالكبار وتقليدهم، وأن يشبوا على التعود على رؤيته المعصية والتهوين من شأنها، أو لعدم نهي الصغير عن إتيانها، أو تركها تمارس في البيت دون التعريف بها وإنكارها. روى أبو داود عن النبي ﷺ بسنده «من سقى الخمر صغيرًا، لا يعرف حلاله من حرامه، كان حقًا على الله أن يسقي ساقيه من طينة الخبال» وطينة الخبال: عصارة قيء أهل النار.

* ختان الطفل والطفلة واجب أم سنة؟

* من مسئوليات الوالدين نحو الطفل بعد ولادته، اختيار اسم حسن له، والأذان في أذنيه، وحلق شعره ودهنه بالطيب، وذبح عقيقته يوم سابعه، وتحنيكه بتمرة مختلطة بريق أحد الصالحين، وسبق كل ذلك بدلائله في الفصل الثالث. ويبقى الحديث عن

ختان الطفل. قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب» رواه البخارى ومسلم.

- قال الإمام النووىُّ فى شرح صحيح مسلم: الختان واجب عند الشافعى وكثير من العلماء، وسنّة عند مالك وأكثر العلماء. وهو عند الشافعى واجب على الرجال والنساء جميعًا. ثم إن الواجب فى الرجال أن يقطع جميع الجلدة التى تغطى الحشفة حتى تنكشف جميع الحشفة، وفى المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلدة التى فى أعلى الفرج.. انتهى كلام النووى.

وروى أبو داود عن أم عطية رضى الله عنها «أن امرأة كانت تَختن النساء فى المدينة، فقال لها رسول الله ﷺ: لا تَنهكى، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل» والنهك: المبالغة فى القطع. ومن السنة إطعام الطعام عند ختان الطفل، ويسمّى: الإعْذار. فالإسلام يحض على إطعام الطعام فى المناسبات، كالوليمة للعرس، والعقيقة للمولود، والإمْلاك لعقد الزواج، والخُرْسُ ليوم الولادة، والنَّقيعة لقدوم المسافر، والوكيرة لبناء البيت، والحذيقة عند ختم القرآن أو الانتهاء من مرحلة تعليم، والوَضيمة عند المصيبة.

* الطَّهارة من بول الطفل، ومس فرجه

* بوْل الطفل الصغير نجس، ذكرًا كان أو أنثى، ولكن هناك خلاف فى كيفية طهارة الشىء الذى بال عليه الطفل الذكر. فالجمهور من العلماء على أن بول الذكر الذى لم يأكل الطعام بعدُ على جهة التغذية، ولا يزال يرضع، أنه يكفى فيه نَضْح المكان الذى لحقه البول بالماء، ولايجب غسله، والنضح هو غمر المكان الذى لحقه البول بالماء فقط، ولايحتاج لعصره، والفرق بين النضح والغسل، أن الماء يوضع على البول ولا يعصر، والغسل يعصر فيه الماء، فالنضح يوضع عليه الماء بحيث لا يتقاطر منه الماء. ومالك وأبو حنيفة لايفرقان بين بول الذكر والأنثى، ويجب عندهما الغسل للجميع، ولا يأخذان بالتخفيف الوارد فى الذكر. عن أم قيس بنت محصن رضى الله عنها أنها «أتت بابن لها صغير، لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ فى حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماء، فنَضَحه ولم يغسله» رواه البخارى ومسلم، وعن لبابة بنت الحارث رضى الله عنها قالت: «كان الحسن بن على فى حجر النبى ﷺ، فبال على ثوبه، فقلت: يا رسول الله، البس ثوبا وأعطنى إزارك حتى أغسله، قال: "إنما يغسل من بوْل الأنثى، وينضح من بوْل الذكر» رواه أبو داود.

- مما تتساهل فيه كثير من النساء، عند غسل الأطفال، أو مساعدتهم في الاغتسال، مسّ فرج الطفل أو الطفلة، من القبل، أو الدبُر، ثم تقوم إلى الصلاة دون وضوء، ومس فرج الآدميّ من نواقض الوضوء، إذا كان المس بباطن الكف، أما بغير باطن الكف فلا ينقض، وعند الإمام أحمد تنتقض الطهارة بالمس بباطن الكف وظاهره، لإطلاق المس في الأحاديث. مثل حديث بُسْرة بنت صفوان رضي الله عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من مس ذكره فليتوضأ**» رواه مالك والشافعي والترمذي وصححه، وابن حبان، وصححه وغيرهم وعند الإمام أبي حنيفة، لا ينتقض الوضوء بمس الفرج، وللخروج من هذا الحرج يمكن للأمهات وضع حائل من قماش عند مباشرة تغيير ملابس الرضيع أو غسله وفي حالة وضوئها، لأن مس فرج الصغير والمولود كالكبير سواء في هذا الحكم.

- وكذلك مما يتساهل فيه بعض الناس: النظر إلى العورة، وخاصة عورة الأطفال، وهي عورات يجب التحفظ بشأنها كسائر العورات إلا للحاجة، كالمساعدة مع التحفظ الواجب، أو التطبيب وغيره. ويحرم في ذلك النظر إلى عورة الرجل من الرجل أو من المرأة، سوى الزوجين، وكذلك عورة المرأة محرمة على المرأة، وحتى بين الأم والابنة والأخت وغيرهنّ. وعورة الرجل مع الرجل ما بين السرّة والركبة، وكذلك المرأة مع المرأة، لا يحل النظر ما بين السرّة والركبة، ما لم تكن هناك حاجة تستدعي النظر، ولذلك يجب على الأمهات تعويد الطفل الاغتسال منفردًا متى أمكنه ذلك، ولفت نظره دائمًا بحفظ عورته من الانكشاف أمام الغير. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ قال: **لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد**» رواه مسلم. قال النووي في شرح مسلم: وهذا التحريم في النظر إلى العورة لا خلاف فيه وهو حرام بالإجماع. وعن زينب بنت أبي سلمة، وكانت رضي الله عنها تتربى في حجر النبي ﷺ قالت: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يغتسل، فأخذ حَفْنة من ماء فضرب بها وجهي وقال: **وراءك أي لُكَاع**» رواه الطبراني وإسناده حسن، وفيه منع الصغار من رؤية عورة الكبار، وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: «أتى علينا، أي أبوهم، ونحن نغتسل يصب بعضنا على بعض، فقال: أتغتسلون ولا تستترون؟ والله إني لأخشى أن تكونوا خَلْف الشر، يعني الخلف الذي يكون فيهم الشر» رواه الطبراني ورجاله موثقون.

* كيف يصبح الطفل متدينا بالدين الحنيف؟

* إن الطفل الذى ينشأ فى بيت من بيوت المسلمين، فتتفتح أذناه وعيناه من صغره على أبوين وأهل يعظمون أمر دينهم، فيحافظون على الصلوات فى أوقاتها، ويستعدون للصلاة بالوضوء لها، وفى البيت يعظم كتاب الله، ويسمع ويقرأ كل يوم، وفى كل الأعمال التى تؤدى فى البيت تحترم فيها آداب الإسلام وتعاليمه، ويحافظ فيه على سنة النبى ﷺ، فعند تناول الطعام يذكر اسم الله، وعند انتهاء الطعام يحمد عليه الله، وعند دخول البيت، أو الخروج منه يسمع فيه السلام وتحية الإسلام، وعند الاستيقاظ من النوم، أو عند النوم يسمع فيه الأدعية المأثورة فى ذلك عن رسول الله ﷺ، وعند العطاس يُشَمَّت فيه العاطس بعد أن يحمد الله فيدعو لمن شمته، وعند المرض يسترقى بالأدعية مع ذكر الله عند تناول الأدوية، وعندما يحلف أحد فيحلف بالله العظيم، وكلما رأى أحد شيئًا أعجبَه قال ما شاء الله، وكلما ذكرت نعمة يحمد عليها الله تعالى ويشكر، وعندما يضيق أمر بالبيت أو تعرض مشكلة يلجأ إلى الله تعالى ويتضرع أهل البيت إليه، وكلما جاءت أشهر العبادات كرمضان وأشهر الحج اهتم لها وبها أهل البيت وحرصوا فيها على العبادة وذكرها، وكلما جاءت أيام الصوم صام من فى البيت، وكلما أخطأ أحد استغفر الله وعظم من أمر الذنب، وكلما دخل ضيف أُكرم فى البيت، وكل يوم جمعة اهتم أهل البيت بأمر الصلاة وسننها وآدابها، وكلما ذُكرت النار استُعيذ منها، وكلما ذُكرت الجنة اشتاق أهل البيت لها وطلبوها من ربهم، وكلما ذكر الموت والآخرة، عظم أهل البيت من قربه والعمل للنجاة بعده، وكلما وقع من أحد ظلمٌ خاف من عاقبته، وهكذا بالليل والنهار، والأسابيع والأشهر والسنون، يسمع الطفل ويرى ويتعلم ويحاكى حتى يعظم عنده أمر دين الله، ويصبح قلبه وقد أُشرب حب الله، والجنة، وحب الخير والمؤمنين والعمل الصالح.

- والأسلوب العملى فى ذلك هو بالقدوة أولاً فى كل أمور الدين، يراها الطفل فيحبها ويحب أن يعمل مثلها، ثم بالحديث الدائم، وبالأسلوب والألفاظ التى تناسب عقل الطفل، عن الله والملائكة واليوم الآخر، والجنة والنار، وعن النبى ﷺ وجهاده ودعوته وخلقه وسننه وسيرته، وعن أصحابه وتاريخهم وما قاموا به من الفتوحات الإسلامية والعدل بين الناس، وشيوع الخير والبركة فى البلاد، والأمن للعباد، وعن العلم والإسلام وأنه يقوم على العلم والأخذ بالأسباب، وحديثهم عن صلة الأرحام

وحقوق المسلم على المسلم، وحق الوالدين والأقارب والجيران وعموم المسلمين. وشرح ما يقرأونه من كتب فى ذلك، والردّ على أسئلة الأطفال كلها عن هذه الأمور.

– ومن الأساليب العملية أيضًا، تـذكير الأطفال بالله عند كل حدث، وبأن الله يرى ويسمع، فإذا كذب الطفل مثلاً نقول له: الله يعلم الذى يكذب ولا يحبه، وأن الله يحب الذى لا يكذب، ويحب الصادقين، ويعطيهم فى الدنيا الصحة والمال والسرور، وفى الآخرة يدخلهم الجنة، وأن الذى يكذب على والديه، وعلى الناس يعاقبه الله ولا يحبه، وأن الله يمكن أن يظهر الكذب ولو بعد حين، ولكن يلاحظ أن الطفل يمرّ بمرحلة يتوهم الشيء فيذكره ولا يظن أنه يكذب وعلى الوالدين المسامحة فى هذا الأمر. كما نذكره بالله عندما يأخذ الطفل شيئًا خفية من الأشياء التى لا تخصّه أو تخص غيره، فنقول له: إن الله تعالى جعل ملائكة يحبون الخير والأمانة معنا دائمًا ولكننا لا نراهم، وأنهم يكتبون كل شيء نفعله، فإذا كنا فى مكان ليس فيه أحد من الناس فالملائكة موجودون فيه، ومعنا دائمًا، كما أن الله تعالى يرانا فى هذا المكان وفى كل مكان بجانب الملائكة الذين يشهدون علينا يوم الحساب، فالطفل الطيب المسلم يخاف الله ويتذكر أن الشهود من الملائكة يرونه ويعلمون كل ما يعمله، فإذا أعاد الإنسان ما أخذه من غيره، فإن الله تعالى يحبه لأنه مؤمن بالله بأنه يراه، وأن ملائكته تراه، وأنه يؤمن بيوم الحساب، وأن الله يعوّضه بدلاً من الشيء الذى أعاده لصاحبه، شيئًا مثله، أو أحسن منه. روى الطبرانى بسند جيد عن النبى ﷺ: «لا ترفع العصا على أهلك، وأخفهم فى الله عز وجل» إن الخوف من الله عاصم عظيم يمنع الذنوب والخطأ، فى السر والعلن، فى الليل والنهار، فى الخلْوة والجلْوة.

– ومن الأساليب العملية مع الطفل، أن نحفّظه ونذكره بالأذكار المأثورة دائمًا، عند النوم والاستيقاظ، ولبس الملابس، ودخول الحمامات والخروج منها، وعند العطاس، وعند دخول البيت وعند الخروج منه إلى الشارع، وعند تناول الطعام، وفى كل مرة، وبصوت مسموع، حتى يعتاد على ذلك كله ويحفظه عن ظهر قلب ويؤديه بتلقائية ويسر.

– ومن الأساليب العملية، أن نطلب من الطفل محاكاتنا فى الوضوء وفى الصلاة، ونوقفه معنا أثناء القيام بأداء الصلاة، مع المسامحة حتى لا نشق عليه فيكره هذا العمل، ولكن يكفى أن ينتبه لهذا الأمر حتى يكبر فيؤمر بالصلاة. وفى أيام الصيام نطلب منه

الإمساك ولو بعض الوقت نهاراً عن الطعام والشراب، وتتجاهل تصرفاته إن خالفت ما اتفقنا معه عليه فى ذلك حتى لا يتحايل على ذلك.

- ومن الأساليب العملية اصطحاب الطفل إلى المساجد، وأماكن العلم الدينى، وكذلك عند زيارة الأهل وصلة الأرحام، مع الإرشاد والتعليم برفق ومودّة حتى يحب هذه الصحبة ويرغب فيها.

- ومن الأساليب العملية أيضًا أن نكلف الطفل بحمل الهدايا إلى الجيران، وأن نكلفهم بحمل ما نعطيه للسائل والمسكين، مع الشرح وتحبيب هذا العمل وذكر ما وعد الله به من يقوم به.

- ومن الأساليب العملية، أن نطلب من الطفل أن يؤذن للصلاة، ويقيم ويصلى مع الوالدين، أو مع إخوته الكبار، أو مع والدته، وأن نكلفه بأن يؤذن لصلاة الفجر، بعد أن نوقظه لذلك.

- ومن الأساليب العملية أن يجتمع أهل البيت فى وقت لسماع شىء من القرآن يقرؤه الطفل إن كان حافظًا، أو من المصحف الشريف، وكذلك لسماع حديث من أحاديث رسول الله ﷺ وأن يقوم أحد الكبار بشرح معانيه، أو يقرأ أحد أفراد الأسرة شيئًا من سيرة النبى ﷺ ويشرحها لهم.

- ومن الأساليب العملية أيضًا أن تجتمع الأسرة فى المناسبات الدينية ويقوم الوالد، أو الوالدة بشرح لهذه المناسبة، فإذا كانت شهر رمضان فيعلمهم أحكام الصوم، وإذا كانت أشهر الحج يعلمهم أحكامه.

* عقيدة الإيمان عند الطفل

وبجانب ما سبق من بيان البيئة الإيمانية التى يعيش فيها الطفل بين أسرته، فإنه يمكن أن يفاتح ويعرض عليه مسائل الإيمان بالله، وبملائكته، وبرسله، وباليوم الآخر، وبالقدر، ولكن فى أى عمر من مراحل الطفولة يمكن تعليم الطفل هذه الأمور؟ لقد بيّنت السنة الشريفة أن الطفل الصغير الذى لم يبلغ الحلم بعدُ، يمكنه أن يستوعب هذه المسائل ويعتقدها، فقد كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما صبيًا فى التاسعة من عمره، عندما علمه النبى أهم هذه المسائل المتعلقة بعقيدة الإيمان، كما جاء فى الحديث الصحيح، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كنت خلف النبى ﷺ يومًا، فقال:

يا غلام، إنى أعلِّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنْت فاسْتعن بالله، واعلم أن الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك؛ إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف» رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح، ورواه أحمد وغيره، وفى رواية غير الترمذى «احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف على الله فى الرخاء، يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» فهذه المسائل التى علمها النبى ﷺ لهذا الغلام الصغير الذى كان يركب خلفه، هى أمهات قضايا الإيمان، والتى تجعل صاحبها مسلمًا مستسلمًا لرب العالمين، مطيعًا محسنًا فى عبادته، مستيقنًا بقدره، مفتقراً إلى الله، ومتوكلاً عليه فى كل أمره.

ولقد استوعبها الطفل ووعاها وأداها وعلمها للأمة كلها من بعده رضى الله عنه، وإن كان هذا الطفل العربى القرشى قد أدرك هذا الأسلوب الفخم البليغ، فإننا يمكننا تعليم هذه الأمور، وأمثالها، لأطفالنا باللغة والأسلوب والألفاظ التى يستوعبون بها المعانى، وحبَّذا لو قدمناها للطفل فى شكل حكايات وقصص حتى يحفظها، فإن الطفل ترتبط المعانى عنده من خلال الحكاية، أكثر من الكلام المعتاد.

- ولقد كانت البيوت تعلم الأولاد الصغار مسائل الإيمان فيدركونها، ويشبون عليها، نَلْحظ ذلك من خلال ما رواه مصعب الأسلمى رضى الله عنه قال: «انطلق غلام منا فأتى النبى ﷺ فقال: إنى سائلك سؤالاً! قال: وما هو؟، قال: أسألك أن تجعلنى ممَّن تشفع له يوم القيامة، قال: من دلَّك على هذا؟ قال: ما أمرنى به أحد إلا نفسى، قال: فإنك ممَّن أشفع له يوم القيامة» رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. فالإيمان بشفاعة النبى ﷺ، والإيمان بالحساب، والإيمان بيوم القيامة، والإيمان بالجنة والنار، كانت إذًا مشاعًا العلم بها بين الأطفال الصغار، حتى اهتم لها هذا الغلام الصغير فسألها النبى ﷺ، وقد ذكر الصغير: أن أحداً لم يطلب منه ذلك السؤال، بل ذلك من عند نفسه العالمة بهذا الأمر الجليل.

- روى البزار بسند رجاله رجال الصحيح «أن غلامًا بالمدينة يكنى أبا مصعب، أتى النبى ﷺ، قال أبو مصعب: قلت: يا رسول الله، ادع الله لى أن يجعلنى معك فى الجنة، قال: مَن علمك هذا؟ قلت: لا أحد، قال: أفعل، فلما ولَّيتُ دعانى ، قال:

أعنِّى على نفسك بكثرة السجود» إن سؤال النبى ﷺ الغلامَ فقال: من علَّمك هذا؟ يدل على صغر الطفل، وأن هذا الأمر الهام، قد قام أحد بتعليمه للطفل حتى سأله النبى ﷺ، وكان ردّ الغلام بقوله: لا أحد، يدل كذلك على أن العلم بهذه المسائل كان مستفيضًا بين أفراد المجتمع، صغيره، وكبيره. إن الحديث عن الجنة يجب أن يكثر فى كل مناسبة أمام الطفل حتى يشب، وقد تعلق فؤاده بهذا الوعد الكريم، من رب العالمين، وهذا يكون له أبلغ الأثر فى سلوك الطفل فى كل مراحل عمره، إذ يهوِّن عليه مصاعب الدنيا، ويحفِّزه على الاجتهاد فى الخير والطاعة، ويزهِّده فى شهوات النفس والدنيا، ويربط دنياه بآخرته. لذلك طلب النبى ﷺ من الغلام: «أعنِّى على نفسك بكثرة السجود».

- لقد كان الوالدان يؤديان واجبهما نحو تعليم الأولاد أمور دينهم، بل يكتبون وصاياهم بعد موتهم بتعليم الأولاد، خوفًا من لقاء الله قبل أدائهم هذا الواجب. عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «كانوا يكتبون فى صدور وصاياهم: هذا ما أوْصى به فلان بن فلان: أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة حق وآتية لا ريْب فيها، وأن الله يبعث مَن فى القبور، وأوصى من بعدى بما أوصى به إبراهيم بنيه: يا بنىّ إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون» إنه الإيمان، والورع، والخوف، والحب للأهل، والبراءة من التَّبعات.

- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن ثمانى سنين، فأخذت أمى بيدى، فانطلقت بى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنه لم يبْق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا قد أتحفتك بتحفة، وإنى لا أقدر على ما أتحفك به إلا ابنى هذا، فَخذْه فليخدمك ما بدا لك. فخدمت النبى ﷺ عشر سنين، فما ضربنى ضربة، ولا سبنى سبَّة، ولا انتَهرَنى، ولا عبس فى وجهى، وكان أول ما أوصانى به أن قال: يا بنى اكتم سرِّى تكن مؤمنا، فكانت أمى وأزواج النبى ﷺ يسألننى عن سر رسول الله ﷺ فلا أخبرهن به، ولا أخبر بسر رسول الله ﷺ أحدًا أبدًا، وقال: يا بنى عليك بإسباغ الوضوء يحبّك حافظاك، ويزاد فى عمرك، وإياك والالتفات فى الصلاة، فإن الالتفات فى الصلاة هلكة، ويا بنى إذا خرجت من بيتك فلا تَقَعنَّ عيناك على أحد من أهل القبلة إلا سلَّمت عليه، فإنك ترجع مغفورا لك، ويابنى إذا دخلت منزلك فسلم على نفسك وعلى أهل بيتك» رواه أبو يعلى والطبرانى. فهذا طفل فى الثامنة من عمره يوصيه

ويعلمه النبى ﷺ العقيدة، والفريضة، والأخلاق، والآداب، فالحديث عن محبة الملكين الحافظين، من أمور العقيدة والإيمان بالملائكة كغيبه يجب الإيمان به، وحفظ السر والأمانة من كرائم الأخلاق، وإسباغ الوضوء وعدم الالتفات فى الصلاة من الخشوع والإحسان فى أداء الفريضة، والسلام على أهل القبلة من السنن والآداب. وفى الحديث: الاهتمام بتعليم الأطفال، ولو كانوا خدمًا وتابعين، كل أمور الدين.

* الطفل والصلاة

* رأس الأمر وعموده الصلاة، والصلاة لها شأن أى شأن فى حياة المسلم وآخرته، ولا يتصور بيت فيه مسلمون، ولا تقام فيه الصلاة، فإن كان، فقد تُوُدِّع منهم، لذلك فغالبًا ما يتعلم الطفل الصلاة بالمشاهدة والمحاكاة للكبار فى البيت، ولكن هذا لا يكفى فى شأن هذه الفريضة التى هى من أول أركان الدين. فلابد من تعليم الطفل وتدريبه عمليًا على الصلاة، ومتابعته ومساءلته عنها، وإظهار الاهتمام بشأنها دائمًا بالمحافظة عليها، ومطالبة الطفل بذلك.

- ولكن منذ متى يطلب من الطفل الصغير الصلاة؟ الإجابة تبيِّنها لنا إحدى الصحابيات رضوان الله عليهن، قال هشام بن سعد: «دخلنا على معاذ بن عبد الله بن خُبيب الجهنى فقال لامرأته: متى يصلى الصبى؟ قالت: نعم، كان رجل منَّا يذكر عن رسول الله ﷺ: أنه سئل عن ذلك؟ فقال: إذا عرف يمينه من شماله، فمروه بالصلاة» أخرجه أبو داود بإسناد حسن. وروى الطبرانى بسنده عن النبى ﷺ: «إذا عرف الغلام يمينه من شماله، فمروه بالصلاة» وعن معبد الجهنى قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين» رواه أبو داود. وعن النبى ﷺ: «علِّموا الصبى الصلاة لسبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر سنين» رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن. وروى البزار بسنده عن النبى ﷺ «علِّموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعًا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا، وفرِّقوا بينهم فى المضاجع» وفى رواية له أخرى «فرقوا بين مضاجع الغلمان والجوارى، والأخوة والأخوات لسبع سنين، واضربوا أبناءكم على الصلاة إذا بلغوا سبعًا» وروى الطبرانى بسنده عن النبى ﷺ: «حافظوا على أبنائكم فى الصلاة، وعوِّدوهم الخير، فإن الخير عادة» وعن أبى الحوْراء قال: قلت للحسن بن على: ما حفظت من النبى ﷺ؟ قال: الصلوات الخمس» رواه أحمد والطبرانى.

ويلاحظ من ذلك أن بلوغ الطفل سبع سنين يعني مطالبته وأمره بالصلاة على وجه الجديّة والاهتمام والمحافظة، ولا يعني ذلك ترك الطفل حتى يبلغ هذه السن دون تعليمه وتدريبه على الصلاة، لأنه بالطبع يعرف يمينه من شماله قبل هذا العمر. والملاحظة الثانية: أن ضرب الطفل للتأديب والتعظيم من شأن الصلاة في نفس الطفل الذي يعامله الوالدان بهذا الجدّ وبهذه الصرامة في شأنها، وبالطبع ليس ضربًا مؤذيًا ومبرحًا، ولكنه للتذكير والتهويل لشأن الصلاة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بِتُّ عند خالتي ميمونة، فجاء رسول الله ﷺ بعدما أمسى، فقال: أصلَّى الغلام؟ قالوا: نعم، فاضطجع» رواه البخاري وأبو داود. وفيه مدى الحرص على متابعة وملاحظة الطفل في أداء الصلاة، ولو كان ضيفًا على البيت في ليلة واحدة.

- تعليم الطفل الوضوء والصلاة بطريقة عملية، ولأكثر من مرة حتى يتقنها، واجب على الوالدين والكبار. وذلك بأن يحضر الطفل ويريه الوضوء وفرائضه وسنَنَهُ، وكيف يتوضأ المسلم للصلاة، وكذلك تجعل الطفل يقوم بالتوضؤ عمليًا أمام الكبير، عدّة مرات، وعلى فترات حتى يتقن الوضوء، ثم يُفعل ذلك معه في أداء الصلاة. عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: دعاني أبي، عليٌّ، بوضوء، فقربتُه له، فبدأ فغسل كفَّيْه ثلاث مرات قبل أن يدخلها في الوضوء، ثم مضمض ثلاثًا، واستنشق ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثًا، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحةً واحدةً، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثًا، ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائمًا، فقال: ناولني، فناولته الإناء الذي فيه فضل وضوئه، ثم شرب من فضل وضوئه قائمًا، فعجبتُ، فلما رآني، قال: لا تعجب، فإني رأيت أباك النبي ﷺ يصنع مثل ما رأيتني صنعتُ، فأحببتُ أن أريكم كيف كان طهور النبي ﷺ» رواه النسائي وأبو داود والترمذي. وعن عمر بن أبان قال: «أراني أنس بن مالك رضي الله عنه الوضوء، أخذ ركوة -إناء- فأدارها عن يساره، وصبَّ على يده اليمنى فغسلها ثلاثًا، ثم أدار الركوة على يده اليمنى فغسلها ثلاثًا، فَمَسَحَ برأسه ثلاثًا، وأخذ ماءً جديدًا لصماخه - أذنه - فمسح صماخه، فقلت: قد مسحتَ أذنيك؟ فقال: يا غلام، إنهما من الرأس، وليس هما من الوجه، ثم قال: يا غلام، هل رأيتَ؟ وهل فهمتَ؟ قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ» رواه الطبراني.

– حضور الطفل الصغير الصلوات فى المساجد، أو فى البيت، والمخالطة مع المصلين، فيه تأليف الطفل وتعويده غشيان المساجد، والإقبال على الصلاة تشبهًا بالكبار، وتعودًا على أدائها فى المساجد، وقد كانت عادة الصالحين من عباد الله، وأولهم أصحاب رسول الله ﷺ حمل الصغار، أو اصطحابهم إلى المساجد، دون زجر أو اعتراض على وجود الصغار فى المسجد وقت أداء فرائض الصلاة، بل كان النبى ﷺ يراعى مصلحة الصغير ويقدم أمره على التطويل فى الصلاة، فيخفف من الصلاة، شفقةً على الأم، ورحمة بالصغير إذا بكى أثناء تأدية الأم للصلاة خلف رسول الله ﷺ. يقول رسول الله ﷺ: **«إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطوّل فيها، فأسمع بكاء الصبى فأتجوّز فى صلاتى كراهية أن أشقّ على أمه»** رواه البخارى وأبو داود والنسائى. فإذا كان هذا التساهل والتسامح والرفق، واعتبار الحال فى فرض الصلاة جماعة مع رسول الله ﷺ، فكيف يضيق البعض، أو يمنع من وجود الأطفال فى المسجد؟ إن وجودهم مقصود، ومطلوب.

– والأم لا تترك وليدها، ولا رضيعها، إن احتاج إلى أن تحمله وهى فى الصلاة، وحمل الصغير، ووضعه أثناء الصلاة لا يفسدها. «كان رسول الله ﷺ يصلى، وأمامة بنت أبى العاص على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا قام حملها» رواه الطبرانى. وكانت نساء الصحابة يحملن صغارهن أثناء الصلاة فى المسجد خلف رسول الله ﷺ ويقول: **«إنى لأسمع صوت الصبى وأنا فى الصلاة، فأخفف مخافة أن تفتن أمه»** رواه البزار، وأصله فى الصحيح. «خرج علينا رسول الله ﷺ فى إحدى صلاتى العشاء وهو حامل حسنًا – أو حسينا– فتقدم النبى ﷺ فوضعه، ثم كبّر للصلاة فصلى، فسجد بين ظهرانىّ الصلاة سجدةً أطالها، قال: فرفعت رأسى، فإذا الصبى على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودى، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهرانى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك، قال: **كلٌّ لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته»** رواه النسائى وأحمد والحاكم، وهو حديث صحيح، وبين ظهرانى صلاة: أى وسطها وفيما بينها. وفى هذا الحديث: مراعاة حاجة الطفل ولعبه وعبثه وتقديم ذلك على موالاة أركان الصلاة وانتظامها، دون تفزيع أو تعكير للطفل، شفقةً ورحمة ومحبةً للأطفال، وتأليفًا لقلوبهم ونفوسهم نحو الصلاة والمسجد، وأى قلب كان قلب رسول الله، وهو بين يدى رب العزّة والرحمة، يعتلى ظهره الشريف طفل فيدعه حتى يشبع

لعبا ويقول: «فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته» فصلى الله عليك وسلم وبارك يا إمام ومعلم الخلق فى كل شىء جميل، وبالكمال الذى يليق بعظمتك. وعن أبى بكر رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ كان يصلى، فإذا سجد، وثب الحسن عليه السلام على ظهره وعلى عنقه، فرفع رسول الله ﷺ رفعًا رقيقًا لئلا يصرع، يفعل ذلك غير مرّة» رواه أحمد والبزار والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح.

- يجوز شرعًا أن يؤمَّ الطفل المميِّز قبل البلوغ، يؤمّ غيره من الكبار، رجالاً أو نساءً، مادام يحسن الصلاة والقراءة، عن عمرو بن سلمة رضى الله عنه قال: «إن قومى نظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى، لما كنت أتلقَّى الركبان، فقدَّمونى بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علىَّ بُرْدة، كنتُ إذا سجدتُ تقلَّصَتْ عنى، فقالت امرأة من الحىّ، ألا تُغطُّوا عنَّا إسْتَ قارئكم؟ فاشتروا، فقطعوا لى قميصًا، فما فرحتُ بشىء فرحى بذلك القميص» رواه البخارى وأبو داود والنسائى.

- تجوز صلاة الطفل على الجنازة، كسائر الصلوات، عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: «لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعنى من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسنُّ منى، وقد صليتُ خلف رسول الله ﷺ على امرأة ماتت فى نفاسها، فقام عليها رسول الله ﷺ وَسْطَها» رواه البخارى ومسلم.

- الصلاة خير عوْن للوالدين فى تربية الأولاد وتعويدهم الخير، وخصال الخير، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن فلانًا يصلى بالليل، فإذا أصبح سرق؟ فقال: سينهاهُ ما تقول» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. إنها حكمة غالية جدًا يلزم للناس فهمها والانتفاع بها «سينهاه ما تقول» يصلى ويسرق، فما يمنعه وينهاه عن السرقة سوى الصلاة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فلو حرص الوالدان والمربُّون على أن يحافظ الطفل على الصلاة، لاستقام لهم أمر الطفل وأمرهم، فمن يخبرنا عن الحق، وما يصلح مثل الله ورسوله ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، فالصلاة نور وبركة، يستنير بها قلب الصغير، ويشرق بها ضميره، ويدرج ويكبر وهو يسير فى طريق النور والعرفان.

*الطفل والزكاة:

* الزكاة نوعان: أحدهما ما يتعلق بالبدن، والثانى يتعلق بالمال. فأما ما يتعلق بالبدن فهو زكاة الفطر، وتسمى زكاة الفطرة، أى الخلقة، وهى تجب على الطفل الصغير ولو كان مولوداً قبل صلاة عيد الفطر، ومسئولية إخراجها على من تلزمه نفقة الطفل. عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، على كل حر، أو عبد، ذكر، أو أنثى من المسلمين» رواه البخارى ومسلم. ولو كان الصغير يملك مالاً تخرج منه زكاة الفطر، ويجوز أن يخرجها وليُّه من ماله هو.

- وأما الزكاة التى تتعلق بالمال، فهى عن المال الذى بلغ النصاب وحال عليه حولٌ كامل -أى سنة هجرية- وكان الصغير يملكه ملكية تامَّة. ويخرجها من مال الصغير وليُّه، أو وصيُّه، أو القيم على أمواله. والصغير الَّذى ليس له مال، ولا ينفق عليه أحد، يستحق النفقة عليه من سهم الفقراء والمساكين، ويكون من أهل الزكاة. وإذا كان الصغير يتيمًا، وله مال، فيحق لمن يقوم على أمواله وعليه، أن ينفق على نفسه من مال هذا اليتيم بالمعروف. روى أبو داود والنسائى «أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إنى فقير ليس لى شىء، ولى يتيم، فقال: كُلْ من مال يتيمك، غير مسرف، ولا مبادر، ولا متأثِّل» والمبادر: المسارع فى الشىء، والمتأثل: المتموِّل. واليتيم من مات أبوه ولم يبلغ سن الاحتلام. وقد قال النبى ﷺ: «لا يُتْم بعد احتلام» رواه أبو داود والطبرانى وهو حديث حسن.

* أموال اليتيم يجب أن تُستَثْمر حتى لا تأكلها الزكاة، إذ يجب إخراج الزكاة عنها ما دامت تبلغ النصاب كل عام. روى الإمام مالك فى الموطأ «أن عائشة رضى الله عنها كانت تعطى أموال اليتامى مَن يتَّجر فيها» وروى عنها فى الموطأ أيضًا «كانت عائشة تلينى أنا وأخًا لى يتيمين فى حجْرها، فكانت تخرج من أموالنا الزكاة».

- روى أبو داود والترمذى والنسائى عن النبى ﷺ «لا يحل لرجل أن يعطى عطيَّةً، أو يهب هبةً، ثم يرجع فيها، إلا الوالد فيما يعطى ولده، ومثل الذى يرجع فى عطيته، أو هبته، كالكلب يأكل، فإذا شبع قاء، ثم عاد فى قيئه» ومعنى عاد فى قيئه: أى عاد فأكل ما قاءه.

- الطفل له أن يتحلّى بـالذهب والفضة، وإذا بلغ ما يـتحلى به من الذهب، أو من الفضة ما قيمته النصاب، فالصحيح ألا زكاة فى شيء من الحلّى، ولا تحتسب فى نصاب زكاة ماله، إن كان له مال غير مـا يتحلى به، روى مالك فى الموطأ بإسناد صحيح، عن ابن عمر وعائشـة رضى الله عنهم «كانت عائشة رضى الله عنها تحلّى بنات أخيـها أيتامًا فى حجـرها، فلا تخـرج منها الزكـاة» وعدم إخـراج الزكاة من الحليِّ هو الأظـهر فى مذهب الشافعى.

- يسـتحب أن يعـوِّد الطفل على الصـدقة، وأن نكلفـه بحـمل الصدقـة وتقديمهـا للمسكين، كما يسـتحب أن نعلمه الادخار من مصروفـه، وأن يضع منه فى -حصالته- ثم يخرج من حصيلتها شيئًا للمساكين.

* الطفل والصيام

* صيـام الطفل الصغـير يقـاس على صلاته، لأنه لم يأت نص صـريح بالسنّ التى يؤمر عنـدها الصغيـر بالصيـام، ولأنه متّـعلق بالطاقة والقـدرة، والمطلوب من الوالدين تعـويد الطفل على الصيام وتحـبيبه إليـه، بالحديـث عن فضله، وأن من ترك الطعـام والشراب وصـام فإن الله يطعمه ويسـقيه من طعام وشـراب الجنة، وأن الله تعالى يحب الأولاد الذين يصومـون وهم صغار، ويذكرون الـطفل أن غيره من الأطفال يصـومون، وأنهم بذلك مثل الرجـال. ويمكن التغافل مع الطفـل الصغير الذى يصـوم إذا شرب أو أكل، ونقول له: أنت نسيت فأكلت، ومن أكل ناسيًا يتم الصوم ولا حرج عليه، ويمكن الاتفاق معـه على أن يصوم حتى الظهر، ثم بعد ذلك حـتى العصر، وفى بعض الأيام حتى المغرب، حتى يألف الصيام ويتدرّب عليه، كمـا يمكن إشغاله وتلهيته باللعب وغير ذلك عن الطعـام والشراب، ويمكن وعـده بجائزة أو بشىء يحـبه إذا صـام بعض الأيام كاملاً.

- عن الرُبيِّع بنت مُعوِّذ رضى الله عنها قالت: [أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصـار التى حول المدينة: مـن كان أصبح صـائمًا فليـتم صومـه، ومن كان مفطرًا فليتم بقيـة يومه، فكنا بعد ذلك نصومه، ونُصوِّمُه صبـياننا الصغار، ونذهب إلى المسجـد، فنجعـل لهم اللُّعبـة من العِهن، فـإذا بكى أحدهم أعطيناه إياه، حـتى يكون

الإفطار] وفى رواية [ونصنع لهم اللعبة من العهن، فنذهب بـه معنا، فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة، تلهّيهُم بها حتى يتموا صومهم» رواه البخارى ومسلم. والعِهْن: الصوف المصبوغ. فكانت الأمهات يستعنّ بعد الله على تصويم الصغار، بالاجتماع فى المسجد، بعيدًا عن متناول الطعام والشراب، والاعتياد عليه فى البيوت، كما أنّ فى اجتماع الأولاد ولعبهم سويًا أثرًا فى اللهو عن الطعام والشراب، وإذا طلب الطفل الصغير الطعام، قدّمت له أمُّه لعبة يحبها ويتلهى بها حتى يتم صومه.

- بمناسبة الصوم، يحسن تهيئة الذهن عند الطفل قبل إقبال شهر الصيام وما اعتاده الناس من تزيين البيوت والشوارع، وإضاءة الأنوار بالفوانيس، كل ذلك من العادات المرتبطة بشهر رمضان، ويكون لها أثر طيب فى نفس الطفل الصغير، تجعله يفرح بقدوم شهر الصيام، وليس فى ذلك شيء من البدع الدينية، لأنها تفعل عادة، وليس على سبيل العبادة، والعادات إذا لم تتعارض مع الدين فلا حرج فيها، والأفضل دائمًا أن نهيئه بالذهاب إلى المساجد، وتحبيبه فى القيام والاعتكاف وقراءة القرآن خاصة فى شهر رمضان.

الطفل والحج

* مذهب جماهير العلماء أن حج الصبىّ منعقد صحيح يثاب عليه، وإن كان لا يجزئه عن حجة الإسلام، بل يقع تطوّعًا، وقال أبو حنيفة: لا يصح، وإنما يفعلونه تمرينًا لهم مثل الصلاة. قال العلماء: إن كان مُمَيِّزًا أذن له وليّه فأحرم، فإن كان غير مميز، نوى وليه له، ويؤدى مع وليه سائر المناسك. عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما «أن النبى ﷺ لقى ركبا بالرَّوْحاء فقال: من القوم؟ قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: رسول الله، فرفعت إليه امرأة صبيًا فقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر» رواه مسلم وأبو داود والنسائى والطبرانى. وروى الطبرانى فى الكبير والأوسط بسنده قال: «جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله، أحج بابنى وهو مرضع، أو صغير؟ قال: نعم»، وكيفما تم حج الطفل الصغير، فهو صحيح، سواء كان من مال الصغير، أو من مال غيره، ولهذه العبادة، والشعائر المتعلقة بها، والأماكن التى تؤدى فيها المناسك، أثر، أى أثر على الصغير، ولها من البركة فى حياته ما يستحق أن يصبر الوالدان على اصطحاب الصغير معهما، أو أحدهما إذا وُفِّق لأداء هذه الفريضة

العظيمة، ويكفى للطفل أن يشاهد مكة والمدينة، والكعبة، ومسجد الله الحرام، ومسجد النبى ﷺ، ويشرب من زمزم، ويرى الصفا والمروة ومقام إبراهيم والحجر الأسود ويصلى فى المسجد الحرام الذى يُكتب لمن صلى فيه أجر الصلاة مائة ألف مرة فيما سواه، ويكتب له أجر الصلاة فى مسجد النبى ﷺ بألف صلاة، فإذا شرح له الوالدان ما تم فى هذه الأماكن من سيرة سيدنا رسول الله ﷺ،وسيرة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وسيدتنا هاجر عليهم الصلاة والسلام، وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم، فإن ذلك لا ينساه الطفل ويتعلق قلبه بحب الإسلام وفرائضه.

- اتفق الأئمة على أن الطفل إذا حج قبل أن يبلغ الحلم، فيجب عليه حجة أخرى هى فريضة الإسلام، وتكتب حجته وهو صغير تطوعًا له يثاب عليها، ويثاب من أعانه عليها. قال رسول الله ﷺ: «أيُّما صبى حج ثم بلغ الحنث، عليه حجة»رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

- روى الطبرانى بسنده «جاء غلام إلى النبى ﷺ فقال: إنى أريد هذه الناحية للحج، قال: فمشى معه رسول الله ﷺ، فرفع رأسه إليه فقال: يا غلام، زَوَّدك الله التَّقْوى، وَوَجَّهك فى الخير، وكفاك الهمَّ، فلما رجع، سلَّم على النبى ﷺ، فرفع رأسه إليه فقال: يا غلام، قبل الله حجَّك، وكفَّر ذنبك وأخلف نفقتك» وبالطبع فهذا الغلام الصغير لابد أن يكون حجه مع قافلة من الحجاج وصحبة مأمونة. وفى هذا جواز حج الصغير، وتوديعه، والترحيب بعودته، والدعاء له بالمأثور.

- قال رسول الله ﷺ: «جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة: الحج والعمرة» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. فالحج والعمرة جهاد من لا يقدر على الجهاد ممَّن ذكرهم رسول الله ﷺ.

متى يدافع الصغير عن وطنه وعن دينه؟

ومتى يجاهد الصغير فى سبيل الله؟

* لعل هذا التساؤل يثير دهشة البعض، إذ سيقول: ما للصغير والجهاد؟ وأقول: الجهاد فريضة لابد أن يقوم بها القادر عليه، ولابد للطفل أن يكبر ويجاهد فى سبيل الله، فلا يبقى إذًا إلا هذا التساؤل: متى يجاهد الصغير فى سبيل الله؟ عن عبد الله بن

الزبير وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم: «أنهما بايعا رسول الله ﷺ، وهما ابنا سبع سنين، فلما رآهما رسول الله ﷺ تبسَّم وبسط يده فبايعهما» رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ورجاله رجال الصحيح غير واحد مختلف فيه. إن السؤال أصبح: متى علم هذان الصغيران بأمور البيعة والجهاد؟ إنه لابد وقد سبق هذه السن تعليم وحض على الجهاد فى سبيل الله من الوالدين، وهذا هو الغرض من السؤال الأول، إن الوالدين عليهما أن ينشِّئا الصغير منذ أن يدرك ، أن الله فرض جهاد أعداء الله. وأن هذا الجهاد شرف وعزة وبطولة وشهادة وجنة عرضها السماوات والأرض. إن بناء الرجولة وحب البطولة شىء تقوم به الأم مع ابنها، فترضعه هذه المعانى حتى تكبر نفسه عليها، كما تطعمه الغذاء ليكبر جسمه، وهكذا كانت أمهات الأبطال المدافعين عن الأوطان والفاتحين يفعلن ويحرصن على هذه المعانى، روى أبو داود بإسناد صحيح قال: «عن عبد الله ابن هشام رضى الله عنه -وكان قد أدرك النبى ﷺ- وذهبت به أمُّه، زينب بنت حُمَيْد رضى الله عنها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، بايعْه، فقال رسول الله ﷺ: هو صغير، ومسح رأسه» انظر هذا الحرص من تلك الأم على أن يبايع ابنُها النبىَّ ﷺ على الجهاد! رواه البخارى أيضًا وفيه زيادة، «ودعا له، وكان يضحى بالشاة الواحدة عن جميع أهله» فكيف لا يصبح مثل هذا الطفل وأمثاله والذى تربيه هذه الأم وأمثالها رضوان الله عليهن، أبطالاً يقيمون شرع الله فى الأرض ويدافعون عنه، وعن الوطن، ويحاربون أعداء الله فى الأرض؟ وهذا غلام صغير يذهب بنفسه إلى رسول الله ﷺ ويطلب منه المبايعة، فيشفق عليه رسول الله ﷺ لصغره، ويؤجله، فعن الهرماس بن زياد رضى الله عنه قال: «مَددْتُ يدى إلى رسول الله ﷺ، وأنا غلام؛ ليبايعنى، فلم يبايعنى» رواه النسائى وإسناده حسن. وهذا بطل الإسلام الزبير بن العوام رضى الله عنه يأمر ابنه الصغير الذى يبلغ السابعة أن يذهب ويبايع رسول الله ﷺ، عن أسماء بنت أبى بكر، زوج الزبير رضى الله عنهم قالت: «جاء عبد الله بن الزبير وهو ابن سبع سنين -أو ثمان- ليبايع رسول الله ﷺ، وأمره بذلك الزبير، فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً، ثم بايعه» رواه البخارى ومسلم.

- وهذه المبايعات على الجهاد لا تعنى دفع هؤلاء الصغار لقتال الأعداء، ولكنها تحميل المسئولية للطفل على الجهاد فى سبيل الله متى أطاق فى مستقبل عمره، فعن

البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «عُرِضتُ أنا وابن عمر يوم بدر على النبى ﷺ فاستصغرنا، وشهدنا أحدًا» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. فقد شهد البراء وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم غزوة أحد مقاتلين للكفار، بعد أقل من سنتين من ردّهما عن القتال في غزوة بدر.

- لم يكن جهاد الصغار متعلقًا بواحد أو اثنين من الغلمان، بل كل الصغار كانوا متطلعين لهذا الشرف العظيم، مطالبين به كحق لهم، متدربين ومتأهلين لهذا العمل الشاق والبذل الكبير فى سبيل الله، حتى إنه كان يقام لهذا الأمر سنويًا استعراض للبطولة والقوة لكل الصبيان لينال منهم القادر عليه. روى سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ يعرض غلمان الأنصار فى كل عام، فمن بلغ منهم بعثه، فعرضهم ذات عام، فمرّ به غلام فبعثه فى البعث، وعرض عليه سمرة من بعده فردّه، فقال سمرة: يا رسول الله، أجزتَ غلامًا ورَدَدْتَنِى، ولو صارعنى لصرعته؟ قال: فدونك فصارعه، فصارعتُه فصرعته، فأجازنى فى البعث» رواه الطبرانى ورجاله كلهم ثقات. إنها مهرجانات رياضية هادفة للصغار وفرق الشباب، وكانت هذه رياضاتهم وهذا هو لعبهم.

- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان قدومنا على رسول الله ﷺ لخمس من الهجرة، خرجنا متوصلين مع قريش عام الأحزاب، وأنا مع أخى الفضل ومعنا غلامنا أبو رافع، حتى انتهينا إلى العَرْج، فضلَّ لنا فى الطريق ركوبة، وأخذنا فى ذلك الطريق على الجثجاثة، حتى خرجنا على بنى عمرو بن عوف، حتى دخلنا المدينة، فوجدنا رسول الله ﷺ فى الخندق، وأنا يومئذ ابن ثمانى سنين، وأخى ابن ثلاث عشرة سنة» رواه الطبرانى. وهى هجرة ابن عباس رضى الله عنهما وهو فى سن ثمانى سنين، وهى هجرة شاقة فى أوقات عصيبة تحملها الطفل الصغير فى سبيل الله تعالى. والعرج والجثجاثة موضعان بين مكة والمدينة، وبنو عمرو بن عوف، قبائل من الأنصار كانت تسكن جنوب المدينة بمنطقة قباء.

- كان لعب الأطفال الصغار تدريبًا عسكريًا، واستعدادًا للجهاد، وكان الوالد من الصحابة يؤهل أولاده ويشاركهم ويعلمهم، فعل ذلك سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه مع أولاده كما رواه الطبرانى فى الحديث الصحيح قال: «كان أنس رضى الله عنه

يجلس، ويُطْرح له فراش ويجلس عليه، ويَرْمى ولده بين يديه، فخرج علينا يومًا ونحن نرمى فقال: يا بنى بئس ما ترمون، ثم أخذ القَوْسَ فرمى، فما أخطأ القرطاس» من ذلك نعرف أين أبناؤنا من أبنائهم.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «أجْرى رسول الله ﷺ ما ضَمَّرَ من الخيل: من الحفْياء إلى ثَنِيَّة الوداع، وأجْرى ما لم تَضْمُرْ: من الثنيَّة إلى مسجد بنى زريق. قال ابن عمر: وكنت فيمن أجرى، فطفَّف بى الفرس المسجد» رواه البخارى ومسلم، قال سفيان: من الحفياء إلى الثنيَّة خمسة أميال، ومن الثنية إلى مسجد بنى زريق ميل أو نحوه. ومعنى أجرى: أى سابق بين الفرسان على الخيل، وطفف بى الفرس: أى وثب فى محاذاة المسجد بارتفاعه. وهذا يدل على اعتماد المسابقات الرياضية، والتى كانت تكسب المهارات فى ركوب الخيل بأنواعها، وترتيب الفرسان والخيل على قدر مستوياتهم. وروى البخارى بسنده «خرج رسول الله ﷺ على نفر من أسلم يَنْتَضلون بالسيوف، فقال رسول الله ﷺ: **ارموا بنى اسماعيل، فإن أباكم كان راميًا، ارموا وأنا مع بنى فلان**، قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: **ما لكم لا ترمون؟** فقالوا: كيف نرمى وأنت معهم؟ فقال النبى ﷺ: **ارموا وأنا معكم كلكم**» والانتضال: الرَّمْى بالسهام. فهذا تقسيم للفرق الرياضية يشهده رسول الله ﷺ، ويشجع أحد الفرق لإشعال التنافس الحميد، ثم لجلالته يتوقف الفريق الآخر أدبًا أن ينافسوا فرقة فيها رسول الله ﷺ لأن الرَّمى هو قوة الجيوش فى تلك الأزمان.

– ولذلك كله يذهب عنا العجب مما صنعه فَتَيَان من الإنصار رضوان الله عليهم، حين قتلا أبا جهل عليه لعنة الله فى غزوة بدر. «قال عبد الرحمن بن عوف: إنى لفى الصف يوم بدر إذْ التَفتُّ، فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السنّ، فكأنى لم آمن بمكانهما، إذْ قال لى أحدهما سرًا من صاحبه: يا عم، أرنى أبا جهل، فقلت: يا ابن أخى، فما تصنع به؟ قال: أُخْبِرت أنه يَسُبُّ رسول الله ﷺ، قال: والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منَّا، فتعجَّبتُ لذلك. قال: وغمزنى الآخر، فقال لى مثلها، فلم أَنْشَب أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما:

أنا قتلته، قال: هل مَسَحتُما سيفكما؟ فقالا: لا، فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين، فقال: كلاكما قتله» رواه البخارى والفتيان هما: معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوِّذ بن عفراء رضى الله عنهما.

بعض الأحكام التى تتعلق بالصغير

* المولود إذا وُلد حيًا يرث ما كان مُسْتَيْقى له من وارثه الذى مات أثناء حمله، ولو مات بعد لحظة من ولادته، ولذلك يورث من بعده. روى أبو داود «أن النبى ﷺ قضى أن المولود إذا استَهَلَّ، ثم مات، ورث وَوَرِّث، وإذا لم يستهل فلا يرث ولا يورث» ومعنى استهل: أى صرخ عند الولادة، وهى العلامة على حياته. وقال ﷺ: «لا يرث الصبى حتى يستهل صارخًا، واستهلاله أن يصيح أو يبكى أو يعطس» رواه الطبرانى.

* اليتيم من مات والده وهو صغير قبل البلوغ، فإذا بلغ لا يعد يتيمًا. قال رسول الله ﷺ : «لا يتم بعد حُلُم، ولا يتم على جارية إذا هى حاضت» رواه الطبرانى والبزار ورجال الطبرانى ثقات. والجارية: البنت، والحيض علامة بلوغها. والمعنى المراد فى اليتم، هو فَقْد العائل الذى ينفق على الصغير العاجز عن التكسُّب، بجانب رعايته والحُنُوّ عليه، لذلك جاءت الأحاديث التى تحض على النفقة والشفقة على اليتيم، منها «مَن ضَمّ يتيمًا بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه، وجبت له الجنة البتَّة» رواه أحمد والطبرانى.

* «كان عبد الله بن الزبير يقضى بشهادة الصبيان، فيما بينهم من الجراح» أخرجه الموطأ. وجاء أيضًا، أنه كان يجيزها إذا جيء بهم فى حال نزول النازلة، أى قبل أن يسمعوا أو يحفظوا من الكبار. وكان عبد الله بن الزبير أميرًا للمؤمنين، وهذا القضاء فيما بين الصغار فى الجروح فقط، وأمام القاضى، وإلا فبشهادة الصغار يستأنس بها القاضى فقط، ويا ليت بعض الأمهات يعرفن ذلك، لأن الكثيرات يغضبنَ ويخاصمن الآخرين بمجرد سماع شكوى أولادهن من أقرانهم وجيرانهم، دون التَّثَبُّت من هذه الشكوى، أو قبل أن تسمع الآخرين.

* قد يحب أحد الوالدين أحد أولادهما أكثر من الآخرين، لسبب، أو غير سبب، فالقلوب والمحبة من الأرزاق المقسومة بين العباد، ولكن لا يؤثر ذلك فى الآخرين، بأن

يظهر هذه المحبة فى سلوكه مع المحبوب منهم، أو يخصُّه ببعض العطاء دون غيره، إذ المساواة بين الأولاد مطلوبة وحتى لا تحدث المفاضلة بينهم آثاراً سيئة، إما فى كراهة الأولاد لبعضهم بعضًا وإشعال الغيرة بينهم، وإما فى كراهة الوالد، أو عدم الارتياح له، لهذا السلوك الذى لا تحبه النفوس، وخاصة نفس الصغير الحساسة لهذه الأمور. عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: «تصدَّق عليّ أبي ببعض ماله، فقالت أمى عَمْرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشْهد رسول الله ﷺ، فانطلق أبي إلى رسول الله ﷺ، ليشهده على صدقتي، فقال رسول الله ﷺ: يا بشير، ألك ولدٌ سوى هذا؟ قال: نعم، قال: أكلُّهم وهبتَ له مثل هذا؟ قال: لا، قال: أيسرُّك أن يكونوا إليك فى البرِّ سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذًا» رواه البخارى ومسلم، وفى رواية أبى داود «إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم، كما أن لك عليهم من الحق أن يبرُّوك» وقد جاء فى حديث أخرجه ابن حجر الهيثمى فى مجموع الزوائد: «سوُّوا بين أولادكم فى العطية، فلو كنت مفضلاً أحدًا، لفضَّلتُ النساء» وذلك لقلة حيلتهن فى الكسب.

- والمساواة ليست فى العطية فقط، بل معظم التفضيل عادة يكون فى المعاملة والمجاملة والمسامحة، والتقريب والإبعاد، والبشاشة والعبوس، عن أنس رضى الله عنه «أن رجلاً كان عند النبي ﷺ، فجاء ابن له، فقبّله وأجلسه على فخذه، وجاءته بنت له، فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: ألا سوَّيتَ بينهما» رواه البزار. ولعله ينفع أن نذكّر بحديث رسول الله ﷺ: «أعينوا أولادكم على البر، مَن شاء استخرج العقوق من ولده» رواه الطبرانى. وانظر حفظك الله من الزلل إلى مساواة رسول الله ﷺ: عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يأخذنى فيقعدنى على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: اللهم إنى أرحمهما فارحمهما» رواه البخارى. ومعلوم أن الحسن ابن بنته وأسامة ابن مولاه، ولكنهما يتربيان فى محضن واحد. وأخيراً أذكر بحديث رسول الله ﷺ الجامع لكل هذه المعانى «رحم الله والداً أعان ولده على برِّه» رواه الشيخ ابن حبان.

* يُحيَّا الطفل بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مثل الكبار، ويجب تعويد الطفل ذكره وتعليمه له. عن أنس رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «يا بنى، إذا دخلت على أهلك فسلِّم، يكن سلامك بركة عليك وعلى أهل بيتك» رواه

الترمذى. ويجب أن نعلمه أن الصغير هو الذى يبدأ بالسلام على الكبير، وأن الشخص الذى يركب شيئًا هو الذى يسلّم على الماشى، وأن العدد القليل من الناس هو الذى يسلم على العدد الكثير، وأن الشخص الماشى هو الذى يسلم على القاعد. روى أبو هريرة عن النبى ﷺ قال: «يسلم الراكب على الماشى، والماشى على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير» رواه البخارى ومسلم.

– عن أنس رضى الله عنه قال: «أتى علىّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الصبيان، فسلّم علينا» رواه مسلم. وعنه رضى الله عنه «أنه مرّ على صبيان فسلّم عليهم، وقال: كان رسول الله ﷺ يفعله» رواه البخارى ومسلم.

* نهى الإسلام عن أن يحلق بعض شعر الصغير ويترك البعض، وهو ما يسمىّ لغةً: القَزَع، فقد جاء فى الحديث الصحيح «أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع» وزاد فى رواية «قيل: وما القزع؟ فأشار لنا عبيد الله بن عمر، قال: إذا حُلِق للصبىّ ترك هاهنا وها هنا، وأشار عبيد الله إلى ناصيته وجانبى رأسه، قيل لعبيد الله: والجارية؟ قال: لا أدرى» وفى رواية «قال عبيد الله: قلت لنافع: وما القزع؟ قال: يحلق بعض رأس الصبى ويترك البعض» رواه البخارى ومسلم. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «رأى رسول الله ﷺ صبيًا قد حُلق بعض شعر رأسه وتُرك بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال: احلقوه كله، أو اتركوه كله» رواه أبو داود وهو على شرط الصحيحين. والجارية: البنت الصغيرة.

* ينبّه الطفل الصغير كلما عطس، أن يقول: الحمد لله، ونقول له: يرحمك الله، ونعلمه أن يرد على مَن شَمَّتَهُ بقوله: يهديكم الله ويصلح بالكم، ونظل معه حتى يتعلم هذا الخلق الإسلامى ويحفظه، ونطلب منه أن يشمِّتَ من عطس ويدعو له إذا حمد الله. عن أبى بُرْدَة بن نيار رضى الله عنه قال: «دخلتُ على أبى موسى الأشعرى وهو فى بيت بنت الفضل بن عباس، فعطستُ، فلم يُشَمِّتنى، وعطست فشمَّتَها، فرجعتُ إلى أمِّى، فأخبرتها، فلما جاءها قالت: عطس عندك ابنى فلم تشمِّته، وعطست فشمَّتَّها؟ فقال: إن ابنك عطس فلم يحمد الله فلم أشمته، وعطست فَحَمِدَت الله فشمتُّها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا عطس أحدكم فحمد الله، فشمِّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه» رواه مسلم. التشميت: أن تقول لمن عطس: يرحمك الله.

* يجوز أن يلبس الطفل الخاتم والعقد، من فضة، أو من ذهب، ولداً كان الطفل، أو بنتاً. فإذا بلغ لا يجوز له لبس الذهب والتحلّي به، ويجوز له كسائر الرجال التحلّي بالفضة. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قدمت على رسول الله ﷺ حِلْيةٌ أهداها النَّجاشي، فيها خاتم من ذهب، فيه فصٌ حبشي، قالت: فأخذه النبي ﷺ بعودٍ معرضا عنه، أو ببعض أصابعه، ثم دعا أمامة بنت أبي العاص من بنته زينب فقال: تحلّي بهذه يا بنيَّة» رواه أبو داود. وروى الترمذي بسنده «كان الحسن والحسين يتختَّمان في يسارهما» وروى الطبراني بسنده قال: «أتى بعض بني جعفر بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أرسل معي من يشتري لي نعْلاً وخاتمًا، فدعا النبي ﷺ بلالاً، فقال: انطلق إلى السوق، فاشتر له نعلاً واسْتَجدْها، ولا تكن سوداء، واشتر له خاتمًا، وليكن فصُّه من عقيق» وروى الطبراني أيضًا «من تَخَتَّم بالعقيق لم يزل يرى خيراً».

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرجتُ مع النبي ﷺ في طائفة من النهار، لا يكلمني، ولا أكلمه، حتى جاء سوق بني قينقاع، ثم انصرف، حتى أتى مخدع فاطمة، فقال: أثمَّ لُكَع؟- يعني حسنا - فظننَّا أنَّه إنما تحبسه أمُّه لأن تغسله، أو تلبسه سخَابًا، فلم يلبث أن جاء يسعى، حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أحبُّه وأحب من يحبُّه» رواه البخاري ومسلم، ولكع: يريد الصغير، والسخاب: القلادة، خيط ينضم فيه خرز ويلبسه الصبيان والجواري، أي البنات.

* من الأحكام القرآنية الواردة في البيوت، حكم الاستئذان، داخل البيت من المقيمين فيه، بعضهم على بعض في خلوتهم أو في الحجرة الخاصة، أو الحجرة المغلقة على من فيها، وهو حكم مريح جداً للجميع حتى يعيش أفراد الأسرة داخل البيت الواحد، مطمئنين ومرتاحين، دون الخوف من انكشاف عورة يتحرج الإنسان من كشفها لأقرب من يعيش معهم من أهله. إن هذا الحكم الشرعي، والتوجيه الربّاني، يؤصل في النفوس، احترام المشاعر، وعدم خدش الحياء، وعدم الإقلاق في أوقات الراحة، أو في الأوقات المعتاد إشباع الحاجات الغريزية، والتي لا يحب أحد أن يقطع عليه الآخرون استمتاعهم. يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨]، فالخدم

والأطفال غير البالغين لابد أن يستأذنوا على الوالدين، أو الآخرين قبل أن يقتحموا عليهم أماكن نومهم أو تواجدهم فى تلك الأوقات التى يتخلَّى فيها الإنسان عادة عن الاحتشام أمام الآخرين، حتى ولو أولاده وأفراد أسرته، فلا يتقيدً فى ملبسه أو مجلسه أو أوضاعه كلها، ويتحرر من قيود الاحتشام أوقات الراحة والاستمتاع. وهذا الحكم من باب الأولى يجب على البالغين من أفراد الأسرة، وهذا الحكم يخص أولاد الوالدين، ثم يعم الجميع من حيث الاستئذان، ويراعى أن النص على تلك الأوقات المعتادة، لا يخرج باقى الأوقات إذا اعتاد أهل البيت خلافها، لأن الغاية من الاستئذان وحكمته تتوفّر فى تلك الأوقات الأخرى.

- من الجميل أن يسلك الكبار مع الطفل الصغير هذا المسلك المهذّب، بأن يستأذنوا فى الدخول على الطفل، حتى يتفطّن ويتنبّه لهذا الأمر، بجانب مطالبة الصغير بأن يستأذن هو عند الدخول على أحد فى حجرته، وخاصة ألا يفتح بابًا مغلقًا لحجرة أو مكان فيه أفراد من الأسرة، إلا بعد أن يستأذن - يدق الباب مثلاً - وبعد أن يأذنوا له فى الدخول. وأنه إذا طالبوه بالانتظار قليلاً فعليه الانتظار حتى يأذنوا له. ويفعل ذلك مع الصغير من صِغَره ومنذ يدرك معنى الاستئذان حتى يكبر وهو يسلك هذا السلوك بتلقائية واعتياد.

- يستحب إذا أصبح الطفل مميزًا أن ينبَّه على ألا يتنصَّت لأحاديث الكبار، إلا إذا طلبوا منه الاستماع، حتى لا يعتاد هذا السلوك ويتَّصف به، وكذلك ينبّه على أنه إذا سمع حديثًا بين اثنين أو أكثر ألا ينقله ويحكيه للآخرين، وإذا عرف سراً من الأسرار، أو أخبره به أحد، فلا يفشيه. عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا وبعثنى إلى حاجته، فأبطأت على أمّى، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثنى رسول الله ﷺ فى حاجته، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرٌ، قالت: لا تحدِّثن بسرّ رسول الله ﷺ أحدًا، قال أنس: والله لو حدَّثتُ أحدًا لحدَّثتك يا ثابت» رواه مسلم ، وثابت هو ثابت البنانى تلميذ أنس رضى الله عنهما. وعنه رضى الله عنه قال: «كان أول ما أوصانى به رسول الله ﷺ أن قال: يا بنى اكتم سرِّى تكن مؤمنا، فكانت أمِّى وأزواج النبى ﷺ يسألننى عن سرِّ رسول الله ﷺ فلا أخبرهن به، ولا أخبر بسر رسول الله ﷺ أحدًا أبدا» رواه أبو يعلى والطبرانى، وكانت سن أنس عند ذلك ثمانى سنين.

* الطفلة الصغيرة، يجب على الوالدين تحبيب الحجاب إليها، حتى ترغب في تغطية شعرها وبدنها تشبهًا بوالدتها وبالنساء، والصغيرة إن كانت لا تأثم من كشف شعرها أو بعض بدنها قبل سن التكليف، وهو البلوغ، ولكنها تؤجر على الحجاب مثل باقي العبادات التى تؤديها، كما سبق بيانه، وكذلك الوالدان يؤجران على تعليمها وترغيبها فى ذلك وفى فعله إن فعلته، ويأثمان ولا تأثم الصغيرة، إن هما قصَّرا معها فى ذلك حتى تبلغ. ويحسن ألا نتركها حتى تكتشف مفاتنها وتحب أن تظهرها مثل الكبيرات، فالصغيرة فى سن قبل المراهقة، تحب النظر كثيرا فى المرآة وتعجب بجسدها وشعرها، فإذا كانت قد تعوَّدت الحجاب، فلا خطر من ذلك عليها، ولأن الضَّغط عليها فى هذه السن، إن لم تكن لبست الحجاب قبله، يجعلها تُبغضه ولا ترتاح إليه، وقد تتخلَّى عن لبسه إن أمكنها ذلك فيما بعد.

– من الأساليب العملية النافعة، أن نشترى للصغيرة الملابس وغطاء الرأس من الألوان الجميلة التى تحبها الصغيرة، ونترك لها اختيار ما تشاء من ذلك، كما نجعل الهدايا فى المناسبات، والتى تقدّم لها، من هذه الملابس.

– صلاة الصغيرة تُعوِّدها على هذه الملابس، لأنها تلبسها عند الصلاة فتصبح مألوفة لها، ومرتبطة بالدين الذى تحبه.

– تنبيهها إلى رؤية بعض المشهورات، والجميلات، وهن يرتدين الملابس الخاصة بالحجاب يشجعها على ارتدائها وحب التشبه بهن، وكذلك رؤيتها الصغيرات من أقرانها، والثناء عليهن أمامها، وبطريقة كأنها غير مقصودة، تزيدها رغبة فى الحجاب.

الطفل وبرُّ الوالدين

* أن يبرَّ الطفل الصغير والديه عندما يكبر، لا يكون ذلك إلا من غرس البر فى نفس الصغير من قبل الوالدين ومن تعليمه وتعويده منذ صغره على برِّ الوالدين، وسوف يأتى إن شاء الله فى فصل اكتساب الخصال، المنهج العملى لاكتساب هذا الخلق. روى الشيخ ابن حبان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ: «رحم الله والدًا أعان ولده على برِّه» وجاء رجل إلى ابن المبارك، فشكا إليه بعض ولده، فقال: هل دعوت عليه؟

قال: نعم، قال: أنتَ أفسدتَه». وروى الطبراني بسنده عن النبي ﷺ: «أعينوا أولادكم على البر من شاء استخرج العقوق من ولده». وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سمّاهم الله الأبرار، لأنهم برّوا الآباء، والأمهات، والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقا، كذلك لولدك» رواه الطبراني.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ: أى العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله» رواه البخارى ومسلم. وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن برَّ والديه طوبى له، زاد الله عمره» رواه أبويعلى والطبرانى والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وقال ﷺ: «رضا الله فى رضا الوالد، وسخط الله فى سخط الوالد» رواه الترمذى وابن حبان والحاكم والطبرانى والبزار. فهذه الأحاديث وغيرها كثير، يجب على الوالدين والمربين من المعلمين، ذكرها للطفل الصغير وشرحها له، ومطالبته بالسلوك على هديها، وتحذيره من عقوقهما. وكذلك يجب عليهم شرح آيات القرآن التى تخص وتوجب بر الوالدين والترهيب من عقوقهما.

- «أتى رسولَ الله ﷺ رجلٌ ومعه شيخ، فقال له: يا فلان، من هذا معك؟ قال: أبى، قال: فلا تمشِ أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تَستَسب له» رواه الطبرانى. وهذا تعليم من النبى ﷺ للابن، لتوقيره، والوفاء بحقه من الاحترام، وواجبنا تعليم مثل هذه الأمور لأطفالنا حتى يوفوا الوالد حقه من التقدير والتبجيل.

- وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «لا تمشِ بين يدى أبيك، ولكن امش خلفه أو إلى جانبه، ولا تَدَعْ أحداً يحول بينك وبينه، ولا تأكل عَرْقًا قد نظر أبوك إليه، لَعَلَّهُ قد اشتهاه» رواه الطبرانى. والعَرْق: عظم عليه لحم. كما روى الطبرانى بسنده عن النبى ﷺ «ما بَرَّ أباه مَن سَدَّدَ إليه الطَّرْف بالغضب» أى نظر إليه غاضبا منه.

- عن أنس رضى الله عنه «أن النبى ﷺ قال ذات يوم لغلام من الأنصار: ناولنى نَعْلى، فقال الغلام: يا نبى الله، بأبى أنت وأمّى اتركنى حتى أجعلها فى رجلك، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إن عبدك هذا يترضّاك فارْضَ عنه» رواه الطبرانى. وهذا الفعل من الغلام يكون رائعا إن فعله الطفل الصغير مع والديه.

* العقوق لـغةً: من العق وهو الشَّق والقطع، ويقال: عقَ والده؛ إذا عـصاه وخرج عليه، كأنه يقطع ما بينه وبين الوالدين من الحقوق، وهو ضد البر. عن أنس رضى الله عنه قال: «ذُكر عند رسول الـله ﷺ الكبائر، فقال: **الشرك بالله، وعقوق الوالدين**» رواه البخـارى ومسلم. وقـال رسول الله ﷺ: «**إن من أكـبر الكبـائر أن يلعن الرجل والديه**» قـيل: يارسول الله، وكـيف يلعن الرجل والديه؟ قـال: **يسب أبا الرجل، فـيسب أباه، ويسب أمه، فيسـب أمه**» رواه البخـارى ومسلم. فلو صـدَق الوالدان بيقين أن ولـدهما يرتكب كبيرة من الكبائر، إذا شتم أحدًا فشتمـه الآخر، لحرص كل منهما رحمةً وشفقةً على الابن ألا يسب أحدًا، أو يجعل أحدًا يسب أباه بسبب سلوكه.

- يجب على الوالدين والمعلمين تلْقين الصغـير، ومنذ طفولته، أن للوالدين حـقوقا عليه، وأن عليـه أن يفي لهمـا في كبره ومـستقـبله معـهما، وبكل مـا لهمـا عليه من الحقوق، ومنهـا النفقة إن احتاجـا لها وهو يملكها، خاصـة وقد جعلهما الله سـببا في تعليمه وتغذيته حتى كبـر وأصبح قادرا على الكسب، لذلك روى البزار والطبراني «جاء رجل يستَعْدى على والده، فقال: إنه يأخذ مالي، فقال له رسول الله ﷺ: **أنت ومالك لأبيك**» وفي رواية «**أنت ومالك من كـسب أبيك**» كمـا روى الطبراني بسند رجـاله رجال الصحيح، وابن مـاجة «أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي مـالا وعيالا وإن أبي يريد أن يأخذ من مالي إلى مـاله؟ فقال رسول الله ﷺ: **أنت ومالك لأبيك**». فهـذه الأحاديث وأمثـالها يجب أن تألفـها آذان الصغـار، ويجب أن تتشـرب معانيـها قلوبهم، حتى يدركوا مدى حقوق الوالدين، وأن عدم الوفاء بهذه الحقوق من الكبائر.

- وأختم هذا الحكم الهـام بهذه الواقعة المؤثرة: «جاء رجل إلى الـنبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أبي أخذ مالي. فقال ﷺ: **اذهب فأتني بأبيك**، فنزل جبريل على النبي ﷺ فقـال: إن الله عز وجل يقـرئك السلام ويقـول لك: إذا جاءك الشيخ، فَـسَلْهُ عن شيء قاله في نفـسه ما سـمعتْـه أذناه، فلما جاء الشـيخ قال له النبي ﷺ: **ما بال ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله؟** فقال: سَلْهُ يا رسول الله هل أنفقتُه إلا على إحدى عمَّاته، أو خالاته، أو على نفـسـي؟ فقال النبي ﷺ: **إيه، دعنا من هذا، أخبـرني عن شيء قلته في نفـسك ما سمعته أذناك؟** فقال الشيخ: والله يارسولَ الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينًا، لقد قلتُ شيئا في نفسي ما سمعته أذناي، فقال: قل وأنا أسمع، قال: قلت:

غـــذوتك مـولودًا ومِنْـتُك يافـعًـــا   نُعَلُّ بمـا أجـنـى علـيـك وتَـنْـهـل
إذا ليلة ضـافـتْك بـالسُّقَم لم أَبِتْ   لســـقــمك إلا ســــاهرًا أتملـمل
كـــــأنى أنا المـطْروق دونك بـالذى   طرقْتَ بـه دونى فـعـيْـنى تهْـمل
تخـاف الرَّدى نفـسـى عليك وإنهـا   لتـــعلم أن المـوت وقت مـــؤجل
فلمـــا بـلغتَ السنَّ والغـــايـةَ التى   إليـهـا مـدى مـا كـنتُ فـيك أؤمِّل
جـــعلتَ جـــزائى غلظة وفـظاظة   كـــأنـك أنتَ المنْعـم المتــفـــضِّل
فليــــتَك إذ لم تَـرْعَ حقَّ أبـوَّتى   فـعلتَ كـمـا الجـار المجـاور يفـعل
تراهُ مـــعـــدًا للـخـــلاف كـــأنَّه   بردٍّ علـى أهل الصـــواب مـــوكَّل

حينئذ أخذ النبى ﷺ بتلابيب ابنه فقال: **أنت ومالك لأبيك»** رواه الطبرانى فى الكبير والصغير والأوسط، وروى ابن ماجة طرفا منه.

الطفل وصلة الرحم

* مما عـمَّت به البلوى بين المسلمين، ضعف صلة الرحم، أو قطعـهـا، والتـدابر والتباغض بين الأقارب، لذلك، وحتى نعيد الخير بين الناس، ويتقوى المجتمع المسلم، ويتـآلف الأقارب ويتـواصلوا، لابد أن نبـدأ من تعليم الطفل هـذا الخيـر، وهذا الخلق الأصيل فى بناء المجـتمع، وترابط الأسـر. عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«مَن سـرَّه أن يُبسط له فى رزقـه، وأن يُنْسأ له فى أثره، فليصل رحـمه»** رواه البخارى والترمـذى ولفظه **«تعلَّمـوا من أنسابكم مـا تصلون به أرحـامكم فإن صلة الرحم محبـة فى الأهل، مَثْراة فى المال، مَنْسأة فى الأثر»** ومنسأة فى الأثر، أى زيادة وبركة فى العـمر. إنها دعوة كريمة من رسول الرحمة ﷺ أن نـحرص على أن نتعلَّم ونحفظ، كل أقاربنا وأبناء أرحامنا، فلا ننسـاهم أو نهملهم، ويجب أن نعلم الطفل الصغير ونعـرِّفُه كل أقاربه من ناحية والده، ومن ناحـية والدته أصولا، وفروعـا، وحواشى، أى آباء، وأبناء، وإخوة وأخوات وأعـمـام وعمات، وخالات وأخوال، وأبناءهم وأقـاربهم، فكل هؤلاء، يسعد الصغيـر بمعرفتهم، ويعتز بهم وبصلـته وقرابته لهم، فقراء كـانوا، أو أغنياء، كانوا هم واصلين للرحم مـعنا، أو قاطعين لها. إنى للأسف شـاهدت أبناء عمـومة يقيمون فى مدينة واحدة، لايـعرف بعضهم بعضـا، ومن يتعارف من الأقارب فى زمـاننا هذا، قد

يكتفى بالسؤال أو الزيارة النادرة، وكأنه غريب يزور غرباء. إننا نحتاج إلى بَثِّ حرارة المودّة والقربى فى الأجيال الصغيرة حتى تعيد هذه الأجيال صلة الرحم، كأصل من أصول قوة المجتمع، وسعادة الأسر.

– من الأساليب العملية لتعويد الطفل صلة الرحم، أن يسمع الخير دائمًا عن أقاربه، ولانذكر أمامه ما يبغِّضهم له، وتحدث الطفل عن الآباء والأجداد والأعمام والأخوال وعن أبنائهم، وأين يقيمون، وعن أحوالهم ومآثرهم.

– ومن الأساليب العملية ذات الأثر الطيب فى نفس الطفل، استضافة الأقارب فى البيت، ودعوتهم للمشاركة فى المناسبات، حتى يخالطهم الطفل، ويتبع نفس الأسلوب عند كِبَره، وفى الجانب المقابل نصْطحب الطفل معنا عند زيارة الأقارب، وتلبية دعوتهم، وحضور المناسبات معهم، وتهنئتهم فى الأعياد والمناسبات، ومن أفضل الوسائل، إرسال الهدايا والأطعمة لهم مع الطفل الصغير.

– يعلِّم الوالدان الطفل أن قطيعة الرحم ضارة له فى الدنيا والآخرة، وأنه كما أن للصلة من فوائد عظيمة فى الدنيا والآخرة، فإن للقطيعة مساوئ كبيرة تلحقه فى الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجْدر أن يعجِّل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا، مع ما يدّخر له فى الآخرة، من البَغْى، وقطيعة الرحم» رواه ابن ماجة والترمذى وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم وقال: صحيح. ورواه الطبرانى وابن حبان وزاد فيه «وإن أعجل البر ثوابا، لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فَجَرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا» وزاد ابن حبان فى رواية «وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون».

– لا بأس من ترك الطفل بعض الوقت، يوما، أو ليلة، عند الأقارب ليعتاد مخالطتهم ومعاشرتهم وتقوى الروابط معهم، وخاصة إذا كان لهم أطفال فى مثل سنِّه أو قريبا من سنه. عن ابن عباس رضى الله عنهما «أن أباه بعثه إلى رسول الله ﷺ فى حاجة، قال: فوجدته جالسا مع أصحابه فى المسجد، فلم أستطع أن أكلمه، فلما صلى المغرب، قام يركع حتى انصرف مَن بقى فى المسجد، ثم انصرف إلى منزله، وتبعتُه، فلما سمع حسِّى قال: من هذا؟ قلت: ابن عباس، قال: ابن عم رسول الله؟ قلت: ابن عم رسول الله ﷺ، قال: مرحبا يابن عم رسول الله ﷺ، قال: ما تريد أن تبيتَ عند خالتك الليلة، قد أمسيت؟ فوافقتُ ليلتها من رسول الله ﷺ، فأتيتها، فعشّتْنى» رواه الطبرانى. وهكذا علمهم رسول الله ﷺ كيف يتواصلون، قولاً، وعملا، وبهذه الروح

التى تفوق العظمة، من المودَّة والتَّرحيب، حتى للطفل الصغير. ولذلك قال أنس رضى الله عنه: «ما رأيتُ أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ» رواه مسلم.

الطفل والرُّقْيَة

* من الإيمان بالغيب، أن نؤمن بالجن والملائكة، وأن الله تعالى بحكمته، جعل من الجن شياطين وأعداءً للإنسان، وجعل الملائكة أعوانا وأولياء للمؤمنين، ومن الإيمان أيضاً، أن الله تعالى جعل الخير والشر، وجعل للخير أسباباً وجعل للشر والضر أسبابا، ظاهرة حسية تدرك بالحواس وفيها مدخل للعقل والعلم والخبرة، وجعل أسبابا أيضاً غير ظاهرة، ولاتدرك بالحواس، وهى تؤثر فينا، وجعل الله تعالى لدفع هذه الأسباب غير الظاهرة، أسبابا معنوية وإيمانية غيبية، أمرنا بالإيمان بها واتِّباعها والأخذ بها شرعا، وإن لم ندرك الحكمة فيها عقلا. من ذلك الأمراض والمصائب، التى تصيب الإنسان فى بدنه، أو نفسه، أو أهله، أو ماله، فشرع الإسلام الذى يأمرنا بالتداوى وجاء فى الحديث «ما أنزل الله من داء، إلا أنزل معه دواء، فيا أيها الناس تداووا»، هذا الشرع الحكيم أمرنا أيضًا بالتداوى بالرُّقَى الشرعية، وقاية قبل المرض، واستشفاء بعد وقوعه.

قال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من نفسه، أو ماله، أو أخيه، ما يعجبه، فليدْعُ بالبركة، فإن العين حق» رواه ابن ماجة وأحمد والطبرانى ورجال أحمد والطبرانى رجال الصحيح. وروى البزار بسنده عنه ﷺ «من رأى شيئًا فأعجبه قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم يضره». وعن أسماء بنت عُمَيْس رضى الله عنها قالت: «يا رسول الله، إن ولد جعفر تسرع إليهم العين، أفأسترقى لهم؟ قال: نعم، فإنه لو كان شىء سابق القدر، لسبقته العين» رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أحمد وابن ماجة.

* شياطين الجن لهم إلمامٌ بالبشر، وتسلُّطهم على ضعفاء الإيمان، والصغار، أشدُّ من غيرهم، ويقول الله تعالى: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنَّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقد أنزل الله تبارك وتعالى علينا سورتين، هما المعوِّذتان، لدفع كيد الشياطين، وشُرعتْ لنا الرُّقى للتَّوقِّى منهم، ولرفع ما أصابنا من مَسِّهم ونفثهم ونفخهم. يقول النبى ﷺ: «إذا كان جُنْح الليل، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء، فخلوهم» ورواه البخارى ومسلم، ورواية أبى داود «فإن للجن انتشاراً وخَطْفَة» ورواية الطبرانى ورجاله ثقات «إذا غربت الشمس، فكفوا صبيانكم فإنها ساعة تنتشر فيها الشياطين».

- قال سهيل بن أبي صالح «أرسلني أبي إلى بني حارثة، ومعي غلام لنا، فناداه مُناد من حائط باسمه، قال: وأشرف الذي معي على الحائط، فلم يرَ شيئًا، قال: فذكرتُ ذلك لأبي، قال: لو شعرتُ أنك تلقى هذا لم أُرْسلك، ولكن إذا سمعتَ صوتًا فناد بالصلاة، فإني سمعتُ أبا هريرة يحدِّث عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الشيطان إذا نوديَ بالصلاة، ولَّى وله حُصَاص» رواه مسلم. والمناداة بالصلاة: أي الأذان. والحصاص: الضُّراط مع شدَّة العدْو. ولعل هذا الأذان ندرك منه، سنّة الأذان في أذن المولود.

- عن أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت: «إن رسول الله ﷺ قال لجارية في بيتها رأى في وجهها سَفْعَةً - يعنى صُفْرة - فقال: بها نظرة، استرقوا لها» رواه البخارى ومسلم. والجارية: البنت الصغيرة، والنظرة: إذا أصابتْه العيْن من الجن أو الإنس، قاله ابن الأثير.

- عن الشّفاء بنت عبد الله رضى الله عنها قالت: «دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال: ألا تعلِّمين هذه رقية النَّملة، كما علَّمتها الكتابة؟» رواه أبو داود. والنَّملة: قروح تخرج على الجلد. ولا يخْفى ما في الحديث من كوْن زوجات رسول الله ﷺ ورضى الله عنهن، كُنّ مدارس تعليمية حتى لتعليم الكتابة. وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: «دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا صبيّ يشتكى، فقال: ما له؟ فقلنا: إنما به العين، فقال: ألا تسترقون له من العين» رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. اشتكى: أي مرض.

بعض الرُّقَى المأثورة

- عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ كان يعلمهم رقى الحمَّى والأوجَاع كلها «بسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم، من كل عِرْقٍ نَعَّار، ومن شر حرِّ النار» رواه الترمذى، ونَعَرَ العرق بالدم: إذا ارتفع.

- «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان الشىء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال بإصبعه هكذا - أى وضع سبَّابته على الأرض ثم رفعها - وقال: بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى به سقيمنا بإذن ربنا» رواه البخارى ومسلم. ولفظ أبي داود «كان النبي ﷺ يقول للإنسان إذا اشتكى - يقول بريقه، ثم قال به في التراب... وذكر الحديث» ومعناه: أن يَتْفُل - أي ينفخ - في يديه، بعد القراءة، يضع أصبعه في التراب، ثم يمسح المريض به.

- «أن رسول الله ﷺ، كان إذا أتى مريضًا، أو أُتِيَ به إليه، قال: أذهب الباسَ ربَّ الناس، اشف أنتَ الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سَقَمًا» البخاري ومسلم، وفيهما «أن رسول الله ﷺ كان يعوِّذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: . . . الحديث».

- عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ، كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات، وينفُث، فلما اشتدَّ وجعه كنتُ أقرأ عليه، وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها» البخاري ومسلم، ومعلوم أن النبي ﷺ جاءه في مرضه أعظم أطبَّاء العرب ووضعوا له الدواء وكان يشربه في مرضه الذي توفَّاه الله فيه.

- «أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيتَ؟ قال رسول الله ﷺ: نعم، فقال جبريل: باسم الله أرقيك، من كل داءٍ يؤذيك، ومن شر كل نفس وعين، باسم الله أرقيك، والله يشفيك» رواه مسلم والترمذي.

- «أتاني رسول الله ﷺ، وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ: امسح بيمينك سبع مرات، وقل أعوذ بعزَّة الله وقدرته من شر ما أجد وأُحاذر» رواه مسلم والترمذي وأبو داود.

- «مَن عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل اللهَ العظيمَ ربَّ العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله عز وجل من ذلك المرض» رواه أبو داود الترمذي وحسَّنه.

- «كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ إذْ مرَّ به الحسن والحسين وهما صبيَّان، فقال: هاتوا ابنيَّ أعوذهما بما عوَّذ به إبراهيم ابنيْه إسماعيل وإسحق، قال: أعيذكما بكلمات الله التَّامَّة، من كل عين لامَّة، ومن كل شيطان وهامة» رواه الطبراني، وفي رواية «كان يعوِّذ الحسن والحسين، أعيذكما بكلمات الله التامة، من شر ما خلق وذرأ وبرأ».

- «إذا وجد أحدكم ألمًا فليضع يده تحت ألمه، ثم ليقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته على كل شيء، من شر ما أجد» رواه أحمد والطبراني.

- «بسم الله الرحمن الرحيم، أعيذك بالله الأحد الصَّمد الذي لم يولد ولم يلد ولم يكن له كفوًا أحد، من شر ما تجد» أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

- «هذه الكلمات دواء من كل داء، أعوذ بكلمات الله التامَّة، وأسمائه كلها عامَّة، من شر

السامَّة والهامة، ومن شر العين اللامَّة، ومن شر حاسد إذا حسد، ومن شر أبي قِتْرة وما ولد» أبو يعلى والبزار والطبراني، وأبو قترة كنية إبليس عليه اللعنة.

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يكره عشر خلال... وذكر الحديث وفيه الرُّقَى بغير المعوِّذات، وعقد التمائم» رواه أبو داود والنسائي. والتمائم: التعاويذ والحروز. وعقدها: تعليقها على الإنسان.

الطفل حياته غبطة وسرور.. وقبضه من أهله أجر كثير

* عن معاذ بن جبل رضي الله عنه «أنه مات ابن له، فكتب إليه رسول الله ﷺ يعزِّيه بابنه، فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، فإن أنفسنا وأموالنا وأهلنا من مواهب الله الهنية، وعواريه المستودعة، متَّعك الله به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير، الصلاة والرحمة والهدى إن احتسبتَه، فاصبر ولا يحبط جزعُك أجرك فتندم، واعلم أن الجزع لا يردّ ميتا، ولا يدفع حزنا، وما هو نازل فكان قد، والسلام» رواه الطبراني.

- «أخذ رسول الله ﷺ ابنه إبراهيم، فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تَذْرفان، فقال ابن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة، ثم اتبعها بأخرى فقال: إن العين تدمع، والقلب يخشع، ولا نقول إلا ما يُرْضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم محزونون» رواه البخاري ومسلم. فالنبي ﷺ مات له أبناء وبنات وأحفاد وأزواج وأعمام وعمات، وماتت أمه ومات من قبل أبوه. فهو ﷺ قدوة الخلق في كل الأمور والأحوال.

- «لمَّا حُضِرتْ بنتٌ لرسول الله ﷺ - أي بنته زينب - أخذها رسول الله ﷺ وضمَّها إلى صدره، ثم وضع يده عليها، فَقَضَتْ وهي بين يدي رسول الله ﷺ، فبكت أم أيمن، فقال لها رسول الله ﷺ: يا أم أيمن أتبكين ورسول الله ﷺ عندك؟ فقالت: مالي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي، فقال رسول الله ﷺ: إني لستُ أبكي، ولكنها رحمة، ثم قال رسول الله ﷺ: المؤمن بخير على كل حال، تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل» رواه النسائي وهو حديث حسن.

- «كان النبي ﷺ إذا جلس، يجلس إليه نفر من أصحابه، فيهم رجل له ابن صغير

يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه، فـهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلْقة، لذكر ابنه، ففقــده النبى ﷺ فقال: ما لى لا أرى فلانا؟ قالوا: يا رسول الله، بُنَيُّهُ الذى رأيتَه هلك، فلقيه النبى ﷺ فسأله عن بنيه؟ فأخبره أنه هلك، فعزَّاه عليه، ثم قال: يا فلان، أيُّما كـان أحبُّ إليك: أن تتمتّع به عـمرك، أو أن تأتى إلى باب من أبواب الجنة إلا وجـدتَه قد سبقك إليه يفتحه لك؟ قال: يا نبى الله، بل يسبقنى إلى باب الجنة فيفتحها لى لهوُ أحب إلىّ، قال: فذاك لك» رواه النسائى وإسناده صحيح.

- «مَن كان له فَـرطَان من أمتى دخل الجنة بهـما، قالت عائشة: فـمن كان له فَرَط من أمتك؟ قال: ومن كان له فرط يا موفَّقة، قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: أنا فرط أمتى، لم يصابوا بمثلى» رواه الترمذى وإسناده حسن، والـفرط: السابق المقدَّم، وهو هنا: من مات لإنسان ولد صغير فهـو فرط له. وإن سؤال عائشة توفيق من الله لها، إذ نزل جبريل فأخبر بهذا الأجر والثواب لمن مات له ابن واحد.

- عن أبى حسَّان قال: قلت لأبى هريرة: «إنه قد مـات لى ابنان، أفما أنت محدِّثى عن رسول الله ﷺ بحـديث يطيِّب أنفسنا عن موتانا؟ قـال: نعم، صغارهم دَعَـاميصُ الجنة، يتلقَّى أحدهم أباه - أو قال أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال بيده - كما آخذ بصنفة ثوبك هذا، فـلا ينتهى حـتى يدخله الله وأباه الجنة» رواه مـسلم. الدعـاميص: جـمع دُعْموص، وهى دُوَيِّـبة من دوابِّ الماء تضرب للسواد، شـبَّه الطفل بها لصغـره وسرعة حركته.

- «قال النساء للنبى ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما فى نفسك، فوعدهن يوما لقـيهن فيـه، فوعظهن وأمرهـن، فكان ممّا قال لهن: ما منكن امرأة تقدِّم ثلاثة من ولدها، إلا كان لها حجابا من النار، فقالت امـرأة: واثنين؟ فقال: واثنين» رواه البخارى ومسلم. وفى رواية «لم يبلغوا الحنث» أى صغارا لم يكتب عليهم الذنوب.

- «أتت امرأة بصبيٍّ لها، فقـالت: يا نبى الله، ادع الله لى فلقد دفنْتُ ثلاثة، فقال: دفنْت ثلاثة؟! قالت: نـعم، قال: لقـد احـتَظرتِ بحظـار شـديد من النار» رواه مسلم. احتظرت: امتنعت.

- «مَن قدّم ثلاثـة لم يبلغوا الحنث، كـانوا له حصنًا حـصينًا، قال أبو ذر: قدّمتُ اثنين؟ قال: واثنين، فقال أُبَىّ بن كعـب سيِّد القراء: قدمتُ واحدًا؟ قال: وواحدًا، ولكن إنما ذلك عند الصدمة الأولى» رواه الترمذى. أى الجزاء على الصبر عند ابتداء وقوع الموت.

- «ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته» رواه البخاري والنسائي. وروى النسائي أيضا «من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة، فقالت امرأة: أو اثنان؟ فقال: أو اثنان، فقالت المرأة: يا ليتني قلت: واحداً».

- عن بريدة رضى الله عنه قال: «كنت عند النبي فبلغه أن امرأة من الأنصار مات ابن لها فجزعت عليه، فقام النبي ﷺ ومعه أصحابه، فلما بلغ باب المرأة قيل للمرأة: إن نبي الله ﷺ يريد أن يدخل يعزّيها، فدخل رسول الله ﷺ فقال: أما إنه بلغني أنك جزعت على ابنك؟ قالت: يا نبي الله، ما لي لا أجزع وأنا رَقُوبٌ لا يعيش لي ولد؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما الرقوب الذي يعيش ولدها، إنه لا يموت لامرأة مسلمة، أو امرئ مسلم، نسمة، قال: أو ثلاثة من ولده يحتسبهم، إلا وجبت له الجنة، فقال عمر وهو عن يمين النبي ﷺ: بأبي وأمي، واثنين؟ قال نبي الله ﷺ: واثنين» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

- «من وُلد له ثلاثة أولاد في الإسلام، فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث، أدخله الله الجنة برحمته إياهم» رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات.

- «ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث، إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يوقفوا على باب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم» الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

حتى السقط يغفر لوالديه

* عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد، إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما، فقالوا: يا رسول الله، أو اثنان؟ فقال: أو اثنان، قالوا: أو واحد؟ قال: أو واحد، ثم قال: والذي نفسي بيده إن السقط ليجرُّ أمَّه بسرره إلى الجنة، إذا احتسبته» رواه أحمد والطبراني، وروى ابن ماجة منه: إن السقط إلى آخره.

يعيش حتى يصبح كهلا، أم يموت صغيرا أحب للمؤمن؟

- «أن رجلا كان يأتي النبي ﷺ مع ابنه، ثم إن ابنه توفّي، فوجد عليه أبوه قريبا من ستة أيام لا يأتي النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: لا أرى فلانا؟ قالوا: يا رسول الله، إن ابنه توفي فوجد عليه، فقال له رسول الله ﷺ: يا فلان، أتحب أن ابنك عندك

كأنشط الصبيان نشاطا؟ أتحب أن ابنك عندك أجرأ الغلمان جراءة؟ أتحب أن ابنك عندك كهلا كأفضل الكهول؟ أو يقال لك: ادخل الجنة ثواب ما أخذ منك؟» رواه أحمد، وفى رواية عنده أيضا «ألا تحب أن لا تأتى بابا من أبواب الجنة إلا وجدته يتنظرك؟ فقال رجل: يا رسول الله: أله خاصة أم لكلنا؟ قال: بل لكلكم» ورواه النسائى ورجال أحمد رجال الصحيح.

من لم يمت له ولد قد يتحسر يوم القيامة

– قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون الرقوب فيكم؟ قلنا: الذى لا ولد له، فقال: ليس ذلك بالرقوب، ولكنه الرجل الذى لم يقدم من ولده شيئًا» رواه مسلم. الرقوب: من لا يعيش له ولد، فنقله النبى ﷺ إلى من لم يمت فى حياته ولد، مثل حديث الكتف إذ سأل ﷺ عائشة رضى الله عنها: هل بقى من الشاة؟ قالت: لم يبق إلا كتفها، قال: بل لم يفن إلا كتفها.

الصغير يُغَسّل ويُصلَّى عليه

– «لما مات إبراهيم ابن النبى ﷺ، صلى عليه ﷺ فى المقاعد» رواه أبو داود. والمقاعد: اسم مكان.

– «الراكب يمشى خلف الجنازة، والماشى كيف يشاء منها، والطفل يصلى عليه» رواه الترمذى والنسائى وأبو داود.

– «يقرأ على الطفل فاتحة الكتاب، ويقول: اللهم اجعله سلفًا وفرطًا وذخرًا وأجرًا» رواه البخارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه.

السقط يصلى عليه

* روى أبو داود عن النبى ﷺ: «السقط يصلى عليه، ويُدْعى لوالديه بالمغفرة والرحمة» وأخرجه أحمد وإسناد أبو داود صحيح.

كيف يصلى على الصغير مع غيره

* «حضرت جنازة صبى وامرأة، فقدِّم الصبى مما يلى القوم، ووضعت المرأة وراءه، فصلِّىَ عليهما، وفى القوم أبو سعيد الخدرى وابن عباس وأبو قتادة وأبو هريرة، فسألتهم عن ذلك؟ فقالوا: السنَّة» رواه أبو داود والنسائى.

- «أن النبي ﷺ صلى على ابنه إبراهيم، فكبر عليه أربعًا» رواه أبو يعلى.

- «أن أبا طلحة رضي الله عنه دعا رسول الله ﷺ إلى عمير بن أبي طلحة حين توفي، فأتاهم رسول الله ﷺ، فصلى عليه في منزله، فتقدم رسول الله ﷺ، وكان أبو طلحة وراءه، وأم سليم وراء أبي طلحة، ولم يكن معهم غيرهم» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

الحزن والبكاء على الطفل لا يمنع من الأجر

* عن سيرين أخت مارية القبطية رضي الله عنهما قالت: «حضرتُ موت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وكنت كلما صحتُ وأختي صاح النساء، ولا ينهانا، فلما مات نهانا عن الصياح، وحمله إلى شفير القبر والعباس إلى جنبه، ونزل في القبر الفضل بن العباس وأسامة بن زيد، وأنا أبكي، فما نهاني» رواه الطبراني.

ما يقول من مات له ولد

* عن أبي سنان الحنفي قال: «دفنتُ ابني سنانا، وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر، فلما فرغتُ قال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى، قال: حدثني أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد» رواه الترمذي وأحمد. وحمدك واسترجع: أي قال: الحمد لله على كل حال، إنا لله وإنا إليه راجعون. فما أعظم الإيمان، طفل يموت على الأرض، وحوار رباني ملائكي من أجله في الملأ الأعلى.

بعض الآداب مع الطفل

* إذا كانت هناك أنصبة يراد توزيعها، أو طعام، أو شراب، وغير ذلك، فالسنة أن نبدأ بمن على يمين من يقوم بالتوزيع، حتى ولو كان من على اليمين طفلا، أو نستأذنه في حقه أن نعطي الأكبر منه قبله ويرضى بذلك. روى البخاري ومسلم «أن رسول الله ﷺ أُتيَ بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغر القوم، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: والله يا رسول الله، لا أُوثر بنصيبي منك أحدًا، فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يده» أي وضعه في يده. ومع هذا إذا كان الساقي

أو الموزع من غير الجالسين في المجلس فعليه أن يبدأ بالكبير. «كان رسول الله ﷺ إذا سقى، قال: ابدأوا بالكبراء، أو قال: بالأكابر» رواه أبو يعلى والطبراني ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

– عن عبد الله بن أبي حبيبة رضى الله عنه، وقيل له: ما تذكر من رسول الله ﷺ: قال: «جاءنا رسول الله ﷺ في مسجدنا بقباء، فجئت وأنا غلام حدث حتى جلستُ عن يمينه، وجلس أبو بكر عن يساره، قال: ثم دعا بشراب، فشرب، وناولني عن يمينه» رواه الطبراني وأحمد ورجاله ثقات.

* وأدب الصغير في السَّير مع من هو أكبر منه، أن يَتَنَحَّى عن اليمين لمن هو أكبر منه. عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ إلى المربد، فخرجت معه فكنت عن يمينه، فأقبل أبو بكر، فتأخَّرتُ له، وكان عن يمينه وكنت عن يساره، ثم أقبل عمر فَتَنَحَّيْتُ له، وكان عن يساره، فأتى رسول الله ﷺ المربد» رواه أحمد. المربد: المكان الذى يوضع فيه التمر حتى يجفّ.

أول من يأكل باكورة الثمر طفل

* يراعى عند ظهور فاكهة من الفواكه، أو ثمرة من الثمار، فى أول موسمها، إذا حضرت، أن يعطيها لأصغر الحاضرين من الأطفال. روى مسلم «أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بأول الثمر، فيقول: اللهم بارك لنا فى مدينتنا، وفى ثمارنا، وفى مُدِّنا، وفى صاعنا، بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضر من الوِلْدان» وروى الطبراني فى الكبير والصغير ورجال الصغير رجال الصحيح «كان رسول الله ﷺ إذا أُتى بالباكورة من الثمار قبَّلها، ووضعها على عينيْه، ثم قال: اللهم كما أطعمتنا أوّله فأطعمنا آخره ثم يأمر به للمولود من أهله» وفى رواية «كان إذا أُتى بباكورة الثمرة أعطاها أصغر مَن يحضره من الوِلْدان».

النهى عن الدعاء على الولد

* مما تعمُّ به البلوى، أن كثيرا من الأمهات، يفعلْنَ فيدعين على أولادهن، وقد تقول إحداهن: هذا الدعاء ليس من قلبى، ولكن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك فقال: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يسأل فيها عطاء فيستجيبَ لكم»رواه مسلم.

بركة حضور الطفل دعاء ختم القرآن

* من أوقات استجابة الدعاء، عقب ختم قراءة القرآن الكريم، لذلك يستحب جمع الأهل والأولاد عند هذا الدعاء لتعمّهم بركته، فعن ثابت البناني «أن أنس بن مالك رضى الله عنه، كان إذا ختم القرآن، جمع أهله وولده، فدعا لهم» رواه الطبرانى ورواته ثقات.

يكره التفريق بين الصغير ووالده فى المجلس

* مما يراعيه الشرع، الحرص على مشاعر الأبوّة والبنوّة، حتى فى الصغير من السلوك، لأن الطفل يأمن بجانب أبيه، والأب يشفق على الابن فى بعده عنه، لذلك روى الطبرانى بسنده عن النبى ﷺ: «لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه فى المجلس» وهذا التوجيه يُسْتهدى به فى أنماط السلوك والمواقف المشابهة، كالمتابعة فى ركوب المواصلات، أو عند استضافة الوالد وابنه، فلا تفرق فى الجلسة بينهما، وهكذا.

يستحب البشاشة مع الأطفال

* الطفل على فطرته، لا يحمل همًّا، ولا يحب الهمَّ، ويحب المرح والسرور، ويكره العبوس والنكد. روى البزار بسنده «كان النبى ﷺ من أفكه الناس مع صبىّ» وروى الترمذى عن عبد الله بن الحارث «ما رأيت أحداً أكثر تبسُّما من رسول الله ﷺ».

تطلُّع الطفل إلى الطَّريف من الأشياء

الطفل يحب العطاء، ويحب من يعطيه، ويحب من يهتم به ويقدره، والطفل يرتبط بذهنه، أن القادم إلى البيت سيحضر له شيئًا معه، ويتطلع إليه، ولو كان ضيفًا، ويهش لمجرد حضور من تعوَّد منه أن يعطيه شيئًا، وأى شىء، ولو كان قطعة من الحلوى، أو البسكويت، أو قلمًا، أو مسطرة، أو كراسة، المهم أنه ينتظر شيئًا ويتطلع له. فالمستحسن من الكبار، وخاصة الضيوف لبيت فيه أطفال، أن يحملوا لهم شيئًا معهم، وهى عادة طيبة يجب الحرص عليها وإشاعتها، وهذا يحسن مع الكبير، فما بال الطفل الصغير، وقد قال رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا»رواه البيهقى. وقال ﷺ: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»رواه ابن ماجة.

- روى الخرائطي وابن عدي بسندهما عن النبي ﷺ: «من حمل طُرفة من السوق إلى عياله، فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم». إن ذلك الأدب في التعامل مع الأولاد، له من الآثار الطيبة في نفوس الصغار، ما لا يعلمه إلا خالق الخلق، العليم بما في النفوس وما يصلحها.

الحرص على تحفيظ الطفل شيئا من القرآن

* بركة القرآن في نفس الطفل وقلبه وعقله وذاكرته، لا تحتاج إلى أدلة تساق لظهورها، بجانب الثواب في الآخرة، للطفل وللوالدين والمعلمين. يقول النبي ﷺ: «من قرأ القرآن، فاستظهره، فأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، أدخله الله به الجنة، وشفّعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت لهم النار» الترمذي. واستظهره أي حفظه عن ظهر قلب. وروى أبو داود عن النبي ﷺ: «من قرأ القرآن وعمل به، أُلبس والداه تاجًا يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟»

****

ﻉ

الفصل التاسع
كيف يكتسب الطفل الصفات؟

* قلب الصغير قابل لكل ما نقش فيه.
* التدرج، وتعاطى الأفعال طريق الاكتساب.
* الطفل وخلق النظافة والترتيب: فى بدنه، فى ملابسه، فى فراشه وحجرته، فى مكتبه وحقيبة مدرسته، فى الشارع والمدرسة، الوقت والترتيب.
* كيف يكتسب الطفل القدرة على التحصيل المدرسى والتفوق؟ مجتمع المدرسة، آثار دخول المدرسة قبل السن المناسبة، المطلوب للطفل من الوالدين، كيف يكتسب الطفل القدرة على الاستذكار وأداء الواجبات المدرسية؟ كيف ينظم وقت الطفل؟ الطريقة الصحيحة فى التحصيل والتفوق، الطريقة العلمية لاستذكار درس أو موضوع، كيف نتعامل مع الطفل ضعيف الذكاء.
* الطفل وبر الوالدين، الخطوات العملية.
* الطفل واكتساب المعايش. كيف يتكسّب الطفل منذ نشأته؟

* قلب الصغير قابل لكل ما نقش فيه

- يقول الإمام الغزالي في الإحياء: اعلم أن طريق تهذيب الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبيان أمانة عند الوالدين، وقلبه جوهرة طاهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوِّد الخير، وعُلِّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه والداه، وكلُّ معلِّم له ومؤدِّب، وإن عُوِّد الشر، وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه والوالي له، ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدِّبه، ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوِّده التَّنعُّم، ولا يحبِّب إليه الزينة والرفاهية، فيضيِّع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد، وينبغي أن يراقبه من أوَّل أمره، وأوَّل ظهور مخايل العقل عليه، ظهور الحياء لديه، فإنه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال، فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه، وهذه بشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب، وهو مبشِّر بكمال العقل عند البلوغ، فالصبي المستحي لا ينبغي أن يُهمَل، بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه.

- يقول الغزالي أيضًا: ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعوَّد النفس جميع العادات الحسنة، وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليه مواظبة مَن يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعَّم بها، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها، والأخلاق الجميلة تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وبمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم، وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع، والشر والخير سواء في ذلك. والأصل في تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء. وكل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة، وإنما بالاعتياد والتربية تتهذَّب أخلاقه. وكلما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يُكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك مرَّة، فينبغي أن يتغافل عنه، فإن عاد ثانيا فيعاتب سرًا، ولا يكثر عليه العتاب في كل حين، فإن ذلك يهوِّن عليه الملامة، ويسقط وقع الكلام من قلبه، ويحسن أن يظل للأب عنده هيبة من أن يوبِّخه، والأم تخوِّفه بالأب.

*التدرج وتعاطى الأفعال طريق الاكتساب

* الصغير سريع القبول للعلاج جدا، لعدم المعارضة عنده من كبر وعناد ورياسة، فيمكن ترسيخ الخلق فيه بسهولة، عكس الكبير إذ يصعب معه التغيير، وإن كان ممكنا، حيث يتضاعف عنده الجهد والمجاهدة، إذ عليه أن يقتلع ما رسخ فى نفسه أولا، وما اعتاده، ثم غرس صفة الصلاح واعتيادها. والصفات الحميدة متعاونة وبعضها مرتبط ببعض، والصفات الخبيثة يستدعي بعضها بعضا، ويجبر بعضها إلى بعض، ويبدأ باكتساب الصفة الحميدة الأهم، فإن المشاغل كثيرة والوقت لا يتّسع لإتقان الجميع، فالحزم أن يصرف الطاقة فى اكتساب أهم الصفّات، ثم يأخذ من كل صفة أحسنها إن تيسّر له، حتى يستكمل ما يقدر عليه فيما بعد.

– وينبغى أن يتقن الطفل والصغير الطريق الحميدة المرضية، والصفات الحسنة، حتى يشب على الأنس بها وحبها والرغبة فيها، فلا يضرّه بعد ذلك أن يعرف الطرق الأخرى، لأنه بتكوينه أصبح نافرا منها، مصدودا عنها.

– التّدرُّج فى التربية والتدريب والإرشاد لازم حتى يكتسب الطفل الصفة، أو المهارة، أو لترسيخ الاعتقاد والخلق. فالصفات الخلقية والمبادئ الاعتقادية، مثل المهارات العضوية، تحتاج إلى التدرج فى اكتسابها، وتكرار فعلها، حتى تُكتسب وتُتقن، وتؤدَى بسهولة ويسر، وبلا جهد أو صعوبة، مثل من يتعلم مهنة قيادة السيارات، أو تعلم لعبة رياضية، فإنه يتعلمها شيئا فشيئا، وبتكرار فعلها، تصبح سهلة على من يتعلمها بعد أن كانت صعبة وشاقة، بل بكثرة التكرار يمهر فيها ويؤديها بإتقان وكفاءة، مع اليسر فى أدائها، وبأقل الجهد. فاكتساب الأخلاق رياضة ومجاهدة، بأن يحمل النفس على الأعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب، فمن أراد أن يحصِّل خلق الجود والكرم، فطريقه أن يتكلّف تعاطى فعل الجوّاد، وهو البذل للآخرين، وخاصة بالمال، فلا يزال يطالب نفسه بالبذل، فيواظب على العطاء ويتكلّفه رغم مشقّته على النفس، فيجاهدها، حتى تألف نفسه فعل البذل، ويتيسر عليها فعله، ومع التكرار والوقت، تعتاد النفس البذل فيصير طبعا لها، ويصير بذلك جوّادا.

– العلم بتهذيب الأخلاق، خلاف مباشرة التهذيب، فالعلم والتحصيل دافع قوى للفضيلة والرغبة فى اكتساب الخلق، ولكن لا تُكتسب الصفة والخلق بمجرد تحصيل العلم بها، إذ لابد من مباشرة الأفعال المكسبة للصفة وللخلق، مثل ذلك مثل الإيمان، لابد

من العمل بمقتضاه، ومن الأمثلة المجربة فى ذلك، ما حكاه سهل بن عبد الله التسترى، وهى حكاية مفيدة، لأن التجربة تُطْلع على دقائق من العلم يستغرب سماعها، مع أنه يعظم نفعها، يقول سهل رحمه الله: كنتُ وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار، فقال لى يوما: ألا تذكر الله الذى خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قُلْ بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرِّك به لسانك: الله معى، الله ناظر إلىَّ، الله شاهدى. فقلت ذلك ليالى، ثم أعلمتُه، فقال: قل فى كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع فى قلبى حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لى خالى: احفظ ما علمتك ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدتُ لذلك حلاوة فى سرِّى، ثم قال لى خالى يوما: يا سهل، من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده، أيَعْصيه؟ إياك والمعصية.

- يقول الإمام الغزالى: ينبغى أن يمنع الطفل من كل ما يفعله فى خِفْيَة، فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح، فإن تُرِك تعوَّد فعل القبيح.

- ويقول الغزالى أيضا لتوضيح الإرشاد ودرجات الاعتقاد، علما وعملا: يبدأ مع الصبى فى تقديم العقائد ليحفظها حفظا، ثم لا يزال ينكشف له معناها فى كبره شيئا فشيئا، فابتداؤه بالحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيقان. ويحصل ذلك للصبى بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان، أن شرحه فى أول أمره للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وسبيله أن يشتغل بتلاوة القرآن، وتعلم التفسير، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلَّة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من فوائد وشواهد الأحاديث، وبما يسْطع فى قلبه من أنوار العبادات، وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم، فيكون أول التلقين كإلقاء البذر، وتكون هذه الأعمال كالسَّقْى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر، ويقوى ويرتفع شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء.

* الطفل وخلق النظافة والترتيب

* يقول النبى ﷺ: «إن الله طيِّب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظِّفوا أفْنِيَتكم، ولا تَشَبَّهوا باليهود» رواه الترمذى. فالنظافة خلق ربَّانى، والله سبحانه يحب النظافة، ويحب النظيف، والنظافة مطلوبة فى كل شىء، فى

أبداننا وبواطننا، وفى ملبسنا وفى مطعمنا، وفى بيـوتنا وأفنيتنا، فى شوارعنا، وحدائقنا وأماكن أعـمالنا، فـى مدارسنا وأمـاكن لعبنا، وهكذا. روى الطبـرانى عن النبى ﷺ: «طهِّروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تطهِّر أفنيَتَها» فأمة الإسلام لابد أن تتفوَّق على سائر الأمم، ومن ذلك أن تختصّ بالنظافة، وتُعرف بالنظافة. روى ابن حبان فى الضعفاء عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ: «تنظَّفوا فـإن الإسلام نظيف» وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن النبى ﷺ: «النظافة تدعو إلى الإيمان».

– شرع الإسلام اجتناب النجاسات الحسية والمعنوية، الحسية كالبول والبراز، والمعنوية كالشـرك ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ وجـاء فى الحديث عـن دعـاء دخول الخـلاء – أى دورات المياه– «أعوذ بالله من الخُبُث والخبائث» أى ذكور الشـياطين وإناثها. فالشـياطين خبيثة وتحب مواطن الخبائث، والمشركون أنجاس فى نفوسهم المشركة، ويعتادون مخالطة النجاسات، بعكس المؤمن الطاهر، فى باطنه وفى ظاهره، والعـبادات قائمة على النظافة الحسية والمعنوية، فـدخول الإنسان من البداية فى الإسلام من الكفر، يـجب فيه الغسل للبدن، ثم التوبة من الشرك بالتلفظ بالشهـادتين، والصلاة يجب لها الطهارة من الحدث الأصغـر، ومن الحـدث الأكبر، وهـى طهرة من الذنوب، والزكـاة طهرة للمـال بنص الحديث، ومـعناها اللغوى: النماء والزكـاة أى الطهرة، والصوم طهـرة للنفس والبدن، فالصوم جُنَّة، أى وقاية من الذنوب والآثام، وهى الخبائث المهلكة، والحج يلزمه التطهر ظاهرا، وباطنا، وحتى النفقـة إذا كانت حراما فلا يقبل منه، وهكذا العـبد دائم التَّطهُّر الحسى والمعنوى، بطهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات. وهم فى ذلك – أى العبـاد – فى تشبّه دائم بخلُق الملائكة المـقدسين المطهريـن، والملائكة تحب الطهارة، والله ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقـرة: ٢٢٢] والعمل على اجتناب الشـهوة والغضب والحقد والحسـد والكبر والعجب والبخل وأمثال ذلـك، هو تزكية النفس حتى يمكن بعد تخليـتها من هذه الخـبائث، تحليتـها بصفـات الحلم والمودّة والتواضع والكرم وأمثال ذلك من محاسن الأخلاق. فالنظافة إذًا نظام الدين وملاكه.

* وواجب الوالدين العمل على تنظيف الطفل وتعليمه وتدريبه وتحبيبه للنظافة، وأن يكون نظيفا، وقد كان الرعـيل الأول من المسلمين يحرصون على تنظيف أولادهم، عن أسمـاء بنت عُـميْس رضى الله عنهـا وهى زوجة جـعفـر بن أبى طالب رضى الله عنه قالت: «لما أصـيب جعـفر وأصحـابه، دخل علىّ رسول الله ﷺ، وقد دبـغْتُ أربعين

ميتة، وعجنت عَجْنى، وغسلتُ بنىَّ، ودهَّنتُهم، ونظفتهم... الحديث» رواه ابن ماجة وأحمد. فلم يمنعها عن تنظيف وتطييب أولادها، أنها قامت بدبغ أربعين فروة لأربعين ذبيحة، ومن أنها عجنت العجين. وهذه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنها تهتم بنظافة وملبس الحسن رضى الله عنه، يقول أبو هريرة رضى الله عنه: «خرجت مع النبى ﷺ فى طائفة من النهار، لا يكلمنى ولا أكلمه. حتى جاء سوق بنى قَيْنُقاع، ثم انصرف حتى أتى مخْدع فاطمة، فقال: أَثَمَّ لكع؟ - يعنى حسنا - فَظَنَنَّا أنه إنما تحبسه أمُّه لأن تغسله، أو تلبسه سخابا، فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه» رواه البخارى ومسلم.

وأما تعليم الطفل النظافة فيبدأ منذ يميِّز الطفل بين ما هو نظيف، وما هو قذر وغير نظيف.

بالنسبة لبدنه:

١ - يتوضأ، أو يغسل يديه ووجهه ورجليه قبل أن ينام كل ليلة.

٢ - يتوضأ، أو يغسل يديه ووجهه ورجليه بعد استيقاظه كل يوم.

٣ - يغسل يديه قبل وبعد كل تناول للطعام.

٤ - يغسل يديه كلما تلوَّثت.

٥ - يغتسل بعد كل لعب طويل، أصابه العرق بسببه.

٦ - يغتسل على فترات متقاربة صيفًا، وبانتظام شتاءً كل ثلاثة أيام.

٧ - يقلِّم أظافر يديه ورجليه كلما اقتضى الأمر، بحيث يتعهدها مرة كل أسبوع، ويحسن أن يكون ذلك قبل الغسل للجمعة.

٨ - يغسل شعر رأسه مرة كل يوم، ويحافظ على نظافته وتسريحه، وخاصة البنت.

٩ - يتعوَّد تنظيف أسنانه بعد كل طعام، وقبل النوم، ويخصص له فرشاة أسنان.

١٠ - يحتفظ معه بقدر من مناديل ورق الوجه، لتجفيف العرق، وللتَّنخُّم فيها، أو البصاق، ويضع المستعمل فى سلة المهملات.

١١ - يجفِّف الأذنين بالقطن بعد كل اغتسال.

١٢ - يخصص للطفل فوطة يجفِّف بها وجهه وبدنه، تعلق فى الحمام، ولا يستخدم غيرها.

بالنسبة لملابسه:

١ - تُرتَّب فى مكان مخصّص لها، وبحيث لا تختلط بغيرها، ويُراعى تهويتها ونفْضها قبل ارتدائها.

٢ - توضع الملابس التى استعملت ويراد غسلها فى مكان خارج الحجرة يخصص لها.

٣ - تعلّق الملابس التى تستعمل على علاقات مخصصة للطفل تكون فى متناول يديه، ويحذّر بشدةً من وضعها غير معلقة فى الأماكن المعدّة لها.

٤ - يفضل أن يكون للطفل ملابس خاصة للنوم، خلاف الملابس التى يمارس فيها نشاطاته أثناء يقظته.

٥ - يفضل لبس جورب جديد أو مغسول كل يوم، ويوضع المستعمل فى الحال بمجرد خلعه فى المكان المخصص للغسيل.

٦ - يحافظ على نظافة الحذاء، من داخله، ومن خارجه، مع دهنه بالدهان المناسب، وأن يخصص لكل طفل مكان للأحذية بالقرب من باب البيت، بحيث يضعه بمجرد خلعه، وقبل أن يدخل به حجرات البيت، ويفضل أن يكون له فى نفس المكان - شبشب - يلبسه داخل البيت، ويفضل أن يعودًّ ألا يلبس حذاء، أو شبشب إخوته.

٧ - يفضل أن يتدرب الطفل على كيِّ ملابسه بنفسه، وأن يتم ذلك لكل الملابس التى تكوى بمجرد غسلها، ثم وضعها فى أماكنها، ولا يعودًّ على كيِّها عند ارتدائها.

٨ - يجب ألا يتعودَّ تلويث ملابسه، أو ارتداء الملابس الملوثة، ويتم زجره على ذلك بعد التعليم والتفهيم المناسب.

٩ - يلقَّن الطفل أن نظافة الملابس مظهر إسلامى، وخلق جميل، وأن الملابس النظيفة والبسيطة، أفضل قيمة من الملابس الثمينة، وأن العناية بالنظافة أهم من العناية بالأغلى ثمنا فى الملابس.

بالنسبة لفراشه وحجرته:

١ - عدم استخدام الفراش إلا للنوم والراحة، والمحافظة عليه نظيفًا مرتبا، بوضع

الغطاء، والفرش، والمخدات، كل فى موضعه، وترتيبه بعد الاستيقاظ من النوم وقبل دخول الحمام للتعوُّد على ذلك.

٢ - يتم نفض الفراش عند النوم والتأكد من خلوّ الفراش والأغطية من أى شىء قد يكون علق بها.

٣ - يتم تعويد الطفل أن يقوم بتهوية فراشه بنفسه، إن أمكنه ذلك، ويتعوَّد أن يغير الملاءات والأغطية بنفسه، وأن يضع المستعمل، والمراد غسله فى المكان المخصص لذلك.

٤ - لا يضع على الفراش أى شىء من أدواته، أو لعبه، ولا يلقى عليه أية مهملات، أو قصاصات الورق وغيره.

٥ - يفضل ألا ينام الطفل إلا فى فراشه، ولا ينام فى فراش غيره، إلا للحاجة، وإذا نام فى فراش غيره، فلا يتركه إلا نظيفًا ومرتَّبًا مثلما يفعل فى فراشه.

٦ - يحافظ على تهوية مكان النوم، وتجميل الحجرة بما يناسب عمر الطفل، وتنظيفها يوميا، وأن يشارك الطفل فى ذلك، حتى ولو كان البيت فيه مَن يخدم ويقوم بذلك، وحتى يعتاد الطفل النظافة والترتيب عمليا فى حياته بعد ذلك.

٧ - يفضل أن تكون حجرة نوم الطفل مضاءة دائما، وحتى أثناء نومه، ولا يعوَّد على الظلام. وأن يقوم الطفل بنفسه بإطفاء اللمبات الكبيرة قبل نومه، مع بقاء لمبة صغيرة مضاءة. كما يفضل أن يوضع بالقرب منه - كشاف، أو بطارية - لاستخدامها عند انقطاع الكهرباء.

٨ - يفضل أن يكون لكل طفل غطاء مستقل، بحيث لا يشترك مع إخوته فى الغطاء الواحد، وخاصة أخته، ويلزم ذلك إذا بلغ أيهما سبع سنين.

بالنسبة لمكتبه وحقيبة مدرسته:

١ - يمسح المكتب ويرتب ما عليه قبل الجلوس عليه.

٢ - توضع عليه، وفى أدراجه، الأدوات، والكتب، والكراسات، كل فى موضعه، ويحافظ على أن توضع هذه الأشياء فى موضع معين، لا يتغيَّر، حتى لا يبحث عنها فى كل المواضع فيضيع الوقت والترتيب، ويخصص مكان للحقيبة المدرسية، أو تعلق خالية من الأدوات والكتب.

٣ - لا يوضع فى حقيبة الطفل المدرسية إلا المطلوب استعماله فى كل يوم مدرسى، وحسب جدول الحصص المدرسية، ويشدّد فى ذلك، حتى لا يحمل يوميا كل ما يملأ الحقيبة ويعود بها دون استعمال، وللمحافظة عليها، ولسهولة استخراج المطلوب منها. ويتم يوميا، وقبل النوم، وضع المطلوب استعماله فى اليوم المدرسى التالى.

٤ - يشدّد على الطفل، بأن لا يمزّق شيئا من الكتب، أو الكراسات، حتى يُنتهى منها، فتُجنب فى مكان مخصص لتصرف فيها، وحبذا لو أعيرت، أو أهديت لطفل آخر يحتاج إليها.

٥ - يشدّد على الطفل، بأن لا يكتب بخطه على صفحات الكتب، أو يلوِّثها، إلا أن يكتب شرحا، أو ملاحظة علمية مناسبة، فيكتبها منسّقة وبخط جميل.

٦ - توضع سلة مهملات قريبة من الطفل، يضع فيها ما يتخلّف من قصاصات الورق أو النفايات المختلفة، أولا بأول، ويحذر من إلقاء شىء من ذلك، على المكتب أو على أرض الحجرة. ويفضل أن يوضع على المكتب علبة مناديل ورق للاستعمال.

٧ - يفضل أن تتم مراجعة محتويات الحقيبة المدرسية، مع الطفل وبموافقته، عند عودته من المدرسة، وعند إعدادها لليوم المدرسى التالي، حتى يطمئن الوالدان على سلوك الطفل، بعدم إحضار شىء لا يخصه من المدرسة، وللاطمئنان على وضع كل المطلوب لليوم الدراسى، ويجب متابعة ومراجعة كتبه وكراساته، وأدواته للاطمئنان على الدراسة، ومن أجل الإرشاد وتوجيه الطفل، وإذا احتاج الأمر لتفتيش الحقيبة، أو الأدراج من ورائه، فيفضل ألا يعلم الطفل بهذا التفتيش، وقد سبق بيان ذلك فى الفصول السابقة.

٨ - يراعى إضاءة مكان مذاكرة الطفل إضاءة جيدة، وتوفير كرسى مريح مناسب لعمره، وتهوية الحجرة أثناء المذاكرة، ويحسن تزيين الحجرة والمكتب بما يحبه الطفل حتى يرتاح للمكان ولا يملّ الجلوس للمذاكرة.

٩ - الأفضل للطفل تعليق أشيائه على الحائط، فى حقائب قماش وغيره، ليسهل عليه استخدامها وحفظها. وتكون بألوان جميلة ومفرّحة، ويمكن صناعتها على أشكال الحيوانات والطيور، وحتى تتسع الحجرة له، ولغيره.

بالنسبة للشارع والمدرسة:

١ - يخصص فى حقيبة المدرسة كيس بلاستيك فارغ، يضع الطفل فيه كافة المخلفات، ويفرغها، أو يلقيه بما فيه، عند عودته من المدرسة، ويحذر من إلقاء شيء فى الشارع.

٢ - يحافظ على مكان جلوسه بالفصل فى المدرسة، نظيفًا، ويطالب بمسح المكان بفوطة توضع بالمكان، أو بمنديل من الورق، قبل الجلوس عليه فى بداية اليوم المدرسى.

٣ - يمنع من إلقاء شيء فى الفصل، أو دورة المياه، أو فى حوش المدرسة، وإذا كانت هناك سلة للمهملات فيمكنه إلقاء الأشياء فيها.

٤ - يعوَّد، ويطالب، ويشجع، على التقاط ما يلقى فى هذه الأماكن، وحتى لا تؤذى زملاءه، أو معلميه، ويضعها فى سلة المهملات.

٥ - يحذر من قطع شيء من المزروعات والأزهار، فى المدرسة، أو فى الطريق، ويعوَّد المحافظة عليها، فإن أصحاب الحضارات المادية يعتبرون تصرف الطفل فى هذه الحالة دليل مستوى الحضارة.

٦ - يشارك الطفل فى أنشطة المدرسة، للنظافة، والتجميل، والزراعة، وغير ذلك، حتى يتعلم ذلك، ويحافظ على ما بُذل من جهد فيها، بالمحافظة عليها.

٧ - يمنع الطفل من الكتابة والعبث على الحوائط، فى البيت، أو الشارع، أو الفصل، أو المدرسة، وإذا أحب الطفل فى مرحلة قبيل المدرسة، أو خلال فترة الدراسة، أن يعبث بالقلم - يشخبط - يفضل تخصيص كراسة تخصص لذلك، ويترك الطفل يمارس فيها هوايته، وقد يؤدّى ذلك إلى اكتشاف قدرة فنية لديه.

بالنسبة للوقت والترتيب:

* لاشك أن هناك علاقة بين الوقت والترتيب، فترتيب الشئون، والأشياء، لا يكون إلا فى وقت، والوقت بالضرورة محدود بالساعات، والأيام، والأسابيع، والشهور، والسنين. فإذا ضيعت الساعات ضاع اليوم، وإذا ضاع اليوم ضاع الأسبوع، وهكذا يضيع العمر بلا كثير فائدة.

١ - يحسن أن نعوِّد الطفل على ترتيب شيء لكل وقت، حتى الراحة ترتب، فأوقات

للراحـة، وأوقات للنوم، وأوقـات للّعب، وأوقات للطعـام، وأوقات للمـذاكرة، وأوقات للعبادة، وأوقات للبيت، وأوقات لخارج البيت، وأوقات للزيارة، وأوقات للمدرسة، وأوقات للفسحة والتـفرّج، وأوقات للهوايات والتدريب على المهارات، وهكذا بحيث لا يخلو وقت من شغل مقصود، فلا يترك شيئًا للفراغ.

٢ - يوضع ذلك كله في جداول، وتتابع مع الطفل حتى يعتـاد تنظيم وقته، والاستفادة منه.

٣ - أعظم ما نعلمه الطفل، المحافظة على المواعيد، وضـبطها، وعدم طغيان عمل على وقت عمل آخر.

* كيف يكتسب الطفل القدرة على التحصيل المدرسي والتفوّق؟

يقول النبي ﷺ، وهو مـعلم البشرية: «علّمـوا، ويسّروا، ولا تعـسّروا» رواه أحمد، ويقول ﷺ: «إنما العلم بالتّـعلّم، وإنما الحلم بالتّحلّم، ومَن يتحـرَّ الخير يُعْـطَهُ، ومَن يَتّقِ الشرَّ يوقَهُ» رواه الطبراني.

* الطفل ومجتمع المدرسة الجديد

* يـبـدأ الطفل مرحلة هـامة ورئيـسيـة في حيـاته، عند أول خطوة له إلى المدرسـة الابتـدائية، ويعـتبـر الصف الأول الابتـدائي أخطر وأهم ما يؤثـر في مسـتقـبل الطفل الدراسي. فإذا تقبل الطفل مجتمع المدرسة، وأمكن أن يكون متفوّقًا في الصف الدراسي الأول، فغالبا ما يصاحبه التفوّق في بقية مراحل التعليم، ما لم يطرأ له من العوارض ما يمنع هذا التفوّق.

- والآباء والأمهات والمعلمون، يحملون عبء هذا التقبّل وهذا التفوّق من الصغير، بتوفير الطمأنينة وتجنب القلق عند الصغيـر، وخاصة بعدم إظهار الاهتمام الزائد، والذي يشعر الصغير بالرهبة، وأنه منتـقل إلى أمر لا قبل له به، ومدفوع به إلى ما يشق عليه، وفي نفس الوقت عليـهم أن يعملوا على إيجاد الثـقة في نفس الصغـير، بتهـوين الأمر عليه، وتيسير مهمته، وتهيئة الجو المحبب إلى نفسه في البيت والمدرسة، وعلى المعلمين أن يدركوا أن المدرسة بالنسـبة للصغير، عالم جـديد، حيث يخالط لأول مرة مجـتمعا خارج مجتمع أسرته.

* آثار دخول المدرسة قبل بلوغ السن

* لهفة الوالدين على أن يلتحق الصغير بالمدرسة مبكراً، وقبل أن يبلغ عامه السادس، كثيرا ما تكون من عوامل الإرهاق المُضعف لذهن الصغير، ولقلة تحصيله، حيث لم يكن قد اكتمل نضجه الجسمى والعقلى بالقدر الملائم للمرحلة التعليمية، فيبدأ المرحلة ضعيفًا عن مستوى أقرانه بالصف الدراسى، ممّا يكون له الأثر عليه، سواء فى تكيُّفه مع الأقران، أو فى إحراز التفوُّق فى الصفوف الدراسية التالية. وتحديد سن القبول فى المرحلة الابتدائية بالعام السادس، له ما يبرره علميا وواقعيا.

* المطلوب من الوالدين لطفل المدرسة

* الطفل الصغير يقضى معظم وقته بالبيت، وهو محضنه الطبيعى، ويخرج للمدرسة ثم يعود للبيت، فعلى الوالدين تهيئته وإعداده قبل الخروج إلى المدرسة، ثم إحسان استقباله عند الحضور من المدرسة، وتشجيعه عند الخروج وإزالة قلقه، وتهدئته والعمل على راحته عند عودته حتى يستعيد نشاطه وطاقته النفسية.

- بخصوص الاستذكار، والتَّعويد عليه، على الوالدين فى البيت ثلاثة أمور: تهيئة الجو الملائم للاستذكار، وإعانة الطفل بالشرح والتوجيه، متابعة الطفل فى دراسته، متابعة مستمرة، مع الطفل، ومع المدرسة.

١ - بحسب إمكانيات الأسرة، يخصَّص مكان مناسب، ومكتب صغير، وكرسى، ومكتبة، أو أدراج، مع توفير سبل الراحة الكافية، والهدوء اللازم وقت الاستذكار، وتوفير الطمأنينة بإحساس الطفل بقرب أفراد أسرته منه، وعدم عزله كليًّا عنهم، وعدم إشغاله، بالنداء عليه، أو بتكليفه بأداء بعض الأعمال أثناء استذكاره.

٢ - فى بداية العام الدراسى على المعلمين ألا يثقلوا على التلميذ الصغير، والجديد على الدراسة، بالواجبات الدراسية، وعلى الوالدين فى البيت أن يقدما العون المناسب للصغير، بالشرح والتوجيه، والمعاونة على الفهم، والتدريب والتشجيع على الجلوس للاستذكار، مع تحذير الوالدين من أن يقوم أحدهما بعمل الواجب نيابة عن الصغير، حتى لا يتعوّد على الاعتماد فى ذلك على غيره، وليتعلم هو بنفسه، ويكتسب الثقة فى النفس، والدُّرْبة على عمل الواجبات، وقد يكون الدافع

للوالدين، هو إرضاء المعلم فى المدرسة عن الطفل، والسرور منه لحسن وجودة كراسته، وهذا فى الحقيقة هدف ثانوى إذا قُورن بالأضرار الشديدة على الطفل من جرّاء ذلك. ويكفى أن يتدخل أحد الوالدين بالمساعدة القليلة عند الاحتياج للتدخل الفعلى. كما يجب تحذير الوالدين أيضا من مداومة الجلوس بجانب الطفل أثناء قيامه بالاستذكار، وإلا تعوَّد ألا يستذكر إلا بحبس أحد الوالدين بجانبه، حتى عندما يكبر، وليس ذلك بالطبع فى مقدور أحد منهما، وتخليص الطفل من هذه العادة إذا تعوّدها يكون صعبا، عمليا ونفسيا. والاعتدال فى ذلك، أن نطمئن على بدء الطفل فى الاستذكار، ثم نتغيَّب عنه بقصد، ثم نُعاود الاطمئنان عليه، وهكذا على فترات مناسبة، ليتعود على الاستقلال بنفسه، والاعتماد على جهده، والاستغناء عن وجود الآخرين، حيث سيقوم بحل الاختبارات فى المدرسة بعيدا عن أحد الوالدين. ويجب أن يلاحظ أن الطفل قد لا يتعوّد بذل الجهد الذى فى مقدوره، اعتماداً على بذل الجهد من أحد الوالدين نيابة عنه فى حل الواجب.

وهذه الملاحظة نفسها قد يتّسبب عنها وجود مدرس خصوصى للطفل. وفى هذا خطر إضعاف قدرة الطفل، وتحريك الدافعية عنده. فيجب عدم المساعدة إلا عند التأكد من عدم قدرته بدون مساعدة، وفى الحدود التى لا يستطيعها وحده، ثم تشجيعه على الإنجاز المستقل، وتحفيزه على الإنجاز، وإظهار السرور به، والمديح له، حتى يصبح الاستذكار مصدرا لسروره وسعادته.

٣ - يجب على الوالدين متابعة حالة الطفل مع المدرسة، أولا بأول، والرجوع إلى مدرس الفصل، أو المدرسة، للوقوف على ملاحظاته على الطفل، من الناحية الاجتماعية ومدى توافقه ومسايرته مجتمع المدرسة، وللوقوف على مستواه العلمى، وما يراعى مع الطفل بالبيت، فقد يكون الطفل ماهرا فى أداء واجباته فى البيت، إلا أنه يقصِّر فى أداء الاختبارات فى المدرسة، فيمكن التوصل إلى معرفة السبب، مثل أنه تحدث له رهبة داخل الفصل، أو نتيجة لتسرّع الطفل فى الإجابة قبل التركيز على فهم السؤال، فبالتعاون بين الوالدين والمعلم يمكن علاج حالته، بتنبيه الطفل من المعلم عند الإجابة، وبقيام الطفل بحل نماذج الاختبارات فى البيت بإرشاد الطفل لطريقة الحل السليمة.

* قد يجيب الطفل عن الأسئلة فى البيت أمام أحد والديه بطريقة سريعة وسهلة

تدل على تفوّقه، وفى نفس الوقت يحصل فى المدرسة على درجات ضعيفة عند اختباره بواسطة المعلم فى الفصل، وغالبا ما يكون وراء ذلك، اختلاف الطريقة فى شرح الموضوع من الوالدين، ومن المعلم فى المدرسة، فغالبا ما يكون الوالدان قد تعلما فى صغرهما بناء على طريقة قد تغيرت عما يتعلم بها طفلهما، مما يجعلهما يشرحان للطفل بطريقة يفهمها ويحل بناء عليها أمامهما حلا سريعا صحيحا، ثم يؤدى الاختبار بناء على الطريقة التى تعلمها فى البيت، فتخالف النتائج والطرق المتبعة فى المدرسة، وبالطبع التصحيح يجب أن يراعى طرق التدريس بالمدرسة، وليس البيت. والمثال على ذلك، أن أم أحد التلاميذ ذهبت إلى مدرسته لتشتكى من انخفاض درجات ابنها، على الرغم من قيامه بالحل الصحيح دائما فى البيت، وبمراجعتها وُجد أنها تلجأ إلى الطريقة التقليدية فى شرح مادة الحساب فى الطرح مثلا بأن تسأله: ١٦ - ٩ . فيجيب الطفل أمامها: = ٧، وهذه هى الطريقة التى تعلمتها الأم، فى حين أن الطريقة المتبعة من المعلم فى المدرسة طبقا للطريقة الحديثة يقول للطفل: إذا ذهبت إلى محل بقالة لتشترى شيئا ثمنه ٩ قروش، وفى جيبك ١٦ قرشا، فهل تخرج له كل ما معك وهو ١٦ قرشا، أم تعطيه العشرة قروش فيرد لك قرشا؟ فالنتيجة أنك تضيف القرش إلى الستة قروش لتصبح سبعة. فالطريقة القديمة التى تشرح بها للطفل ويجيب بناء عليها تتكون من خطوة واحدة، فى حين أن طريقة المدرسة تتكون من خطوتين. لذلك يفضل أن يحصل الوالدان على كتاب دليل المعلم للصف الذى يمر به الطفل لتعلم طرق التدريس المتَّبعة مع الطفل فى المدرسة.

* كيف نحبّب القراءة إلى الطفل؟

* تعلق الطفل بالقراءة ينبع من تعلقه بالكتاب، فالمدخل هو أن نحبب إليه الكتاب وأن يتعوّد على قضاء بعض الوقت مع كتاب يحبه، مثل توفير بعض الكتب التى لا تحتوى إلا على الصور التى يحبها للحيوانات والطيور وغيرها، فيقوم بتصفُّحه وتلوين الصور فى الكتاب، وتمليكه لكتاب حتى يحرص عليه ويطلبه، ومصاحبة الطفل لأحد الوالدين لشراء هذا الكتاب واختياره بنفسه من المكتبة، وعند دخوله المدرسة يفضل تكوين مكتبة صغيرة للطفل، تحتوى على الكتب المصورة، وبعض القصص المصورة، وبعض المجلات التى تصدر للأطفال، وتشجيع الطفل على قراءتها ومناقشته فيها، واستحسان ما يقوله من حكايات نقلها من الكتب، حتى يحرص على القراءة وحتى يُستَمع له.

- يفضل تعويد الطفل الجلوس على المكتب منذ صغره، وخاصة بعد دخوله المدرسة، لأن ذلك من أسباب التفوّق فى الدراسة، ولأن ذلك يساعده على التركيز، وتقدير الوقت المناسب للاستذكار، وإمكان حساب الوقت وتنظيمه، وقد سأل طالبٌ استاذًا مربيا فى الجامعة عن كيفية تحقيق حلمه بأن يصبح أستاذًا للأدب المقارن فى الجامعة، فيحفظ عدة لغات أجنبية ويتقنها؟ فأجابه الأستاذ بعد تفكير، فقال له: هل تستطيع أن تجلس على مكتبك ست ساعات يوميا؟ إن استطعت ذلك، تحقق لك ما تريد.

* كيف ينتظم الصغير فى الاستذكار؟

* قد يترك الطفل فى بداية أمره، لاختيار الوقت الذى يؤدى فيه واجبه المدرسى، لإشعاره بأنه يؤدّى شيئا ليس مفروضا عليه، وبشرط أن يؤديه يوميا، وقبل أن ينام ليلا. ولكن شيئا فشيئا، نعوّده على نظام محدّد، مع مراعاة رغباته وأخذها فى الاعتبار، طالما يؤدى النظام المتوصّل إليه إلى تحقيق الغرض بأداء واجباته المطلوبة. أما قراءاته الخاصة، وهواياته، فالأفضل ترك تنظيم وقتها للطفل نفسه، مع حسن التوجيه له.

- والغالب أن يحضر الطفل من المدرسة مرهقا وجائعا، فيحسن أن يتناول طعامه، ثم يستريح، أو يلعب. ثم يبدأ فى الوقت المحدد للاستذكار مدّة كاملة، يتخللها وقت قصير للراحة، يمكن أن يتناول خلاله مشروبا منشطا. ويشدّد على الاعتياد فى قضاء الوقت الكامل الواجب للاستذكار، وحتى ينتهى من المطلوب منه، لأن تنظيم الوقت، وأداء الواجبات بانتظام هما مفتاحا النجاح والتّفوّق الدراسى، وهما أمران يتحققان بالاعتياد، والاعتياد يأتى بالمواظبة والتكرار. ونحفّز الطفل ونشجعه ونحقق له وعُودَهُ كلما التزم وانتظم فى أداء واجباته فى الأوقات المحدّدة، ويكون ذلك بعد تنفيذ ما عليه وما هو من ناحيته، ثم نحقق له ما هو من ناحية الوالدين، وليس العكس، فمثلا إذا طلب أن يلعب ثم يستذكر، نطلب منه أن يستذكر أولا ثم يلعب. وبهذا يعتاد أداء واجباته، ويتعلم النظام وينظم أوقاته.

* يتفق خبراء التعليم والمربون، على أن تنظيم الوقت، وأداء الواجبات بانتظام يوميا، ومنذ أول العام الدراسى، وطوال الدراسة، هما أساس التفوّق الدراسى، حيث إنه وُجد أن الأكثرين من المتفوّقين، ليسوا أذكى من غيرهم، كما أنهم ليسوا مرتفعى

درجة الذكاء، إلا أنه يغلب عليهم النظام والاستمرار فى أداء واجباتهم يوميا، فإنهم ينظمون أوقاتهم ويقومون بشغلها بكفاءة واعتياد.

– تنظيم جدول الاستذكار، يبدأ من أول العام الدراسى، ومن الصف الأول الابتدائى لأهميته، فالطفل يتهاون فى الدراسة أول العام، ويستطيل المدة ويؤجل الاستذكار، فيضيع الوقت بلا استفادة، ولا يتمكن من تدارك المطلوب منه، وقد تستهوى إحدى المواد الطفل لسهولتها، أو لحبه لها، أو لتفوّقه فيها حتى يحافظ على هذا التفوّق، فيترك استذكار المواد الأخرى، أو يؤجل ذلك حتى يتفارط أمره، ولا يجد فى آخر العام الوقت لاستذكارها، أو لأن المدرس الخصوصى للمادة أرهقه بالواجبات ليضمن نجاحه فى مادته على حساب وقت المواد الأخرى. لذلك كله، يجب الالتزام بجدول، يحدِّد المواد كلها، وتوزيعها على الأيام والأوقات، وتحديد الوقت المطلوب للاستذكار عموما كل يوم، ولكل مادة من المواد المطلوب استذكارها، ويحدّد وقت الراحة خلال فترة الاستذكار.

– يتضمن الجدول الأمور التالية: مراجعة الدروس التى أعطيت للطفل خلال اليوم الدراسى فى المدرسة والتى تم شرحها، ويجيب على الأسئلة المتعلقة بها، وهذه المراجعة هى التى تركز فى ذاكرته ما استفاده من الشرح، مع ربط موضوعات المادة فى ذهنه. الأمر الثانى: مراجعة عامة أوليّة للدروس والمواد التى ستعطى له فى المدرسة فى اليوم التالى، وحتى يتعرف على النقاط التى يحتاج إلى فهمها عند شرح المدرس لها، فيتفتّح ذهنه جيدا عند الشرح، أو يسأل المدرس عمّا غمض عليه ولم يقم المدرس بشرحه. الأمر الثالث: يراجع بعض المواد لكل ما تمت دراسته لها منذ أول العام، الأمر الرابع: تحديد أوقات الدروس الخصوصية، وأوقات أداء واجباتها بحيث لا تطغى على أوقات المواد الأخرى. ويمكن تعديل هذا الجدول خلال العام الدراسى لمواجهة الصعاب فى إحدى المواد، أو لحدوث عوارض تستغرق بعض الوقت غير المتوقع عند وضع الجدول مثل المرض أو السفر أو غير ذلك من العوارض.

– يُعطَى الطفل راحة تامة من الاستذكار عقب دروس الخميس بالمدرسة وإلى ما بعد ظهر الجمعة، ويزاول خلالها الأنشطة التى يرغب فيها، حتى يعود بنشاط ورغبة للاستذكار. وينصح التربويون بألا ينام الطفل وهو مُجهد ذهنيا، ولذلك يرتب الجدول بحيث ينهى فترة استذكاره بمادة سهلة الفهم، ومحبّبة للطفل، وأن يكون هناك ما يشغل

ذهن الطفل قبل نومه بغير أمور الاستذكار، وبأن يقضى بعض الوقت ما بين الانتهاء من الاستذكار وما بين النوم.

الطريقة الصحيحة لاستذكار موضوع

* المذاكرة النشطة، أو التحصيل الفعال لدرس أو موضوع، يجب أن يتّبع فيه الخطوات التالية:

١ - فكرة عامة عن الموضوع تؤخذ من خلال تقسيماته عن الطريقة الأولية. وهو ما يسمى بالمسْح للموضوع أو للدرس.

٢ - يعيد القراءة لنفس الموضوع فقرة فقرة، ثم يسأل نفسه بين الحين والآخر حول ما يقرؤه فى نهاية كل نقطة هامة فى الموضوع، ويحسن أن يكتب السؤال على ورقة منفصلة. وهو ما يسمّى بالتساؤل عن النقاط الهامة التى يتضمنها الموضوع. ومن خلال الإجابة على هذه الأسئلة تدون النقاط الهامة، إما فى هامش الكتاب، أو فى كراسة تحضير خاصة، ويعيد قراءة الموضوع بعناية، ويراجع فى ذهنه ما كتبه من نقاط.

٣ - يعيد على نفسه، دون النظر فى الكتاب - أى تسميع - تقسيمات الموضوع ونقاطه الهامة، للتأكد من قدرته على استرجاع الموضوع من الذاكرة، وهذا التسميع يظهر تطابق ما حصّله، أو وجود فجوات فى الموضوع تحتاج إلى إعادة قراءة وفهم. ويحسن أن يكون هذا التسميع بصوت عالٍ، أو تدوين هذه النقاط في ورقة من غير نظر فى الكتاب، ثم يعاود النظر فى الكتاب ليتحقّق من تطابق المعلومات. وجدير بالذكر، أن القراءة بصوت مرتفع لا تستحب إلا فى الحفظ، وعند التسميع، وفى القراءة كلها يجب التعوّد على القراءة بدون صوت، وهو ما يسمىّ بالقراءة الصافية.

٤ - يقوم بمراجعة نهائية للموضوع، مع توصيل وربط الأجزاء المرتبطة بالفصل، سواء فيما سبق منه، وما يلحق من الموضوع. ثم يقوم بتكرار قراءة وتسميع النقاط الهامة، لأن التكرار يثبّت المعلومات فى الحافظة طويلة الأجل، فيمكن الاحتفاظ بها لحين استدعائها لمدد طويلة، أما الفهم والحفظ السريع بدون تكرار، فيجعل العقل يحتفظ بالمعلومة فى الذاكرة قصيرة الأجل، فتُنْسى بعد مدة قصيرة، وهذا

الفارق لا يتفطَّن إليه الكثير، حيث يكتفى بمجرد الفهم والحفظ للمعلومة وقت الاستذكار، فيعتمد على هذا الحفظ، الذى سرعان ما يتلاشى من الذاكرة القصيرة الأجل، حيث يحل غيرها من المعلومات فيها.

٥ - يحسن عند استذكار الدرس التالى، إعادة استرجاع تقسيمات الدرس السابق ونقاطه الهامة، للربط بين أجزاء الموضوع فى الفصل الواحد.

* حالة التأخر الدراسى

* الطفل الذى بذل الجهد الدراسى الواجب عليه، قد لا يحقق طموحات الوالدين الراغبين فى التفوّق، وقد يرجع ذلك لأسباب منها: ضعف قدراته فى التحصيل، أو عدم توافقه مع المواد التى يدرسها برغم قدراته العالية، والتى يمكن أن تحقق التفوق فى مواد أخرى، أو غير ذلك من الأسباب، والواجب على الوالدين، مادام الطفل مؤديًا للواجبات، وباذلاً الجهد الكافى، ألا يقسوان على الطفل، أو يكثران من لومه ومقارنته بغيره، حتى لا يصاب بالإحباط فتتفاقم حالته، أو يضطر إلى الغش فى الاختبارات، أو يصاب بالقلق والتوتر العصبى والنفسى، فعليهما أن يبحثا عن سبب تأخره الدراسى والتغلّب عليه، أو تحويل مساره التعليمى إلى ما يناسبه، أو يرغب فيه.

* الطفل وبرُّ الوالدين

* قد يحفظ الطفل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التى توجب بر الوالدين، ولكنه قد لا يكون بارًا بوالديه، إما لأن الوالدين لم يكونا بارين بوالديهما، فيكون عقوق الأبناء عقوبة ربانية فى الدنيا لوالديهما، وإما لأن الطفل لا يعرف كيف، وبماذا يصبح بارًا بوالديه، وإما لعوارض أخرى، مثل قلة تديُّنه، أو لسوء الصحبة التى تصحبه من قرناء السوء. والسبيل إلى جعل الطفل بارًا بوالديه، أن يتوب والداه من ذنب عقوق والديهما، وأن يبراهما حتى بعد موتهما كما جاءت بذلك الأحاديث، وأن يعمل الوالدان على إقناع ولدهما بالابتعاد عن قرناء السوء وصحبتهم، والعمل على انخراطه فى جو التديّن والمتدينين.

وأما كيف نعلّمهُ عمليًا أن يكون بارًا بالوالدين، وأن يصبح ذلك خلقاً له فذلك يكون باتباع مثل هذه الخطوات:

١ - ألا يحقّر أحد الوالدين من شأن الآخر أمام الطفل، فيقل شأنه فى نفسه ويعتاد عدم احترامه، وألا يدع أحدٌ منهما الطفل يغضُّ من شأن الوالد الآخر، دون أن يزجره على ذلك.

٢ - أن يعوِّد الطفل أن يذكر والديه عند الخطاب بألفاظ الاحترام مثل أن يخاطبه بقوله: حَضرْتك.

٣ - ألاَّ يُحدَّ النظر لوالديه، وخاصة عند الغضب، قال رسول الله ﷺ: «ما برَّ أباه مَن سَدَّد إليه الطَرف بالغضب» رواه الطبراني.

٤ - لا يمشى الطفل أمام أحد والديه، ولكن يمشى بجانبه أو خلفه، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ: «لا تمش بين يدى أبيك، ولكن امش خلفه أو إلى جانبه» رواه الطبرانى.

٥ - إذا رأى أحد الوالدين يحمل شيئًا، يسارع فى حمله عنه، إذا كان حمله فى مقدرته.

٦ - إذا خاطب أحد الوالدين يخفض صوته، وإذا تحدث إليه أحدهما لا يقاطعه ويستمع إليه حتى ينهى كلامه معه.

٧ - إذا دخل عليه أحد والديه الحجرة، أو البيت، وكان راقدًا، فيقوم ويجلس احترامًا له، وإذا كان جالسًا وخاطبه فيقوم يحدثه وهو قائم، ولا يحدثه جالسًا وأبوه واقف.

٨ - إذا دخل على أحد والديه البيت، أو الحجرة، فيلقى عليه السلام، وإذا ألقى عليه أحدهما السلام فيرد عليه وينظر إليه مرحبًا.

٩ - إذا عطس أحدهما فيشمته وهو ينظر إليه ويقول: يرحمك الله يا أمى، أو يرحمك الله يا أبى.

١٠ - إذا احتاج إلى النِّداء على أحد والديه، فلا يرفع صوته أكثر مما يسمعه، ولا يناد عليه من بُعْد إلا للحاجة، وعليه الذهاب إليه والاقتراب منه، إلا إذا تعذر عليه، أو شق عليه ذلك.

١١ - إذا أكل مع أحد والديه، لا يبدأ الطعام قبله، وينتظره حتى يبدأ هو، إلا إذا أذن له فى ذلك.

١٢ - إذا كان يجلس مع أحد والديه، وأراد ترك المجلس للنوم، أو لشىء آخر، فعليه أن يستأذنه.

١٣ - إذا أراد أن ينام من آخر اليوم، فعليه أن يُحَيِّى والديه بمثل قوله: أتركك فى رعاية الله يا والدى، أو أتركك فى رعاية الله يا أمى.

١٤ - إذا استيقظ صباحًا فعليه أن يحيِّى والديه بمثل قوله: أصبحتِ بخير يا أمِّى، أو أصبحت بخير يا والدى.

١٥ - إذا خرج أحد والديه من البيت لمهمة، أو للعمل، فيقول له: فى حفظ الله يا أبى، أو فى حفظ الله يا أمى، أو يقول: أعادك الله لنا سالمًا غانمًا.

١٦ - إذا حضر أحد والديه من سفر، أو بعد غيبة، فيصافحه، ويقبِّل يديه، ويلْتزِمُهُ، ويقول له: الحمد لله على سلامتك يا أبى، الحمد لله على سلامتكِ يا أمى، ويقول: حللتَ أهلاً ونزلتَ سهلاً يا أبى، ويقول: لقد وحشتنا كثيرًا، واشتقنا لك كثيرًا، لا حرمنا الله منك ومن وجودك معنا.

١٧ - إذا أراد أحد والديه ارتداء ملابسه، أو حذائه، يحضره له، ويقف به يحمله له حتى يرتديه، أو إذا أراد أن يخلع ملابسه، فيقف ويأخذ ما قام بخلعه ويعلقه أو يضعه فى مكانه، ويكون جميلاً أن يعتاد فى بعض المرات، أن يجعل الحذاء فى رجليه، أو يخلعهما من رجليه، وفى كل الأحوال يسارع فى تناول الحذاء ويضعه فى مكانه، أو يسارع فى إحضاره له عندما يهم بلبسه. عن أنس - رضى الله عنه - قال: «إن النبى ﷺ قال ذات يوم لغلام من الأنصار: ناولنى نعْلى، فقال الغلام: يا نبى الله، بأبى أنت وأمِّى اتركنى حتى أجعلهما أنا فى رجلك، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إن عبدك هذا يترضَّاك فارْضَ عنه» رواه الطبرانى، فإن فعل ذلك مع الوالدين ففيه رضا الله.

١٨ - إذا نادى أحد الوالدين عليه، فيسرع فى إجابته بقوله: حاضر، أو نعم، ثم يلبى طلبه برضا نفس، وإذا كان مشغولاً بشىء يكره تركه، فيستأذنه فى الانتهاء منه، فإن أذن له، فيحرص على سرعة إنهائه ثم يلبى طلب الوالد، فإن لم يأذن له فلا يتضرر من الطلب، ويقول فى نفسه: والدى أعلم بالأصلح والأوْلى منى.

١٩ - إذا حضر ضيوف للبيت، فيقلل من حركته ويخفض من صوته، ويحترم ضيوف الوالدين ويحبهم، ويلعب مع أطفالهم ولا يمنعهم من اللعب بلعبه، ولا يغضبهم.

٢٠ - يدعو لهما، وخاصة فى الصلاة، ويفعل هو الخير من أجل أن يرضى عنهما الله تعالى.

٢١ - إذا مات أحد والديه، فيدعو له، ويتصدّق ويهب ثواب الصدقة له ويفعل ما استطاع من الخير ويهب ثوابه له، ويصل ودَّ مَن كان يحبهم والده، ويستمر فى صلته به.

٢٢ - لا يسبّ أحدًا، حتى لا يتسبَّب في سبِّ أحد والديه، لأن ذلك من أكبر الكبائر، ويجب التَّشديد على الطفل فى هذا الأمر.

٢٣ - إذا علم من أحد والديه سرًا، أو سمعه، فلا ينقله إلى أحد، ويُشدَّد عليه فى هذا الأمر، كما يشدّد عليه فى ألا ينقل كلامًا أو سرًا سمعه من أحد، وإذا كان الطفل يميّز ما يمكن وقوع الضرر منه من غيره من الحديث العادى، فلا ينقل إلا ما كان فيه منع الضرر، وإذا سمع عليهما كلامًا يكرهه فيردّه ولا يخبرهما حتى لا تتغير نفساهما.

٢٤ - لا يدخل على أحد والديه إلا بعد استئذان، فإذا كان أحدهما نائمًا فلا يقلقه بحركة أو صوت، ولا يوقظه إلا لحاجة مهمة.

٢٥ - يساعد والدته فى الأعمال، ولا يتأفف من طلباتها منه، ولا يأخذ شيئًا من الأطعمة أو غيرها إلا بإذن.

٢٦ - إذا كلّفه أحد الوالدين بعمل، أو الخروج لقضاء حاجة، فلا يتأفّف ولا يشتكى من كثرة التكليفات، بل يظهر الرضا والرغبة فى طاعتهما قربة إلى الله تعالى.

٢٧ - يظهر التودّد للوالدين، وحب التقرّب منهما، ويحاول إدخال السرور عليهما بكل ما يحبانه منه، من طاعة لهما، وحسن خلق معهما، والعمل على التفوّق المدرسى لإرضائهما، ويشكرهما دائمًا على ما قاما، ويقومان به نحوه ونحو إخوته وأخواته.

٢٨ - لا يكثر من الطلبات منهما، ويكتفى بما يحضرانه أو يعطيانه إياه، ويكثر من شكرهما على ذلك مثل أن يقول: جزاكما الله خيرًا وزادكما من فضله.

٢٩ - إذا مرض أحدهما، يلازمه ما استطاع، ويقوم بخدمته، ويحرص على راحته، ويتابع علاجه، ويكثر من الدعاء له بالشفاء.

٣٠ - يفضل أن يكون حافظًا للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التى توجب برّ الوالدين، وترهِّب من عقوقهما.

* الطفل والتكسُّب للمعايش

* مما عمت به البلوى فى عصرنا، تفشِّى البطالة، والفراغ، وهو ممَّا ساعد على فساد الأخلاق، وضياع القوى، وضعف الإنتاج والدخل القومى العام. إذ الملايين من أقوياء الشباب، لا يعمل، أو يعمل فى وظائف بلا إنتاج، وهو ما يسمّى بالبطالة المقنّعة. وقد ذكرت بعض التقارير: أن متوسط ساعات العمل الفعلية للموظفين بالحكومة والمؤسسات العامة وشركات القطاع العام لا يزيد على خمس وثلاثين دقيقة فى يوم العمل. ومن

مآسى العصر أيضًا أن أكثر من ثلث متوسط عمر الإنسان يقضيه فى التعليم والتدريب، قبل أن يؤدّى أعمالاً إنتاجية مادية لسدّ احتياجات الإنسان، فيظل طوال هذه الفترة عالة على الآخرين رغم محدودية دخل الكثيرين منهم.

- يجب أن يُنَشَّأ الصغير أثناء تعليمه وتدريبه، على اكتساب بعض الدخل والتدريب على ذلك، خاصة خلال فترات الإجازات المدرسية والجامعية. وهناك بالفعل بعض البلاد المصرية يقوم فيها الصغار بالكسب أثناء الدراسة، أو أثناء الإجازات، مثل مدينة دمياط، ومدينة إدكو، فالرجال، والنساء، والصغار، يعملون فى الحقول، وفى الورش المنزلية التى تمتلئ بها المدينة، فيحصل الصغار على أجور ينفقونها على أنفسهم أو يدّخرونها، وأصبح ذلك خلقًا وعادة.

- وحتى لا يظل الصغير عالةً على الآخرين أكثر من ثلث عمره، وهو فى قوة وفتوة، وحتى لا يعتاد انتظار الوظيفة سنوات بعد ذلك، أو يكتفى بالقليل الذى تدرّه الوظيفة والذى لا يكفى متطلبات الاستقلال ببيت أو أسرة، لابد من الاقتناع عمليا منذ الصِّغر بعدم جدوى الوظيفة إلا فى حالة الاضطرار، أو لسدّ احتياج وظيفى نافع وحقيقى يعود عليه منه ما يكفيه، بجانب أن يتدرب على الكسب فى الصغر فى مثل هذه الأعمال المقترحة:

١- أن يتدرّب على العمل فى البيت، فى الأعمال العادية ومساعدة والديه فيها، بجانب التدريب والقيام ببعض الأعمال التى يحتاج إليها فى البيت وتكون ذات مهارة يمكن اكتسابها مثل: أعمال السباكة، وبعض الأعمال الكهربية، أو بعض أعمال النجارة، أو دهان الأبواب والشبابيك والحوائط، وأعمال كَيِّ الملابس، وإصلاح بعض الأدوات المنزلية كالبوتاجاز، أو الدراجة.

٢- يجب تعويد الصغير، ومنذ صغره، على أن الأعمال التى يقوم بها شرف له، وأنها لا تغضّ من شأنه، وأن قيمة الإنسان بقدر ما ينتجه ويقدمه للمجتمع، وأن خُلُوَّ اليد من عمل يعد بطالة مكروهة شرعًا، واجتماعيًا، حيث جاء فى الحديث «من أمسى كالاً من عمل يديه، أمسى مغفوراً له» رواه الطبرانى، ثم نعيب أمامه مَن يتسكّع فى الشوارع بلا عمل، فى الوقت الذى يقوم بالإنفاق عليه أهله لمدد طويلة. ويجب أن يعلم أن مَن تعلّم وأنفق عليه أهله لا يبقى عاطلاً وفى إمكانه القيام بعمل، إذ أن بعض المتعلمين، أو أكثرهم فى قرى مصر، يستنكفون العمل فى الحقول، وفى بعض الأعمال بحجة أنهم متعلمون ويحملون مؤهلاً دراسيًا، وكأنها رخصة البطالة والترفّع عن الأعمال، وليست شهادة بقدرتهم على ممارسة الأعمال.

٣- يجب أن يلتحق الصغير أثناء العطلات من المدارس بأحد الأعمال فى المحال والورش الخاصة والمصانع، أو مشاركة والده فى أعماله الخاصة، زراعية، أو تجارية، أو مهنية، ويمكن تشجيع الصغير بإعطائه مقابلا ماليًا حتى يحب هذا العمل ويستمر فيه برغبة، وتتم متابعة الصغير فى كل العطلات بإلحاقه بتلك الأعمال حتى تزداد خبرته فيه، ويفكّر، ويرغب فى القيام بمثله عند اختيار عمله مستقبلاً، حيث لا يجد بعد ذلك غضاضة فى القيام بهذا العمل وأشباهه من الأعمال بعد حصوله على مؤهله الدراسى، وإن كان من الأفضل أن يكون مؤهله الدراسى فى مجال العمل الذى تدرب عليه منذ صغره. بل لعله يختار دراسته لتكون فى خدمة ما اختاره من عمل.

٤- يلزم تعويد الصغير على ادخار بعض المال، سواء من مصروفه الشخصى أو من مقابل ما يقوم به من عمل، وتترك فى بعض المشاركات فى المشاريع التى يقوم بها الكبار من أهله، ويفضل تشجيع الصغير على ذلك بأن تتفق معه على إضافة مثل ما يدّخره لحسابه الخاص كمكافأة على قبول مبدأ الادخار، وإذا لم توجد بعض المشروعات التى توضع فيها هذه المدّخرات الصغيرة، فيحسن وضعها فى أحد المصارف الإسلامية، وحتى تكون بعيدة عن متناول يد الصغير، فلا يقوم بإنفاقها عند كل حاجة، وحتى يزيد هذا المبلغ المستثمر فى المصرف، ولكى يتعلم الصغير فوائد الاستثمار بجانب فوائد الادخار، ويتنبه منذ الصغر لقيمة المال ونفعه فى الأعمال، فتتكوّن للصغير بذلك عقلية تجارية واستثمارية.

٥- نقوم بتعويد الصغير على القيام ببعض الأعمال التجارية المحدودة، كأن يشترى بعض الأدوات المنزلية، أو المعلَّبات والمأكولات، أو بعض الملابس، ثم يقوم الصغير ببيعها مباشرة لبعض الأقارب والجيران والمعارف، أو المرور بها على بعض المحلات، فيتعوّد أساليب التجارة، وطرق الشراء والبيع، ومصادر تلك الأشياء وأسواقها، وكيفية حفظها فى الفصول المختلفة، ومواسم الرواج فى البيع، وعادات الاستهلاك.

٦- يجب التّشديد على الطفل وتعليمه خلق الأمانة، والصدق، والحلال، والخوف من الكسب الحرام والغش فى المعاملة، ويحفظ هذه الأمور والأدلّة الشرعية لها مثل حديث **«ويلٌ للصانع من غد وبعد غد»** رواه الديلمى فى الفردوس فيفى بالمواعيد،

ولتعويده الصدق والأمانة وعدم الغش نذكر له حديث «لا يحل لأحد يبيع بيعًا، إلا بيَّن ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بيَّنه» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه البيهقى، ونذكر له ما يجعله يتحرى الحلال مثل «إن الله يحب عبده تَعِبًا فى طلب الحلال» رواه الديلمى فى الفردوس، ونعلمه النصيحة فى المعاملات بمثل حديث «خير الكسب، كسب العامل إذا نصح» رواه أحمد. وحتى نحبِّب إليه العمل وممارسته نذكر له قول النبى ﷺ: «قيل :يارسول الله، أى الكسب أطيب؟ قال: عمل الرجل بيده، وكل عمل مبرور» رواه أحمد والبزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ولترغيبه فى أعمال التجارة نذكر له «تسعة أعشار الرزق فى التجارة» رواه الحربى ورواته ثقات، ولتعويده على التكسُّب وبغض البطالة نذكِّره بقول رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبْله، فيحتطب على ظهره، خير من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله، فيسأله، أعطاه، أو منعه» رواه البخارى ومسلم. ومثل حديث «إن الله يحب المؤمن المحترف» رواه الطبرانى.

٧- نكرِّه إلى الصغير الفراغ والتعطُّل، لأن المباركين من خلق الله هم النافعون لغيرهم، والمستغنون بعملهم عن غيرهم. قال ابن مسعود رضى الله عنه: إنى لأكره أن أرى الرجل فارغا، لا فى أمر دنياه، ولا فى أمر آخرته. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ما من موضع يأتينى فيه الموت، أحب إلىّ من موطن أتسوَّق فيه لأهلى، أبيع وأشترى. وقال أبو قلابة رضى الله عنه: لأن أراك تطلب معاشك، أحب إلىّ من أن أراك فى زاوية المسجد. وقال أبو سليمان الدَّارانى رحمه الله: ليس العبادة عندنا أن تَصُفَّ قدميْك، وغيرك يقوت لك، ولكن ابدأ برغيفيْك فاحرزْهما، ثم تعبَّد. وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بنى، استَغْنِ بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط، إلا أصابه ثلاث خصال: رِقَّة فى دينه، وضعف فى عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الخصال الثلاث: استخفاف الناس به.

٨- نمدح الصغير كلما أدَّى عملا، أو اكتسب مالا، أو تعلم مهنة، وندعو له بالصلاح والفلاح، ونشجعه، ونترك له كل ما اكتسبه مهما كنّا فى حاجة إليه، ونشجعه على الادخار والاستثمار لأى مبلغ مهما كان صغيرا، وإذا فشل فى أى عمل، أو خسر مالا، فلا نلومه حتى لايصاب بالإحباط، بل نذكر له، أن شأن من يتاجر أو يمارس الأعمال أن يصاب بمثل ذلك، وأن الكثير من الكبار يحدث لهم مثل ذلك كثيرا،

وأن الله تعالى يختبره فإذا صبر واستمر متوكلا على الله تعالى فسوف يعوضه كثيرا.

٩- يعوّد الصغير، ومنذ صغره على التبكير فى القيام من نومه صباحا، وأن الأفضل ألا ينام بعد صلاة الفجر، ويلزم لذلك أن يكون الوالدان لايخالفان ما يقولانه للصغير، فتكون هذه عادتهما. قال رسول الله ﷺ: «الصُّبحةُ تمنع الرزق» رواه أحمد. والصبحة: النوم بعد صلاة الصبح. ودعا رسول الله ﷺ لمن لاينام بعد صلاة الصبح فقال: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها» رواه أحمد والطبرانى وأبو يعلى والبزار.

١٠-قال الإمام الغزالى: طلب علم الاكتساب، فريضة على كل مسلم ومسلمة، ليتميّز له المباح عن المحظور، وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه كان يطوف السوق ويقول: لايبيع فى سوقنا إلا مَن يفقه، وإلا أكل الربا، شاء أم أبى. قال الغزالى: فيتعلم:

أ - حسن النيّة فى الكسب، فينوى الاستعفاف، وأن يكفّ نفسه عن الطمع عن الناس، والاستعانة على سلامة الدين، وكفالة نفسه ومَن يعول.

ب - ينوى أن يقوم بفرض من فروض الكفايات، لأن انتظام أمر الكل بتعاون الكل، وتكفّل كل فريق بعمل.

جـ - ألا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وعن أسواق المساجد، وأن يذكر الله خلال أعماله.

د - أن يحرص على الحلال، ويتحرى الحرام فيتركه ويبتعد عنه، وأن يراقب الله فى كل أمره.

هـ - أن يُظهر عيْب صنعته، أو بضاعته ولو كانت خفيَّة، وإلا كان ظالما غاشّا، فربح الآخرة خير من ربح الدنيا، مع أن رزقها مضمون. فهذه المعانى يجب أن تترسّخ فى ذهن وقلب الصغير.

الفصل العاشر

أساليب معينة فى تربية الطفل تؤثر فى شخصيته

* المشكلات التى تفــــرزها مـــــرحلة الطـفــــولة.
* أسـلـوب التَّـــــسَلُّط.
* أسلوب الحـمـاية الزائدة.
* أسلوب التفرقة فى المعاملة.
* أسلوب الإهـمــــــال.
* أسـلـوب الـتــــدليـل.
* أسـلوب القـــــسوة

* بعض المشاكل التى تفرزها مرحلة الطفولة

* ينتج عـادة من اتباع أسلوب خـطأ فى تربية الطفل بـعض المشاكل التى تصـاحب أعراضُها الطفل فى سائـر حياته، إذ تؤثر فى شخصية الطفل واكتسـابه لبعض الصفات غير المرغوب فيـها. وأشهر هذه الأساليب التربوية الخاطئـة: التسلط، والحماية الزائدة، والإهمال، والقسوة، والتفرقة فى المعاملة، والتدليل.

* أسلوب التَّسلُّط

* والمقصود منـه أن الطفل يعامل من والديه بصرامة، وقـسوة، بأن يُمنع الطفل من تحقيق رغـباته، ويقابل بالرفض الدائم لطلبـاته، والمنع الدائم من تنفيذ رغبـاته، واتخاذ أسلوب اللوم والعـقاب معـه فى كل شئـونه، مع تحديد طريقة لأكل الـطفل، ونومه، ومذاكرته، وتعيين من يصادقهم ويلعب مـعهم، ونوعيات الملابس التى يرتديها الطفل، دون مراعـاة لرغبات الطفل، أو اعـتبار أى رأى له، أو إشـعاره أنه يتصـرف فى أموره الشخصية، وبالإجمال: يكون الوالدان هما كل السلطة فى إدارة أمور الطفل، وبزعم أن ذلك يعـوِّده على الجديِّـة والنظام والطاعة، ولذلـك يُحمِّلون الطفل بـالمهام التى تفـوق طاقاته، ويطلبون ذلك بالأمر والنهى وليس بأسلوب الإقناع والرفق.

– يترتب على أسلوب التـسلط، أن يصبح الطفل ضعيـف الشخصية، سلـبيًا، دائم الخوف، مترددًا، غير واثق من نفسه.

– والأسلوب المطلوب اتبـاعه سبق بيـانه فى الفصـول السابقة، ونذكِّـر، بأنه يجب الرفق فى مـعاملة الطفل، والتـسامح، وتقبل سلوك الطفل مع تشجيـعـه، وأن نعوده المناقشة وإبداء الرأى، وننمِّى فيه الثقة بالنفس، مع روح من الصداقة الوالديّة معه، ومع مساعدته على الإنجاز، وتقديره والاهتمام بأعماله، ولا نكلفه ما لا يطيق من الواجبات.

* أسلوب الحماية الزائدة

* عادة ما يتم مع الابن الوحـيد، أو البنت الوحيدة فى الأسـرة، أو الذى جاء بعد تأخـر فى الإنجـاب، أو الطفل الأول فى الأسـرة، فـيظهـر على الوالديـن القلق على سلامته، والخوف عليه من المرض، فيتم متابعة الطفل، والإشراف على جميع تصرفاته، ومراقبة سلوكه تجاه أى موضوع يواجهه، مع الحرص الشديد، والتدخل فى شئون الطفل

إلى درجة القيام بها نيابة عنه، فلا يتاح للطفل اتخاذ القرار بنفسه، وينم سلوك الوالدين دائما معه عن الخوف الشديد عليه، وحمايته حماية زائدة.

- هذا السلوك من الوالدين يؤدى إلى إضعاف شخصية الطفل، ويصبح دائم الاعتماد على الآخرين وغير مستقل برأى، كما يتصف بعدم التركيز، وعدم النضج، وانخفاض مستوى الطموح، وينسحب فى أكثر المواقف، كما يتصف أيضًا بفقدان التحكم الانفعالى، ويرفض تحمل المسئولية، وتسهل استثارته، ويضعف عند اتخاذ القرار.

- وبالطبع يجب تجنب هذه العيوب فى السلوك معه، مع تبنِّى تنمية قدرات الطفل، وتشجيعه على الاستقلال، وأن ندعه يتعلم من أخطائه، وأن يحل هو بعض المشكلات مع توجيهه فى ذلك فقط، وأن نتركه يخوض المواقف بنفسه، مع المراقبة والمساعدة عند عجزه.

*** أسلوب التفرقة فى المعاملة**

* يكون ذلك بين الأولاد، بسبب الأنوثة والذكورة، أو بسبب السِّن، أو بسبب الترتيب الميلادى للأولاد، أو لأى سبب آخر، يدعو الوالدين، أو أحدهما لتمييز أحد الأولاد على الآخرين، وعدم المساواة بينهم فى المعاملة والعطاء.

- تنتج هذه التفرقة فى المعاملة، شخصيات لديها قدر كبير من الحقد، وتمتلئ نفسها بالغيرة، والأنانية المفرطة بين الأخوة، والذى تميز من بينهم، يرغب دائما فى أن يحظى بالاهتمام والتقدير من كل الناس، وعادة ما يطلب أن يتميز ببعض المميزات دون غيره، ويصبح شخصًا لا يكترث بالآخرين، ولا يراعى المشاعر فى تعامله مع الآخرين.

- ولتفادى هذه المشاكل، على الوالدين أن يتعاملوا مع كل الأولاد بالعدل والحب والمساواة بينهم، وعدم تَمييز أو تفضيل واحد دون الآخرين، ولا يمنع ذلك أن يكون أحدهم أحب إلى والديه، أو أحدهما، أكثر من الآخرين، لأن المساواة فى الحب تخرج عن قدرة الإنسان، ولكن يجب على الوالدين، أو أحدهما، ألا يظهر فى سلوكه مع المحبوب، ما يثير أخوته، لأن ذلك يترتب عليه محاولة الآخرين إيذاء المحبوب من بينهم، وفى قصة يوسف النبى عليه الصلاة والسلام مع أبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام وما نتج عنه من إيذاء الأب والأخ معا من الأخوة ما فيه معتبر لكل والد له أولاد.

* أسلوب الإهمال

* قد يهمل الوالدان رعاية الطفل، للانشغال عنه خارج البيت، أو لعدم الاكتراث بشئون الطفل، واللامبالاة بتربيته، أو الحرص عليه، وصور ذلك: أن يترك الطفل بلا إشباع لحاجاته، من الحنان والعطف والرعاية، أو بلا إشباع لحاجاته من النظافة والخدمة، أو عدم الاهتمام بحاجته من المطعم أو الملبس، وقد يكون الإهمال بعدم المحاسبة للطفل على سلوكه الخاطئ، أو بعدم تشجيعه وتحفيزه ماديًا ومعنويًا كلما أنجز عملاً، أو بالسخرية منه بدلاً من الثناء عليه.

- يخلق هذا الإهمال وينمّى فى الطفل نوازع ودوافع العدوان، والرغبة فى الانتقام، ومشاعر الكراهية نحو الآخرين، ويفرط فى شعوره بالذنب، مع زيادة حساسيته تجاه سلوك الآخرين معه، ويكون دائم القلق والانطواء، ولا يبالى بمجريات الأمور من حوله، ولا يشعر بالانتماء لأسرته، وعمومًا يصبح عديم الرضا، متسخطا لكل شيء.

- فواجب الوالدين دائمًا، الاهتمام بالطفل ورعايته، وإظهار الحب والعطف والحنو نحوه، والقيام بقضاء احتياجاته المادية والمعنوية بلا تقصير، والتغلب على المشاغل التى تعوق القيام بهذه الواجبات، واعتبار هذا الواجب مقدمًا على غيره من الواجبات الأخرى؛ إذا تعارضت معه. وألا يقصّر أحد الوالدين نحو الطفل، عنادًا للآخر، لأنه لا يؤدى واجبه معه، فلا يؤاخذ الطفل بجريرة أحد الوالدين. ويجب على الأم التى تضطر للخروج من البيت بسبب العمل، أن تضاعف من مشاعر العطف والحنان نحو الطفل خلال الأوقات التى تصحبه فيها، فى البيت، أو خارجه. كما يجب على الوالد الأب أن يعطى من الوقت الكافى كل يوم للطفل، من الملاطفة والملاعبة والمتابعة له، لأن الطفل يحتاج إلى أن يكون له أب، كما يحتاج أن تكون له أم، ولا غنى للطفل عنهما معًا، لكى ينشأ سويًا فى شخصيته.

* أسلوب التّدليل

* يتمثل هذا التدليل، فى التّراخى والتّهاون فى معاملة الطفل، بحيث يتم إشباع حاجات الطفل فى الوقت الذى يريده هو، وبالكيفية التى يرغب فيها، والمسارعة فى قضاء كل ما يطلبه، مهما كان غير مقبول، وأن يصبح مَن حوله فى طاعته ورهن

إشارته، فلا يُرفض له طلب مهما كان. كما يكون التدليل بعدم توجيهه إلى تحمّل المسئوليات والأعباء التى تتناسب مع المرحلة العمرية التى يمر بها الطفل.

- يترتب على التدليل، تأخر النضج الانفعالى والاجتماعى عند الطفل، ولا يستطيع التحرّى عن أمرٍ بسهولة، ولا يستطيع الشعور بالمسئولية، ولا يقدِّرها، ولا يقاوم مشكلات الحياة، ولا يستطيع مجابهة حالات الإحباط، فهو دائما عرضة للاضطرابات النفسية عندما تقف فى سبيله عقبة أو مشكلة، ويغلب عليه الاعتماد على الغير، مع ضعف الاعتماد على النفس. ويلجأ إلى أسلوب تجنب المشاكل، أو المخاطر، أو تأجيل الحلول وإهمالها.

- واجب الوالدين الاعتدال مع الطفل فى تلبية مطالبه، فلا يكون الحرمان، أو الإهمال، ولا يصل إلى حد التدليل له. ومن الأساليب النافعة، أن يمنع الطفل عن تنفيذ بعض رغباته، رغم إمكان تلبيتها، لتعويده على أن الرغبات فى الحياة لا تلبَّى كلها، وحتى يتحمل بعض الحرمان، ليتعوّد الجلد والتحمل والصبر، لأنه لابد فى حياته، مهما كان مركزه الاجتماعى، أن يمنع من تلبية كل رغباته، أو أن يطاع له كل أمر وطلب. فإذا لم ينشأ على عدم التدليل، فإنه سيلاقى من المتاعب والمشاكل فى حياته الكثير، فالأم التى تسارع دائما بتنفيذ رغبات الطفل، عملا على إسعاده، وأداءً لواجبها، قد تسبب له بذلك، شقاءً ومتاعب فى حياته تفوق السعادة التى توهمت إدخالها عليه. فإذا أرادت أن تعطيه دائمًا ما ينفعه، ولا يضرّه، فعليها أن تعطيه من الحب والحنان والعواطف، لأن كثرتها لا تضر وليس فيها إفراط أو تدليل.

* أسلوب القسوة

* يتمثل هذا الأسلوب فى شتى أنواع العقاب البدنى، باعتماده أسلوبا أساسيا فى التربية، كالضرب بشدة كلما ارتكب أى خطأ، أو التعنيف والقسوة بالضرب والحرمان عند الرسوب فى الدراسة، أو إذا لم يذعن للأوامر من الوالدين، وأشدّ القسوة ما كان فيه إيلام النفس، كالتحقير للطفل، أو لأعماله، والتقليل من شأنه، أو بإظهار الكراهية له، أو توعّده وتخويفه بأمور مخيفة مثل الحرق والحبس فى الظلام، أو تأنيبه المستمر وإشعاره بالنقص وبالذنب.

- يترتب على القسوة فى التربية، أن يتكون عند الطفل ضمير شديد الحساسية،

يجعله يحاسب نفسه، أو غيره، على كل صغيرة، أو كبيرة بتشدّد وانفعال، كما يترتب عليه الخوف من المحاسبة، مما يجعله يمتنع أصلا عن القيام بأى نشاط خوفا من العقوبة، ولا يستطيع المطالبة بحقوقه، كما يخشى إشباع حاجاته خوفا من العواقب المترتبة على ذلك، وتكون شخصيته قلقة، متردّدة، يشعر بالعجز عن مواجهة المواقف.

– يجب على الوالدين نبذ القسوة بكل أساليبها مع الطفل، وإشعاره بالطمأنينة، والتعامل معه بالتسامح، خاصة إذا لم يتعمد الخطأ، أو يكرر عن قصد بعض الخطأ، وإذا عوقب، لا يكون بالضرب المبرّح، ولا بدوام التأنيب له، ويكون بالقدر الذى يشعره بالحزم فى أخذ الأمور. ويجب أن يكافأ على أعماله ويشجع عليها، ويرغَّب فى القيام بالمسئوليات بتحفيزه ومدحه والثناء عليه كلما أنجز عملا. ويجب أن يجد تقبلا وتسامحا فى حالات الإخفاق فى بعض الواجبات، ومطالبته ببذل الجهد الذى يعوض تأخره فى الأداء الناجح للأعمال.

– قد يكون أحد الوالدين قاسيا فى تربيته للطفل، ويكون الآخر متسامحا معه، أو يمنع أحدهما الطفل عن سلوك معين، بينما يتسامح معه الآخر فى نفس السلوك، وهذا الأسلوب المزدوج من الوالدين، يخلق عند الطفل ازدواجية فى تقييم الأمور، ويصبح الطفل متذبذبا فى سلوكه، ويصبح دائم القلق لعجزه عن إرضاء كلا الوالدين، أو معرفة السلوك الذى يتبعه، وبذلك يصبح صاحب شخصية متقلبة، بسبب عدم اتفاق الوالدين على طريقة واحدة فى تربية طفلهما.

الفصل الحادى عشر

مرحلة المراهقة ومشكلاتها

* مرحلة المراهقة، قنطرة عبور إلى مرحلة الرجولة.
* مرحلة المراهقة تحتاج إلى تمهيد وإعداد.
* التغيرات والتأثيرات التى يمرّ بها المراهق.
* السلوك الصحيح مع المراهق: برنامج عملى.

* مرحلة المراهقة.. قنطرة العبور إلى مرحلة الرجولة

* مرحلة المراهقة، تشمل الفترة العمرية من بداية المتغيِّرات الجسمية المرتبطة بالبلوغ الجنسي، وتبلغ حدَّتها في حوالي الخامسة عشرة، ثم تنتهي في سن الثامنة عشرة تقريبا مع بلوغ سن السعي والشباب والرشد.

- حدّد الشرع بالبلوغ، الحدّ الفاصل بين مرحلتين في حياة الإنسان، الأولى مرحلة ما قبل البلوغ، حيث يعفى من تحمّل المسئولية الكاملة عن أفعاله، من حيث المؤاخذة والعقاب الديني، والمرحلة الثانية تبدأ بمجرد البلوغ، فيتحمل المسئولية كاملة عن كل أفعاله فيجازى عليها بالثواب والعقاب. يقول النبي ﷺ: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل» رواه الترمذي والنسائي وأبو داود. وكذلك جُعل الفاصل في الأحكام فيما يتصل بحدود العورات، حدّ البلوغ، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩]، يقول أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ: «لما كانت صبيحة احتلمت، دخلت على النبي ﷺ، فأخبرته، فقال: لا تدخل على النساء، فما أتى عليَّ يوم أشدّ منه» رواه الطبراني. فَحُجِبَت النساء عن أنس رضي الله عنه بمجرد احتلامه، وهو علامة البلوغ، والشدّةُ التي عاناها أنس رضي الله عنه أنه لم يعد يخالط بيوت النبي ﷺ، فحُرِم من الخدمة لهن وحسن معاشرتهن رضوان الله عليهن. وروى الطبراني بسنده «لما قُبض رسول الله ﷺ كانت فاطمة تكشف رأسها إذا دخل الغلام، فإذا دخل الرجل غطّته» وكانوا يدخلون يصلون على النبي ﷺ.

- يعتبر بلوغ الحلم، أو البلوغ الجنسي حدثا هاما في حياة الفرد، حيث يتغير إلى كائن جنسي ذي خصائص جديدة، وفترة البلوغ متداخلة مع فترة الطفولة، من حيث التحوّلات التي تحدث للفرد. والطفل لا يعتبر نفسه في فترة المراهقة طفلا، لما طرأ عليه من تغيُّرات أصبح يشارك فيها الكبار. ولكن يلاحظ على الوالدين والمعلمين، أن نظرتهم إليه لا تتغيّر، حيث ينظرون إليه باعتباره طفلا، وهذا الأمر يجعله يسلك سلوكا غير مرغوب فيه.

– الفترة التى يكتمل فيها النضج الجنسى، هى الفترة التى يطلق عليها المراهقة، وهى فترة تختلف من شخص إلى آخر، وعادة تصل البنت إلى سن البلوغ من الثانية عشرة، والذكور من الرابعة عشرة، أو بعد ذلك، ويحتاج المراهق إلى فترة قدرها ثلاث سنين حتى يكتمل لديه النضوج الجنسى. وهذه الفترة هى أسرع الفترات فى النمو الجسمى وما يطرأ فيه من تغيرات، فتشمل حجم الجسم، والنسب بين أعضائه، والنمو فى الخصائص الجنسية، حتى يصل الجسم فى نهاية المرحلة إلى الجسم الذى يستمر عليه طوال حياته، والتغير فى الطول يسبق التغير فى الوزن، وأكبر نسبة فى الطول تحدث قبيل البلوغ مباشرة.

– يصاحب النمو الجسمى السريع، والتغيرات فى هذه الفترة، أعراض غير ملائمة، مثل: التعب، والكسل، واضطرابات فى الجهاز الهضمى، وفقر الدم وهو ما يزيد من الشعور بالتعب والكسل، كما يعانى المراهق على فترات من آلام الصداع وآلام الظهر والهزال، ويكون ذلك عند البنات أكثر شيوعًا، وخاصة أوقات الحيض. والواجب على الوالدين مراعاة هذه التغيرات والأعراض، فيتسامحون مع المراهق إذا عجز عن أداء بعض الواجبات أو رغب فى النوم بقدر أكبر من المألوف منه، فإن ذلك لا يكون كسلا إراديا منه، وإنما هو نتيجة للنمو السريع فى الجسم مما يفوق الطاقة، فلا يقدر المراهق على دفع التعب والكسل رغم رغبته الصادقة فى ذلك، حيث يبدو عليه التعب والإرهاق بشكل واضح إذا أدّى أقل ما يمكن من الأعمال، سواء فى المنزل أو فى المدرسة. والخطأ الذى يقع فيه الوالدان والمعلمون والكبار، أنهم يظنون أن المراهق مادام قد كبر جسمه على النحو الذى يشاهدونه، فإنه يمكنه القيام بمسئوليات وأعمال أكبر، وأنه يتحمل جهدًا أكبر عن ذى قبل، وهذا يؤدّى إلى زيادة عصبية المراهق وزيادة توتره وانفعاله لعدم قدرته على القيام بهذه المسئوليات بنجاح. فعلى الوالدين والمراهق معًا الاهتمام بالتوازن الغذائى، وتنظيم النوم، والاهتمام العام بالصحة، حتى يجتاز الفترة من الناحية الصحية والنفسية بسلامة. وكلما كان الآخرون من حول المراهق أكثر تفهما لأحوال المراهق، وأكثر تعاطفا معه، فعومل على قدر قدراته، فإن التوافق والاستقرار يحدثان له. وفى نفس الوقت يجب النظر إليه باعتباره رجلا وليس طفلا، على الرغم من أنه لا يطالب بمسئوليات كبيرة، لضعف قدراته ومصاحبة الكسل والتعب طوال المرحلة، وحتى لا يتسبب فى إعاقة نضجه النفسى.

مرحلة المراهقة تحتاج إلى تمهيد وإعداد

* مرحلة المراهقة، مرحلة تغيرات سريعة، مادية في البدن وأجهزته، وفى النفس وكل المعنويات لدى المراهق، حيث تتغيّر احتياجاته وسلوكياته ومعتقداته وتصوراته عن كل شيء. فواجب على الوالدين، والمعلمين، أن يهيئوا للمراهق الظروف الملائمة للمرحلة، وأن يحيطوه علما بكل ما سيطرأ عليه حتى يأنس بها، وعليهم بالرفق معه، والتسامح والعطف والحب له، وزيادة الارتباط به وتوثيق العلاقة معه، وبث روح الثقة لديه. وعموما يلزم للمراهق أن يتوافر له: المعلومات الكافية، والعطف، والثقة.

- تهيئة البنت قبل حدوث الحيض لها أمر هام جداً، حيث إنها ستشعر بالسعادة والمرح لكونها ستصبح أنثى كبيرة، بعكس ما إذا فوجئت بالدم ينزف منها دون سابق علم لها بموضوع الحيض، فإنه يصيبها القلق والتوتر والحياء، خاصة أن الدم يرتبط بالجراحات والقذارات فى الأذهان. فيجب أن تعرف البنت أن ذلك أمر طبيعي وليس مرضا، أو كدم سائر الجراحات، وأنه مثل البول يتخلص منه الجسم. فإذا حدث لها ذلك، فيخفّف عن نفسيتها، بأن هذا الدم منها لا يؤذى غيرها، وأن الآخرين لا يستقذرونها، وألا نبدى لها أى انزعاج أو قلق، فنتعامل معها بتلقائية فلا نظهر أى اكتراث، حتى لا تَنْزَعج هى بانزعاجنا. عن أُميَّة بنت أبى الصلت رضى الله عنها عن امرأة من الأنصار قالت: «أردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رَحْله، قالت: فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح، فأناخ، ونزلت عن حقيبة رحله، فإذا بها دم منِّى، وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فَتَقَبَّضْتُ إلى الناقة واستحييْت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى، ورأى الدم، قال: **مالك؟ لعلك نُفِسْت؟** قلت: نعم، قال: **فاصلحى من نفسك، ثم خذى إناء من ماء فاطرحى فيه ملحاً، ثم اغسلى ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودى لمركبك**، قالت: فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر، رَضَخَ لنا من الفيء، قالت: وكانت لا تَطَّهر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحا، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت» رواه أبو داود. ورضخ لنا: أى أعطانا من غير أن يضرب لنا بسهم. ونفست: أى حضت. فنرى من الحديث، كيف تعامل الرسول ﷺ كالأب الرفيق. فعلمها، وتعامل معها دون أن يبدى لها استقذارا أو انزعاجا، بل دعاها للعودة إلى الركوب معه ﷺ مرة أخرى، بعد إزالة أثر الدم من موضعه.

- إذا حاضت الصغيرة قبل سن الحادية عشرة، أو تأخرت حيضتها بعد سن الرابعة

عشرة، فيحسن العرض على إخصائى، أو إخصائية أمراض نساء، وكذلك يحسن العرض عليه إذا زاد الدم على ثلاثة -فوط- فى اليوم، أو زادت دورة الحيض عندها على سبعة أيام فى الحيضة الواحدة، أما إذا كانت الحيضة عندها متقلبة بين الزيادة والنقصان فى كمية الدم، أو عدم انتظامها، فإن هذا أمر عادى لا إزعاج فيه.

- قبل حدوث الحيض عند الصغيرة بيوم، أو ساعات، تحدث بعض الآلام أسفل البطن، وآلام فى الثدى، وكل ذلك يخففه تناول قرصين من الإسبرين، وتحتاج إلى راحة قليلة، ولا يمنعها ذلك من ممارسة كل أنشطتها، وينصح بعدم تناول المشروبات الدافئة، وألا تستحم فى البحر، أو فى -البانيو- ويفضل الاستحمام تحت -الدش- ويصاحب الحيض عادة اضطراب يستمر لمدة عامين.

- تترك الحائض الصلاة، والصوم، والطواف حول الكعبة، ومس المصحف الشريف، أثناء فترة الحيض، ولها أن تذكر الله تعالى، وتمارس كل ما سوى ذلك من عبادات وأنشطة.

- يمكن للأم، أو للأب، أن يعلم المراهق، أو المراهقة، ما يتعلق بهذه الفترة، بطرق مختلفة، مثل: أن يرتب مع قرين، أو صاحبة للمراهق أو المراهقة وأن تسأله عن هذه الأمور، أو تحكى حكاية عن صغيرة بلغت هذه المرحلة وما أصابها من حيض، وما قامت بالتصرف حياله. فتسمع البنت وتتعلم دون أن يحدث لها حرج، كما يمكن أن تصحب الأمُّ البنتَ فى أحد الدروس الدينية، ويجيب مقدم الدرس عن الأسئلة المقدمة والتى تتعلق بالموضوع. أو يتفق مع إحدى السيدات التى ترتاح لها البنت، فتحدثها عن هذه الأمور. وكذلك يمكن إتاحة بعض الكتب لكى تقرأ عن الموضوع. وحتى لا يلجأ المراهق إلى مصدر غير موثوق فيه، كالخدم أو قرناء السوء، أو الأفلام، مما يقوده إلى الوقوع فى بعض المشكلات الجنسية، ومنها ما يطلق عليه، العادة السريَّة.

*** التغيرات والتأثيرات التى يمرّ بها المراهق أثناء المرحلة**

١ - يبدو على المراهق التعب بشكل واضح، ويؤدّى أقل ما يمكن من أعمال فى البيت أو فى المدرسة، ونذكر أن هذا الكسل نتيجة للنمو السريع فى الجسم، والذى يفوق طاقة المراهق، فهو كسل ليس إرادياً، ولا يقدر المراهق على دفعه رغم رغبته فى ذلك، وعليه، فلا يجب أن يلام المراهق على كسله وتعبه، بل يشجع على القيام بما يقدر عليه، ويتسامح معه ويرفق به، حتى لا نزيد من توتره وقلقه.

٢ - لعدم التكيُّف الحادث فى نسب نمو الجسم، يختل المشى لديه، ويفقد رشاقته المعتادة، وتتناقص عنده القدرة الحركية، ويختل التآزر والتوازن بين أعضاء الجسم، ثم يعود الجسم لحالته المعتادة حيث يتكيف على الأوضاع تدريجيا.

٣ - يصاحب الفترة زيادة الوعى بالجسم وأعضائه، وخاصة الأعضاء التناسلية، ويقارن بين شكل الجسم مع الآخرين، ويشغل معظم الوقت فى التفكير فى مسائل الجنس بسبب نمو الأعضاء التناسلية خلال فترة البلوغ، ويقرأ فى الكتب عن أية معلومات تتصل بالموضوع. لذلك يشعر بالحياء وتزداد شدته خلال تلك الفترة، حتى إنه ليغضب إذا اقتحم عليه أحد خلوته، أو حجرته، وهو مستغرق فى أحلام يقظته، كما إنه يحرص على تغيير ملابسه بِبُعْد، ويتحرّج عند دخوله الحمام، أو عند الاغتسال، ويرتبك عند ذلك بلا مبرر، وتطول أوقات النظر فى المرآة، وخاصة البنت، لتأمل الجسم والشكل عموما، كما يصبح المظهر مهما عند المراهق، وخاصة عند حضور زائرين، أو حضور حفل عام. ويجب على الوالدين التغافل عن مثل هذه السلوكيات، وعدم معاقبته عليها.

٤ - يحدث مع البلوغ، وبسرعة، أن يفقد المراهق ميله لرفاق اللعب فينسحب ويقضى معظم وقته منفردًا بداخل حجرته، وعادة ما يحدث نزاعات مع أصدقائه، كما يتوقف عن أنشطته داخل بيته وأفراد أسرته. والمراهق الذى لا يتوافق اجتماعيا خلال تلك الفترة مع بعض الأصدقاء، يقضى وقته خارج البيت فى التسكُّع فى الشوارع، وإذا اجتمع منهم البعض تحدث منهم بعض المشاغبات.

٥ - يتميز المراهق بالتأمل والتفكير فى المشكلات الإنسانية، والمشكلات العامة التى تتصل بالبشرية عموما، وكذلك المشكلات الأخلاقية، ويضع من نفسه الحلول التى يتوصل إليها بعد التأمل والتحليل، كما أنه أصبح يدرك الفرق بين الممكن والواقع. ولا يتقبل المراهق المفاهيم الخلقية دون مناقشة، وهو مستعد لمناقشة كل شىء، ويكتشف المراهق فى خلال المرحلة التناقضات بين ما يجب أن يكون، وبين ما عليه الواقع، ويهتم بالتناقض بين أقوال الوالدين وبين أفعالهما، وكذلك المعلمين، وعادة لا يرحب الوالدان بانتقاداته ويضيقان بمناقشته، وذلك يزيد من عناده. ويميل المراهق إلى التفكير المجرد فى مسائل الدين، والسياسة، والحرية، وطبيعة الصداقة والعلاقات الإنسانية. وواجب الوالدين والمعلمين، أن تتسع صدورهم لمناقشات

المراهق ولا يضيقون بها مهما كانت غريبة، ولا يسفهون آراءه ومفاهيمه، حتى لا يزداد عناداً، وعادة الصبر على مناقشته ينتهي بإقناعه.

٦ - يأخذ المراهق موقفا من الأسرة، والأصدقاء، والمجتمع عموماً، يتّسم بالعناد والرفض ويصرّ على رفض رغبات الآخرين ومخالفتهم، بل ويعمل على إفساد سرور الآخرين ويعمل على تعكير مزاجهم، ورغم ذلك يزداد حزنا وهمّا، ويصاحبه الهم والحزن طوال المرحلة. وتشتد غيرته من إخوته في البيت، ويلاحقهم بالانتقادات، والتشاجر معهم دون أسباب مقنعة، لمجرد العناد، ويكثر من جدال الوالدين وغيرهما بقصد إثارة المتاعب، ويسبب ذلك المعارك مع الرفقاء خارج البيت.

٧ - يظهر على المراهق اللامبالاة والرفض للأنشطة التي كان يستمتع بها من قبل مع أقرانه، ويصاب بالملل الدائم، ويعتبر تلك الأنشطة صبيانية تصلح للصغار وليس لمثله. ونتيجة لهذا الملل ينتقل من نشاط إلى آخر، ولا يشعر بالرضا عن شيء منها، ويصاحبه لذلك مشاعر القلق والتوتر، أما الولد فينزع إلى العنف البدني.

٨ - يحرص المراهق جدا على أن يستقل في كل شئونه، ويرغب في ذلك بحدّة ابتداء من سن الثالثة عشرة، وهذا يَحْدُو بِهِ إلى الصراع مع الوالدين، وخاصة الأم لاتصالها الشديد به داخل البيت منذ طفولته، وحيث كان الوالدان يشكلان سلوكه الخلقي من خلال أساليب الثواب والعقاب، أما المراهق فقد أصبح يعتبر هذه الأمور مسئولية شخصية لا يقبل تدخل أحد فيها، ولا يقبل أن يعامل معاملة الأطفال، ويتفاقم الأمر مع الأم إذا كانت متشدّدة، وغير متفهمة للتغيرات التي تحدث للمراهق، ويعتبر المراهق الخروج على سلطة الوالدين دليلا على رجولته، فهو لذلك يقاوم كل سلطة للوالدين، أو المعلمين، أو أي نظام لا يوافق عليه، وكلما فشل في مقاومة شيء من ذلك ازداد عناداً وصراعا، فإذا عومل بشدّة انسحب من الموقف، دون أن يتراجع عن عناده، وتصدر عنه لذلك أفعال مزعجة للآخرين إذا لم يتغلب على الموقف.

٩ - يكون المراهق شديد الحساسية نحو الآخرين، ويفسر معظم ما يصدر عنهم على أنه موجّه إليه وبقصد الإساءة له، وأشد هذه الحساسية تكون مع أفراد أسرته وخاصة الأخوات والأخوة، وإذا قام أحد بالتعليق على موقفه تزداد حساسيته، ويشعر أن

هذا النقد له، سببه أنهم يكرهونه ولم يعد أحد يحبه مثلما كان يحبه من قبل، ويعتبر الجميع ضدّه، وتزداد مخاوفه المتوهّمة، ويشعر بالقلق فيما يتعلق بكفاءته الاجتماعية، فيتحول إلى حالة كآبة، ويفقد تذوقه للفكاهة التى كان يحبها فى المرحلة السابقة.

١٠ - لكل ما سبق يسود لدى المراهق الشعور بنقصان كفاءته الشخصية، وعدم قدرته على التوافق الاجتماعى، فتقل ثقته بنفسه، ويختفى الزهو السابق عنده، فيحاول أن يخفى شعوره بالنقص فى أنماط العناد والرفض للأعمال والمهام، والدافع وراء هذا الرفض فى الحقيقة هو خوف المراهق من الإخفاق فى هذه المهام. ثم يغطى هذا الإحساس بالتفاخر والتباهى بقدراته الخارقة لبعض الأعمال، فإذا ما طلب منه القيام بها انسحب بمبرر غير مقبول، وقد يتحرّج البعض أمام الأقران فيضطر لارتكاب بعض الأعمال الدّالة على كفاءته الخارقة وقدراته العظيمة ممّا يجعله يرتكب أعمالاً مجرّمة قانونًا.

- المراهقون يعتبرون الاستذكار والتفوّق الدراسى من الأمور المعيبة لدى الشخص، والبعض يخفى قيامه بها حتى لا يتندّر به القرناء ويطلقون عليه لقب - موس - وهو رمز للمجدٌّ فى الدراسة، وقد يترك بعض المراهقين الدراسة حتى لا يتفوّقوا فتعيب عليهم جماعتهم ذلك، والمراهقون يعتبرون عدم الاهتمام بالدراسة نوعًا من البطولة لأنه - لا يهمُّه شيء - وكذلك يحرص المراهق ألا يظهر بمظهر الطيب المؤدب أمام القرناء حتى لا يعتبر عندهم طفلاً مؤدبًا، بل يأتى ببعض الأفعال المشينة ليثبت لهم أنه - ولد مخربش- على حد تعبيراتهم، وذلك دليل التفوّق والقبول لديهم، ويشار بالبطولة بينهم لمن يستطيع أن يخالف رغبات الأهل فيبقى خارج البيت لأطول وقت متأخر من الليل، وهذا الأمر يسبب التوتر والقلق للمراهق الذى يحب إرضاء الوالدين بالعودة إلى البيت مبكراً، وجماعة الأقران التى ينتقيها المراهق يكون لها أشد الأثر فى سلوكياته وقيمه، بل تفوق تأثيرات البيت، ولا يحدث عكس ذلك إلا فى الحالة التى تكون الأسرة متفهمة لحالة المراهق ومتوافقة معه ولديها القدرة على مسايرته، وإلاّ حرص المراهق على قضاء الوقت الأكبر مع قرنائه خارج البيت.

١١ - أفضل الأوقات التى تمرّ بالمراهق، هى التى يقضيها فى - أحلام اليقظة - والتى

عادة ما تدور موضوعاتها عن - بطل - مظلوم، مغبون الحق، يقف الجميع ضده، وبالطبع هو ذات البطل، وذلك لما يتخيله من سوء الفهم له، وسوء المعاملة معه من جميع مَن حوله. وتكون هذه الأحلام هى المتنفَّس لهمومه، حيث ينتصر البطل دائمًا فى النهاية، وهذه الأحلام تزيده ابتعادًا عن الواقع فيزداد تكيُّفه الاجتماعى سوءًا. وقد ينشأ عن هذه الفترة، وعدم التكيف، أن ينتهى المراهق إلى الاتصاف بالانسحابية، أو العدوانية، أو الانحراف، وهذا يحدث للعدد القليل النادر، إذ أن الغالبية تتوافق فى نهاية المرحلة، وخاصة إذا تفهم الوالدان أحوال هذه المرحلة.

١٢ - من المألوف خلال المرحلة أن يظهر العداء للجنس الآخر، وترفض الإناث الذكور بشدة، ويظهر ذلك بالنقد لهم دائمًا، وبالتعليقات اللاذعة، وإظهار هذا العداء هو سمة المرحلة بين الذكور والإناث، وعلى الرغم من هذا الصراع بين الجنسين، إلا أن الميل نحو الجنس الآخر ينمو، ويزداد الاهتمام بمحاولة اختيار شخصية مناسبة من الجنس الآخر تحظى بالاهتمام البالغ من المراهق، حيث يقضى الوقت فى تنميق الكلمات التى تقال له، أو بالتفكير فيه، أو كتابة أدبيات وأشعار عنه، كما يحرص على الاهتمام بمظهره من أجل الجنس الآخر، وتزداد رغبته وحبه لتملك الملابس والأدوات، ولذلك تحتل النقود فى هذه المرحلة المكانة الهامة عند المراهق، ويكثر الحديث عنها وعن القدر الواجب توفيره له لينفقه بحرية، ويحاول لذلك كسب بعض النقود لمواجهة حبه للنفقات وتقديم الهدايا، ويكون ذلك أقوى عند الذكور منه عند الإناث.

١٣ - يميل المراهق إلى المحاكاة للكبار فى أفعالهم، ويحاول تقمّص شخصية مشهورة تكون محبوبة له، أو مرموقة فى المجتمع، وقد يترتب على هذه المحاكاة للكبار اكتساب عادات ضارة، وأشهر ذلك محاكاة المدخنين، حيث يظن أن ذلك دليل على الرجولة.

١٤ - يميل المراهق إلى التقاليع الغريبة، بسبب رغبته فى الخروج على العادات والتقاليد المألوفة، فيرتدى الأزياء بطريقة غير مألوفة، أو لأنواع منها غير معتادة، كما يقوم بتصفيف شعره بطريقة مخالفة للمعتاد.

١٥ - رفض المراهق للواقع، يجعله يضع لنفسه، وللآخرين، معايير أخلاقية عالية

وسامية، يصعب عليه هو أن يصل إليها، إلا أنه يصبح متشوقاً إلى الوصول للكمال والمثل العليا، وقد يجعله ذلك أخيراً أكثر تقبُّلاً للَّوم عن ذى قبل، لشعوره بالذنب حين يعجز عن تحقيق تلك المعايير. كما يزيد طموح المراهق آخر الأمر إلى مستقبله الشخصى، ومستقبله الدراسى والوظيفى، فيجدّ وينشط فى الدراسة، خاصة إذا أحب معلميه، أو تفوّق فى بعض المواد الدراسية. حيث يجد فى ذلك الترويح، كما يجد فى المدرسة مجالاً للعبه، ويميل المراهق بإخلاص نحو مَن يشعر أنهم فى حاجة إلى الرعاية، وهذا ما يدفعه إلى المشاركة فى الأنشطة الاجتماعية بالمدرسة، أو بالبيئة، وتظهر لديه رغبة فى إصلاح الأسرة والأصدقاء، حيث تبدأ أزمة المرحلة فى الانفراج تدريجيًا، فيعود المراهق لحالته الطبيعية بعد النضج الانفعالى والسلوكى والعقلى فى نهاية المرحلة. وتتميز مرحلة المراهقة عمومًا بأنها فترة يقظة دينية. إلا أنه يجب على الوالدين والمعلمين أن يجيبوا على كل أسئلة المراهق، ولا ينزعجوا من مناقشته المسائل الدينية، ووضعها موضع الفحص والنقد، فإنه سرعان ما يتقبل من الذين يحترمون مناقشته، أما من يسفّه مناقشته، أو يتهمه فى معتقداته، فإن المراهق يقابل ذلك بالعناد والرفض، وقد يخفى فى نفسه إنكار تلك المعتقدات ويعتقد عدم جدواها، وينهج فيها منهج الشك، بل الواجب إطلاعه على المثل العليا فى العقيدة والتشريعات الدينية، حيث تتلاقى مع رغبته فى تحقيق المعايير السامية للأخلاق والقيم والمبادئ التى يتعشقها فى تلك المرحلة. والتدين هام وضرورى، لأنه السبيل إلى التوافق الشخصى والاجتماعى، إذ يتحقق به الشعور بالسعادة والأمن، ويعطيه القيم المطلقة المعتمدة، حتى لا يحدث عند المراهق اضطراب فى العلاقات الاجتماعية، كما أن الدين يفسر له الغوامض والمعضلات، ويحل له كثيراً من المشاكل التى لا يجد لها حلاً بعيداً عن التدين.

* السلوك الصحيح مع المراهق

* كان المراهق فى مرحلة الطفولة السابقة، فى حاجة إلى الأمن وإشباع الحاجات عن طريق الآخرين، وهو فى مرحلة المراهقة يرغب فى تحقيق كل شيء بنفسه، حتى الانتماء والحب، والفهم والمعرفة. إنه يريد أن يحقق شخصيته وتفرّده، إلا أن ذلك كله من وجهة نظره هو، حيث يفكر من خلال انفعال وجدانى فلا يرى الموضوع من حيث

الواقع، ويظن أن الآخرين هم الذين لا يفهمونه، شأنه في ذلك شأن المريض بمرارة الفم عندما يتذوّق الماء فيجده مُراً ويخبر بذلك، فإذا شرب من الماء غير المريض لا يجد له المرارة التي يخبر عنها المريض وهو غير كاذب فيما أخبر عنه، والواجب أن نقنع المريض بأن المرارة ليست في الماء، ولكنها في جهاز تذوّقه هو لمرضه العارض، وأن واقع الماء غير مرٍ كما يتذوّقه هو، والدليل على ذلك أن كل غير مريض لا يجد لهذا الماء مرارة، وأنه ليس من المعقول أن يصدق المريض ويكذب كل الأصحّاء. بهذا المنطق يجب أن يتفاهم الوالدان مع المراهق في كل الأمور، ودون انفعال معه، مهما تكرر اعتراضه، أو انفعاله، لأننا إذا انفعلنا واشتد انفعالنا عند أي مناقشة، فغالبًا ما نرى الأمور من خلال انفعالاتنا، فنشبه في ذلك المراهق.

١ - يحسن أن نترك للمراهق، بعد المناقشة، أن يأخذ هو القرار في الموضوع والذي يكون مقتنعًا به، أو يرغب في اتخاذه، حتى ولو كان ما اتخذه المراهق غير ما نرغب فيه، لأن ذلك أقل ضرراً من فرض القرار عليه.

٢ - نتيح لمشاعره التَّحرُّر - أي التنفيس - حتى يتخلص من التوتر والانفعال، وحتى يدرك الحلول معنا بدون تحيّز انفعالي، فيصبح أقدر على فهم المشكلة وما يناسبها من حلول، ومن مظاهر الانفعالات التي يجب التسامح معه فيها: كثرة الصياح، وبعض الأعمال العنيفة مثل غلق الباب بعنف، أو التلفُّظ بألفاظ غير مألوفة منه.

٣ - يجب تقدير مشاعر المراهق، وتوفير مظاهر الاعتراف بشخصيته، بمدحه على الآراء الصائبة، وتحسين بعض سلوكياته، والإصغاء إليه باهتمام عندما يتحدث، ومناقشة ما يعرضه من آراء مهما كانت تافهة، أو غريبة، وذلك يشجعه على احترام مشاعر الآخرين.

٤ - الانتباه إلى النزعات العدوانية عند المراهق، أو غير المرغوب فيها، فنطرحها للمناقشة معه، حتى نتوصل إلى علاجها قبل وقوعها، أو إقناعه بالعدول عنها، أو يكتفى بمجرد مناقشتها، ويفضل أن يكون ذلك بطريقة غير مباشرة في أثناء المناقشة، وبدون إبداء النقد لهذه النزعات.

٥ - نتيح للمراهق بعض المصادر، للوقوف على خطر بعض العادات والسلوكيات الجانحة التي تحدث أثناء مرحلة المراهقة مثل: التدخين، والشرب، وجنوح

الأحداث، ويمكن أن نطلب من المراهق قراءة كتاب، أو بحث يتناول أيا من هذه الموضوعات، ونستمع إليه وهو يعرض علينا ما قرأه فى الكتاب ونناقشه، فيحاول هو إقناعنا بوجهة النظر الصحيحة من خلال الكتاب. وبالتالى يتأكد عنده الاقتناع بما يعتبره وجهة نظره هو التى دافع عنها. كما يمكن مناقشة صديق للمراهق أمامه وبحضوره وهو يستمع، فنقدم للمراهق بطريق غير مباشر ما نودّ تقديمه إليه، بلا خجل، إذا كان الموضوع يحتمل الخجل منه مع الابن، وخاصة البنت المراهقة، من باب - واسمعى يا جارة - ويفضل أن نجارى ونساير مَن نناقشه فى البداية، وننتهى بعرض ما نراه من وجهة نظرنا صحيحًا، دون أن نفرضه عليه.

٦ - يجب أن يقضى الوالدان مع المراهق وقتًا يوميًا، بالقدر الذى يشعره بالدفء العاطفى، والتواصل، والاهتمام به، وحتى يدرك المراهق أنه يقدَّر ويُحترم ممن حوله، والمطلوب أن يكون قضاء هذا الوقت معه بتلقائية وعاطفة، بحيث يشعر المراهق بالصداقة الوالدية له، وهذا فى الحقيقة يساعد الوالدين على اكتشاف المشاعر والأفكار عند المراهق، فيمكّن من تداركها بطرق غير مباشرة، ويحسن التوجيه.

٧ - يفضل السير مع المراهق خارج البيت للنزهة والتفرج، أو لشراء بعض الاحتياجات، وخاصة احتياجات المراهق، وهذا يزيد من تأكيد الثقة فى الوالدين والثقة فى نفس المراهق، كما أن ذلك يملأ غروره، فيحرص عليه.

٨ - يجب شغل فراغ المراهق بأنشطة يحبها، لاستنفاد الطاقات الانفعالية الزائدة عنده، مثل توفير مجالات لبعض الأعمال الاستثمارية، والتى تدرّ عائدًا سريعًا للمراهق، حيث يرغب فى المال وإنفاقه فى هذه المرحلة، وحتى يتخلص من السأمة والرتابة والملل الذى يلازم المرحلة.

٩ - يفضل تحديد - دور - للمراهق فى البيت، مثل أن يضع ميزانية مصاريف البيت الشهرية، ووضع قوائم المشتريات، وهذا بجانب إشعاره أنه هو الذى ينفق المال، وهو يحب الإنفاق فى هذه المرحلة، فإن ذلك يملأ الفراغ فى حياته، ويحقق له ذاتيته، وأنه لم يعد يُنظر إليه باعتباره طفلاً، ويشعر أنه شريك فى البيت وليس غريبًا مضطهدًا، ويقف على محدودية دخل الأسرة، فلا يتغالى فى طلباته الشخصية.

١٠ - يُطلب من المراهق أن يتولى توجيه ومتابعة أحد أخوته الصغار، ومساعدته فى

أداء واجباته المدرسية، ومعاملته باعتباره الأخ الأصغر له، والرفق به، حتى يشغل بذلك بعض وقته، وحتى تستفد منه الغيرة لأخوته، وحتى يتفطن إلى ما يعانيه الوالدان من الصبر في توجيه الأولاد فيعذرهم، ولا يخفى أن ذلك كله يحدث تحت متابعة ورقابة غير مباشرة للمراهق، وللصغير معًا، حتى يمكن معالجة المواقف.

١١ – يجب إظهار مشاعر العطف والحب للمراهق، فيجب على الوالدين البشاشة له عند رؤيته، وسؤالهما عن أحواله، وإخباره بحبهما له، وثقتهما فيه، ولا مانع من إيثاره ببعض الأشياء من الأطعمة، أو الملابس، أو الأدوات، مع تطييب خواطر الآخرين من الأولاد، وأن نظهر العطف عليه عند مرضه، ونسأل عنه إذا غاب قليلاً عنا، ونقول له – وحشتني – ونظهر له الوقوف بجانبه في المواقف الصعبة عليه، ونقلق عليه إذا تغيب عن البيت، ونهتم به في وجوده بالبيت، ونظهر له الاستحسان بمقترحاته، ونشكره على ما يقدمه من أعمال أو آراء، ونشاركه في مزاحه وبعض ألعابه، وعلى العموم، لا يُترك المراهق ينفرد بنفسه كثيراً، فنؤنس وحشته، ونقضى له حاجته، ونغمره بالعطف والشفقة، ونؤكد ثقته بنفسه، وتجمع الوسائل كلها لتؤدى ثلاثة أمور هامة: الاهتمام، والحنان، والثقة، ثم الله خير حافظ، وهو المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

– روى الطبراني في الأوسط بسنده عن رسول الله ﷺ قال: **«الولد سيِّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيتَ مكاتفته لإحدى وعشرين، وإلاّ فاضرب على جنبه، فقد اعتذرت إلى الله عز وجل»**، فالحديث حول المراحل الثلاث التي يمر بها الولد، مرحلة الطفولة، ومرحلة المدرسة، ومرحلة المراهقة، ثم الاستقلال التام عن الوالدين، ففي المرحلة الأولى يعتبر الطفل سيداً حيث يعمل الوالدان على خدمته وقضاء مطالبه، ثم في المرحلة الثانية يكلف الولد بالواجبات والمهام، وعليه الطاعة في ذلك، أما المرحلة الثالثة، وهي مرحلة المراهقة، فيطلب من الوالدين اعتباره وزيراً يتحمل المسئوليات ويشاور في الأمور، ولا يعامل بالأمر والنهي مثل المرحلة السابقة، ولكنه يستقل بالرأي والمشورة والمسئولية، ثم الأمر يترك لكلا الطرفين، إن شاءا المكاتفة والمناصرة، وإن شاءا المفارقة والاستقلال الكامل. وفي هذا إلفات إلى ما يجب أن نتعامل به مع المراهق، والحمد لله رب العالمين.

ميثاق الوالدين مع الأولاد

١- الأولاد هبة الله، وبهجة الحياة، وفخر الناس، وأمانة الخالق عند الخلْق.

٢- الأولاد ثمرة جسد الزوجين، وجماع خصائص نفسين، وامتداد عمر الوالدين، ومُلتقى آمال بشرين، وبهم عمران الحياتين.

٣- الأولاد مَبْخلة، مجبنة، محزنة للوالدين، والأولاد هم بهجة البيوت ومصدر حرارتها، تنبعث حياة البيت بمرحها وأصواتها، وتتلوّن الحياة بمراحل أعمارها ومطالبها، وتنشغل القلوب والعقول باهتماماتها، وتقتصر آمال الوالدين فتتوحَّد فى تحقيق آمالها.

٤- صمام أمنٍ وبقاءٍ للبيوت عند النزاع خوفًا عليهم، ومفتاح الوفاق والافتراق عند الاختلاف من أجلهم، ومصدر السعادة أو الشقاوة لنبوغهم أو فشلهم.

٥- الأولاد كالهواء والماء لصحة حال ووجدان الوالدين، إذا مرضوا شعر الوالدان بالألم، وإذا حزنوا وجَمَ الوالدان بحزنهم، وإذا ابتسموا علا الإشراق وجوههم، وإذا وفقوا ورضوا ارتاح الوالدان وانشرحت صدورهم.

مظاهر التوفيق فى معاملة الأولاد

١-إظهار الشفقة والمحبة والرحمة والعطف الدائم معهم.

٢- الابتسام والفرح عند رؤيتهم أو الحديث معهم، وإظهار الامتنان بأنهم أولاده.

٣- إدامة علاقة الصحبة والمودة، وتأكيد الثقة فيهم وعندهم.

٤- تعويدهم من نفسه الصدق فى الحديث والوعد والمواعيد والوفاء بذلك لهم.

٥- لا يأتى معهم بخلق سيئ يحب أن يجتنبوه، مثل الكذب أو الجبن أو البخل..

٦- يحترم ذواتهم وشخصياتهم وينميها عندهم، عند المناقشات، وعند الاختيارات، فلا يفرض عليهم رأيه واختياره، وعليه إرشادهم والحصول على احترامهم لرأيه واختياره، ويأخذ آراءهم فى بعض أموره ليعتادوا المشاورة، ويصقلوا بالمحاورة.

٧- عليه أن يراعى الفروق الشخصية عند الأولاد، فكل فرد له خصائص ومميزات

شخصية، وليس الذكر كالأنثى، فيتعامل مع كل ولد كأنه كائن مستقل، بل عليه أن يلاحظ مراحل عمر كل ولد، فالصغير يحب اللعب والحلوى، ومن يكبر يحب الاحترام والاهتمام والاختصاص بـالنَّجوى، ومنهم من يحتاج للمال ومن يحتاج للعطف، ومن يحتاج للثناء والمدح، أشعر كل واحد أنك لا تهتم إلا به، وأنك تعطيه ما يطلبه، وأنت في الحقيقة لا تعطيه إلا ما ينفعه.

٨- احرص على إكرامهم بتحقيق رغباتهم في حدود الإمكانية المادية، وإقناعهم في حالة عدم الإمكانية، مع الحرص على عدم التَّدليل وتنفيذ كل ما يطلبون حتى مع المقدرة على ذلك، تربية لهم وضمانًا لمستقبل حياتهم، وإلا فسوف يعتادون من كل مَن يعاشرون بعد ذلك الاستجابة لكل رغباتهم حسبانا أن ذلك حق لهم.

٩- يجب احترام خصوصياتهم، من ملابس أو مكتب أو حجرة أو مستلزمات شخصية، أو أوراق وأدراج وحقائب، فلا تتعدَّى على شيء من ذلك في حضرتهم أو في غيبتهم بزعم أنهم أولادك، أو أنهم ما زالوا صغارًا أو أنك الذي اشتريته لهم، لقد أصبحت ملكًا لهم وتخصهم وفيها أسرارهم، فقط اجتهد أن يثقوا فيك ويطلعوك على خصوصياتهم وأسرارهم إن شئت إرشادهم وتوجيههم.

١٠- الترغيب والترهيب مع الأولاد للتوجيه وللتعليم وليس للعقاب، وأساليب المعاقبة والإثابة المعنوية أجدى وأهم وأبلغ أثرًا في التربية، والقسوة والتهاون يضرَّان ولا ينفعان، والرفق والتفاهم والتعليم أسلوب شرعي ورباني ومضمون العواقب.

١١- دع لكل من الأولاد الشعور بامتلاك حياته الخاصة، من الوقت الذي يخلو من متابعتك، وجزء من المال يتحرَّر من مساءلتك، وكيفية من الهيئة في ملبسه أو مظهره بعيدًا عن مناغصتك، ورغبة طفولية أو صبيانية أو شبابية يحققها بعيدًا عن معارضتك، اجتهد في الإرشاد بلا إملال من وراء وراء، وتغافل أحيانًا عن بعض الهفوات ومطالب السلامة، فالمناعة لا تكتسب إلا بحقن الجراثيم.

١٢- اختيار الأصحاب والأصدقاء للأولاد أمر ممتنع عن التحقيق، الصحبة والصداقة تُفرض بأقدار يصعب تفاديها، حاول أن ترشد وتوجه، واعمل على إيجاد مواقف فيها من أقران أولادك ما تحب أن يكون لهم صاحبًا، عند الزيارت والمناسبات والرحلات واختيار أماكن الدراسات والرياضات، حتى تلتقي الإرادات بتلقائية

مقصودة منك دون فرض أو مجرد عرض الصداقات. وفى كل الحالات عليك أن تتعرّف على أصدقائهم. وتدعوهم إلى المنزل وتكرمهم وتجالسهم حتى تتمكّن من توجيه أولادك من خلال أصدقائهم، ولكى يتسنى لك الوقوف على تصرفاتهم.

١٣- ألا تميِّز ولداً عن ولد، ولا تظهر التفضيل لمن تحب، ولا تعاقب أحداً وتترك الآخر، ولا تعطى مطلوبًا لواحد وتدع غيره، ولا تعتاد مصاحبة ولد دون الآخرين.

١٤- لا تجعل متابعتك لأمورهم يحرجهم ويرهقهم وتلطَّف فى ذلك ونوِّع أسلوبك فى ذلك، وعوِّدهم القيام بأعمالهم عن طريق الإقناع والقدوة، ولا تقوم بأعمالهم نيابة عنهم مثل حلِّ واجباتهم المدرسية، ولا يكون اتصالك بأولادك عن طريق الأوامر والتعليمات، بل عن طريق التفاهم والتعاطف والاهتمام.

١٥- ضرورة اصطحابهم خارج البيت فى رحلات منوّعة، ولو لشراء الاحتياجات، فالأولاد يفخرون بذلك، ويتطلّعون لغيرهم مع آبائهم فيشعرون بالحرمان، وإذا خرج معهم يدع لهم حرية التصرّف فى اختيار ما يشاءون من لعب وغيره، فقط عليك التوجيه، وحبَّذا المشاركة معهم إن رغبوا فى ذلك، أكرمهم واشترِ لهم ما يختارون فى حدود الإمكانية، واصبر عليهم فى انطلاقهم ولعبهم ولا تتبرَّم من ذلك فتنقلب الرحلة إلى مضايقات وحزن، احرص أن تبلغ الرحلة غايتها بلا تنغيص وخلافات، تحمّل حتى يعود الجميع شاكرين الله ثم لك وللأم.

١٦- خصّص بعض الوقت مهما قلَّ للعب مع الأولاد بكيفيات مناسبة لأعمارهم، احملهم على ظهرك واصغر مع الصغار، وقبِّل هذا، وضمَّ هذا إلى صدرك، وأربت على كتف هذا، ومرِّر يدك بحنان على شعر هذا، مهما كبر سنهم، فقد كان يفعل كل ذلك رسول الله ﷺ وهو القدوة الصالحة.

١٧- وظِّف بعض الوقت، ولو أسبوعيًا، للاستماع إلى آرائهم وطلباتهم وشكاواهم، ولا تسفِّه آراءهم، واهتم بموضوعاتهم الظريفة وشاركهم كأحدهم، ويكفى الاستماع إليهم بإجادة وجدية لبناء الثقة والتآزر الأُسَرى.

١٨- عرِّفهم بالأقارب من ناحية الوالدين، واعتد صحبتهم عند زيارات الأقارب، وخاصة فى الأعياد والمناسبات، لأن ذلك دين وإثراء لعلاقات الحياة الطيِّبة.

١٩- اجعل تعليمهم لـلدين بطريق الممارسة والقدوة، حتى يتشرَّبـوا منكما الدين عملاً واقتداءً وتلقائية دون ضغط وإلزام طالمـا كانوا صغاراً، أكسب الأولاد التَّديُّنَ وحبَّ الدين وحب المتديِّنين، فإذا كبـروا على ذ لك سيؤدون كل ما تحب منهم، بدلاً من الضـغط عليـهم والإكـثـار من الأوامـر باسـم الدين، والإلزام بأعـمـال الكبـار وتصرفاتهم، فـإذا كبروا كرهوا أوامر الديـن وتركوا ما أجبروا عليـه وهم صغار، فالصغار يتساهل معهم ويتـغافل عنهم فى كثير من تلك الأمور، دع الأولاد ذكوراً أو إناثًا يقـضون فـترة الطفـولة أطفالاً يلعـبون ويلهـون، فقط حـبِّبـهم في الدين والمتديِّنين، عوِّدهم بالحب والرفق والقدوة.

٢٠- جنِّب الأولاد مشاكلك مع الأم، واحتـرم مشاعرهم مع كلاكما فـلا تُقْحِمْهم فى خصوصياتكمـا، ولا مانع من الإستماع إلى أحدهم فيمـا يريد أن يخبركما به من شئونكما أو المشورة لكما.

٢١- الأولاد يكبـرون فى أعمارهم وعـقولهم، وعـادة يظل الوالدان يتـعاملون مـعهم باعتـبارهم صغـاراً، تذكر أنهم كبـروا ولهم شخصـياتهم، فخـفِّف من سلطانك الوالدى عليـهم، انسحب من بعض حـياتهم خـوفًا أن تحـرج وتُبْعد!! وعـاملهم كأصدقاء.

٢٢- تذكر أنهم هدايا وأمانات عندك فتسـأل عنهم يوم الحساب، اشكر الله دائمًا فهم نعمٌ تحتاج للشكر لا للشكوى، اصبر معهم وعليهم فسوف تنعم معهم فى الجنة.

****

ميثاق الأولاد مع الوالدين

١- قرن الله عز وجل حق الوالدين مع حقه فى العبادة فقال عز وجل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] فأوصى الخالق المعبود بالوالدين، ولم يأت فى القرآن وصيــة بالأولاد، لأن فطرة الوالدين غالبة فى الميل للأولاد، بل إيثارهم على النفس.

٢- وصف الله يحيى عليه الســلام فقال عز وجل: ﴿وبرًا بوالديه﴾ وفى وصف عيسى عليه السلام بقوله عز وجل: ﴿وبرًا بوالدتى﴾ فعُلم أن أحسن أنواع البر يكون مع الوالدين.

٣- الإنسان من بين المخلوقات يحتاج إلى العون سنوات طويلة لعجزه فى الصغر، وفى الكبر، أما فى الصغر فيرعاه الوالدان صغـيرًا شفقة ورحمة، وأما فى الكبر فالأولاد ينشغلون بأولادهم وينشغلون عن والديهم، فجاء الشرع وطالب الأولاد ببر الوالدين عز وجل: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] إنه الوفاءُ وسنّةُ الابتلاء.

* المظاهر العملية لبر الوالدين

١- التعبـير عن الاحترام بدوام تقبـيل اليدين عند المصافحة، وبالبـدء بإلقاء السلام عند المقابلة والمفارقة، وبالحرص على تحيتهما قبل النوم وعند استيقاظهما.

٢- لا تحد النظر إليهما، واخفض صوتك أثناء التحادث معهما، وبالغ فى احترام آرائهما وتلطَّف فى عرْض ما يخالفهما، وترفَّق فى توصيل ما تريد تعليمهما، ولا تقل: أنتَ وأنت، بل قل: حضرتك. وإذا طلبت منهما شيئًا فقل: من فضل حضرتك.

٣- إذا همَّ أحدهــما فى ارتداء ملابســه، فســارع فى إحضـارها والوقوف أمـامه وأنت تحملها، وســاعده فى ارتدائها ما أمكن، واحـرص على إحضار الحذاء بعـد تنظيفه ووضعــه فى متناول يدهما، وافعل مـثل ذلك عند إرادتهما خلع الملابس، بحــملها والمساعدة فى خلعها ووضعها عنهم فى المكان المخصص لذلك.

٤- لا تحدثهما وأنت راقد، وإذا تحدث أحدهما معك وأنت جالس فقم حتى ينتهى الحديث أو يجلس هو، ولا تتقدمهما أثناء السير معـهما إلا لحاجة أو توطئة لسيرهما، واحرص على حمل ما يُحمل عنهما، وابْدِ الفخر والفرح بالسير معهما وأمام من تعرفه.

٥- راع مظاهر الفـرح أو الحزن أو الغضب عـلى أى منهما وجـاملهمـا بمشاعـرك وما

يناسب من تصرفات، ولا تظهر امتعاضك أو عبوسك لهما بحال، وكن قريبًا حنونًا معهما عند مرضهما.

٦- لا تكن مصدر إزعاج، أو إثقال، أو إشكال، لأيهما، وأعِن نفسك بنفسك ما استطعت للتّخفيف عنهما، فى أعمال البيت وترتيبه وتنظيفه، وفى قضاء مطالبك، وأدِّ واجباتك الشخصية والمدرسية وغيرها بكفاءة لإدخال السرور عليهما.

٧- إن رأى أحدهما أنك أخطأت فاعتذر فى الحال وإن لم تكن مخطئًا، وعَاوِدْ الموضوع فى مناسبة أخرى بلطف ورفق ودون إرغام على قبول موقفك، ولا تحوج أيهما للاعتذار لك وإن كان الحق معك.

٨- احرص على أن تكون متعاونًا فى البيت معهما ومع إخوتك وأخواتك، وداوِم على صلة أهل والدَيْك واحترامهم، واحترام ضيوف البيت والعمل على راحتهم وخدمتهم، وكن أمينًا كريمًا مع جيران البيت، ولا تُفْشِ سرًا أطلعت عليه لأحد.

٩- أسمع والديك كثيرًا كلمات الشكر والثناء وعرفان الجميل، وادْعُ لهما فى غيبتهما وفى صلواتك وداوم على ذلك بعد موتهما، اعتذر لهما عن تقصيرك فى أداء حقهما عليك ولا تظن أنك أوْفيت حق أيهما عليك، وإن ظَنَنْتَ أن أحدهما قصَّر معك فسارع بالمسامحة واستغفر لذنبك ولهما.

١٠- استأذنهما فى كل شئونك ما استطعت، وفيما لا يضرُّ معرفتهما به، وأشعرهما بثقتك الكاملة، واجعلهما أول مَن تشاور وأنك لا تستغنى عن رأيهما، ونفِّذ آراءهما إذا كانت فيها المصلحة، وتلطَّف معهما عند المخالفة.

١١- تأدَّب فى طلباتك منهما، ولا تكثر من الطلبات وقلِّل من احتياجاتك حتى لا ترهقهما، وشاركهما فى الأعمال التى تخفِّف عنهما، وساعدهما فى كل ما يمكنك عمله مما يلزمهما، وكن طَوْع أمرهما فى كل ما يطلبان منك عمله ما استطعت بدون إبداء التبرم والتَّسخُّط والشكوى.

١٢- كلما كبرا، أو كبر أحدهما، أو مرض أحدهما، فكن أقرب إنسان، وأشفق قلب، وأكبر مساعد لهما، كما كانا لك عندما كنت صغيرًا أو مريضًا، فالجزاء من جنس العمل، واعلم أن أبواب الجنة حينئذ قد تفتَّحت لك، وأن السماء وكل من فيها يراقبك، فأحسن كما أحسن الله إليك وقل: ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

****

الفهرس

الموضوع | الصفحة

أولاً: العشرة الطيبة مع الرجل

- عشرة الأرواح تسبق عشرة الأبدان: ٩

رحلة الأرواح سبقت حدوث الأجساد، لزوم الاختيار قبل الاصطفاء، فاظفر بذات الدين تربت يداك. ٩

- شُرعت الخطبة لضمان المحبة: ١٠

نظر الخاطب ليتم التواصل والمعاشرة الطيبة، إباحة النظر وتكراره ١٠

- أحكام وفقه الخطبة: ١٢

أحكام النظر إلى المخطوبة، ذكر مساوئ الخاطب وشروط ذلك، فقه الخلوة أو المخالطة أو المجالسة بين الخاطبين. ١٢

- وجعل بينكم مودة ورحمة: ١٣

معنى المودة والرحمة وآراء العلماء [الإمام السدى، الإمام الألوسى، الإمام ابن كثير، الإمام البغوى، الإمام سيد قطب، الإمام الطيبى] ١٣

- نصائح وهمسات: ١٥

إياك من الإغراق فى الخيال عن الزوج والزواج، يكفى أن تغلب المزايا السيئات، يكفى القبول جملة واحدة، آداب عدم القبول من أى من الطرفين، إن حاز لأحدهما القبول فعليه بالاستخارة فهى عبادة، استخارة زينب بنت جحش فى زواجها من النبى ﷺ. ١٥

- قبل الزفاف وإعداد بيت السكن: ١٧

قصة زواج النبى ﷺ بعائشة رضى الله عنها، مساكن النبى ﷺ، قصة زواج علىّ بن أبى طالب بفاطمة رضى الله عنها، بيت علىّ بن أبى طالب، أم المؤمنين حفصة تروى صفة بيت النبى ﷺ، كيف نسعد كما سعدوا؟ ١٧

- صحة النية فى بداية الصحبة علامة حسن العاقبة فى نهاية الرحلة. ٢١
ليكن شعارنا فى الحياة: إدخال السرور على الغير، الحياة الزوجية السعيدة تثمر البركة، فلنحرص على أيام السعادة، ولانكدر صفوها ٢١
- بداية العشرة تكيف وتأقلم وترقب للعشير وتأهب للمصير ٢٢
هن لباس لكم وأنتم لباس لهن، جنتك زوجك وبيتك، كونى له أمة يكن لك عبدًا، احذرى وساوس عدوك الشيطان، كونى كالنخلة فى عشك الجميل الجديد ٢٢
- همسات ونصائح من المجربين الصالحين ٢٤
نصيحة عمر بن الخطاب: النساء ثلاث - نصيحة على بن أبى طالب: خير نسائكم - نصيحة عائشة رضى الله عنها عن أصل النساء - نصيحة الحسن البصرى - نصيحة أعرابى - قال حكيم - نصيحة لقصة ابن عبدربه الأندلسى - نصيحة أم كتبتها ليلة زفافها - نصيحة أعرابى ذى تجربة وعلم بالنساء - صفات المرأة السوء ٢٤
- الصادق الأمين ﷺ يبين حقائق الدين ووصاياه للزوجين ٢٦
أنت تعينى زوجك على إيمانه - أنت بعد تقوى الله - أنت بك سعادة الدنيا والآخرة - أنت خير متاع لزوجك - أنت يستكمل بك زوجك دينه - لماذا يحرص شيطان الجن والإنس على إفساد السعادة الزوجية والحياة الأبدية؟ ٢٦
- الطاعة للرجل والقوامة على المرأة هل هى تنقيص للمرأة وحط لمنزلتها؟ ٢٨
مقدمات للموضوع وتوطئة له - الرجل والمرأة مخلوقان لعبادة الله وحده - تكاليف الشرع للرجل والمرأة راعت العدل والرحمة - الكرم عند الله بالتقوى للزوج والزوجة - الاختلاف بين الرجل والمرأة فى تكاليف وواجبات كل منهما - المساواة بين الاثنين فيما خُلقا من أجله العبادة والطاعة والجزاء فى الدنيا والآخرة) - طاعة ولى أمر المرأة والزوج ٢٨
تكليف شرعى من أعظم التكاليف ٣٠
الطاعة لله وحده - وافدة النساء إلى رسول الله ﷺ ومطلب نساء المسلمين اليوم

(نعم يا أختى: الله الله ثم الزوج) ٣٠
هل المرأة أقل من الرجل فى العقل والدين؟ ٣٣
معنى العقل ونقصانه عند النساء - معنى نقصان الدين عند النساء - خلاصة الرأى فى ذلك ٣٣
المرأة ريحانة منزلها وروحه ٣٦
أنت وبيتك لزوجك أولا - كيف تستقبلين زوجك؟ التزين للزوج واجب عليها له وحق لزوجها ولنفسها بل ولربها. ٣٦
حق الزوج الصّراح فى الرحيق المباح ٤١
من أهم مقصود الزواج الجماع - حق الزوج فيه وعدم تمنع الزوجة عن الفراش - الأسباب الحقيقية وراء الخلافات الزوجية - زوجك ضيف الله فى منزلك فأكرمى صحبته. ٤١
حفظ الأسرار دليل نبل الأحرار ٤٥
أنت أمينة على كل دقائق حياة زوجك وأسراره - أعينيه على الثقة فيك وبك ليتوفر الأمان - كونى نبيلة ولا تحرصى على معرفة أسراره - لا تفتشى فى ماضى زوجك - إياك وإفشاء الأسرار الواقعة بسبب الوطء ومقدماته. ٤٥
الودود الولود . جزاؤها من جنس عملها ٤٧
أنت راعية البيت، كونى كخديجة رضى الله عنها، قصة امرأة أتتها كرامة الله لحرصها على مرضاة زوجها؛ قصة على وفاطمة رضى الله عنهما. ٤٧
حسن الاعتذار مجلبة السعادة فى الدار ٥٠
كلمات طيبة تستجلب الرحمات، كلمات الإيمان من امرأة سلمان، تواضع الزوجة مجلبة السعادة والهناء. ٥٠
إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه ٥٢
معنى الغيرة ومنها المذموم والمحمود، ترفقى فى غيرتك على زوجك، غيرة زوجات النبى ﷺ، احذرى شدة الغيرة، الطرق المنيرة فى القضاء على الغيرة. ٥٢

لا عقل كالتدبير ولا عز إلا فى القناعة ٥٥
النظر فى عواقب الأمور، الاقتصاد فى المعيشة والرضا بقليل المتاع، أعينى زوجك على أعباء الحياة، أنا لا أدعوك إلى الفقر، ماذا اختارت زوجات النبى ﷺ؟ ٥٥
النشاط والبكور ضمان للراحة والسرور ٥٩
الاستيقاظ مبكرا سنة نبوية، ماذا تفعلين عند خروج الزوج إلى العمل؟ أنت روح البيت وعبيره، كيف تتنزل البركة مع الطعام؟ ٥٩
امرأة أفنت عمرها لإسعاد امرأة أخرى ٦١
كونى الأمل والفرح والراحة والمحبة لأم زوجك، أعينى زوجك على طاعة والديه، نصائح من المجربين فى معاملة أم وأب الزوج ٦١
لا خير فيمن لا يضيفّ ولا يصل الرحم ٦٥
البيت الكريم بيت فيه كرام، أهل زوجك أحق بالإكرام، آداب الضيافة فى بيت المرأة المسلمة ٦٥
من الإيمان: حسن معاشرة الجيران ٦٨
حفظ الجار من كمال الإيمان، حدّ الجوار أربعون جارا، الجار المسلم له حقان، معاشرة الجيران هى الأمر السّوى الإنسانى، نصائح عملية من المجربين ٦٨
نصائح نبوية للحياة الزوجية ٧٢

ثانيا: العشرة الطيبة مع المرأة

الفصل الأول: إشراق البدايات دليل التوفيق للنهايات ٨١
* روعة الالتقاء تستجلب الصفاء: ٨٣
* قلب محب وجمال معد: ٨٥
كن لها كما تحب هى أن تكون لها، تكن هى أفضل مما تحب أن تكون لك، افتح لها القلب لتسكن فيه، دعها تر الترحاب فى عينيك وفى امتداد ذراعيك، وفى تمتمة شفتيك، أهلا وسهلا فى القلب قبل الدار، اجعلها فى جنتها منذ الليلة لا

ترى أجمل منك ولا أحب إليها منك ٨٥
* جراحة بلا ألم ولا تخدير: ٨٦
أكرم حياءها ورفقًا بالقوارير، وأودع فى خزينة قلبها رصيد الاحترام والتقدير للمستقبل المنشود، إياك من وثبة وهجوم الجوع الغريزى فترتسم فى نفسها صورة الافتراس والاقتناص، فكن مثل الطبيب الذى يجرى الجراحة أثناء التخدير بلا ألم ولا تكدير ٨٦
* أفراح فى الأرض وفى السماء: ٨٧
أنت الآن تمر بك لحظة هى متعة الأذهان وعطر الأيام، بالدعاء والركعتين يرتفع لكما الذكر والثناء مع أفراح السماء، وتزف البشرى للعروسين أن بورك من فى الدار ٨٧
* ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق: ٨٨
لا تدع طربات الهوى وضراوة الشهوة واستعارها تستخفك فيطيش العقل وتفقد الرزانة ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ قدموا التسمية والكلام والقبلة، قالوا: التقديم بالملاعبة والمداعبة والملاطفة والتقبيل يزيد فى اللذة. ٨٨
* تجمل فى موطن الضرورات: ٨٩
مهما تكشف الأبدان فالنفوس دوما متحفظة، فحافظ على النفس ولا يغرنك زوال احتشام الجسد، فلباس الزفاف يُتخفف منه ولكن لباس صيانة النفس لا يُخلع. ٨٩
الفصل الثانى: «سفر بخير زاد فى صحبة أصفى الأحباب» ٩١
* كل شيء تراه عليه كسوة القلب: ٩٣
مَنْ تعاشرها لها نفس مثلك، ترضى وتسخط، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، وتحسن وتسيء، وتشعر وتتألم، وتفكر وتعقل، فهى ليست آلة للخدمة والترفيه.. نعم ولكن بمقابلة المثل ٩٣

* املأ قارورتك بما تحب أن تشرب: ٩٤
بقدر ما تسعدها يعود ذلك عليك، فبقدر ما تزرع تحصد إن خيراً فخير، وإن تشقها تشقى بها. ٩٤
* واشوقاه للبدايات: ٩٦
العواطف العظيمة والنوايا الحسنة المخفاة فى داخلك لا تقنع الزوجة، ولو تحققت منها لابد من فعل جميل وقول حسن: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ فالعليم بالبواطن يطلب عمل الظواهر. ٩٦
* المشاعر الآدمية قبل الشعائر التعبدية: ٩٨
أخبرها بكل إحساس نحوها جميل دائمًا، وتكتمك مشاعرك غير المرغوب فيها بقدر ما تطيق ٩٨
* فيتامينات الصحة النفسية: ١٠٢
* اجعل لك رصيدا من الاحترام عندها وحافظ عليه إن لم تنمه الأحداث. ١٠٢
* ما كنت تحرص عليه عند بداية العلاقة بينكما من تأنق فى الملبس وتميز للألفاظ وتجمل فى إبداء الإعجاب والمديح وحرص فى إبداء وتوصيل العواطف، لا تتركه أبدا وليكن لك عادة، وجه بالبشر صبيح، ولسانٌ بالحب صريح. ١٠٣
الفصل الثالث: «غنائم المباهج تكون عند مراعاة المصاحب» ١٠٥
* اعتراض وإعجاب ١٠٧
حسن الخلق مع الأهل دين وكسب طيب للعيش فى الدنيا. ١٠٧
* مسكين وألف مسكين رجل لا امرأة له: ١٠٨
المودة جوهرة تحتاج للرعاية الدائمة حتى لا تفقد. ١٠٨
* الحب المتخاذل ١٠٩
ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من ليس من معاشرته بد، وحب الزوجة دين ومفخرة لا يُستخذى منه ولا يُستخفى. ١٠٩

* رجمة القسوة: ١١٤
طاعة الزوجة لك مفتاحها بيدك أنت. ١١٤
* المرأة فى أعماق فطرتها استكانة للرجل وحاجة لحمايتها فاستقد منها بذلك ولا
تستثر تمردها عليك بتنقيصك لها. ١١٥
* زى القرع يمد برّه: ١١٦
الأهل أولى الناس منك بالمفاكهة والتحمل ممن تتعامل معه خارج البيت. ١١٦
الفصل الرابع: «بذل المجهود فى تأنيس المحبوب» ١١٩
(نفحات الترقيق للمُجالس والرفيق) ١٢١
* جرّب وابتسم من فضلك: ١٢٣
احرص أن يكون وجودك في المنزل مرغوبًا فيه وبلا ثقل، وألا يفتقدونك لطول
غيابك عنهم فتدركهم الوحشة والملل ١٢٣
* ادخلوها بسلام ١٢٥
* شاى فى البلكونة وصَدَقَ سَلمان ١٣٠
* النفوس والقلوب ما بين قبض وبسط وإدبار وإقبال، والأحوال مواهب الرب،
ودوام الحال من المحال، وللزوجة مثل حالك من قلب ونفس ووجدان، فارْعَ
حالها مع حالك يتفق لك منها كل حال. ١٣٠
* عملك القليل فى المنزل كملح الطعام: ١٣٣
شارك فى البيت بقليل العمل، إكرامًا وعرفانًا لعظيم خدمة الزوجة لك، تستزد
منها العمل، بلا تبرّم ولا كلل، ويصح لك منها الجسم والنفس بلا شكوى ولا
علل ١٣٣
* وعين السّخط تُبدى المساوى ١٣٦
احذر فإنهن لا يُحبين العبوس والتكشير، والعَتْب والتوبيخ، والبخل بالمال
والكلام، والارتياب والتجسس، والإهمال لهن والتنقيص. ١٣٦

* متى تصدقك زوجتك: ١٣٨

الفصل الخامس: «المودَّة جوهرة رقيقة تحتاج لحراسة» ١٤٩

(محاذير وموازين تحفظ العشرة بين المتصافين) ١٥١

مَن طلب نفيسًا خاطر بنفيس، ومَن رغب فى رغبة بذل لها مرغوبا، فمن أرْفق بمعاشرٍ حتى ينال من المباح، عُوِّض منه فوق ما يرغب، ومن شرّه استراح. ١٥١

* التغافل حسن الخلق: ١٥٦

المحبة الدائمة والألفة اللازمة للعشرة يفسدها العتاب، ولا يفسد الوداد مثل العتاب، فإنه يُوغر الصدور، ويجدد ما يكره من الأمور، وهو مبعث الخصام بين الأحباب. ١٥٦

* العفو فى اليوم سبعين مرة: ١٥٨

القلوب تتقلب كالقدر إذا استجمعت غليانًا، والكريم من تغافل وتحمل عيوب الناس، وأقال عثراتهم وقبل أعذارهم ولم يبغضهم لمعرفة أن ما كان منهم من كيد الشيطان الخناس. ١٥٨

* دَارِها تَعشْ بها: ١٦١

* من وفورَ عقل الرجل علمه بوفور عواطف المرأة ورقتها، فعواطف المرأة مثل الزهرة الرقيقة الجميلة، يشمها وينظر إليها ولا تحتمل الفَرْك وإلا فسدت عليه. . ١٦١

* عِوَج المرأة خِلقة فيها، فقد وُلدت ومعها عذرها الفطرى، ومن قصد أن يقيم العِوج شوهَّ الخِلقة كمن قصد إقامة عوج الأنف أو استدارة العين، فَعِند أهل النظر يُرى الجمال فى العوج، ومَن كره خُلُقا أحبَّ آخر. ١٦٢

الفصل السادس: «الصبر على بلوى الغَيرة وعند حالات الغضب يُسيِّر سفن السعادة بغير توقف ولا عطب» ١٦٥

* لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك: ١٦٧

الغيرة فطرة ومبدؤها فكرة مثل جرثومة المرض، وجراثيم الغيرة: الشك وسوء الظن، ونقص الثقة، وفتور العلاقة، والانشغال عن الزوج، وكثرة الإعجاب

بالآخرين، والتغيب الكثير عن البيت ١٦٧
* إذا ظننت فلا تتحقق: ١٦٩
الغيرة تلتهم العواطف وتحرقها، وتذهب بالنوم والراحة والعقل، وتعرض لقالة السوء فى غير حالات الريبة، وتفسد ما بين المحبين، والظن أكذب الحديث. ١٦٩
* ولا شخص أغير من الله: ١٧٠
الرعاية للزوجة بألطاف السلوك، ومجاملات القلوب، وتعاهد النفوس، ومراعاة الخاطر، تزرع الثقة، وتُنقى القلوب من الدَّخن والدَّغل، وتمنع علائق الظن بالمحبوب. ١٧٠
* إطلالة على بيت النبى ﷺ ١٧٢
* الزواج بأخرى جَدُّه جد وهزْله جدّ ١٧٣
لا تغضب ولك الجنّة ١٧٥
الغضب جذوة من نار تنضج الحقد والحسد والانتقام، ولا يطفئه مثل السكوت أو لطيف الكلام، ويزيد اشتغاله الجدل والتّلاوم واللجج والخصام. ١٧٥
* بعد الغضب يُترك العتب عليه والحساب، فإعادة الكلام عنه تعيد أسبابه بأكبر مما كان، وتثمر العناد وتستمر به الأنكاد. ١٧٦
* معظم النار من مستصغر الشرر: ١٧٨
الفصل السابع: «باقة من ألوان الأزهار تتزين بها أركان الدار» ١٨٣
* السعادة مطلوبة وممكنة: ١٨٥
الحياة الطيبة ممكنة فى ظل فهم صحيح وقصد سليم بين الزوجين والشّعار: (السعادة مطلوبة وممكنة) بشىء من التعقل والصبر والحرص والمداراة، فيسر على نفسك الأمور، وعلى غيرك، ييسر الله لك وعليك. ١٨٥
* اسكبى أم سنبلة: ١٨٨
بيت المسلم متميز عن غيره بشيوع المحبة والفرحة والكرم والاستقرار، من يدخله يداخله السرور، ويُقابَل على السعة والترحاب، يجد فيه مطلبه، أو يُرد

بكريم اللقاء وجميل الكلام. ١٨٨
* مرحبًا بأم هانئ: ١٨٩
أقرب من يسرع لنجدتك إن ناديته هو جارك، فصِلْه وتعرَّف عليه، وشاركْه فى أفراحه وأتراحه، ولا تهمل من ذلك شيئًا. ١٨٩
* من أسدى لك معروفًا فكافئه: ١٩٠
* هل فكرت أن تدعو زوجتك على الغذاء أو العشاء؟ لو فعلت لكان رائعًا وبارعا، ولو بدون تكلف كبير، جرب وسوف تدعو لى بالخير. ١٩٠
* لا تسأم من دعوة أهل زوجتك، ومدحهم والثناء عليهم، وتوطيد الصلة بهم، خاصة الوالدة، فإن ذلك لا يكلف شيئًا وله أثر بالغ على حياتك الزوجية. ١٩٠
* لا تظهر خلافاتك مع زوجتك لأهلكما أو لأولادك، بل أظهر أمامهم الكلمات الجميلة المحببة للزوجة، ولا تخجل أن تقولها أمامهم، تصبح حياتك وحياتها بلا ملل ١٩١

ثالثا: العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم

الفصل الأول: ١٩٩
الولد هتاف البقاء الكامن فى الفطرة.. ٢٠١
لو ملك عبد الدنيا بحذافيرها لاحتاج إلى الولد.. ٢٠١
وحشة فى النفس البشرية لايقتلعها إلا الأنس بالولد.. ٢٠٢
الأولاد ثمرات الفؤاد ورياحين الدنيا.. ٢٠٢
الولد مبخلة مجبنة محزنة.. ٢٠٤
الفصل الثانى: ٢٠٩
الرحم شجنة من الرحمن.. ٢١١
أحفال الملائكة فى القرار المكين.. ٢١٢
التأوهات السعيدة للحادث الفريد ٢١٦
ريح الولد من ريح الجنة ٢١٩

ضعيفة خرجت من ضعيفة، القيم عليها معان إلى يوم القيامة ٢٢١
كل غلام رهينة بعقيقته ٢٢٣
الفصل الثالث: ٢٢٥
خير النساء: أحناه على طفل فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده ٢٢٧
اللذة والألم المحرك الأول للإنسان ٢٣٠
من المناغاة حتى الفصاحة بالكلام ٢٣٢
الغيرة من المولود ٢٣٤
دعوا ابنى لاتفزعوه حتى يقضى بوله ٢٣٨
فطام برحمة وبدون آلام ٢٣٩
لذة اللعب مع الصغار ٢٤٠
ملاحظات عامة للمرحلة ٢٤١
الفصل الرابع: ٢٤٣
بين يدى التنشئة للطفل ٢٤٥
على ماذا يتربى الصغار؟ ٢٤٧
الطفل لايكون نسخة لما فى الخيال ٢٤٩
الأب له شأن خطير فى تنشئة الطفل الصغير ٢٥٠
الفصل الخامس: أساليب الثواب والعقاب مع الطفل ٢٦١
كل ابن آدم خطاء، ولكن ٢٦٣
هل أسلوب العقوبة مضر؟ ٢٦٤
مزايا أساليب العقوبة ٢٦٥
وحتى تكون أساليب الجزاء مثمرة ٢٦٧
لإنجاح أسلوب الثواب والعقاب مع الطفل بعض الأمور ٢٦٨
بعض مشاكل الطفل المتعلقة بالعقوبة ٢٧١
تطبيقات وقواعد مأثورة من الهدى النبوى ٢٧٣

الفصل السادس: قضايا ومسائل ترتبط بطفل ماقبل المدرسة ٢٨١
مخالطة الصغير للكبير منهج فى التربية أصيل ٢٨٣
مشاعر الصغار فى الأفراح والأتراح ٢٨٥
عودوهم الخير فإن الخير عادة ٢٨٨
التستر فى العورات مع الصغير ٢٨٩
متى يستمتع الكبار بلعب الصغير، ومتى يضيقون منه؟ ٢٩٠
علموا أولادكم الكومبيوتر وركوب الطائرات ٢٩١
لهو الفطرة والتسامح فيه ٢٩٣
ملاحظات على طفل ما قبل المدرسة ٢٩٤
الفصل السابع: طفل المدرسة واتساع مداركه وتعدد أنشطته ٢٩٩
تهيئة الطفل لدخول المدرسة ومتابعته فى المدرسة طوال الدراسة ٣٠١
ملاحظات هامة عن طفل المدرسة ٣٠٢
جماعة الأطفال وأثرها الاجتماعى ٣٠٧
من الحرص ما يقتل المواهب ٣٠٨
انفعالات ومشاكل طفل المدرسة ٣٠٩
حب البطولة فى حياة الطفل ٣١١
مرحلة الإدراك والتحصيل ٣١٢
التعليم بالعمل والقدوة ٣١٣
معاملة الطفل النجيب والمبتكر ٣١٦
الفصل الثامن: الطفل والعبادات ومسئولية الوالدين والمعلمين ٣١٩
مسئولية الوالدين الدينية نحو الطفل ٣٢١
ختان الطفل والطفلة واجب أم سنة ٣٢٢
الطهارة من بول الطفل، ومس فرجه ٣٢٣
كيف يصبح الطفل متدينا بالدين الحنيف؟ ٣٢٥

عقيدة الإيمان عند الطفل ٣٢٧
الطفل والصلاة ٣٣٠
الطفل والزكاة ٣٣٤
الطفل والصيام ٣٣٥
الطفل والحج ٣٣٦
متى يدافع الصغير عن وطنه وعن دينه؟ ومتى يجاهد الصغير في سبيل الله؟ ٣٣٧
بعض الأحكام التي تتعلق بالصغير ٣٤١
الصغير والحجاب ٣٤٦
الطفل وبر الوالدين ٣٤٦
الطفل وعقوق الوالدين ٣٤٨
الطفل وصلة الرحم ٣٤٩
الطفل والرقية ٣٥١
بعض الرقى المأثورة ٣٥٢
الطفل حياته غبطة وسرور، وقبضه من أهله أجر كثير ٣٥٤
حتى السقط يغفر لوالديه ٣٥٦
يعيش حتى يصبح كهلاً، أم يموت صغيراً أحب للمؤمن؟ ٣٥٦
من لم يمت له ولد قد يتحسر يوم القيامة ٣٥٧
الصغير يغسل ويصلى عليه ٣٥٧
السقط يصلى عليه ٣٥٧
كيف يصلى على الصغير مع غيره ٣٥٧
الحزن والبكاء على الطفل لايمنع من الأجر ٣٥٨
ما يقول من مات له ولد ٣٥٨
بعض الآداب مع الطفل ٣٥٨
أول من يأكل باكورة الثمر طفل ٣٥٩

النهى عن الدعاء على الولد ٣٥٩
بركة حضور الطفل دعاء ختم القرآن ٣٦٠
يكره التفريق بين الصغير ووالده فى المجلس ٣٦٠
يستحب البشاشة مع الأطفال ٣٦٠
تطلع الطفل إلى الطريف من الأشياء ٣٦٠
الحرص على تحفيظ الطفل شيئا من القرآن ٣٦١
الفصل التاسع: كيف يكتسب الطفل الصفات؟ ٣٦٣
قلب الصغير قابل لكل ما نقش فيه ٣٦٥
التدرج وتعاطى الأفعال طريق الاكتساب ٣٦٦
الطفل وخلق النظافة والترتيب ٣٦٧
بالنسبة لبدنه ٣٦٩
بالنسبة لملابسه ٣٧٠
بالنسبة لفراشه وحجرته ٣٧٠
بالنسبة لمكتبه وحقيبة مدرسته ٣٧١
بالنسبة للشارع والمدرسة ٣٧٣
بالنسبة للوقت والترتيب ٣٧٣
كيف يكتسب الطفل القدرة على التحصيل المدرسى والتفوق؟ ٣٧٤
الطفل ومجتمع المدرسة الجديد ٣٧٤
آثار دخول المدرسة قبل بلوغ السن ٣٧٥
المطلوب من الوالدين لطفل المدرسة ٣٧٥
كيف نحبب القراءة إلى الطفل؟ ٣٧٧
كيف ينتظم الصغير فى الاستذكار؟ ٣٧٨
الطريقة الصحيحة لاستذكار موضوع ٣٨٠
حالة التأخر الدراسى ٣٨١

الطفل وبر الوالدين ٣٨١
الطفل والتكسب للمعايش ٣٨٤
الفصل العاشر: أساليب معينة فى تربية الطفل تؤثر فى شخصيته ٣٨٩
بعض المشاكل التى تفرزها مرحلة الطفولة ٣٩١
أسلوب التسلط ٣٩١
أسلوب الحماية الزائدة ٣٩١
أسلوب التفرقة فى المعاملة ٣٩٢
أسلوب الإهمال ٣٩٣
أسلوب التدليل ٣٩٣
أسلوب القسوة ٣٩٤
الفصل الحادى عشر: مرحلة المراهقة ومشكلاتها ٣٩٧
مرحلة المراهقة قنطرة العبور إلى مرحلة الرجولة ٣٩٩
مرحلة المراهقة تحتاج إلى تمهيد وإعداد ٤٠١
التغيرات والتأثيرات التى يمر بها المراهق أثناء المرحلة ٤٠٢
السلوك الصحيح مع المراهق ٤٠٧
الفهرس ٤١٧

هذا الكتاب

- هو المختصر المفيد فى أسباب نجاح الأسر والعائلات ، وإقامة البيوت المسلمة على أسس الإسلام الصحيح ومنهجه الفذ الفريد، فلا حقد أو ضغينة أو حتى شكوى وضجر وإنما هى البيوت التى تدخلها الملائكة فلا تبرحها، وترفرف عليها السعادة عند كل ركن وناحية.

- سوف تعيش - عزيزى القارى - مع هذا الكتاب بين أغصان ورياحين تلك الواحة (العشرة الطيبة) التى قسمها المؤلف إلى ثلاثة أجزاء العشرة الطيبة مع الرجل، مع المرأة، مع الأولاد فى تربيتهم وسوف تدرك بعد خروجك منها - وقد صنعها المؤلف على أسس القرآن والسنة وسيرة النبى ﷺ ومن بعده من الصالحين.

الناشر

دار الدعوة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس / ٠٣/٣٩٠٧٩٩٨-٣٩٠١٩١٤